# عصر ما بعد الآيدلوجية

اسرار مثيرة عن :

عصر الحريات في الآداب و الفلسفه و الدين

تأليف :

**ديفيد وولش**



ترجمة :

سامية الشامي

طلعت غنيم

مكتبة مدبولي

القاهرة

# عصر ما بعد الآيدلوجية

اسرار مثيرةعن :

عصرالحريات في الآداب و الفلسفه و الدين


تأليف :

**ديفيد وولش**

ترجمة :

**ساميه الشامي** **طلعت غنيم**




الطبعة الأولى

١٩٩٥م

مكتبة مدبولي

ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع تليفون ٧٥٦٤٢١

# تمهيد

عندما شرعت في البحث من أجل هذا الكتاب عام ١٩٤٨ بدا لى أن عالمنا قد وصل الى نقطة تحول . إن الشعور بالحياة فى فترة انتقالية الآن أصبح شعورا منتشرا خاصة فى ضوء التفكك المتزايد للشيوعية.

فقدت آخر الحركات الأيديولوجية الكبيرة الإعتداد بنفسها وشعورها بمنعتها . إن هذا الانهيار الداخلى السريع المتلاحق هو فشل ادعائها السياسى الخارجى بالشرعية . إننا نجد أنفسنا جميعا مندهشين من أن الأحزاب السياسية لم تعد تصدق نفسها أنه باستطاعتها المضى فى احتكار السلطة الشعبية . والى متى يمكن للحركات السياسية البائدة الاحتفاظ بزمام أمور السلطة السياسية؟ هل سيتسنى لها النجاح عن طريق أشكال مختلفة جدا من الحكم ؟ أو هل الأحزاب الشيوعية سوف تحول هيئتها تحويلا جوهريا مع الخطوط الديمقراطية التقدمية ؟ وما نوع العالم الذى سوف نعيش فيه ؟ .

حان الوقت لبعض التأمل العميق فى العالم الذى نعيش فيه لكى يتم اتخاذ إجراء التغييرات المفروضة علينا . إن الخطر الكبير هو أن تضللنا المظاهر السطحية للأحداث أو أن نغرق فى نماذج عقيدة من الفكر . إن لم نكن غير قادرين على إيجاد منظور فكرى مناسب ينير زماننا فإننا سنفشل فى الارتقاء إلى مستوى تحديات الحقبة وهى التحديات التى قدمتها فترتنا التاريخية . بدلا من أن نكون الجيل الذى أخذ على عاتقه إعادة توجية حضارتنا التوجية الحاسم ، سوف نمضى فى الانجراف مترنحين عبر قطع مفككة من العصرية . لانستطيع أن نتجاوز مالم نفهمه . لم نفتر عن الاحتياج الكبير إلى فهم أنفسنا فهما حصيفا وفهم العالم الذي شكّلنا .

لايتسنى لنا معرفة إذا كانت الشيوعية قضت نحبها إن لم نعرف أن الجوهر الأوغر لها قد ذهب . ما الذى شكل نواة الحركة الشيوعية، وبدونه تحتفظ بزخارفها الخارجية فقط؟

الأكثر أهمية ، ماذا يعنى زوال هذه الحركة الأيديولوجية بالنسبة لعصر أيديولوجية أنتجها وأنتج كل الحركات الأخرى ؟ ماذا يعنى الإيمان بالقوة المطلقة الفعلية للتكنولوجيا فى أكثر الأيديولوجيات نجاحا وعالمية؟ هل بدأنا فى رؤيتها تترنح ؟ هل المكانة المهيبة للإنسان الصانع قد تزحزحت عن مكانها ، وماذا لو تم وضع القدرة المطلقة للبشرية فى وسط عالمنا ؟ هل هناك الآن مكان لله الذى خلق العالم الذى يثابر بنو البشر للسيطرة عليه؟ هل وصلنا إلى النقطة التى منها نستطيع أن نعترف أنه يمكننا فقط التعامل مع الأغنياء والحقيقة الرائعة التى تلقيناها ولم نخلقها ؟

يتطلب الأمر الإجابة على الأسئلة مثل تلك التى حولتها إلى المفكرين الذين هم مركز إهتمام هذا الكتاب . لقد تم انتقاؤهم لعمق تمييزهم وفهمهم للأزمة الروحية والسياسية التى تحدد عصرنا .

إن قدرتهم على التمييز والفهم هى تبصر تم تحقيقه عن طريق العيش خلال الأزمة ومواجهة الظلام فى صميمها وتخطيها عن طريق الحقيقة الروحية التى بعدها . قدموا كنتيجة لذلك تحليلا للمشاكل وبرهنوا على أن الرؤية البديلة للنظام قادرة على حل المشاكل. حقيقة ، إن الدرجة التى عندها تغلبوا على المصاعب إلى نظام وجود فيما وراء الجنون الايديولوجى جعلت من عمق الفهم لديهم ممكنا. إن أى أحد نفذ من الأفق المتزمت للأيديولوجية هو فقط الذى يمكنه ان يرى بوضوح ما تم تركه في الوراء .

وإن أولئك الذين فكروا مليا فى الهاوية هم فقط الذين بإمكانهم التأكد من بلوغهم الحقيقة الروحية القادرة علي التغلب عليها .

المهمة تتضح أنها ليست مهمة لخائر العزم . فهى تتطلب الأصل الوجودى إلى الأعماق ليتسنى اكتشاف الحقيقة التى تفرعنا الي ارتفاع سامى . إن الصعود من الأعماق ليس بتجريد ولابفكرة أو برمز أدبى . إنه أولا وأساساً حقيقة حية يجب علينا تحملها إذا ما

رغبنا في الاتصال بعالم أوسع من العالم الوحشى المغلق منطقيا للأيديولوحية . وان دراستنا لهذا السبب، لو أخذت الموضوع مأخذ الجد ، لايتأتى لها أن تقصر نفسها على أفكار حول السياسات أو على نظام قدمه هؤلاء الكُتاب. ليس هذا الكتاب بنقد أدبى ولابنظرية سياسية ولاحتى بنظرية لاهويتة بالمعنى التقليدى . الكتاب أولا هو دراسة للبحث الوجودى عن النظام فى الروح والمجتمع من خلال أكثر المفكرين عمقا فى العالم المعاصر . إن اهتمامنا بالصيغة الأدبية أو السياسية التى قاموا بذكرها أقل من اهتامنا بالتنوير الذى يمكن تقديمه لأجل فهم أنفسنا والوقت الذي نعيش فيه .

حتما إن هذا الاستغراق الزائد فى قراءة النصوص يعرض لخطر سوء الفهم ، خاصة خطر احتمال فقدى لمسافة هامة أو موضوعية تجاه مادة الموضوع . ردا على ذلك ، إنه يجب ملاحظة أولاً أننى قد اخترت الكُتاب الذين لدى لأنى أعتقد أنهم أقرب إلى الحقيقة من أى من معاصريهم . سأظهر فى أغلب الأحيان متفقا معهم . لكن هذا الأمر لم يكن هو عند الموافقة على كل شيءٍ يقولونه ، أو عند الزعم بأنهم قد وصلوا الى الحقيقة. علاوة على ذلك، ما هو الإجراء الآخر الذى يمكننا اتباعه فيما لو اهتممنا بالقيام بدراسات أكاديمية والإقتراب بقدر الامكان من الحقيققب بشأن الوجود الإنسانى فى المجتمع والتاريخ وبقدر استطاعتنا ؟ ثانيا ، إن الغرض من القيام بقراءة ملائمة لأى مؤلف هو دائما لفهم إلى أى مدى يمكن تطبيق فهمه أو فهمها . وما الطريقة الأخرى الموجودة لتحديد حدود الفهم إن لم يتم معاملتها بمثابة مرشد إلى عالم تجربتنا المشتركة؟ أخيرا ، إننا أنفسنا محرومون من الفهم ما لم نكن راغبين فى وضع أنفسنا تحت إرشاد هؤلاء الذين رحلوا قبلنا . إن القليل منا أهل لمهمة اكتشاف النظام الروحى للوجود ، وعلى حسابنا الخاص . لامكان لدليل أكثر من الدليل الذى فى محاولة تحرير أنفسنا من مناخ الأيديولوجية التى شكلتنا.

إن الفهم دائما هو مشروع مشترك . أود أن أقر بأنى مدين بديون معينة وخاصة بدرجة أكبر لأولئك الذين سبقونى ليفتحوا لى الطريق ، وهذا علاوة على الدين العريض والعميق

الذي أدين به لهم . بدأت البحث لأجل هذا الكتاب بعد وصولى بمدة قصيرة الى الجامعة الكاثوليكية الأمريكية لأختار موضوعا فى الفكر السياسى المسيحى . وإنني ممتن لرئيس الجامعة آنذاك كلاس رين CLAES RYN لحكمته فى تحديد ذلك الموضوع لأنه ربما يكون الفريد بين أقسام العلوم السياسية الأمريكية . علاوة على أن مساندة العميد التالى جيم أوليرى JIM O'LEARY وزملائي والطلبة فى القسم وفى الجامعة هي مصدر للعون لايقدر بثمن . قام برندين بيرسل BRENDAN RURCELL بكلية دبلن الجامعية بقراءة المخطوط برمتها وكانت اقتراحاته الثاقبة ذات عون كبير فى التخلص من بعض أكثر الأخطاء رداءة . وإن المحررين فى هاريرو روHARRER AND ROW خاصة بيل نيول BILL NEWELL قاموا بخدمة في تحسين النص وإلاّ كانت هناك الكثير من الشوائب قائمة . ساعد لى تشيك LEE CHEEK بارتياح فى جمع وتصنيف الفهرس . وإننى ممتن للمساعدة المالية للبحث والكتابة والراتب الصيفي والمنحة من المؤسسة الوطنية الخيرية للإنسانيات ومنحة البحث الصيفى من مؤسسة إيرهارت EARHART ، وتجهيز المخطوط من خلال منحة صندوق أبحاث الجامعة الكاثوليكية . أعترف بالتصريح الذي منحه محرر العالم وأنا THE WORLD ANDI لنشر المادة الخاصة بنيتشه التى ظهرت أساساً في تلك الجريدة.

أخيرا ، أقدم أعمق شكرى لزوجتى ، جيل ، GAIL التى هى السند الدائم لكل عملى . وأقدم لها هذا الكتاب كرمز لحبى .

# اختصارات مستخدمة

## فى النص

اطلعت على النصوص الأصلية لكل المصادر المستخدمة لكننى أشرت عموما الى الترجمة الإنجليزية المتاحة حاليا فقط . انتهجت هذا الأسلوب ظنا أنه سيخدم بطريقة أفضل اهتمامات غالبية القراء ويسيخدم فى تجنب المظهر المزعج للمراجع المتعددة لنفس النص . أولئك الذين يستطيعون الاطلاع على المصادر الأصلية لن يتسنى لهم دون شك صعوبة فى اكتشاف المراجع المتكافئة .

عموما ، استخدمت الترجمات المتاحة بالفعل لكننى لم أتردد حيثما شعرت أنه من الضرورى أن أعدل تلك الترجمات لأجل الدقة الأكبر . تظهر معظم مشاكل الترجمة بالنسبة ل .. سولجِينيتْسِن SOLZHENITSYN . كان القدر الكبير من أعماله يتم نشره بسرعة تحت ضغط سوء سمعته في أول الأمر وبعدها يبدو أن مشروع المزيد من الترجمات قد بطؤ بدرجة كبيرة . إن الستة وتسعين فصلا للنص الجديد الدائرة الاولي THE FIRST CIRCLE ، على سبيل المثال ، لم يتم ظهورها بالانجليزية للآن .

هذا ما جعل من الضرورى بالنسبة لى أن أشير إلى الطبعة الانجليزية المتاحة ، حيث لم تتضمن النسخة الروسية المادة المناسبة . كنا محظوظين لأن النسخة الموسعة الأخيرة في أغسطس ١٩١٤ ، الحبكة الأولي لكتابه «العجلة الحمراء» Red Wheel ظهرت أخيرا فى ترجمة ( مترجمة) . لكن « الحبكة » الثانية ، أكتوبر ١٩١٦ ، لم يتم ترجمتها ولذا يمكن الإشارة الى النص الروسى فقط. وقد ضمنت فصلا كمرجع في كل الحالات لتسهيل الإطلاع على الترجمات المتسقبلية .

إن جميع العناوين التى بدون اختصار يمكن الاطلاع عليها لكنها لم يتم ذكرها مباشرة ، وقد تم تضمينها فى هذه القائمة كمرجع للقارئ .

البرت كاموس : ALBERT CAMUS

رسائل ، حررها د. كوير و ل. فوكو . باريس: يلياد ، جاليمار - ١٩٦٥

E ESSAIS . EDITED BY R. QUILLIOT AND L. FAU-CON. PARIS: PLEIADE ,GALLIMARD,1965

مسرح ، حكايات ورويات من تأليف د. كوِيُو و ل فوكو . باريس : يلياد، جاليمار - ١٩٦٢ .

THEATRE, RECITS et NOUVELLES. EDITED BY R.QUILLOT and . L. FAUCON _ PARIS : PLELADE, GALLIMARD, 1962.

اسطور سيسفوس ومقالات أخرى : ترجمها چستين أوبريان - نيويورك : طبعة ممتازة ١٩٥٥ .

.THE MAYTH OF SISYPHUS and OTHER ESSAYS. TRANSLATED by JUSTIN O, BRIEN. NEW YOUR : VIN TAGE, 1955

الثائر ، ترجمها انطونى بووار ANT, BOWER نيويورك طبعة ممتازة ١٩٥٦ R

المقاومة ، الثورة ، الموت ، ترجمها چستين أوبريان RRD JUSTIN O'BRIEN نيويورك : طبعة ممتازة ١٩٦٠ . RRD

- مذكرات المجلد الأول ( ١٩٣٥ - ١٩٤٢ ) ترجمة فيليب تودى P.H. THODY N

المجلد الثانى (١٩٤٢ - ١٩٥١) ترجمة چستين. أوبريان نيويورك : ١٩٦٣ ، ١٩٦٥

- مفكرات : المجلد الاول ( ١٩٣٥ - ١٩٤٢ ) المجلد الثانى ( ١٩٤٢ - ١٩٥١ ) . باريس : جاليمارد GALLIMARD ١٩٦٢ - ١٩٦٤ .

الكارثة (البلاء) ترجمها ستيوارت جيلبرت نيويورك : طبعة ممتازة ١٩٤٨ .P

- السقوط . ترجمها چستين أوبريان . نيويورك : طبعة ممتازة ١٩٥٦ . F

- كاليجولا وثلاث مسرحيات أخري ( سوء الفهم ، حالة حصار ، العدل ) ترجمها ستيورات جيلبرت .

نيويورك : طبعة ممتازة ١٩٥٨ .

- المنفى والمملكة. ترجمها چستين أوبريان - نيويورك : طبعة ممتازة ١٩٥٧ .

فيودور دوستويفسكي : FYODOR DOSTOEVSKY

POLNOE SOBRANIE SOCHINENII ( أعمال مجمعه ) . ليننجراد : ناڤكا NAVKA - ١٩٦٦ - ١٩٧٧ .

-يوميات كاتب : ترجمة بوريس براسول .سانتا باربيرا :بيريجرين سميث ١٩٧٩ .OW

- منزل الأموات : ترجمة هـ. سوذرلاند ادواردز نيويورك : كل رجل ، ١٩٦٢ .HD

- خطابات من العالم السفلى ترجمة سى . چيه هوجارت C.J. HOGARTH. نيويورك : كل رجل ١٩٦٨ .

الجريمة والعقاب . ترجمة كونستانس جارنت . نيويورك : كل رجل ١٩٦٣CP

الغبى . ترجمة هنرى و أولجا كارلايل CARLISLE نيويورك : ختم ١٩٦٩ .I

المعتوه . ترجمة أندرو . و ماكاندرو . نيويورك : ختم ١٩٦٢ .P

المراهق . ترجمة آندور دَ. ماكاندور نيويورك : نورتون NORTON ,، ١٩٧١ . A

لإخوة كارامازوف ترجمة كونتانس جاريت نيويريك : المكتبة الحديثة ١٩٥٠ . K

فريدريك نيتشة :FRIEDRICH NIETZSCHE

GESAMMEL WERKE ( اعمال مجمعة) ، ٢٣ جزء ميونيخ : موساريون ، ١٩٢٠ – ١٩٢٩ .

حول أصل السلوك الأخلاقى وغريبى الاطوار . ترجمة وولتر كوفمان و د. جيه هولنجرال GH

نيويورك : طبعة ممتازة ١٩٦٧ .. ON THE GENEALOGY OF

ما وراء الطيب والشرير.ترجمة وولنر كوفمان . نيويورك:طبعة ممتازة ١٩٦٦ BE- BGE YOND GOOD and EVIL

علم الشواذ THE GAY SCIENCE ترجمة وولتر كوفمان – نيويورك : GS

طبعة ممتازة ١٩٧٤

لهذا تكلم زارا توشترا ZARATHUSTRA ترجمة وولتر كوفمان – نيويورك بنجوين ١٩٧٨ Z

الرغبة الى السلطة (القوة) THE WIU TO POWER ترجمة وولتر كوفمان WP

نيويورك : طبعة ممتازة ١٩٦٧

فترة انحطاط الآوثان TWIUGHT OF THE IDOLS فى نيتشه المنقول TI

INTHE PORTABL NIETZSCHE

أصدرها وترجمها وولتر كوفمان . نيويورك : ڤايكنج ١٩٦٨

المناوىء للمسيح THE ANT - CHRIST ، فى نيتشة المنقول AC IN THE PORTA-BLE NIETZSCHE .

الفجر DAYBREAK ترجمة د ،چيه هولينجرال R.J. HOL LINGDALE نيويورك :

مطبعة جامعة كامبردج . ١٩٨٢.

الكسندر سولجنتسن: ALEXANDER SOLZHEN ITSYN

SOBRANIE SOCHINENII (أعمال مجمعه) باريس:مطبعة YMCA ١٩٧٨ - ١٩٨٦.

شجرة البلوط والعجل .THE OAK AND THE CALF. ترجمة هارى ويلتش - نيويورك هاربر اندروو، ١٩٧٩ OC

الأرضبيل THEGULAG AND ARCHIPELAGO جزء واحد، ترجمة طوماس ويتنى الجزء الثانى GA

ترجمة طوماس ويتنى الجزء الثالث ترجمة هـ . ت ويلتس . نيويورك : هاربر و روو ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٨ .

يوم فى حياة إيڤان دينسوڤيتشى - ONE DAY IVAN DENISOVICH ، ترجمة/ الف باركر .

نيويورك : المكتبة الأمريكية الحديثة ١٩٦٣ .

C.WARD جناح السرطان : ترجمة نيكولاس بتهيل وديفيد بورج نيويورك :CW بانتام، ١٩٦٩

الدائرة الأولى THE FIRST CIRCLE ترجمة طوماس ويتني - نيويورك بانتائم ١٩٦٨FC

الدائرة الأولى THE FIRST CIRCLE ترجمة طوماس ويتنى - نيويورك بانتاثم FC

V. KRUGG PERVOM. SOB. SOCH- . الجزءان ١، ٢ - ١٩٧٨، هذه هى النسخة الموسعة ذات الستة وتسعين فصلا للكتاب «الدائرة الأولى». الترجمة الفرنسية متاحة LE PREMIER CERCLE ، جزءان ، باريس : لافون LAFFONT ١٩٨٢ .

- ...KRASNOE KOLESO الأجزاء من ١١-١٨ ، هذا هو تاريخ الثورة الروسية

متعدد الأجزاء للكاتب سولجنتسين ، العجلة الحمراء - ثلاث من " الحبكات" ظهرت فى أغطى ١٩١٤ ، أكتوبر - نوفمبر ١٩١٦ ، مارس ١٩١٧ ، والحبكة الرابعة هي مشروع للإعداد ، ابريل ١٩١٧.

اغسطس ١٩١٤ ترجمها هـ . ت ويلبتس - نيويورك : فارار شتراوس ، جيروكى١٩٨٩ . AUQ
AUGUST CHETYRNADTSATOGO . SOBR . SOCH الأجـزاء ١١ ، ١٢ - هذه هى النسخة الموسعة النهائية لاغسطس ١٩١٤ - نيويورك بانتام ١٩٧٤

OCT IABR, SHESTNADTSAGO. SOBRANI SOCHINEII,

الاجزاء ١٣ ، ١٤ الترجمة الفرنسية متاحة ، ١٦ نوفمبر باريس : ڤايارد ، ١٩٨٥ العنوان وكل التواريخ تغيرت ، من المحتمل وفقا لرغبات المؤلف ، لتتوافق مع التقويم الغربى أو الجيريجورى عندما ظهرت الترجمة الانجليزية ربما يكون العنوان اكتوبر نوفمبر١٩١٦.

- لينين فى زيورخ . ترجمة هـ . ت ويلتس ، نيويورك بانتام ١٩٧٦.

وتحتوى على ثلاثة فصول من أغسطس١٩١٤ ، اكتوبر ١٩١٦ ، مارس ١٩١٧ .

من تحت (أسفل ) الدبش .FROM UNDERTHE RUBBLE ترجمة أ . م.

بروك وأل UR

شيكاغو: رينرى . ١٩٨١

A WORLD SPLIT APART العالم يتمزق . ترجمة إيرنيا لوقا يكايا ألبرتى WSA

IRINA LLOVAYSKAYA ALB نيويورك : هاربر آند روو ، ١٩٧٨

الإنفراج:DETENTE : احتمالات الديمقراطية والدكتاتورية نيو برونسويك :

NEW BRUNSWICK ترانساكشن ١٩٨٠ .

سولجنتسين SOLZHENITSYN سجل وثائق A DOCUMENTARY RECORD DOC

## الطبعة الثانية

اصدرها ليوبولد لا بيد زهارموند سرورت : بنجوين ١٩٧٤.

– قصص وقصائد واقعية من تأليف مايكل جليني . هارموسورث : بنجوين ١٩٧١ –
خطاب إلى القادة السوڤيت ترجمة هيلاوى ستيرنبيرج نيويورك .

هاربرآند روو ، ١٩٧٤

– الخطر المميت . ترجمة مايكا نيكولش وأليكس كليموف . نيويورك :

هاربر آند روو ، ١٩٨١

إيريك ڤوجلين ERIC VOEGELIN:

النظام والتاريخ. ORDER AND HISTO جزء واحد، اسرائيل وسفر الرؤيا ١٩٥٦ OHI

النظام والتاريخ ، جزء اثنين، عالم دولة المدينة ،١٩٥٧ . OHII

النظام والتاريخ ، الجزء الثالث ، أفلاطون وأرسطو ، ١٩٥٧ OHIII

النظام والتاريخ الجزء الرابع ، العصر المسكونى ، ١٩٧٤ OHIV

النظام والتاريخ ، الجزء الخامس، البحث عن النظام ١٩٨٧ باتون روج : مطبعة جامعة ولاية لويزيانا . OHV

THE NEW SCIENCE OF POLITICS :NSP

• علم السياسة الجديدة شيكاغو : مطبعة جامعة شيكاغو ، ١٩٥٢

ترجمها جيرهارت نيمير . نوتردام IN مطبعة جامعة نوتردام ١٩٧٨ AN
ANAMNESIS

من التنوير إلي الثورة FROM ENLIGHTENMENT TO REVOLUTION ER

اصدرها چون هـ . هالويل ديرهام ، NC : مطبعة الدوق الجامعية ١٩٧٥

العلم والسياسة ومذهب العرفان (الغنوسية) SCIENCE POLITICS AND GNOSTICISM SPG

ترجمها وليام رچ (چيه) فيتزيا تريك – شيكاغو : دينرى ، ١٩٦٨

إنعكاسات سيره ذاتية .. AUTOBIO GRAPAHICAL REFLECTIONS AR

ترجمة إيلى ساندوس . باتون روچ : مطبعة جامعة ولاية لويزيانا ، ١٩٨٩ .

# مابعد الأيديولوجية

# مقدمة

## *Introduction*

يحدث الآن تحول له أهمية بعيدة المدى داخل الحضارة الغربية . إن فهم المرء الذاتى السائد للنظام الاجتماعى والسياسى هو في مرحلة التدهور وعلى وشك استبداله بيقين مختلف جدا . إن لم يعد بإمكاننا أن نؤيد ببساطة الفكرة الأساسية التى بدأ منها التمدن فإن بنى البشر مؤهلون لتوفير نظامهم الاخلاقي والسياسى الخاص بهم . الإدراك العقلى لأى مجتمع دنيوى القائم دون الإشارة الى أى مصدر متسام والمستمد شرعيته تماما من تقرير المصير الذاتى للإنسانية ، بدأ يفقد فتنته . تجرى التجربة مجراها . عند الإتيان به الى نهاياته في القرن العشرين أصبح إفلاسه مكشوفا تماماً . فعلا كل مكان ننظره تكون الثقة القديمه فى العقلانية العلمانية منسحقه ويمكن بالفعل تمييز الخطوط الخارجية الأولى لأى فهم مختلف جدا لأى نظام.

إن ذلك البديل هو في اتجاه إعادة اكتشاف الاساس المبهم للنظام. إنه بمواجهه عدم القدرة الواضحة للعقل فى أن يقدم التبرير النهائى والحافز للنظام ، بدأ بنو بشر عصريون ثانية النظر تجاه مصدر النظام الذي يكمن فيما وراء الذات ، إن انفتاح الروح انفتاحا ملحوظا يحدث بينما نأتى بطريقة متزايدة إلى التحقق من أننا لسنا الأساس المتمتع بالاكتفاء الذاتى لوجودنا ، إنه في صميم الحضارة الدنيوية المعاصرة يظهر التمييز من مشاركتنا في نظام يكون وراء نطاق عملية ضبط وتوجيه سلوكنا من السلبية الى الإيجابية . اختفت العجرفة وتوجد أول الأفكار الباهتة التى هى من خلال المشاركة فقط فى نظام هذا المصدر المبهم حيث أن وجود الأفراد في المجتمع والتاريخ يشارك في الطيبة والحقيقة والواقع هناك شعور منتشر حيث تصل مرحلة خاصة الى خاتمته تعدنا الآن لنتدبر ثانية في الله الذى يحل محل محور وجودنا . وصف المؤرخ چيمس بيلنجتون James Billington وضعنا جيدا . إنه بالتأمل فيما يعنيه الوصول إلى نهاية العهد الثورى الحديث مع انفعاله الدافع لأجل خلاص

الذات على غرار المخلص المنتظر ، لاحظ بيلنجتون أنه يميل الى الاعتقاد أن النهاية ربما تقترب من الدين السياسى الذى رأى فى الثورة شروق مجتمع كامل . كنت أكثر ميلا إلى الشك فيما اذا كانت هذه العقيدة ، التى ظهرت في الثقافة اليهودية ـ المسيحية ، قد لاتثبته بصورة جوهرية أن تكون المرحلة الوحيدة في التحول الشكلي المستمر لصيغ الايمان الأقدم والتأمل فى أن الإيمان بالثورة العلمانيه .، التى جعلت النزعة التسلطية فى القرن العشرين أمرا مشروعا جدا ، ربما يتنبأ جدليا بإعادة اكتشاف التطور الدينى لجعل الديمقراطية شرعية من جديد فى القرن الواحد وعشرين .

إن تلك النتيجة التهكمية للإضطراب الثورى والشامل هى موضوع هذا الكتاب . إن قصة كيفية قيام بنى الإنسان العصريين بإعادة اكتشاف انسجامهم مع الله عند حد يأسهم تأتى بعد الأيديولوجية . حدثت معجزة الحياة والأمل من جديد عندما نضب كأس الشقاء للقرن العشرين من بقاياه الأشد مرارة . إن إمكانية البعث تتضح بالنسبة للحضارة الحديثة الآن حيث أن هاوية (جهنم) الشر الكامنه فيها تم مواجهتها والتغلب عليها ، إن النضال لأجل نمو روحى هو وسيلة لاغنى عنها للتغلب على الأزمة الروحية المتوطنة في عالمنا .

هذا هو التطور المذهل الذي تم ملاحظته قليلاجدا وسط الضجيج والدمار، والمنافسة المستمرة لجذب الانتباه، وذلك هو منتدى النقاش فى المجتمع المعاصر . إننا نشعر أن شيئا قد تغير إلا أننا عرضة للتغاضى عن أهم أبعاده . إن لم يتم تحديده بالنسبة لنا قد لانتعرف على استدلالاته الكاملة لما خدث . ذلك هو الغرض الذى أوحى بهذا الكتاب وأعطى له شكلا .

قصدى هو انتقاء تلك الامثلة من خلالها تم تنفيذ العملية إلى خاتمتها ، ثم كشف الطبيعة الدرامية فيها لمرحلتنا التاريخية المعاصرة كشفا تاماً . إن ما يحدث الآن أقل ما يقال عنه أنه الحل القاطع للأزمة الروحية للعالم الحديث . وإنه بالنسبة لهذا فهو جهد تدريجى من مقاومة تعرية المستويات الأخلاقية ولا لتوسيع الأنانية الفردية أوحتى

لانتشار القهر السياسى . إنه تحرر من روح العصر الذى آسس التبرير بالنسبة للقوة الجديدة والتهديد غير المحدود لعصرنا نحن ، أصبح هذا التحرر ممكنا أخيرا كنتيجة للإعتراف بأن الشر ليس ببساطة هو مسئولية هذا الدكتاتور أو ذلك ، أو نظام سياسى ، أو مجموعة ظروف معينة . تكمن المشاكل فى غور طبيعة الحضارة الحديثة ذاتها . ثم مواجهة الفراغ الروحى فى صميمه في النهاية . وتم التغلب على العصرية .

إنه غني عن القول بالطبع أن ذلك الاعتراف لم يصبح بعد قبولا إجتماعيا منتشرا . إننا كمجتمع نعى فقط بعض تغيرات غامضة تحدث الآن . إننا نفهم أن اتجاهنا التاريخى لم يعد ذلك الاتجاه التكنولوجى والصناعى والاجتماعى المستمر ، "والتقدم" السياسى ، وهى الصورة السائدة فى المعتقد الغربى منذ التنوير . لم تدرك الدرجة التى عندها نفصل أنفسنا عن روح العصرية ذاتها ؛ ولم نعرف بعد المدى الذى إليه نصبح في أعمق شعور ما بعد الحديث . ذلك هو إفتتان المفكرين الذين هم بؤرة هذا الكتاب . لأنهم متميزون عن كل معاصريهم عن طريق عمق تغلغلهم في المشاكل التى تواجهنا ، أدركوا أن النضال ليس ضد هذا العرض أو ذاك الخاص بالمعاناة المعاصرة ، وإنه حتى ليس ضد الصيغ المعينة بأن المستبد والظالم ربما يتم إفتراضها مؤقتا ، وانما يكون الأمر ضد هاوية الشر التاريخية التى تكمن اخيرا في لبها . كنتيجة لذلك لم يكن النصر الذى حققوه أكثر من مظاهر معينة للبربرية أو الفقدان ، بل إنه فاق روح التمرد الأساسية التى منها تظهر هذه الظواهر .

هذا هو ماجعل تجارب دوستويفسكى وكاموس وسولجستين وڤوجلين أكثر أهمية من الأهمية الفردية . إن المشاكل التى تخطوها هى المشاكل التى نواجهها ، لذا أن حلهم الموفق لم يكن إلأجانب سيرى ممتع او تنويرى . إنه محمل بدلالة بالنسبة لمستقبل حضارتنا . مثلما نجح بعض الأفراد إلي حد ما في تحرير أنفسهم من الفوضى الايديولوجية فى عصرنا قاموا باكتشاف طرق ربما يمر بواسطتها كل الآخرين بنفس التحرر . أصبحوا أمثلة علي حل الازمة الروحية داخل حضارتنا . إنه بمواجهتهم لتطرفية الشر فى قرننا ، فهموا علاقته بالتمرد

حيال الله عند أساس العالم الحديث ، إنه من خلال مقاومتهم لقوته المدمرة ، أعادوا اكتشاف قوة الحب السامي ، الذى منه يمكن إعادة النظام إعادة جوهرية . لقد أتموا المنهج الذى لايزال تختاره حضاراتنا .

إن ما يفصلهم عن كثير من الآخرين الذين مروا بنفس نوع الانبعاث الروحى المتخلص من الانفعالات هو بالضبط هذا الإتقان والإسهاب للمعنى الفلسفى الأكبر لتجربتهم . هذا ماجعلهم الناطقين بلسان الجماهير الغفيرة من بنى البشر فى القرن العشرين الذين عثروا على الحقيقة الروحية ، الله ، فى خضم المعاناة . إن ذكريات معسكر الاعتقال مليئة بتلك التقارير عن التحول الشخصى تحت ظروف المعاناة الشديدة .عموما ، هناك تقارير عن إعادة اكتشاف الايمان في الكفاح ضد قوات الظلم (القهر) الاستبدادية . وهناك ما بعد ذلك الكثير من أمثلة التحول . الذى يحدث فى وقتنا مثلما حدث فى أى وقت سابق ، حيث تحمل بنو البشر انفتاح الروح كنتيجة للتقلبات العادية لحياة الإنسان . إن كل تلك التقارير لها قيمة نفيسة جدا فى إيقاظنا من «اللاشعورية العامة» لنا بالنسبة للواقع الروحى . جرتنا إلى الإعتراف بالواقع العنيف الذى منه نحن الآن فقط مدركون إدراكا خافتا . إلاّ أنهم كلهم فى خطر الاقصاء كمغرطين فى الحساسية أو التجارب الشخصية إذا لم يؤيدهم أفراد لديهم مقدرة بارعة وفلسفية لإيضاح سلوكهم النمودجى إيضاحاً كبيرا . إن التنفيس الإعلائى الفردى لابد أن يتم التوسع فيه كأساس وجودى بالنسبة لنظام جديد أو نظام حضارى متجدد. إن العلاقة بين تجربة الإنبعاث داخل الروح والمبادئ المنظمة للنظام الاجتماعى والسياسى يجب ان تكون واضحة تماما . هذا هو جوهر المشروع الذى قام به دوستويفسكى ، . كاموس ، سولجستين ، وڤويجلين ، والآخرون الذين أتوا قبلنا بقوة الحقيقة الشخصية العميقة . يتكلمون بصوت يرتفع من حقيقة « الحياة الحيوية » إنهم رغم ذلك تخطوا منظورا شخصيا فحسب . تم التعرف عليهم أخيرا كمصادر للقوة الأخلاقية عن طريق معاصريهم لأنهم يعطون تعبيرا للحقيقة المقدسة الموثوق بها يلمحها كل قلب انسانى . هذه

هى الاستجابة للمشاكل التى على مايبدو لاحل لها فى عصرنا النسبى والحلولى ، يمكنهم بأصالة إعلان أن « إله واحد يمكن أن ينقذنا » وذلك بأكثر أصالة من هيدجر Heidegger لأنهم فتحوا أنفسهم على جذب الحقيقة السامية . إن جميع كتاباتهم هى تقارب محاولات لجعل هذه الحقيقة جلية مثل مصدر النظام فى الفرد والمجتمع والتاريخ .

إن إنجازهم ربما يتم تمييزه بمثابة إعادة الاكتشاف الوجودى للفلسفة الكلاسيكية والمسيحية رغم أنهم لم يبدأوا بهذا المفهوم فى الذاكرة . والأحرى، بدأوا كبشر مهتمين بأصلهم وبسلالة مجتمعاتهم فى ظلمة الفوضى ، إنه فى عملية المقاومة ، وتصعيد النقد وتوضيح الإتجاه الذي يكمن فيه البديل، انتهوا بإعادة واكتشاف ما فى جوهر المسيحية الفلسفية ، إن الاختلاف الكبير هو مع ذلك أنهم أعادوا اكتشافه بدقة بالنسبة لأزمة العالم الحديث . إن اختلافهم لم يكن احياءاً لشئٍ فى الماضى ، لكن إكتشافا للحقيقة الحية في الحاضر . دخلت الفلسفة والمسيحية العالم الحديث لأنهما بزغتا داخل ذلك العالم حيث أن أكمل كشف لتطلعة إلى العيش فى نظام الكون هو مثل ترياق حاسم للأوهام المدمرة لكمال التراث . إنه منذ موقفهم الدفاعى لمدة خمسمائة سنة الماضية استعادت الفلسفة والمسيحية المركزية والسلطة داخل العالم المعاصر الذى يفتقر بشدة الى الفترة المتميزة الهامة.

إنه بسبب أن هذا التحول النوذجى قد حدث أساساً من خلال الكشف عن تنفيس إعلائى وجودى فإن تركيز هذا الكتاب هو على الأسس التجريبية بالنسبة للنظام ، ذلك أمر حتمى لكنه يمكن أن يكون أيضا مضللا. التأكيد الراسخ على التجارب والرموز ربما يُساء الفهم كاستخفاف بأهمية التعريف المفاهيمى والنقدى . ما من تفسير يمكن أن يكون غير دقيق إلى حد أبعد. إن الصلاحية الدائمة للتوضيح المجرد أو المذهبى لابد من الاعترف به كأمر مفترض . إن ضبط المعنى أمر غير ممكن عمليا إذا ما عملنا ببساطه عل مستوى التجارب والرموز . لايوجد تاريخ الكنيسة فقط وإنما تاريخ الفلسفة أيضا لتأكيد هذا .

إنه دون الدقة المتزايدة للعقيدة فإن محتوى الإيمان والتجربة يكون في خطر الى الأبد وهو خطر التشويه والتبخر . تبقى مع ذلك المذاهب والأفكار ثانوية أو مشتقة ، ليس لهم

حقيقه إن لم يظهروا ويشيروا باستمرار إلى بداهة التجربة الحية ، هذا حقيقى بالنسبة لحياة العقل كمثل حياة الإيمان ،سواء هناك رغبة فى اكتشاف التجربة الأصلية المسببة أو من الأفضل توضيح المحتوى التعريفى فإن الأمر يعتمد تماما على ظروف المحيط الاجتماعى «البيئة الاجتماعية » .

إن الافتراض المسبق لهذا الكتاب هو أن عصرنا التاريخى يتطلب عودة الى التجارب والرموز الأولى للنظام ، يستمر التوضيح المفهومى أو المذهبى لأنْ يكون قيمة لكنه لايمكن تفادى الحاجة الى الاحتفاظ بالأسس الوجودية بالنسبة لجميع الحديث التالى . إن الانتقادات الثقافية للأيديولوجية والدفاعات النظرية عن الفضيلة تقوم بدور حيوى هام. إلاَّ أنها ظلت غير فعالة طالما أن الجوانب المعارضة تؤكد فقط على التمسك الاستبدادى بمقدمتهم الأولى الشخصية ، إنما ما يتم تطلبه هو مواجهة مع تلك التجارب الوجودية التى دائما تقدم الأساس بالنسبة للنظام وفى كل مكان . عندما لم يعد الاتفاق على المبادىء الأولى ممكنا حينئذ يكون الخيار الباقى الوحيد هو تجديد التجارب البديهية للاشتراك فى نظام الواقع الذى لايمكن لأى إنسان إنكاره . إنه بتحديد موقفنا المعاصر لم يكن لدينا خيار سوى تحديد ومقدما تجارب النظام الفعالة . يجب ألاّ يتم أخذ هذه الأسبقية بمثابة مؤشر لأى انهيار للكفاح لأجل الحقيقة المذهبية .

إنه بهذه الطريقة ، الحقيقة أننى لم أبدأ بدفاع عن الفلسفة والمسيحية ولايجب أن تفسر كجهد لأن أقف خارجهما . ليس هناك ثالث أو منظور مستقل منه أحاول أن أحكم من فوقهم . إن قصدى هو بالأحرى اتباع المنهج الوجودى الذى به يتم إعادة اكتشاف الحقيقة الراسخة للفلسفة والمسيحية فى العالم المعاصر . هذا يعنى حتما أنه يجب علينا الوصول إلى الفلسفة والمسيحية مثلما يجب ذلك على الكثير جدا من مجتمعنا ومن الخارج . ضاع التقليد كمصدر لهيئة عامة . إنه يمكن فقط إعادة الاكتشاف له عن طريق القيام بجهد جوهرى لإعادة الاكتشاف . يجب أن نبدأ من مكان آخر الرجال والنساء العصريين مثلما نجد أنفسنا اليوم . يمكن للفلسفة والمسيحية ان تصبحا مصدراً حياً حى للنظام بالنسبة للمجتمع

ككل لو أن حقيقته فقط يتم تحديدها من تجارب عالمنا الحديث . لم يعد ينفع الشرح المذهبى و العرض الاستطرادى ، إنه بدلا من ذلك يجب أن يكون جهة الاتصال فى شكل دراما وجودية ، يجب رؤية الحقيقة تظهر من الكشف عن الأزمة داخل المشروع الحديث ذاته . إنه خلال المواجهة مع متناقضاته الداخلية ستكون طبيعة اختياراته عارية أمامنا ، وإن الحركة الملازمة للندم والتخليص يمكن أن تظهر في أكمل حقيقتها . إن العنوان البديل هو الذى ختاره هنرى دولوباك H.De Lubac لدراسته الأولى لذروة الأزمة الحديثة .

إن درامته « الإنسانية الملحدة » فى وجوه عديدة نموذج لنوع من استكشاف غير حكمى للمنطق الوجودى للمشاكل التى فى ذاكرتى . لوجاءت كل جهودى قريبة من هذه السابقة فالنتيجة ستكون فى اعتقادى ذات خدمة للفلسفة والمسيحية .

علاوة على أن الدفاع عن الفلسفة والمسيحية ، حتى ولو كانتا غير شبيهتان بأنهما غير فعالتين ، ربما يكون غير ضرورى . تحتوى الفلسفة والمسيحية على دليل بالنسبة لحقيقتهما داخلهما ولن يستخدما كأعمدة للحضارة الغربية لمدة طويلة إن لم يكن لتلك القضية . إن الطريق المثمر جدا هو الشروع فى النضال لأجل نظام فى الوقت الحاضر. يجب أن نبدأ بالمشاكل التى تجيب عليها الفلسفة والمسيحية . إنه فى عملية التصارع مع الأزمة الروحية لعالمنا ، فإننا نعود حتما للوراء الى الاعترف بالرمزية التى بها يمكن حلها . إنه فضلا عن محاولة برهنة الحقيقة الخاصة بالفلسفة والمسيحية ، إننا نواجه مشاكل النظام اليوم مما يكشف عن حقيقة الفلسفة والمسيحية . لانبدأ مع الافتراض المسبق بأن الفلسفة والمسيحية هما الحل . بدلا من ذلك ، نلاحق المنطق الداخلى للمشاكل ، التى ترد دون رحمة في الخاتمة، حيث أن الرد المسيحي الفلسفى فقط يمكن أن يمد بالمطلوب بطريقة كافية . إننا لانتساءل ما إذا كان ممكنا أن يكون الفرد مسيحيا أو فيلسوفا فى العصر الحديث . إن حافزنا هو أن نبقى مؤمنين بطبيعة العالم الذى نعيش فيه . ثم يأتى السؤال عما إذا كان ممكنا أن نكون عصريين أحياء الضمير دون الوصول إلى أفق المسيحية الفلسفية .

# ملاحظات

١ ـ چيمس هـ . بيلنجتون James H.billington ، نار فى عقول الرجال : أصول الإيمان الثورى ( نيويورك : الكتب الأساسية ، ١٩٨٠) ، ١٤ .

٢ ـ من المعسكرات النازية كان يوجد ڤيكتور إ. فرانكل ، بحث الإنسان عن معنى، ماوراء Ilse Lasch ( نيويورك : مطبعة ميدان واشنطن ١٩٦٣) Etty Hillesum، حياه مقطوعة : يوميات إيتى هيلصم ١٩٤١ ـ ١٩٤٣ ( نيويورك : مطبعة ميدان واشنطن ١٩٨٣) .

تم اصدار المعسكرات السوفيتيه ، بجانب سوليجنتسن ، وولتر جيه ، تشيك W.J.Ciszek إس.چيه.، هو يقودنى (نيويورك : وبلداى ، ١٩٧٣) ؛ ناتان شارانسكى ، لاتخف أى شئ، مترجمة Trans. ستيفانى هوفمان ( نيويورك : راندوم هاوس ، ١٩٨٨) وإيرينا راتوشينسكايا ، لون الأمل رمادي، ترانز ( ترجمت) أليونا كويڤنيكوف (نيويورك: KINOPF ، ١٩٨٨ . حتى كاسترو كوبا جعلها تشارك فى الأدب حيال البحث الروحي، في أرماندو ڤالاديرز، ضد كل أمل، مترجمة . أندرو هيرلى ( نيويورك : بالأنتاين ، ١٩٨٦ ). التجربة الصينية أنتجها نين تشنج، حياه أو موت فى شانغهاى (نيوريوك : مطبعة جروڤ جروق، ١٩٨٧ ) .

٣ ـ انظر علي سبيل المثال، نادزدا ماندلستان، أمل ضد أمل، مترجمة، ماكس هيوارد ( نيوريوك : أثينيوم، ١٩٧٠ ) ، وتاتيانا جور يتشيقاً، حديث عن الله خطير، مترجمة. جون بودن ( نيويورك : كروسرود ، ١٩٨٦ ) .

٤- س . إس . لويس يقدم قضية واضحة جداً فى دهشة المرح ( نيويورك : هاركورت بريس جوڤانوفتيش، ١٩٥٥ ) وحزن ملحوظ ( نيويورك : بإنتام ، ١٩٦٣ ) . أو توجد

حكاية طوماس ميرتون، الجبل ذو الطوابق السبعة ( نيويورك : هاركوت بريس چوڤا نوفيتش، ١٩٤٨ ) .

٥ ـ "لواستطعت الإجابة باختصار وربما بطريقة غير متقنة، لكن بعد طول تفكير : ستكون الفلسفة غير قادرة علي أن تقوم بأي تغيير مباشر في حال العالم الحالى، هذا حقيقي للفلسفة وكل الفكر الإنساني النقى وتحمله. الله وحده يمكنه أنقاذنا. إن الإمكانية الوحيدة المتاحة لنا هي عن طريق التفكير وتنظيم الشعر الذي نعده استعداداً لظهور إله، أو لغياب إله في انحرافنا، وإنه في غياب إله إلي حد ما نحن فى حالة إنحرافً . مارتن هيدجر، "إله واحد يمكن أن ينقذنا : مقابلة شبيجل ( ١٩٦٦) "، فى هيدجر :الرجل والمفكر، أصدرها طوماس شيهان ( شيكاغو : السابقة ،١٩٨١ )، ٥٧ .

٦ ـ هنري دو لوباك H. belubac، دراما الإنسانية الملحدة، مترجمة ، إديث م . ريلي ( نيويورك : المكتبة الأمريكية الجديدة ، ١٩٥٠ ) . اكتشف نيكولاي كيار ومونتي طريقاً متوازياً : "عودة إلي الحقيقة بعد العقل والروح المحجوبتين يمكن أن تحدثا خلال الضلال واليأس. مع أن هذه المعاناة ستبقى عقيمة وإعادة أكتشاف العقل غير ممكن إن لم يحدث تحول ." التاريخ الظاهرى التناقض( فيلاديلفيا :مطبعة جامعة بنسيلڤانيأ ،١٩٨٥، ١٩٤٨

# الفصل الاول

# الفصل الأول

## طريق العصرية المسدود

نحن نعيش فى عصر عندما وصلت أزمة العالم الحديث الى حل عقدتها ، إن كل ما يتجلى من ابتداء العصرية تم الكشف عنه الآن ، ونحن متهمون بالاطلاع على العواقب التى استطاع أسلافنا أن يلمحونها لأنهم دفعونا إلى هذه التجربة المشتركة الكبيرة . إن ما ظهر لهم بمثابة الطريق نحو مستقبل السعادة المستمرة هو الآن أمامنا مثل واقع يفتقر الى الإرضاء الكامل . إن العصر الذى بدأ مع بهاء النهضة الأوربية ، وآمال التنوير المشرقة، وطاقات الثورات العلمية والصناعية والسياسية ، قد تحول الى الرعب والفراغ والتوسط فى القرن العشرين . والتناقض حاد حتى تم تركنا نتساءل إذا كان هناك حقا أى صلة بين تلك التطورات أم لاتوجد هل هناك صلة ضرورية بين بشير نجاح التقدم الإنسانى فى الكون وواقع الفشل الإنسانى المتواصل ، وبين رؤية عالم جديد شجاع والاعتراف بالنفقات الروحية المذهلة ، وبين التوسع العريض فى سلطة الإنسان والإساءة العريضة للسلطة بنفس المقدار... فى عصرنا نحن ؟ هذا السؤال أكثر من أى سؤال آخر يعطى الشعور بالحياة ، إن لم يكن فى نهاية العصر الحديث فهو على الأقل فى نهاية نقطة تحول حاسمة داخله ، لأن السؤال يشير إلى الحد الذى إليه فقدنا الإيمان بالتجربة الحديثة وبأسطورتها المبدعة.

لم نعد ننظر تجاه المستقبل فى حالة ترقب ساذج . بدأت روح الضجر والحذر كنتيجة للأوهام المكدسة للتاريخ الحديث . ولايتضح هذا الإنحدار بصورة أكبر إلاّ فى عدم تماسك الحركات الجماهيرية الأيديولوچية ، عندما يدرس الواحد مستوى التأييد ودرجة الاحترام التى تتمتع بها حركات مثل الماركسية والاشتراكية الوطنية والفاشية والإيجابية والفرويدية فى الجزء الأول من القرن والمدى الذى إليه تبخرت الآن أو تآكلت بشدة ، ولم يكن التغيير سوى تغيير ثورى . كان الإنهيار حاسما حيث لم يعد الأمر ممكنا ، خارج قليل من

المقاطعات الباقية ، يتم اتخاذه بجدية كمفكر لو كان الواحد أيديولوجيا . فضلا عن أن تلك الحركات لاتستمر فى أن تمارس نفوذا ثقافيا وسياسيا هائلا ، إلا أن الميل كان فى الإتجاه المعاكس تماماً وبعيدا عن دافعهما المنهجى الاصلى ، على الرغم من وجود الاختلاف كله فى العالم بين اعتبار الماركسية كانتقاد لمشاكل الرأسمالية الأول أو الترشيدات الاقتصادية التى وجدت للكشف عنها والتأكيد على أنه يقدم معنى لاغنى عنه بالنسبة للتحقق من تحرير الإنسان فى الكون . إننا نعيش عصر ما بعد الايديولوجية إلى المدى الذى فقدنا فيه الإيمان بكل الأنظمة وبه فإن الإيمان الذى ألهم ثناة النظام من ديكارت ومابعده : فى سلطة الإنسانية لتسيطر على الحقيقة برمتها .

إن القوة التى حققت هذه الثورة لم تكن سوى الضغط القاسى للحقيقة ذاتها ، ومهما يتم غالبا مراجعة التفسيرات والتنبؤات فإن العالم الحقيقى يرفض أن يكون قاصرا داخل حدود النظام ومحاولة العمل على أسس أدت مرارا الى اشد النتائج مرارة واستياءً . إن ماحول هذه التجربة الى مستوى جديد فى الفترة المعاصرة هو إحراز سلطة سياسية عن طريق ناقلى تلك العقائد الأيديولوجية .

إن أهوال عصرنا لم تكن ترجع كثيرا جدا الى الشهوات الدائمة والحماقات وسوء الفهم التى أنزلت بعلاقات البشر الكارثه ، إلاا أنها ترجع بدرجة أكبر إلى العاطفة الغريبة لإخضاع الواقع المتمرد لأن يكون متناسبا داخل الحدود الخارجية لنظام ثقافى أو اخر . إن أغلب تلك الأنظمة فى القرن العشرين هو ظاهرة معسكر الإعتقال بأدواته المرعبة والدولة المستبدة، حيث كان الهدف ليس فقط بعض الهدف السياسى المحدود دائما تحول طبيعة الإنسان ذاتها تحولا نهائيا لارجعة فيه أيضا . لم يكن الأمر كافيا أن يتم إخضاع أعداء النظام وإنما الأصدقاء والأعداء على حد سواء يجب إعادة صنعهم تماما ليصبحوا أشخاصا آليين أيديولوجيين تماما ومنفذين بالدور المطلوب منهم بدون تعبير شخصى متخلف . والنقطة هى مثل إحدى ملاحظات شخصيات سولجنتسين التهكمية للبرهنة على حقيقة

الرأى الشهير لماركس وهو « الظروف تحدد الشعور » . إنه عن طريق السيطرة الكاملة فإن مخطط العمل الأيديولوچى يمكن فرضه على المادة الإنسانية التى يتم استقبالها التى فيها « يمكن لكل شخص وأى شخص أن يتم إضعافه إلى هوية من الانفعالات غير المتغيرة أبداً، لذا فإن كل مجموعة من ردود الأفعال يمكن استبدالها بأخرى استبدالا عشوائيا.

إن المقياس المحض لهذه الكارثة التى فيها تقتل الحكومات الاستبدادية ، ناهيك عن أولئك الذين قضوا نحبهم فى الحروب ، أكثر من مائة مليون قتيل ، بدأ أخيرا إثارة مراجعة مفهومنا للعالم الحديث وللحركات الأيديولوجية السائدة فيه . إن أكثر الحركات الناجحة والشمولية ، وهى الشيوعية، قد تم نزع قناعها وهى متصلة بالقتل والقهر حتى إن المصطلح السوفيتى Gulag لم يعد يحتاج الى ترجمته إلى أى من اللغات الغربية . ورغم ان الانتقادات المعقولة للأيديولوجيات متاحة منذ ظهورها تقريبا ، والبراهين على عدم ملائمتها وعدم واقعيتها حتى أن تحذيرات العواقب الوخيمة لوضعهم موضع التنفيذ قد تم التخلى عنها ، وكان كل ذلك دون طائل . إن لم يستطع التفاهم والإقناع تحقيقه يحدث الآن من خلال التجربة . حتى أن البلدان التى التزمت رسميا لبناء أيديولوجى تبحث عن سبل لأن تنأى بنفسها عن النتائج غير العملية المدمرة ( وان يكون بدون تفكيك أيديولوجيتهم ) .

إن الكشف الطويل عن العواقب يبدو أنه الطريقة الوحيدة لتخاصم الافتتان مع تلك الأنظمة . يمكن إقناع الأفراد إلا أنه مثلما لاحظ إيريك ڤوچلين ، المجتمع برمته « ربما يجب ان يمر بكل شقاء الثورات والحروب العالمية حتى أن أكثر الأشخاص غباء يفهم أنه لايصل الى شئ بتلك الطريقة ، إن موقفنا الحرج اليوم هو أن تلك التجارب الثورية الاشتراكية التى بدأت فى القرن الثامن عشر ألقت بنفسها الى التهلكه الآن » .

إننا بمعنى آخر اشتقنا إلى ان تأتى حمى الأيديولوجية على نفسها . إن عدم حدوث الإنتاج الذى دائما يسبب حمى الآمال الرؤيوية لتهدئ وتفرض إعادة التعديل لظروف الوجود

المستمر فى عالم عنيد . نحن الآن فى مرحلة حيث أن جميع النظم الأيديولوجية الكبيرة تم إيجادها ووجدت ضعيفة ولاتوجد نظم جديدة بانتظار تجربتها . إنه لمدة المائتى سنة الماضية «كل موقع محتمل لا يستطيع فيه الواحد وضع أساس (سامى) قد تم إستنزافه » ، سواء تم البحث عن المفتاح فى سباق ، أو اقتصاديات أو علم او رغبة جنسية أؤ جنسية ، هذا هو السبب فى أن ڤوجلين واثق جدا فى التنبؤ بأن« مامن أحد سيكون مفكرا كبيرا على غرار ماركس او هيجل أو كومت مستقبلا ، لأن ذلك كله جاء مرة واحدة ، لن يكون هناك المزيد من المفكرين الأيديولوجين من أى نوع» إن ما تبقى من جاذبيتهم بعد نقائصهم وتم كشفه قد تم السيطرة عليه بالمواجهة مع النتائج الفعلية التى أتوا بها . إننا نعرف إلى أين تؤدى تلك المنهجيات ، ولم يعد من الممكن أن يجعل الواحد من نفسه أيديولوجيا « دون أن يجعل نفسه شريكا صامتا فى كل عمل شرير فى Auschwitz أو فى خليج Gulag »

**السلطة ما وراء الطيب والشرير :**

كان الكفاح للتحرر من نفوذ الأيديولوجية يتطلب ان ننهمك فى أكثر من لوى ذراع غير مؤثر . هذا يجعل من الضرورى أن نأخذ فى الحسبان دلالة الأيديولوجية داخل هيكل الحضارة العصرية ككل . يجب الإقرار بأن الحركة الأيديولوجية الجماهيرية لاتمثل العودة المنعزلة أو الخصوصية الى البربرية ، وانقطاع عشوائى لحضارة تتقدمه ببطء، إلا أنها الناتج المنطقى للاتجاه الذى نتبعه منذ النهضة الأوربية مع أنه بالرغم من كل شىء، تلك كانت الحركات الثقافية الأساسية للمائتى سنة الماضية، والعواقب القاتلة لتوسعها الاجتاعى يمكن التنبؤ بها بوضوح عن طريق مفكرى القرن التاسع عشر قبل دوستو يفسكى ونيتشه. وقد دثروا أنفسهم بأكثر فروع ثقافتنا نجاحاً ـ العلم الحديث ـ لأنه يلائم المفهوم الأصلى لمصطلح أيديولوجية . ثم ابتكار وصف تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على دراسة الفرد والمجتمع، وكان القصد تقليل السلوك الإنسانى إلى نظام واحد متقطع ربما يتناسب داخل العلم الشامل للخصائص والظواهر الحيوية التى ينكشف حيوان ما. إن كل المفكرين

الأيديولوچيين لم يبحثوا سوى عن تنفيذ المشروع المركزى الحديث وهو فى كلمات فرانسيس بيكون، تطبيق قوة العلم لأجل "إراحة حالة الإنسان" . إن ذلك التحقيق يشدنا إلى مواجهة من جديد وبتصميم أكبر المسألة التى بدأنا بها : كيف يمكن متابعة النتيجة الإنسانية الجيدة فى مثل ذلك البؤس الإنسانى عالمياً ؟ كيف يتسنى لأى عصر حدد نفسه أن يفوق كل أسلافه فى الوفاء بإحتياجات الإنسانية ويتفوق على كل الآخرين فى المعاناة المفروضة على بنى البشر؟

لا تكمن الإجابة فى الجهل والخطأ أو فى الحادث وإنما تكمن فى شىء يكون متماسكاً للمشروع الإنسانى منذ البداية، توجد بذور إساءة استخدام السلطة المروع فى تدمير بنى البشر داخل حلم توسيع السلطة دون حدود لخدمة البشرية . رغم أن الأمر ليس بالشىء العرضى لكنه عاقبة جوهرية حيث أن سلطة الإنسانية التى زادت من قدرة إرشاد استخدامها قد إندحرت، كانت ملاحظة ذلك صعبة فى بادئ الأمر حيث أن رجالاً مثل جاليليو وبيكون سعوا إلى زعزعة النظام لإفساح المجال أما العلم الرياضى التجريبى الذى رفعنا " من العالم المغلق إلى الكون اللانهاية له ". بات واضحاً قبل أن يمضى وقت طويل أن العلم الحديث، الذى فى مفهوم بيكون BECON حدد المعرفة بالقوة، مبنى على لفظ المنظور التكنولوجى الأساسى بحقيقة أن ذلك شكل النظرة العالمية للحضارة الغربية منذ القدم، قدمت التكنولوجيا أساس فهم الطبيعة والنظام الأخلاقى والسياسى لحياة الأنسان، كذلك صارت المعرفة محددة الآن بقوة الصنع، وكل نقط المرجع مفقودة. مما إذن تتسنى لنا المعرفة؟

ليس من المؤكد من الطبيعة الثابتة وبنهايات محددة حيث أن هذا بالتحديد هو بصدد الحسم، وضعت الإنسانية نفسها فوق الطبيعة ويتوجب اختيار نهاياتها فى الحرية. إنه باتفاق فاوست الذى به أن سلطة واسعة جديدة تم منعنا إياها على حساب الروح التى وحدها يمكن أن تقدم الحكمة لاستخدامها ، هذا الاتفاق هو المشكلة التى ترقد فى نفس بداية العالم الحديث.

وإن تاريخ توالى القرون يمكن اعتباره من أحد الوجوه بمثابة كشف متقدم لمنطق نقطة البداية هذه، إنه وقت أن يتم تقويض سلطة النظرة العالمية القديمة كان من الحتمى أن التحدى يجب أن ينتشر إلى رموز العقل والإلهام اللتين هما نفس لب المفهوم المسيحى الفلسفى للنظام. إن الدعوة إلى تبرير "الأفكار الملازمة" للنظام التى كانت أساس سلستها للنهايات، وقدتم العثور على الفهم الكلاسيكى للعقل ضعيف وأقل من نظيره الحديث المختصر وبمثابة أداة للانفعالات . ثم تطبيق اختبار مماثل على حقيقة الوحى ( الإلهام ) ككتاب مقدس صار بؤرة تدقيق من جانب العلم التجريبى الحديث.وإنه مما لا يثير الدهشة كثيراً أن معناه ثبت أنه أيضاً محير عندما تؤكد نصوصه على المحتوى الواقعى للتجارب، وتناولتها تحاليل علوم المنهج المستخدمة لأجل أى مستندات تاريخية دنيوية. هذه هى الخلفية التى ترقد فى النهاية خلف نزاعات العلم والدين الفظيعة على مدى الثلاثمائة سنة الماضية، بيد أن النزاعات السطحية ربما تظهر غير مقنعة ومبالغ فيها، وكان وجود العقل ذاته فى مخاطره، والألهام كسلطات مستقلة للعلم كان موجوداً، ويوجد نموذج مماثل للقضية مشترك فى النزاع بين الرومانسية والوجودية، مثلما سعت الرومانسيات إلى تأكيد معرفة الطبيعة التى هى بالضرورة استبعدت من طريقة تحليلية مستغلة .

لا تزال التوترات فى كل تلك المناطق رغم أنه بفضل علمها الناجح عملياً قد أدركت تفوق السلطة العامة، ولا زال هذا الأمر إلى الآن. تم فتح مجال جديد للمشكلة مع التطورات الثورية فى العلوم البيولوجية حيث تم توجيه الانتباه بطريقة متزايدة إلى سيطرة الطبيعة عموماً وسيطرة الطبيعة الإنسانية خاصة. مع أننا نفكر ملياً فى تقنيات وإمكانيات الهندسة الوراثية والضبط السلوكى فإن الفقدان الجذرى لموقفنا يصير واضحاً . عندما نملك القدرة لجعل أى شخص حسبما نرغب فى أن يكون أو تكون، فبأى المعايير الاجتماعية للقيمة أو الحق يتم إرشادنا ؟ إننا نعرف ماسيحدث داخل هذا الشخص لأن أى شئ من القيمة داخله أو داخلها هو شئ نفصح عنه . ليس هناك شئ جدير أصلا بالاهتمام

فى الشخص كنهاية داخله أو داخلها بصرف النظر عما تم تحديده ، ولايوجد من المؤكد شئ يسبق وجود الفرد إن طلب تلطيف حالة الإنسان » وصلت هنا بوضوح نقطة محددة ، حالما أن الإنسان الذى سيتم مساعدته ليس له وجود نظرا للفوائد التى يتم منحها . حالة من فى هذه القضية التى سيتم تلطيفها ؟ حتما وجدنا أنفسنا نندفع نحو تبرير فعال أو نفعى (هادف) . إن المؤكد هو أنه ما من شئ يتم عمله من أجل الإنسان الواقعى أمامنا . إن سير الأحوال هذا ليس أمرا مسلما به بدرجة مدهشة جدا حيث أن العلم المعاصر . طالما أنه حول انتباهه تجاه الشخص كهدف له ، قصد أكثر فأكثر أن يلغى فكرة « الإنسان المميز» إن الرؤية من منظور التطور البيولوجى والعمليات الكيميائية الحيوية والاشتراط السيكولوجى والمؤثرات الاجتماعية يظهر «لاشئ سوى » عمليات محدودة وتراكيب تشكله او تشكلها . إن الميل الى الاندساس فى المظاهر الخادعة المصغرة كبير جدا عندما يتم اعتبار تلك المناظير غير المتماسكة والجزئية بمثابة الفهم الجازم للشخص الواقعى ، لكن الإغراء يصبح شيئا لايقاوم فى غياب أى رؤية روحية موازية ستؤكد ، مع سانت أغسطس، أن «الإنسان هو هاوية سحيقة جدا محجوبة عنه وهو بداخلها » إن التحاليل المؤلفة من قطع للعلوم هى فى نفس الوقت تعتبر صالحة عن طريق النجاح الواقعى المباشر لمؤثراتها . «هنا ، ربما » يلاحظ ليون كاس Leon kass « أكثر النتائج هلاكا للتقدم التكنولوجى ـ الأكثر تجربة للصفات الإنسانية من أى مؤثر فعلى اوتقنية ، فى الوقت الحاضر أومستقبلا، إننا نشهد التعرية ربما التعرية النهائية لفكرة الإنسان كشئ فخم او رائع جدا ، واستبدالها برؤية الإنسان ، لا تقل عن رؤية الطبيعة ، كمادة خام ببساطة للاستخدام والتجانس . »

.كان الدارس سى . إس . لويس المولود فى بلفاست من بين أول من تعرف على العجز الغريب للبشر العصريين قبل قوتنا التى تم كشفها حديثا . إنه فى مقال قصير ، إلغاء الإنسان ، شرح «مايجب أن تكون دائما وضروريا » فكرة غزونا للطبيعة . إنه بصرف النظر عما إذا كان يتم استخدامها بحكمة او بغباء ، أو يستخدمها أشخاص طيبون أو أشرار « إن

مانسمية سلطة الإنسان على الطبيعة تصبح سلطة يمارسها بعض الناس حيال آخرين مع الطبيعة كأداة لها » يصبح الخطر أكثر شدة وبصورة متزايدة بينما نسعى إلى السيطرة الكاملة بصورة أكبر على الطبيعة وتطور حياة الإنسان ، وإن كان هدف السيطرة الكاملة هذا يتم تحقيقه حينئذ نكون قد كسرنا الحلقة مع أى مفهوم للخير الإنسانى الذى يتم تقديمه.. سيتم ترك « المقررين » فى مصطلحات لويس الفنية ليحددوا ما نوع الإنسانية التى بصدد إيجادها ونوع الطيبة الذى سيحددها.

أيا كان البعد الذى عادوا إليه أو امتدوا إليه لا يمكنهم أن يجدوا أرضية يقفوا عليها .

إن كل دافع حاولوه يصبح مغالطة منطقية . ليس هذا لأنهم سيئون . فهم ليس برجال على الإطلاق . إنهم بالخروج عن الطاو TAO يدخلون فى الفقدان . ليس تابعوهم أن يكونوا بالضرورة غير سعداء . هم ليسوا برجال على الإطلاق : فهم نتاج اصطناعى ،. أثبت الغزو النهائى من قبل الإنسان أنه إلغاء للإنسان .

إنه بدون معايير نسبية لإرشاد اختباراتهم ، سيتم ترك المقررين بدون شئ سوى النزوة والباعث أو فرصة هدايتهم . « الطبيعة دون قيد القيم تحكم المقررين ومن خلالها تحكم الإنسانية . إن غزو الإنسان للطبيعة ، فى لحظة استهلاكه، يصبح غزو الطبيعة للإنسان.

إنه بمواجهة النقطة النهائية للعملية نبدأ فى أن نرى ما يتم تضمنه بمثابة جوهر المشروع العصرى : تحرير الإنسانية من قيود الفضيلة لأجل توسيع سلطتنا دون حدود وهى السلطة التى تتبع الوجود الكلى لإنجازنا.

إن « غطرسة الإنسانية» ، الجملة مستعارة من ديڤيد ايرنفيلد Dauid Ehrenfeld، لاتستطيع تحُمل أى مبدأ المعارضة لدافعها البروميثيوسى Promethean . لايسمح لأى شئ أن يقف فى طريق تحقيق السعادة الإنسانية ، أقل الإنسانيات كلها . إنها فى هذا المعنى أن طلب تطورات تكنولوجية جديدة وطلب تطبيقها الفورى يصبح ضغطا هازما ، ومقابله هو

خيال محض لإقامة حواجز من ورق للنظم الأخلاقية والإجراءات الوقائية . دائما ما نذكر الحاجة إلى العلم ليكون لنا أساس أخلاقى ونحاضر بصفة متكررة إزاء أهمية استخدام قوة العلم لأجل الأغراض النفعية على وجه الحصر ـ إلا أنه إذا كان هذا سهلا جدا أكان من المؤكد تحقيقه منذ مدة طويلة ؟ إن حلم "العلماء المعنيين بالأمر" ، وهو استخدام القوة النووية للأغراض السلمية فقط ، نشأ من غض البصر عن حقيقة أنه لو أتيحت تلك القوة ستبقى متاحه للأبد للقيام بالشر مثل القيام بالخير ، إنها تسمح لأولئك الدين يمتلكونها أن يهددوا وإلى الأبد أو تمارسه على أولئك الذين لا يمتلكونها . لا يمكن أن يوجد مثل ذلك الشيء كقوة للخيره لا تتضمن أيضا قوة لفعل الشر . إنه لأمر واهم أن تطور القوة سيكون كافيا فى حد ذاته لتحقيق كل بركات السعادة ، حيث أن الخطأ الكبير لعصرنا التكنولوجى يتضمنها ، إن المحاولة المتأخرة لفرض الشروط الأخلاقية ستكون غير كافية للتغلب عليها .

إنه بالنظر قبالة هذه الخلفية للإيمان بمقدرة القوة فإن الحركات الأيديولوجية الحديثة ونتائجها الاستبدادية لا تظهر غير نموذجية جدا . فهى ببساطة أكثر المظاهر المتطرفة لهذا الايمان ، لأنها تأسست على الإقتناع بتملك سبل جلب الكمال النهائى لحياة الإنسان فى المجتمع والتاريخ . إن الثقة العالمية فى صحة هدفها ، إنزلق الأيديولوجيون فوق الأعراف التقليدية للفضيلة ، ولم يعودوا مرتبطين بالشعور الأخلاقى الذى بلى لعالم تم تركه خلفهم طويلا وذلك من خلال أعمالهم . النتيجة مطابقة لوصف لويس LEWIS للمقررين .

إنهم بالهدف المطلق للمستقبل الذى يرشدهم عملوا على أساس النزورة والباعث أو المصلحة الشخصية - وباختصار تم غزوهم من جانب قوى الشر التى سعى البشر الى مقاومتها ، إن الفرق الوحيد هو أنه لم يعد الاعتراف بها كشريرة مما جعل تأثيرها غادرا ، ويتكون المذهب الفعالى الأيديولوجى فى ممارسة السلطة ليس بدون قيود أخلاقية فقط وأنما بدون الاعتراف حتى بضرورة تطبيق تلك القيود. هذا يفسر الظاهرة غير العادية فى

عصرنا التى سماها كاموسCamus جريمة منطقية " فى اليوم الذى ترتدى الجريمة رداء البراءة " كما أستمر ليقول.

" إنه من البراءة أنها تدعو إلى تبرير نفسها " . عندما يتم ارتكاب الشر بصفة منتظمة باسم الطيبة ، فإنه من الواضح أن أى تأثير للفضيلة فى ممارسة السلطة قد تم تفريغه ، إننا نعيش فى عالم ربما يعمل حقيقة الصواب .

إن هذه النتيجة التى لم تكن سوى ضلال وصلت إلينا عن طريق التحقق من أنها حتما صورها المفكرون عن عمد وهم مفكرون عصريون ذوو بعد نظر . إن الخطة ( مشروع) الهيجيلية على سبيل المثال وهى خطة التغلب على كل الآلام فى وجودنا البشرى فى مصالحة ذاتية كونية للروح فى نظامه ، والمقصود هو إحداث نهاية للتاريخ ، إنها تلغى كل المحاكم العليا غير النظام الذى تم الكشف عنه كشفا شاملا حديثا .

هذا هو : العالم والدولة المتجانسة " الذى أعلن عنه الكسندر كريبفKOJEVE قارىء القرن العشرين لهيجيل "Hegel"تعرف كوييف على المدى الذى يجب عنده تكملة كل الأشياء - تعنى أيضا إلغاء عدم الطمأنينة والاستجواب والتدقيق ، ألا وهو الإنسان. وإنه بالتفكير مليا فيما يمكن أن تكون عليه حياه الإنسان عندما ما يتم تسوية المسائل الأساسية تنبأ كوييف أن ذلك يمكن أن يعنى فقط العودة إلى طبيعة الوجود الحيوانى ، كما فى الاستهلاكية الأمريكية المعاصرة أو إيضاح الشكلية النفاجة دون محتوى ، وكما فى الشنتو اليابانية . ليس هناك المزيد فى الحالتين للحصول عليه ، عندما يتم تحقيق الاحتمالات حينئذ ما من شىء لم يعد له قيمة . إننا نعيش فيما وراء الخير والشر ، ولا غرور أن كوييف لذلك تخيل ذات مرة أن ستالين ونابوليون ، مثلما ظن هيجل ، هما المتسببان فى نهاية التاريخ وأنه ، كوييف ، هو المبعوث المكلف باعلان هذه الحقيقة النهائية الشاملة ، وإنه بقبوله كل أهوال عصرنا نواجة أقصى تعبير لمنطق النظام المغلق. مهما كان مقدار عدم حبنا المحتمل لنتائجه، مثلما أوضح بارى كوبر ، فإن تحليل كوييف لهيجيل

يقدم أوضح تقرير عن الفهم الذاتى للعالم المعاصر ،، إنها رؤية تمتد من مقدرة العمل المتعدد الجنسيات الى عقلانية أرخبيل جولاج "Gulag" الذى يتضمن انتشار المجتمع التكنولوجى مثل انتشار رعب الدمار النووى .

## انهيار كل استجابة أخلاقية :

سيكون من الخطأ تحديد الحضارة الحديثة فقط بكوارثها الأشد وضوحا إنه علاوة على البشاعة القاتلة للاستبدادية هناك الكثير من الإنجازات تفجر بتحقيقها ، لم تكن هذه بالجهود الناجحة البتة لتقاوم وتخضع أسوأ ازدياد للروح الاستبدادية . إن الانجازات الحقيقية للعلوم والتكنولوجيا لا ينتقص من قدرها ولا من حقيقة أنهم جعلوا من السهل على الأرض أن تساعد العدد الأكبر من الناس بالتمتع بصحة أكبر ، وبالوفرة والترف ، وهى أشياء لم تكن موجودة من قبل . هناك وعى مرتفع بأن هذه الحرية المتزايدة من قيمة المادة لم تكن غاية فى حد ذاتها ، وإنما لتقدم الوسيلة للناس العصريين رجال ونساء للسعى إلى غايات أسمى لحياة طيبة لأنفسهم وللآخرين كلهم . إنه بجانب التأكيد على بسط نطاق السيطرة المفيدة نسبيا يوجد دائما حركة مضادة داخل العصرية من عدم الرضا تجاه القوة كمبدأ كاف ذاتيا ، إن العقول الفلسفية الكبيرة للقرون السابقة كانت على وعى عميق بالفراغ الذى خلقه اختفاء النظرة العالمية المسيحية اليهودية الكلاسيكية. سعوا باستمرار لتقديم الأساس الروحى للنظام الأخلاقى والسياسى الجديد الذى يوجد الآن دون المنفعة من دعاماتة الدينية التقليدية .

يجب أن نلتفت إلى حصيلة هذا الوجه من التجربة الحديثة إذا رغبنا فى اتخاذ المقياس الكامل للأزمة التى نحن بصددها . إنه بالتحديد هى حضارة فى حالة أزمة ليس عندما يتحطم نظامها لسبب أو لآخر إلاّ أن محاولة استعادة النظام الحاسم لمجتمع هى فى حد ذاتها غير فعالة وبذلك تخدم فقط فى تفاقم المشكلة الأساسية ، ذلك هو الحال مع معظم المحاولات لتقديم تبرئة معقولة للفضيلة بداية من LOCKE حتى اليوم . لقد قام بها

المفكرون الذين رغبوا فى الحفاظ على الفهم المسيحى التقليدى للفضائل ولو على أساس مختلف لو لم يكونوا قادرين على جعل القضية مقنعة حينئذ يتم ترك الخبر الفردى والسياسى دون تبرير ، يكون الطريق حينئذ مفتوحا لممارسة غير مقيدة للسلطة دون قيد منذ عدم قيام أساس لمعارضة الاستبدادية .

وإن إخفاق الفلسفة الحديثة فى تقديم بديل للدور الأساسى للدين يمكننا التعرف على أوضح إستنارة على إنهيار العصرية وأحد قضاياها الأساسية المركزية .

انتهت القصة بالفعل ونحتاج فقط إلى الإشارة إلى بعض التأكيدات التى تم تغطيتها فى آخر دراسة ألاسدير ماكلينتاير تايز ALASDAIR MACLENT للمشكلة فهو يحدد الوعى المبدئى للأزمة فى القرن السابع عشر والمحاولات الكبيرة حيال الحل الحاسم مع مفكرى التنوير وحلفائهم إن لوك LOCKE فى طرق كثيرة هو الذى وضع مصطلحات المشكلة لأنه يقدم الأدوات التجريبية التى بها تم إزالة الأسس المسيحية الكلاسيكية ، وبها اقتراح اقامة النظام الانسانى الذاتى، لم يستطع لوك LOCKE أو لم يكن راغبا فى ... أبعد من الاقتراح ، كان ديڤيد هيوم أول من طور البدائل الممكنة ، ورافضاً للسبب الذرائعى كمصدر للغرض الأخلاقى ، وسعى إلى أساس الفضيلة فى حياة العواطف ، إلا أن هذا اضطره إلى اللجوء إلى الذرائع المتنوعة بما فى ذلك التأكيد على المصدر الداخلى للتعاطف بمثابة الطريق الوحيد لإخفاء النقص فى أى أساس أخلاقى ملائم ، تبنى إيمانويل كنت تحدى فشل هيوم وسعى إلى إيجاد أساس فى العقل .

كانت " الحاجة المطلقة " بالنسبة له من بين أكثر المحاولات نجاحا ( نشاهد استمراريتها حتى اليوم ، لكنها كانت أيضا غير قادرة تماما على التفوق على شكليتها لإعطاء أساس للقواعد الأساسية للفضيلة والمشكلة التى أوضحها ماكلينناير تاير MACLNTYRE من بين الأخرين هى «إننى لا أستطيع الاستهانة بها دون أى تضارب أى كان، دع أى واحد سِواى أن يتم معاملته كوسيلة خليعة ، إلا أنه تناقض ولا يوجد أى تناقض فى الرغبة فى

عالم من المغرورين يعيش كلهم بهذه الحقيقة العامة ." كنتيجة ، انخفض البحث إلى فكرة كيركيجارد الخاصة بالاختيار الراديكالى أننا نختار العقل الذى سيؤسس مبادئنا الأخلاقية ولو أنه لم يعد بالإمكان الإعلان بأن لها أساس فى الواقع ، إن الاعتراف النهائى فى هذا الشأن جاء ليتضمن أن الفضيلة لا يمكن أن تستغنى تماما عن " الشروط الأساسية" اللاهوتية لله والحرية الأنسانية وخلود الروح .

تتجه الفلسفة الأخلاقية ، كما بحثت عن الأساس المنطقى فى فترة ما بعد الكانتانية ، نحو النهاية الحسية الزائفة مثل " أكبر سعادة لأكبر عدد " لبنتهام BENTHAM إلا أن تحليل ميل MILL للإدراك المنفعى للسعادة يكشف صفتها الحسيه البحتة . برهن اللآتناسب للملذات المختلفة وعدم إمكانية تحديد معنى المبدأ. إن مذهب المنفعة يتكشف فى الدوائر الفلسفية إلى الحدسية والانفعالية والاعتراف التالى بأنه لا يمكن أستخدامه ليبرر رأى منهج عمل أبعدها عن قائمة الخيارات الكبيرة، بحثت المحاولات الحديثة : على اساس كانتيانى جديد فى مفهوم الحقوق . إن الصعوبة الوحيدة هى أنهم تم إقترامهم ثانية لوجود النظام الاجتماعى المعترف بالحقوق ومن ثم لم يجد أساسا عالميا فى العقل ، أو أنهم سلموا بأن الحقوق لا يتسنى لها أن يتم إقامة برهنتها ولو أنه تم الاستمرار فى تأكيدها كنقطة بداية عالمية لأى مناقشة للنظام .

إن المظهر الخادع لتقديم مالكنتاير للتقليد الأنجلو أمريكى فى الفلسفة الذى فى أحدها غمس نفسه بوضوح - هو أنه سار خلاله إلى النتائج الاجتماعية العملية للأرض القاحلة نظريا إن الطبيعة الحقيقية للموقف الذى لم يتم التعرف عليه بسبب عدم الرغبة فى الاعتراف بالإفلاس الفلسفى لنظرتنا الأخلاقية برمتها . يبقى الإقناع هو أن بنى البشر " ينبغى دائما معاملتهم كغايات فى حد أنفسهم وليسوا كوسائل " ، إلا أننا لم نعد قادرين على إعطاء سبب كاف لذلك . نلجأ إلى التخيلات الأخلاقية " مثل الحدسية ، الاحتكام إلى البديهية، والهدوء (فى حالة إعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان) ، إن أولئك الذين

يستخدمون السلطة فى مجتمع يتوجب عليهم ربط مطلبهم به على أساس الخبرة الفنية والمقدرة ليس على معرفة الطيبة الإنسانية لأن مملكة القيم انفصلت عن عالم الحقائق . وحيث أنه ما من تبرير « حقيقى » صالح - لا يوجد علم يبرهن الفعالية المزعومة للمدير أو المعالج - والأثر تركنا « دون أى تمييز بين استغلال وعدم استغلال العلاقات الاجتماعية » . إن تلك التقارير فى رأى ماكلنتاير بالنسبة للانهائية واللاتناسبية للمناقشة الأخلاقية فى المجتمع المعاصر . لم تكن أساس الفهم المشترك قائمة عن طريق سبل منها يتسنى للجدل أن يتم تسويتة إننا نتأرجح بين الإيمان الفردى بالحقوق والتأكيد البيروقراطى على المنفعة دون أى اقتراب للنتيجة " إن الواقعية الساخرة للمناقشة تكشف عن الاعتباطيات للرغبة فى السلطة الفعالة فى قرارها ." وتجبر ماكلنتاير على أن يأتى إلى نهاية فحصة أن " العصر القاتم الجديد " مفروض علينا حيث أنه فيه ثانيه «السياسات حرب اهليه تقوم بها سبل آخرى ».

## أزمة العدمية المكشوفة : نيتشة .

إن وصف الحاضر بعصر قاتم جديد من انعكاسات فريد ريك نيتشه التنبؤية حتى فجر الفترة المعاصرة ،. لم يكن الأمر أكثر من مصادفة أن تحليل ماكلنتاير يأتى بقدر جيد من التشخيص النفاذ للعالم الحديث . يعتبر نيتشة بمثابة " كاميها ميها الثانى KAMEHAMEHAII بالنسبة للتقليد الأوروبى تشابه جزئى مع الملك الذى ألغى محظورات المجتمع المتعدد الأشكال من خلال إعلانه التصريحى - لم يفعل نيتشة مثل مع الملك الذى ألغى محظورات المجتمع المتعدد الأشكال من خلال إعلانة التصريحى - لم يفعل نيتشة مثل الملك الهاواى« أكثر من التعبير عن الحقيقة التى يسعى كل واحد تجنبها ، واعترف بأن الفضيلة والأيديولوجية حيث حاول المجتمع الأوروبى أن يدثر نفسه غير موجودتين ، إن القيم والمعتقدات والأنظمة التى هم بصددها كانت بالفعل مفتتة وسرعان ما أختفت . كانت مبنية على أساس رفض الحياة ذاتها التى يمكن أن تكون هزيمة ذاتية.

الرجال العصريرون فى رأى نيتشه وكذلك النساء أنكروا المصدر الذى منه قوة أى إيمان يجب ضرورة اشتقاقها: التى تؤدى إلى حياة أكثر أو الى حياة حقيقية أكثر ، ولا أقل من ذلك إن الحركات السياسية المعاصرة سواء ليبرالية أو اشتراكية مذهبيه المنفق ،إيجابية أو فوضويه كانت بالرغم من اختلافاتها متوحدة حول إلتزامها بالأفكار ، والتزامها بمستقبل غير حقيقى ، وبالتجرد ، بمثابة حقيقة متفوقه على قوة الحياة الحية ذاتها . ميز نيتشه فى كلها " الرغبة فى حياة نكره " .

قارن تعاليم المساواة بالعناكب الكبيرة لأنها تهدف إلى تسميم جوهر الطبيعية الإنسانية ذاتها .

إنه بالسعى إلى تقييد وتحطيم القوى باسم حماية الضعيف فقد تم تقويض مصدر القوة الوحيد الذى منه يستطيع بنو البشر الأمل فى الحصول على أى حياه ، خفيفة ومرحه يقدمها لنا مقتضيات الوجود . كشفوا فى نفس الوقت عن الحد الذى إليه نشأت دوافهم من كراهية الحياة والرغبة فى الانتقام منها. إن الاشياء من جانب الضعيف من القوى هو الشعور الذى يراه نيتشه بمثابة الإنحراف العالمى للرغبة الغريزية فى القوة الموجودة فى كل الاشياء ، وإن العزاء الوحيد الموجود فيه هو كرفض للحياة المهزومة ذاتيا وتؤدى الى قهرها. إن الدافع الى المساواة ، على سبيل المثال، تضلله الفردية المغرورة ( سواء يتم التعبير عنها فرديا أو جماعيا فى الليبرالية أو الاشتراكية التى تتعقبها إن جميع الأنظمة الأيديولوجية سوف تكشف عن الرغبة فى السلطة التى تبقى على جذرها الجوهرى فقط، عندما يتم دفعها إلى التطرف المنطقى .

زفض نيتشه إمكانية المصدر الأخلاقى لأنه رفض الاعتراف بوجود الفضيلة مثل ذلك . إن أى إنسانية تسمى فضيلة هى صيغة فقط تفرضها الرغبة فى السلطة.و إذا أخذنا محاولة من أكثر المحاولات الحديثة المؤثرة لإثبات وجود المبدأ الأخلاقى ، مطلب مطلق لكانت"KANT"، الذى وجدناه وفقا لنيتشة والذى لا أساس له أيضا ، إنه بالنسبة للصرامة

وعدم شرطية التأكيد بأن " كل واحد هنا يجب أن يحكم كما أحكم " استجاب نيتشه ، الأحرى الإعجاب بأنانيتك عند هذه النقطة .لأنها الأنانية في تجربة حكم الواحد كقانون عالمى ، وهذه الأنانية عمياء رخيصة لأنها تضلك بأنك لم تكشف نفسك ولا تجد لنفسك نموذجا من عندك- لأن ذلك لا يتسنى لأى أحد آخر . إن صوت الضمير مثل الأساس الذى تم الاعتراف به بصفة عامة ، يدور السؤال مرارا حول : لماذا يجب أن أعتبر هذا صحيحا ؟ وماذا يضطرنى أن أعتبر هذا بهذه الطريقة ؟ النفس وراء كل مناشدة للعقل والحقيقة مما تم ثبنى هذه السبل لتكبير قوتها ، هذا اهو السبب فى أن نيتشه يعتبر الفضلية بمثابة تناقض ذاتى لأن الأنانية ذاتها يحركها تماما حب الذات روالرغبة فى الشعور بالتفوق على العالم والآخرين، وبالرغبة فى القوة. إن نظرتة الداخلية العميقة كانت الفضيلة ، عندما تم نقلها بعيدا جدا وتستلزم إخضاعها لقانونها الخاص بها " مما سيجلب دمارها خلال هزيمة النفس".

إنه بإنهاء التجربة الحديثة فى خلق فضيلة ذاتية ، يتم الاحتفاظ بالفضيلة دون إله وقد فشلت التجربة فى رأى نيتشه. وآتخذها بمثابة بديهيه أن إدراك "موت الإله " سوف يؤدى الى انهيار كل شى تم بناؤه على الاعتقاد المسيحى بما فى ذلك " فضيلتنا الأوربية برمتها " . أثبت كانت KANT بالفعل أن الفضيلة لا يمكن أن تستغنى عن الإيمان بالله، وبالحرية، وبالخلود . إن الحركات الحديثة الآن مثل الليبرالية والاشتراكية كانت على وشك أن توضح ذلك بالرغم من صفتها مثل « هذه الديانات العالمية » أو " وراثى المسيحية ، ولم تستطع الاحتفاظ بالتزامها بالقيمة المطلقة لبني البشر دون شعور بأهميتها الفائقة . فقد الإنسان إيمانه فى قيمته الشخصية عندما لا تكون هناك أعمال قيمة لانهائية من خلاله. واستمر نيتشه على وجه العموم أن يفسر أن «كل نظام للقيمة الأخلاقية ( مثل تلك التى فى البوذية على سبيل المثال ) ينتهى فى العدمية» وهذا ما يتم توقعه فى أوروبا لا زال الواحد بأمل الاستمرار مع الخلقية دون خلفية دينية : إلا أن ذلك بالضرورة يؤدى إلى العدمية. القيد فى الدين يفتقر إلى اعتبار أنفسنا قيمة ثابتة - إن أعنف إنتقاده هو لأولئك الذين يعتقدون أن الفضيلة ممكنه بدون المسيحية ، أمثال الإنجيلز لأنهم

فهم أنهم لا يزالون مسيحيون حتى أنهم أغفلوا " الصفة الشرطية » لقيمة أحكامهم إنه بدون السلطة الفائقة يمكن فقط للمبادئ الأخلاقية أن تكون صالحة عن طريق الإختيار الإنسانى .

إن إنهيار المشروع الحديث لخلق نظام إنسانى دنيوى هو الحمل النهائى ذات دراما أكبر التى تم الكشف عنها فى الحضارة الغربية منذ إدراكها. إنها شهادة على عمق رؤية نيتشه التى رآها فى الأزمة الحديثة كجزء من الأزمة فى المسيحية الفلسفية ذاتها اعترف بأن " الفوضوى والمسيحى لهما نفسى الاصل " .

مع كل الحركات السياسية التى بينهما . هذا هو السبب فى أن تحليل الفوضى المعاصرة قادت نيتشة إلى استكشاف جذورها فى الرفض المسيحى اليهودى الأفلاطونى للحياة

وقيمها الطبيعية ، إنه تتبع جذور عودة الأزمة فى عمله الأكثر عنفا ضد المسيح " ليس إلى ( حتى) المسيح بل إلى المسيحية التى اختراعها تابعوه- إضافة الى الصفة القديسية ليول PAUL التى تم تحديدها عن طريق الكراهية للحياة وقدرة القدر .

اعتبر نيتشه المسيح كمبشر لدين المحبة ، شخص سعى إلى قهر الفصل بين البشر والحقيقة عن طريق نوع مثل الاستسلام الطفولى المتمثل فى شخصية الغبى لدوستويفسكى « هناك مسيحى واحد فى الحقيقة ومات على الصليب » أعتبر نيشته هذا بمثابة «تجاهل تاريخى عالمى»، حيث أن موت المسيح ، الذى سموه إلى إثبات سمعه فوق الحقد ، قد تم تشويهة من جانب أتباعه فى تعبير عن الإشتياق للإفلات من الوجود .

. إنه باختراع الإيمان بالخلود حولوا مركز الجاذبية من هذه الحياة إلى حياة ما بعدها انشأوا روح الزهد التى فى آخر ملجأ " ستكون بالأحرى عدم عن كونها رغبة " لم يكن مجرد انفصال المسيحية الفلسفية كقاعدة واضحة أو ضمنيا لأن الفضيلة والسياسات التى تشكل أزمة العالم الحديث بالنسبة لنيتشه إنه إدراك الفراغ الذى كان فى مركز تلك الرمزيات القديمة منذ البداية .

لم يأتي نيتشة بمصطلح العدمية ( كانت موجودة فعلا عام ١٨٦٢ فى آباء وابناء لترجين TURGENV. إلا أنه لم يتبناه كأنسب شيء لصفة العصر الحديث . عندما تكلم عن ربط التاريخ للقرنين التاليين وصفه بمثابة " ظهور العدمية " إنها نهاية المسيحية على أيدى فضيلتها الخاصة بها" عندما " يتطور الشعور بالحقيقة بدرجة عالية عن طريق المسيحية الذى ضايقة زيف تفسيرات المسيحية فى العالم وتفسيرات التاريخ». العدمية ، فى تعريف نيتشه ، هى النقطة التى يتم الوصول إليها عندما تقلل القيم العالية ذاتها " يأتى الإعتراف فى النهاية منا أو نقوم بالأعلان عنها " :لا شيء حقيقى ، كل شيء مباح " إنه بالتأمل فى ذلك الفراغ السحيق فى قلبه يستطيع نيتشة التنبؤ بالكارثة التى تتحرك إليها الثقافة الغربية وتم إدراكها فى القرن العشرين تم استكمال تنبأه بأن يكون " عصر الحروب الرهيبة "، والمعاناة والانفجارات ، و على الصعيد الداخلى " الضعف الأكبر للإنسان، والأحداث المنبهة كان نيتشه فى نفس الوقت أكثر من مراقب ثاقب لضعف الحضارة الغربية، لأنه سعى أيضاً إلى العلاج عن طريق المعاناة من خلال المرض وتغلب عليه أشار الى نفسه بمثابة أول عديم قيمة فى أوروبا الذى عاش خلال العدمية كلهاإلى النهاية تاركا وراءه ، خارج نفسه».

ترك علامته كنتيجة ، على حل الازمه ، وفى كفاح نيتشه لتجاوز العدمية نواجه المشكلة الحديثة على مستواها الأعمق .

سعى الى تحرير نفسه من الطبيعة المستنبطة للقيم التى تبنتها الإنسانية إلى حد بعيد لأجل العودة الى الحقيقية التى وراءهم وكلها فى قوة الحياة ذاتها أى نظام قيمى معين مهما يرفض الحياة بوضوح فلا يستطيع ضمنا أن يتجنب إثبات حقيقة الحياة أنها مصدره الخاص . لم يكن هذا بقناع لغرض ما قَصىّ ، إنما اعتراف بسيط أبعد من كل المتاثرات لمواقف الغرض الذى لا مفر منه وغير قابل للتسلل منه بالنسبة للحياة ذاتها يمكن التغلب على فراغ العدمية بالعودة إلى الوحدة الطفولية البريئة مع الحياة وخلق القيم التى لم يعد

يقلقها تداخل الانعكاس والأنفصال ( الثلاث تحولات ) للسؤال عن معنى الحياة هو سؤال لا معنى له . " يتطلب الواحد موقفا خارج الحياة ، علاوة على معرفته ، كواحد ، ككثيرين ككل يعيشون ، لكى يتم السماح بتناول المشكلة لقيمة الحياة : العقول كافية لفهم أن هذه المشكله بالنسبه لنا هى مشكلة غير قابلة للأقتراب منها . »

إنه بمعنى أن القيم الاخرى يتم تبريرها لأن " الحياة نفسها تجبرنا على فرض القيم " . إن هدف عمل اتصال مع هذه الحقيقة التى هى فوق نطاق السؤال كان القصد الذى أرشد بحث نيتشه الشاق عن الحقيقة فيما وراء العدمية.

إن هذا يؤدى به أولا إلى العودة إلى القوة التى تم توضيحها كحقيقة وراء الدين كله والفضيلة :

الرغبة فى القوة . أدت به من هناك إلى اكتشاف هذه الرغبة ذاتها بمثابة الرغبة المنتجة للحياة .

" وأفضت لى الحياة ذاتها بهذا السر :« لاحظ أنا الذى يجب أن أتغلب عليها دائما "

كان نيتشة دائما حريصا على الإصرار على أن هذا لم يكن سوى الرغبة فى الحياة أو البقاء، (كما فى داروين) لكن الرغبة فى القوة التى فيها تضحى الحياة بنفسها لأجل القوة إنه الدافع الذى وجده فى كل الأشياء الحية، إنسان وغير إنسان ، وحتى فى قلوب أولئك الذين أعلنوا إنتهاج التجرد الأيديولوجى المناقض لها .

إن فى قبول الرغبة فى القوة التى شعر بأنه وجد سبل تجاوز العدمية بالتغلب على روح الأشياء والقسوة والانتقام التى ألهمها رعب عدم معنى الوجود. امتنعنا ذات مرة أن تجعلنا المعاناة والأعباء وقسوة الحياة أن نثور ، ثم أصبحنا بالفعل أسمى بطريقة هى الوفاء بالحياة ذاتها ، إنه فى توضيح هذه الرؤية خاصة الاستغاثة من الإنسان الأعلى الجديد الذى سيكون إنجازها ، وقدم نيتشة استجابته ( رده على ) لأزمة العصر الروحية.

أعلن زارا توشترا ZARATHUSTRA أن الرجل الكبير هو ممثل الجنس الجديد ، الارستقراطية الحقيقية الذى تنبأ بها نيتشة كالقواعد المستقبلية للأرض . إن ما رفعهم فيما وراء المستوى الإنسانى هى القوة الهائلة أو النابوليونية للروح التى يمتلكونها كنتيجة لابادتهم لكل القيم وقبول الحياة التى ما بعد الطيبة والشر إنها ليست خليعة رغم أن نيتشه يتركنا غالبا مع هذا الانطباع ،إلا أن تلك الصفات لم تعد تنطبق على البشر الذين تفوقوا على زيف القيم كلها . إن عدمية التقليل من كل القيم هى بالنسبة لها لا تزيد عن نقطة بداية ،ونجحوا فى التغلب على الحاجة إلى الغرض من خلال القوة التى لا تقهر لرغبتهم فى السلطة إنها حقا المواجهة مع اختفاء كل المبادىء المكنة للمعنى الذى مكنهم من الوصول إلى نعم للحياة ، وهى نعم النهائية والمؤكدة وغير المشروطة .

هذه هى النظرة الداخلية التى اعلن نيتشة أنه تم الحصول عليها من اليونانيين والسبب فى أنه أشار إلى نفسه بمثابة " آخر تلاميذ الفيلسوف ديونيسوس " DIONYSUS قول نعم للحياة فى أغرب وأصعب مشاكلها ، الرغبة فى الحياة والاستمتاع بعدم نفاذها حتى بالتضحية بأعلى أنماطها ـ هذا ما أسميه ديونيسوس، وهذا ما أخمنه بأنه معبر إلى سيكولوجية الشاعر الدرامى " إن تلك التجربة للتآكيد الكونى هى بالضرورة تآكيد على أبدية كل الأشياء ، منذ الرغبة فى كل مرح الحياه هى نفس الوقت الرغبة فى استمراريتها والعودة الأبدية . " ها هى أعمق غريزة للحياة ( فى احتفالات الدينوسيبسية ) الموجهة تجاه مستقبل الحياة ، أبدية الحياة قد تم تجربتها دينيا - وطريقة الحياة التناسل كطريقة مقدسة ." هذا هو الجانب الإيجابى للعودة الأبدية التى يقدمها نيتشة كاختيار كبير لقوة الرجل الكبير ، كما أنه فكر مليا فى غياب المعنى والحدوث المستمر لكل الأشيا ء أيضا بما فى ذلك " الرجل الآخير .

أن الرفض لسيطرة التنبؤ الرهيب هل يؤدى إلى ظهو ر الرجل الكبير ، والعودة الأبدية تحولت إلى مرح لا حدود له ." وأن أغرب صيغه صارمة للعدمية: اللاشىء الأبدى " جاوزه

التـأكـيـد الديونيـسوسى على العـالم كما هو ، دون إسقـاط واستثـناء أو انتقـاء إنهـا تريد التداول الأبدى " .

رغم القوة التى بها يعطى نيتشة التعبير لهذه التجربة الذروية فهى أيضا واضحة لقرائه لأن مجاهرته بالإيمان ترن بالشكوك. يبدو أنها أكثر فى الطبيعة ذات الأرض الموعودة التى يتم لمحها من بعيد، أكثر من تلك الطبيعة التى أمسك بها وأمتلها المؤلف ـ أنه بالنسبه لكل أصراره على مرخ آعتناق العودة العدميه للجميع ـ حقيقة بسببها ـ - تم تركنا مع الانطباع بأن هذا لم يتم إقامته أخيرا لو كان " المرح مازال أعمق من الألم " إن ما هو مؤكد هو أن التجربة ليست تجربة يونانية حقيقية لأن التراجيد يين يعيشون مع الثقة فى اعتناق نظام الكون الذى لا يشكون أبدا كثيرا مع أن غموضه باقى أمامهم أن نيتشة ، كما أوضح كارل لويث KARL LOWITH ، هو جزء كبير جدا من التفريق المسيحى للمعنى فيما وراء التاريخ يؤكد حقيقة أن المعنى يمكن أن يحتوى الزمن بدرجة كافية. الكرب الذى يعرضة نيتشة قبل عالم محرر سوف يكون مغايرا للتجربة الإغريقية للنظام الكامل .

إنه نيتشه أيضاً هو نفسه « وزن، وراغب، ومبتكر ومستقبل ومعبر للمستقبل، وللأسف زاحف إلى هذا المعبر » و إن تحول زاراد وشترا ZARATHUSTRA إلى إنسان أعلى تم الاعلان عنه اكثر بلوغا اليه فى نهاية التقرير عن تطوره يبقى الرجل الكبير اكثر استغاثة من الحقيقة، وفى «الاغنية الليلية»، الذى ضمنها زاراد وشترا فى تعليقه, ECCE HOMO وأننا نبدأ أن نرى السبب لماذا .

جاء الليل استيقظت الآن كل أغانى المحبين. وروحى أيضا هى أغنية محب . شىء متحرك غير ساكن فى داخلى ، يريد الكلام . الرغبة الملحمة للحب هى فى داخلى ، تتكلم لغة الحب . أأنا ضياء، آه ، لو كنت ليلا لكن هذه هى وحدتى التى أحزمها بنور ... أعيش فى نورى أنا ، أتجرع فى نفس المشاعر الملتهبة المندلعة من داخلى. لا أعرف سعادة أولئك الذين يتلقونها غالبا ما كنت أحلم بأن السرقة يجب أن تكون أكثر تمجيداً عن التلق، هذا

هو فقري، لأن يدي لا تهدأ عن العطاء .. شموس كثيرة تثور في الفراغ الى كل ما هو ظلام يتكلمون بنورهم- ولي هم صامتون .

آه ، هذا هو عداء النور لما هو يسطع : يتحرك دون رحمة في فلكه ...

يا للاسف ، الثليج يكتنفني من كل ناحية.

تبدأ الرغبة في السلطة أن تتفتت في لحظة أعلى تحقيق لها ، تقر بأنها لا تزال رغبة للاشيء يمكن للقوة فيها أن الا تخدم أي غرض ما عدا ذاتها ، لذا يتم إدانتها لحياة التحدي في مواجهة هلاكها . هذه هي النقطة التي عندها تصدر الروح صرخة " أغنية الليل « لزازا دوشترا ، ونرى فيها الحد الذي عنده قرار زاداد وسترا قبول الحقيقة التي أفصحت عنها الحياة دون سوء فهم أو استياء ، وقد أغفلت هذا رغبته في الوصول الى مركز للسيطرة على الكل حيث لا يوجد ما يتفوق عليه .إن التصدع المميت الذي يدين مشروعه منذ البداية جعله شخصية نموذجية للتراجيديا الحديثة ، لكن الشفقة المفهومة التي نشعر بها قبل ذلك القدر لا يسمح لها أن تظلل تحليلنا لهيكل التجربة التي نحن بصددها . كانت التراجيديا التي يمر بها ونيتشه نفسه هو الذي كشف عما في النفس ، سعت إلى إثبات تفوقها على الوجود . لو كان رثاؤه حقيقيا ، لاحظ ايريك ڤوچلين ، حينئذ لن يؤكد على عدم قبوله العفو كنموذج إنساني متفوق وسيبقى صامتا .

" لكن نيتشة ليس قليل الكلام ، وفصاحته برهان مقنع وأن رثاءه ما هو إلا تصرف للفهم العاطفي الذي لم يسمح له بأن يمس لب وجوده في تمرد تجاه الله ." توجد رغبة أعمق، خلف خداع الذات والتمزق الذاتي ، في أن يعيد الرجل الأكبر وليقاوم فيها رغم الوعي بزيفها. حقا. إن نيتشه ذهب بعيدا ليشرح أن الوجود في عدم الحقيقة هو بالضبط هدفه. إنه في «فيما وراء الطيبة والشر» شرح بالفعل أنه اعتبر نموذج القيمة الأُسمى للحقيقة على الزيف هو مجرد تعصب أخلاقي " وهو أسوأ افتراض مثبت يوجد في العالم " لو لم يعتبر

زيف الحكم بالضرورة كاعتراض عليه،« فالسؤال هو إلى أى حد يكون تطوير الحياة». حتى أن تآكيده المستمر بأن هناك «معرفة منظورية» منها يكون غير ممكن التخلص من نفوذ الرغبة تماما ، لا يمكن التسليم به ككلمة نهائية عن نظرية المعرفة ، تنطبق على قيمة الحقيقة لهذا التآكيد ذاته. ما من بديل يبقى سوى الاعتراف بأنه فى بعض النواحى الآساسية عرف نيتشة ماذا كانت الحقيقة إلا أنه اختار ألاّ يلتفت اليها. إنه علينا العودة فقط إلى بوُحِهِ الذاتى باستراتيجيتة لتآكيد التفوق على ما يمكن الحصول عليه فى أى تعليق . " «الرغبة فى السلطة» شرح فيها أننا سنهزم ونأتى للسلطة حتى بدون حقيقة.إن الشكل الذى يقاتل لأجلنا، عيون ڤينوس التى تسحر وتصيب مناوئينا بالعمى ، هو سحر التطرف، الإغواء الذى يمارسه كل شىء متطرف : نحن الفاسقون ـ أكثر المتطرفين .

إن الاستمرار فى الخداع الواضح يمكن أن يرجع فقط إلى قوة أعمق من الرغبة فى السلطة .

إنها تفترض مقدما لا مبالاة للنجاح أو لفشل مشروع لأنها تنشأ أساساً من طبقة الروح التى تحرق مع العاطفة المتأججة للتمرد للثورة ضد الله . هناك فى نيتشة توجد ملاحظة أن الله ميت كاعتراف بالانحدار الاجتماعى للإيمان ، ويوجد أيضا اعتراف بأن الله قد تم اغتياله كمقدمة ضرورية لاكتمال القوة الإنسانية " إن أقبح رجل " الذى اغتال الله ، لا يستطيع تحمل الحد الذى تفرضه العاطفة المقدسه عليه ، ويجب علينا عموما أن نكف عن أن نكون مؤمنين لأن الإنسانية لم تعد تكون نوع من البشر المستقل " الذى لا يستطيع أن يضع نفسه بمثابة نهاية، ولا يستطيع أن يضع أى نهاية بنفسه على الإطلاق " هذا هو السر الذى أخيرا انكشف عندما يقرر زاراد وشترا أن " الكشف عما فى قلبى لكم تماماً، يا أصدقائى : لو كانت هناك آلهة كيف أتحمل أن لا أكون إلاها ( إله )! لا يمكن لينتشة أن يمسه العطف المقدس ، ليس لأنه عرض عليه وإنما لأنه قرر بالفعل أن يمد العطف إلى نفسه ليس نحن الذين لا يجدون الله ..

الذى يميز بيننا ، إلا أننا نمارس ما يتم تبجيله كإله، وليس« كشبية » بإله، وإنما ومثل بائس، مثل سخيف،ومثل ضار، وليس كخطأ وإنما كجريمة ضد الحياه .... إننا ننكر الله كإله .

ولو كان الواحد أثبت هذا الإله للمسيحيين وأثبته لنا ، فإننا نكون أقل قدرة على الاعتقاد فيه . هذه الكراهية لله ، حتى ولو كان نيتشة مخطئا ، تمثل التعبير المحدود لروح التمرد .

إن الشيء الذى فى حاجة إلى تآكيده هو أن هذه الكراهية لله تنشأ من طبقة الروح لنيتشه ، وإن تكن الطبقة المسيطرة ، وإن الحقيقة المنكشفة داخل مراحل أخرى من تجربة تبقى صالحة كما كانت هذه هى الحساسية الروحية العميقة لنيتشه التى عملت اختياره الآخير لكشف كل ما هو تراجيدى . هذا هو تصميمة الصارم فى نفس الوقت فى البحث عن حقيقة الوجود غير الخادعة التى جعلت من عمله نقطة بداية مناسبة لانفتاح معاصر تجاه الواقع ، إن رفضه لكل الأيديولوجيات وعدم ثقته فى كل هياكل الواقع كأقنعه للرغبة فى السلطة ، رفضه للتضحية ببنى البشر الأحياء لأجل الأفكار التجريدية للمطلق الدينى أو السياسى لا بد وأخذه مأخذ الجد إذا رغبنا إقامة اتصال من جديد مع أساس الحياة الوطيد . فهم أن ظهور العدمية قد قوضت إمكانية إحياء أى مصادر تقليدية للمدلول . إن القوة للعيش فى حياة بكاملها لابد وأن يتم اشتقاقها الان من الحقيقة التجريبية التى تبقى على وهج النقد الأيديولوچى. هذه «هى الأمانة» التى رغم ما يقوله أيضا عن وهم الحقيقة - وهى فضيلة " أننا أرواح حرة " التى يناشدها بأن تكون " قلقه من إكمال انفسنا فى فضيلتنا ، الشيء الوحيد الذى تم تركه لنا ." أن الإخلاص العنيف والصارم هو السبيل الوحيد حيث كان نيتشة مقتنعا به للحصول على حقيقة تبرر نفسها تماما ، حيث يطمس مرحها التلميح بالشك العدمى .

إن النزاع بين هذا الانفتاح تجاه الواقع والرغبة فى السيطرة واضح فى كثير من مناقشات

نيتشة عن الحاجة الى الحقيقة ، اعترف بأن ثقتة فى قوة الحقيقة المؤدية الى حياة كانت هى نفسها حيث أنه رفض الايمان. إنه بالكلام عن الايمان الحديث فى العلم لاحظ أن " حتى وأننا باحثون عن المعرفة اليوم لا زلنا نحن الذين ضد ما وراء الطبيعة نآخذ نارنا أيضا من لهيب الايمان الذى عمره الاف السنين ، حيث الايمان المسيحى كان أيضا إيمان افلاطون ، وأن الحقيقة مقدسة هذا هو الظاهرى التناقضى لنيتشة ، وكان ذلك هو التزامه للحقيقة التى تسببت فى أن يضع وجود الحقيقة موضع سؤال . اعترف لسبب وجية أنه لا يزال يعد من بين الأتقياء. إن آخر بابا عاطل سماه زازادوشترا "بأنه أتقى أولئك الذين لا يؤمنون بالله" لأن هذه هى " تقواك ذاتها التى لم تعد تتركك تؤمن بالله " . ومن ثم ألمح إلى نيتشه آخر ربما يوجد .

إن إنتقاد الإيمان الأخلاقى والدينى الذى به بدأ نيتشه بألاّ يحتاج إلى رفض الحقيقة أو الطيبة أو الله ككل، هذا من الممكن أن يكون قد أدى بسهولة إلى رفض بعض صيغ الإيمان الميتة. حقاً أن مبدأ النقد ذاته، كما أعترف نيتشه، يفترض مسبقاً معيار للحقيقة أو الفضيلة، ورغم أنه معيار أعلى، قهر الذات للأخلاق المسيحية والمذهب ليس بالضرورة يعنى إلغاءهم، ربما يعنى التحول إلى مستوى أعلى وأكثر صرامة، إن ما أعترض عليه فى المسيحين لم يكن كثيراً زيف نموذجياتها كالفشل المستمر فى الحياة لهم، فأقترح الرجل الأكبر كرد على هذا الرياء، إن الفرد الذى تغلب جداً على روح الإنتقام داخل نفسه أو نفسها سيكون أول من يحب بالأخلاص، دون السعى إلى ترقية ذاتية فى المقابل. إن تخليهم عن السلطة هو ما ينقى ( يطهر ) دافعهم ليتسنى لهم الحب دون ترفع، لأنهم يعرفون أن "كل حب كبير هو فرق كل شفقة " . يأتى ذلك الحب قريباً جداً من النموذج المسيحى وموجود داخل نيتشه كمستوى حقيقى به يجب أن يتم قياس كل حب آخر، إنه من المعروف دون وساطة أو جدال فى الجذب المهيب للتجربة تجاه هدف ربما يكون مختلفاً تماماً، أنه لم يتم الإنحراف عن طريق التصميم الذاتى عن سيطرة الشهوة الجنسية، والرغبة

فى السلطة. علاوة على التشويه الذى يوضحه لنا نيتشه، يوضح لنا الحقيقة القادرة على التغلب عليه .

إن مثاله فى هذا المعنى هو مثال مميز عن الأزمة المعاصرة لأنه استكشفه إلى حدود عبر مشاركته فيه. إن المرض الروحى للعالم الحديث، وهو مرض الاستسلام لسحر السلطة دون غرض ، يقف مكشوفاً داخل عرض نيتشه، لأن الحلم المصاحب بالإنسانية المشكل لنهايات وجوده ثم إلى نقطة الخداع النفسى الواضح داخل إستجابته، والأهم أن الاستمرار فى المحاولة التى جاءت بعنصر التمرد الإلحادى إلى الوضوح هو مصدر النفوذ بالنسبة له . بداية من صدق التحليل الذى قام به نيتشه وهو صدق من الصعب التفوق عليه، ليس من الخطأ أن هناك ما هو أكثر من النقد مطلوب لأجل تفتيت الإهلاكية للقوة. نادراً ما يمكن لواحد أن يثنى أحداً ما عن إيمان ما راسخ هو أو هى يعرف فعلاً أنه زائف، كان نيتشه نفسه على وعى من أن العملية للعقل المنطقى مبينة على ميل ضمنى يسبق لرؤية الواقع بطريقة معينة وهذا هو التوجيه الداخلى للروح التى يجب قبل أن يحدث الإنفتاح تجاه الواقع المبهم ضرورة فهم الجوهر الوجودى يوضح نيتشة طبيعة الأزمه الحديثعه بصورة لا تغيب عن الذاكره ويمدنا لبلمحة عن القوى الروحية القوية التى هى مصدرها الباعث الجوهرى . نبدأ فى فهم الأقناع والإحساسات وراء المعاناة على نحو كاف أكثر من الفهم خلال مناهج العلوم الاجتماعية التجريبية، تلك الطرق الظاهراتية عاجزة بصورة سيئة فى تقدير العمق وقوة الواقع الذى يدرسونه، إنهم على أفضل تقدير يلجأون إلى التخمين الحدسى. إن أى فرد لديه المقدرة على الدخول تماماً فى الواقع ويحلل فى نفس الوقت العمليات التى هم بصددها يمكن أن يمدنا بالهيكل الداخلى للظاهرة، هذا هو السبب فى أن تحليل نيتشه هو مرشد لا يقدر بقيمة بالنسبه للفوضى الأيديولوچية المعاصرة. إنه داخل فكره كل التفسيرات العلمية والتاريخية والسياسية والإنسانية قد تجردت، للكشف عن الرغبة الكاملة فى السلطة التى هى قوتهم الدافعة. واستمرار علاوة على ذلك، فى أن يوضح كيف أن هذه الرغبة زادت من

الميل الإنسانى الدائم بالتلويح بالقوة حيال الأخرين، إنه فى وضوحها الأيديولوچى فإن الرغبة فى القوة تمتد جذورها فى كراهية الواقع وفى الثورة على مصدرها المقدس .

إن هذا يفسر إنغلاق الحركات الأيديولوچية. إنه على عكس البرهان القوى فإن براهين التضارب الذاتى الداخلى، أو المناشدات للبواعث الإنسانية كلها لا تجد آذاناً صاغية. عرفنا نيتشه أن معرفه هلاك المشروع ليس بكاف لإبطال سحره. إن كراهية الواقع يمكن أن تصبح شديدة جداً لدرجة أنه ما من شىء يستطيع أن يجعل التصميم ينحرف عن إحداث التغيير الوهمى لمظهر الوجود. إنه فى آخر تحليل الماركسية والاشتراكية الوطنية والفاشية والوضيعه وغيرهم لهم صلة بالتطلعات الاقتصادية والسياسية أو العلمية أقل من صلتهم بالرغبة المستغلقة فى تحويل ظروف ( حالة) الإنسان إلى الأبد. هذا ما جعلهم يستمرون طويلاً ومن الصعب جداً إزاحتهم أو التوسط من خلال إقناع منطقى، إنهم يظهرون عناداً أن العمليات الطبيعية فقط للاستنزاف والانحدار فيما يبدو قادراً على الزحزحة، عمرت الماركسية على سبيل المثال لمدة تزيد عن القرن بالرغم من فشلها الذريع كعلم تنبؤى وإنجازات مطبقة كنظام إقتصادى. وصلتها بالقهر الاستبدادى ، خداع النظام الثقافى يعرفه الجميع .

إن ما يؤثث الحركات الأيديولوچية "بقوتها البشعة" ( جملة س . إس . لويس ) هو أن هذا الاعتراف ليس له تأثير عليها ـ عندما ولت كل التبريرات، أوضح نيتشة، فإن ممارسة الرغبة فى السلطة ( القوة) قادرة على أن تأتى بنهايتها. حتى الاعتراف بأن القوة لا تستطيع أن تأتى بأى تغيير عميق فى طبيعة الإنسان لا يتسنى له تغيير التصميم، تستمر الرغبة فى القوة رغم هلاكها فى إنتاج الرجل الكبير، هذا هو سبب عدم إمكان الواحد أن يقنع أى أرهابى وأستبدادى أو المتشرط بأن تشوية البشر لن يأتى بتحول روحى عالمى يعتنقونه. اتجهت أرواحهم بالفعل لأنْ ترتكب الظلم الفعلى القاسى للغاية باسم عدلهم النموذجى إن الاعتراضات على التناقضيه لأعمالهم ليس له أثر. وهمموا تماماً على تجاوز تلك الإعتراضات من خلال قوة الرغبة.

إن الاتصال الحقيقى ممكن فقط لو استطعنا التغلغل إلى الجوهر الوجودى للأيديولوچية إنه فى المركز الداخلى للإنسان ( للشخص) يجب تحطيم الإفتتان بالقوة، حينئذ سيكون من الممكن رؤية النتائج الحقيقية لأعمالنا ، لتولى المسئولية حيالها ، والندم من وافراطاتنا ، وللعيش فى عالم الإنسانية المشتركة ثانية، لكنه كيف يمكن أن يحدث ذلك الاتصال الحقيقى؟ يمكن أن يحدث عندما لم تعد الرغبة فى القوة يواجه بالنقد وبالحقيقة الإيجابية القادرة على أن تحل محله . إن الاستمرار العدمى فى الهلاك يجب التغلب عليه بالإحساس بحياة حقيقية ، أكثر رحابة من الاستبدال الفقير الجارى الآن . إن الاتصال مع الكون السامى فقط يمكن ان يعطى هذا الشعور السائد بالواقعية ، تختفى العدمية عندما تعود مهملة . إنه فى اكتشاف عدم انتهاء الواقع والحياة يجد أن نيتشه وكل الآخرين فى عملية البحث تماماً .

إنه دون إحلال العدمية هذا عن طريق حقيقة الحياة الحية فإن النقد نفسه فاسد .

هذا يفشل فى ان يؤدى نبا فيما وراء حالة الضياع مطابقة للعدمية ، ربما تخلينا عن إيماننا بأيديولوجية ، واحدة الاّ أننا معرضون لإنجذابات جمع من الآخرين ، اندفعنا كنتيجة لذلك وفقا لضغوط العصر من نظام مقدمة زائفة لنظام آخر كلها خادعة . إن النتيجة المضبوطة هى تفضيل الخداع على الحقيقة . ماهو خطأ تدمير عقل الإنسان أو الحرية اذا ماجلب العصر النهائى من السعادة الكونية والسلام ؟ أخيرا لم يعد لدينا أى أساس للإعتراض على إلغاء طبيعة الإنسان . لأن الإنتقادات تصبح موضع سؤال عندما لم يتم إيضاح المعيار الذى به يتم الحكم على الزيف الأيديولوجى .

إن المشكلة التى تواجهنا الآن محاطة بثروة من التحليلات الأنتقاديه مثلما نحن محاطين بها وهى تحاليل عصرية ، إلاّ أن قلة الاقتراحات بالنسبه لكيفية التغلب عليها . الواحد فى حاجة الى دراسة فقط أكثر هجاء شهرة للايديولوجية أعدها زامياتين وهاكسلى وأورويل حيث يمكن تطويره الى انتقادات لإدراك أنها تعطينا إيضاحا قليلا بالنسبة

لكيفية الاستمرار من هنا . أو يوجد هنا أدب معاصر كامل من التحاليل التى لانهاية لها وهى تحاليل مسيئة لفراغ الحياة مع أنه مامن شيئ حيال صيغه الوجود قائم . حتى أن الدارسين فى مكانه كارل لويث ابتلاهم هذا الإحساس بالإنهاك . ان دراساته فى الهياكل الإيديولوجية للتاريخ بمثابة محاولات لجلب ما يتعلق بالآخرة قد انكشفت عدم كفايتهم الا أنها تركت الفهم البديل للتاريخ الذى سيحل محلها فى حالة الغموض . هناك الفيلسوف پول ريكير PAUL Ricoeur الذى شخص بالضبط « المستوى الجديد للألم النفسى » فى عصرنا الناتج عن إنهيار الذروة الهيجيلية للتاريخ داخل العصر إلاّ أن اولئك الذين لايستطيعون رؤية أى مخرج منه . هؤلاء المفكرون عامة يبقون بعيدين جدا عن المشاكل التى عرفوها لانتهاج الامكانية التى كان نيتشه قد رفضها : وضوح واقع النظام الجارى مباشره كمستوى به يتم الحكم على الفوضى المعاصرة .

المفكرون الذين تحرروا من الافق المقيد الخاص بالعدمية معرضون لمشكلة مماثلة فى فشلهم فى تفسير المصدر التجريبى لإيمانهم بنظام اخلاقى «هادف» عارضوا فقط تأكيدهم للحقيقة العالمية الى التأكيد العدمى للرغبة الوهمية وكنتيجة لم يقوموا حقيقة بتحدى الاقتراب الراديكالى للتفوق فى العالم العصرى . ليس كافيا تحديد عدم الكفايات ، والاخطاء والاعتراضات الذاتية ( التضاربات الذاتية ) للتاريخ الثقافى الحديث. يجب أيضا أن نسعى الى فهم سبب حدوث تلك الاخطاء وعدم تصحيحها ، وسبب استمرارها حتى بعد برهنة زيفها . إن لم نرغب فى أن نصبح مبتكرين «لأيديولوجيات ثانوية» ، وتحديد انفسنا بدرجة كبيرة من المعنى الذى نعارضه حينئذ يجب أن نكون راغبين فى انتهاج ( تتبع) الأسئلة حتى نهايتها .

سنكون قادرين بهذه الطريقة فقط على اتخاذ الاجراء الكامل للمعاناه المعاصرة المتأصلة فى الازمة الروحية والابقاء على أى امكانية القرار على مستوى اساسى ، يجب أن يتم تتبع المشاكل حتى دافعها التجريبى اذا حصلنا على أى شعور بكيفية قدرة واقع الحب السامى أن يحلها .

لسوء الحظ انتهت عادات التفكير المذهبى . إنه من الصعب التحرك الى المستوى التجريبى الواضح كما يوضح مثال فلسفة القرن العشرين . يوضح اللاسدير ماكلنتاير ALASDAR MACLNTYR الصعوبه كأى واحد إن النصف الاول من كتابه الذى يوضح فيه تحليله الممتاز للمشاكل التى تجرنا بالفعل ، يثير جدل مؤثرا خاص بمنظور تاكنولوجى باقى كأساس مناسب للنظام. تتكون الاستراتيجية فى إيضاح أن النظام التكنولوجى يتضمنه البحث عن التميز فى أى ممارسه للإنسان . لايمكننا النجاح فى أى عمل ( تعلم لعب الشطرنج ) اذا لم نفترض مسبقا وجود الفضائل ( مثل الأمانة) التى تحدد غرض الحياة المحدد ، وهى الشرط الاساسى الذى بدونه يصبح كل الأعمال الطيبة دون قيمة . إن إستنتاجه هو أن « الحياة الطبيعية بالنسبة للإنسان هى الحياة التى امضاها فى السعى الى حياة طيبة للإنسان ، والفضائل الضرورية للسعى اليها هى تلك التى تعيننا على فهم ما هو أكثر وآخر من حياة طيبة[جيدة] بالنسبة للإنسان » المشكلة التى بصدد هذا الجدل ليست مشكلة مفتته ، إلاّ أن تفككها له تأثير صغير على المسألة النيتشية بشأن سبب توجب السعى الى ان يكون الواحد متماسكا مع نفسه . ولايزال فيها تأثير» المبادئ الغائبة غير الضرورية « لإنسان يسأل عن سبب ضرورة رفع التماسك الى المطلق . لماذا لم ينافق ويخادع الواحد نفسه ؟

إن الصعوبة هى أن ما كلنتاير يستطيع ان يتكلم فقط الى اولئك الذين يشاركون نقطة بدايته العقلانية . عندما تنتهى إمكانية الجدل ، وعندما يواجهنا عدم العقل المستمر للمفكرين الايديولوجيين حينئذ يجب الرد بأن يتم احساس المستوى الاعمق يجب ان تجلب مبادئ النظام الصحيح وان يظهر مايجعلها صحيحة كواقع مبرر ذاتيا وسائد . يجب ان يعترف التحليل بأن الاقتراب يدفعه الى الجذور وهى جذور التمرد ضد الله وهذا هو مجد التصالح المقدس الذى يمكنه الفوز فى النهاية .، إذا أمكن حل المشكلة من جديد من خلال إكتشاف صيغة ثقافية مقبولة حينئذ يتم علاجها منذ فترة ، ولن تكون ازمة روحية حيث

يكون فيها بالضبط رفض معرفة ماتعرفه أنه ضرورى معرفته وهو يشكل النقطة الاساسية للقضية ، بينما أن ماكلنتاير مقنع جدا فى تطور نظام غائى مستقل عن الطبيعة الأرسطوطالية ، يهمل تماما التجارب التى فيها يظهر مرح الحياة .

إن نفس الحد يخفف من جهود مجموعة الدارسين المشهورين الذين سعوا الى الابقاء على تقليد الفلسفة السياسية الكلاسيكية كثقل مضاد متعمد لانتشار التفتت الذى سببته التجربة الحديثة : وإن شخصية مثل ليو شتراوس LEOSTRAUSS قصد أن يؤسس رفضه للآراء الحديثة للطبيعة والسياسات وحياه الانسان على مجرد وضع المفاهيم المعارضة الى جانب بعضها وهى مشتقه من العالم القديم ، عندما دعا الى «الدفاع عن إيمانه بالنظام الاخلاقى الصحيح ضد نسبيات العصر الوضعية والتاريخية رد بالاشارة الى تلك التجارب البسيطة الخاصة بالصواب والخطأ اللذين فى قاع المحتوى الفلسفى بأن هناك حق طبيعى» . علاوة على أنه على صواب فى رؤية إرجاع الأولية للسلطة (القوه) على المعرفة سواء فى علم الطبيعة أو فى علم السياسات كمصدر للإنحدار الأخلاقى الذى يتدفق الى العدمية الراديكالية لنيتشه لكنه ما إذا كانت العودة الى « المبادئ الكلاسيكية مثلما ذكرتها وأوضحتها الكلاسيكيات»، عن ترجمتها فى ظروف مختلفه فى عالمنا ، سوف تكون كافية للتغلب على نار البروميثيوسية وهو أمر مشكوك فيه للغاية ....

إن جهود أولئك الذين سعوا الى جلب نور المسيحية هى أقل مشاكل ، مثل الفلسفة ، لتكون ثقلا على الموقف المعاصر . إن جاك ماريتين JACQUES MIARITAIN ربما يتم اتخاذه بمثابة ممثل لهذه الحركه، التى تتلقى حافزها (دافعها) من المواجهة مع الفاشية والاشتراكية الوطنية والشيوعية فى حقبة ما قبل الحرب العالمية الثانية . إن محاولته المبتكرة والمؤثرة لإيضاح كيفية إمكان المسيحية تقديم أساس نظرى لاغنى عنه للديمقراطيه الليبرالية تكلمت مباشرة الى العصر . اوضحت كيفية إمكان الدفاع الليبرالى عن الحرية المنيعة وكرامة الفرد ان يتأسس على القانون الطبيعى الذى له اصول فى

المسيحية لكنه لم يعتمد على تأكيد واضح للإيمان بالنسبة لتأثيره المقنع . آثار صورة «الحضارة التى الهمتها المسيحية حديثاً كبديل لدمار الانسانية الذى اوجدته « الروح الاستبدادية » السائدة . كانت الصعوبة الوحيدة هى صحة المسيحية ورأيها فى طبيعة الانسان والنظام السياسى الباقى كافتراض او نقطة بداية، وليس اكتشاف الحقيقة التجريبية الناتجة من الكفاح مع ازمة العصر الروحية العميقة . ليس الأمركافيا لتأكيد المبادئ المسيحية أو الفلسفيةركصواب ؛ يجب فهم صحتيهما كمشاركة فى اعلى واقع حى .

يجب أن يتحول التركيز من مستوى المذاهب الى قواعد (أسس) تجريبية للتمسك بها . حينئذ فقط يمكننا فهم قوة الثورة ضد الله مما يجعل اليهاكل الايديولوجية منعيته أمام النقد المنطقى . يمكننا اكتشاف الواقع المقدس من خلال الحركة المضادة للتمرد . إن ضرورة الرد المناسب على الازمة للعصر يتطلب الغوص الى أعمق مستوى لها . هناك طرق أخرى مثل تطور الانتقادات او ايضاح المبادئ الكونية ، وهى أمور ضرورية . لكنها غير كافية عندما تكون بالتحديد أزمة فى طاقتنا للعقل لفهم أول مبدأ فى القضية ، كما يجب ان يتغلغل الرد الى المستوى الروحى الذى عنده تكون الطاقات الثقافية قد تشكلت فى النهاية. يجب مس التوجيه الداخلى للروح ليتم منه إتباع كل شيئ آخر . ذلك هو التحدى الذى قدمه نيتشه ، والاضطراب الحضارى الذى تنبأ وأنذر به .

إن هذا هو التحدى الذى تم قبوله نسبيا من جانب بعض اولئك الذين يرغبون فى معارضة الاتجاهات المدمرة للعصرية وما منها حقيقة نجح فى توضيح جذور عقائدها الخاصة بها ، مع أن هناك ترتيب لحركات المقاومة «للحالة العالمية المتجانسه» لازال القليل مفكرون ومؤسسات الذين جعلوا مواقفهم مرغوبا فيها فى المصطلحات المعاصره . إن بقاء التقاليد الروحية ما قبل العصرية له قوة المدلول الاجتماعى نفسه ، لكن تلك التقاليد عن طريق طبيعتها ينقصها سبل تحقيق قرار محدد للمشاكل . هذا ما يجعل المفكرين ، هدف هذا الكتاب ، ذات أهمية شديدة . إن دوستويفسكى وكاموس وسولديشتاين وفوجلين ربما هم

أكثر البارزين بين مجموعة منتقاه من الرجال والنساء الذين فحصوا عمق الرد بدقه وهو متطلب من جانب الازمة المعاصرة . إنهم متميزون عن معارضى العصرية الآخرين فى ايجاد أسس معارضتهم داخل العصرية ذاتها . ضربوا مثلا على القرار التنفيسى الإعلائى للأزمة الذى سمح فى النهاية بإمكانية التفوق عليها .

هذا ليس بإعلان أن هؤلاء الأربعة هم الوحيدون فقط الذى جاسوا خلال التنفيس الإعلائى . إلاّ أنهم من بين المعارضين ومن ثم فهم جعلوا التجربة ممثلة لحضارتنا ككل ،. يمكننا تفسير الحركة تجاه وجهة نظر ما بعد العصرية فى روايات دوستويفسكى وسولديشتاين أو انعكاسات كاموس وفوجلين الفلسفية . إنها ما بعد العصرية بالتحديد لأنها ظهرت من الاشتراك العميق للغاية فى روح العصرية . إن الرد (الاستجابة) الذى به عاد الاربعة هو رد قد تم الحصول عليه داخل الكفاح ذاته ما من شئ تم فرضه او تأكيدها اعتباطيا . إن كل ماظهر هو حقيقة الحياة الحية حتى أن معارضيهم اضطروا الى الاعتراف. إنهم لهذا السبب عبروا أكثر من مرة عن الانشقاق داخل الهرج المعاصر للمناقشة. إنهم المرشدون الموثوق بهم تجاه نظام ما بعد العصرية .

إن مفتاح نجاح هؤلاء الأربعة فى كل مثال هو الرغبة فى تتبع المشاكل إلاجذورها النهائية. لم يبق هؤلاء الأفراد عند مستوى العموميات التقليدية أو الأفكار المذهبية التى تم تكوينها مسبقا. وإنما إندفعوا فى بحر التجربة داخل روح الإنسان . ولم يتقاعسوا عن مواجهة مسألة الثورة الحديثة ضد الأساس المقدس. إنهم مثل نيتشة راغبون فى التفكير مليا فى هاوية الشر الذى نشأ منها الاضطراب العنيف المدمر . لكنهم ، خلافا له . لم يغويهم الافتتان . كشفهم الإيجابى لحركة المقاومة للفوضى أدى بهم تجاه الواقع المتفوق للنظام فيما وراء شيطانية التمرد . الحقيقة التى مارسها نيتشه كمقياس كشفت عن نفسها . إنه بقبول دعوته للأمانة المتواصلة دون انقطاع فإن المفكرين التنفيسيين الإعلائيين ساروا عبر انفتاحه تجاه الواقع دون الحياد عن الخط الى التصميم الذاتى للسيطرة عليه .

استعادوا نتيجة لذلك الأساس التجريبى للرمزيات الروحية الكبيرة فى الماضى خاصة الفلسفة والمسيحية . مع نقاء لا يبارى . إن الفلسفة والإلهام فى عملهم أصبحوا واقعا حيا ثانية وليس ببساطة موضوعا للدراسة او إحياءا للقديم . إن إعادة اكتشاف الفلسفة والالهام صار موضوع تجربة أكثر من كونه أفكار أو أفكار تجريدية . هذا ممكن بسبب الاعتراف ما بعد الحديث بأن المشاكل لاتكمن ببساطة عند مستوى العقل . إلاّ أن ما يفسر العمق غير العادى لاستعادة هؤلاء المفكرين للرمزيات القديمة هو أنهم اكتشفوا الفلسفة والإلهام داخل أزمة حضارتنا ذاتها .

إن الفكر المسيحى والكلاسيكى لم يتم تقديمهما من الخارج كأشياء عرضية أو دخيلة للمشاكل الواقعه . تم فهمها داخل حركة المقاومة للفوضى. إن مجد المسيح تم اكتشافه كواقع قادر وحده على التغلب على روح التمرد . إن الفلسفة الكلاسيكية تم الاعتراف بها كارتباط محدد للنظام داخل الروح والمجتمع . إن ما يجعل تلك الرمزيات واقعا حيا وقويا هو أنها ظهرت الآن بالتحديد فى الاستجابة الى ( للرد على ) أعمق مواجهة مع هاوية الفوضى المعاصرة .

إن المشكلة مع المسيحيين اليوم، التى لاحظها ڤوجلين ، لم تكن أنهم لايملكون الرد وانما فقدهم السؤال الذى عليه تكون الإجابة . إنه فى تمييز حاد عن جميع تلك الحلول الذاتية ، استعد المفكرون فيما يكون الحديث لاكتشاف أعماق ظُلْمتنا المرعبة حيثما تكون . استعادوا الحقيقة الروحية الحية من هذه الظلمة ، وتحتوى هذه الحقيقة وحدها على قوة تخطى الفوضى .

هذا هو سر استعادتهم للمسيحية الفلسفية والتعبير العام المؤثر . وإنه بالنسبة لهم لم يكن الأمر مجرد وجهة نظر خاصة أو مفرطة الحساسية وإنما هو إدراك ظهر من أزمة الفوضى التى عمت القرن كله .

فهم الذين ما بعد العصرية . مثل نيتشه ، ضرورة الانطلاق خلال أسوأ لهيب للنقد انتقاد العدمى إذا ما أستعدنا أى شيئ ذى قيمة . لكنه خلافا له . اكتشفوا واقع الحياه القادر على الصمود للإختبار . إننا نواجه ربما النتيجة الساخرة النهائية للهاوية المكشوفة تماما داخل أفكار نيتشة . فى هذا التخصيص الثانى للحقيقة الروحية السامية داخل التنفيس الإعلائى بعدى الحديث.

## ملاحظات :

١ ـ كريستوفر بوكر، السبعينات : الحقبة التى غيرت المستقبل ( نيويورك: ستين Stein وداى Day ، ١٩٨٠ ) ،مارشال بيرمان، كل ما هو صلب يذوب فى الهواء (نيويورك: سليمون وشيستر Schuster ، ١٩٨٢ )، پول جونسون، الأوقات الحديثة (نيويورك : هاربرو روو Row ، ١٩٨٣ )، تيلو شابيرت، Gewalt Und Humanitat

Politische Manifestationen Uber Philoso phischeUnd Von Modernitat ( فريبورج/ ميونيخ : كارل ألبير، ١٩٧٨ ).

٢ ـ مصطلح معسكر الاعتقال كان أول من تم استخدامه فى معناه المعاصر من جانب لينين فى أغسطس ١٩١٨ ، لتوضيح طريقة التعامل مع كل مجموعة من الناس داخل مجتمع أحد الأفراد. الرعب هو بالطبع من ممارسة القوة التى وصلت إلى الأتقان على يد ستالين، ثم هتلر وبالتالى تنوع عريض من المقلدين فى القرن العشرين. والدولة الأستبدادية وهى وفقاً Hannah Arendt الصيغة السياسية الجديدة الوحيدة ظهرت منذ ظهور دولة الأمة .

٣ ــ Hannah Arendt، أصول الاستبداية ( ١٩٥١ ، أعيد الطبع، نيويورك : هاركورت بريس چوڤا نيڤتش Harcourt Brace G vanovich ، ١٩٧٣).

٤ ـ وفقاً لأخر تقرير للبروفيسور آر. جية . روميل حول قواعد أصغر التقديرات داخل كل بلد من العالم. أنظر آر . چية روميل «الحرب ليست أكبر قاتل للقرن» . جريدة وول ستريت يوليو ٧ ، ١٩٨٦ .

٥ ـ أكثر مثال تراجيدى لتأثير تقرير سولد ينشتين Solzhenitsyn عن الوقيت "نظام الصرف التدبيرى» هو نظام المجموعة برمتها من "الفلاسفة الجدد" فى فرنسا

الذين رفضوا ارتباطهم فى الستينيات للماركسية نتيجة للقراءة . انظر برنارد ـ هنرى ليڤى، بربرية بوجة أدمى، تم الترجمة، جورج هولوك Holoch ( نيويورك : هاربر أند روو، ١٩٧٩ ، الأصل الفرنسى، ١٩٧٧ ) ، آندر كلوكما Glucksmanni، الفرن والأكول من الرجال :مقال على التقارير بين الدولة الماركسية ومعسكرات الاعتقال ( باريس : SEUIL ، ١٩٧٥ )، فيليب ينمو، الرجل البنيانى ( باريس : GRASSET،١٩٧٥).

٦ ـ سولد يشتين يذكر اندهاشة من أكتشافه بعد طرده. أن أكثر من أربعين كتاب قد تم إصدارها بالفعل فى الغرب منذ العشرينات على التخلص من الأعضاء، المعسكرات والإبادات داخل الاتحاد السوفيتى. ربما تتذكر أيضاً التأثير المحدود لتلك الجرائم الشهيرة مثل ظلام فى الظهيرة لأرثركوستلر، الإنسانية والرعب لمارلو بونتى، الفشل المماثل للرد على الانتقادات الموجودة تم توثيقة بالنسبة للقضية النازية . انظر عمل مارتين جيلبرت الشامل : الإعصار ( نيويورك : هولت، رينها رت و وينيستون، ١٩٨٥ ) . ويوجد التأثير ( النفوذ ) المستمر للفرويديه رغم الإنتقاد الكبير لفيليب ريف ، فرويد: عقل لإخلاقى ( ١٩٥٩، أعيد الطبع، شيكاغو : مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٧٩).

٧ ـ إيريك ڤوجلين، محادثات مع إيريك ڤوجلين، إصدار آر إريك Eric أو كونر (مونتريال : معهد طوماس مور ، ١٩٨٠ )

٨ ـ صفحة ١٦

٩ ـ صفحة ١٤٨

١٠- ظهر الجنون أيضاً فى طرق ملحوظة أخرى، على سبيل المثال GOYA ، الذى عند أنتاجة للوحاته الكلاسيكية الجديدة أنخرط تلقائياً فى عمل سلسلة من الحفريات

(الخطوط)آهلة بالوحوش. وأشهرها دون شك صورة رجل نائم ومخلوقات مجنحه رهيبة تنطلق من رأسه، عنوانها، " نوم العقل ينتج وحوشاً. فرانشيسكو جويا Los Caprlchos(نيويورك : (دوقر، ١٩٦٩ ) ، رقم ٤٣. وبالمثل، يوجد شيء، الكشف الغريب عن الذات فى شعار إنتقاه فرويد لأجل تفسيرة للأحلام : " إن لم أستطع أن أثنى السلطات العليا فسوف أحرك المناطق الجهنمية " . والمعلق الواضح ذاتياً وهو بودلير فى زهور الألم، وفى طرقهم الخاصة، چيكوب بيرخارت وأليكس دى توكڤيل أظهرا الأستبداد غير المحدود الذى إليه يتحرك العالم السياسى الحديث .

١١ ـ إيميت كنيدى، فيلسوف فى عصر الثورة : Destutt De Tracy وأصول "الأيديولوچية" ( فيلاديلفيا : المجتمع الفلسفى الأمريكى، ١٩٧٨ ) .

١٢ ـ الكسندر كورى Koyre : من العالم المغلق إلى كون لا ينتهى ( بالتيمور مطبعة جامعه چونس هربكنز ، ١٩٧٥) .

١٣ ـ چون لوك LOCKE . مقال عن فهم الإنسان ( ١٩٦٠) كتابى ١ ، ٢ .

١٤ ـ أول إنتقاء لمصدر الإلهام حدث فى نفس الوقت تقريباً عندما هاجم لوك الفلسفة، وفى التاريخ الحرج ( الدقيق) للعهد القديم لريتشارد سيمون (١٦٧٨)، رغم التطبيق الكامل للطرق " التاريخية" لم تزدهر حتى القرن التاسع عشر. ولا يزال مفيد كدراسة هو ألبيرت شويتزر، البحث عن يسوع التاريخى، تمت الترجمة. و . مونتجومرى (١٩١٠ ، أعيد الطبع، لندن : ماكميليان، ١٩٦٨ ) .

١٥ ـ التقرير الكاشف الغريب للأخطار الناشئة من النزاع بين العلم والدين وبين الحاجة إلى الاعتراف بتناغمها النهائى، يوجد فى چون هنرى نيومان "فكرة الجامعة، طبع مارتن چية سقاجليك مطبعة نوتردام الجامعية ، ١٩٨٢، التوزيع الأصلى (١٨٥٢ـ١٨٥٨).

١٦ ـ هانز جوناس، مقالات سياسية : من العقيدة القديمة إلى رجل تكنولوچى ( إنجلوود كليفس،NJ : برينتيس هول ١٩٧٤ ، الفصول ١ ، ٣ ، ٧ ، ٨ ، حتمية المسئولية (شيكاغو،NJ مطبعة شيكاغو الجامعية ١٩٧٨\) ، وليون كاس، نحو علم أخلاقى أكثر : (نيويورك : ماكميلان، ١٩٨٤ )، خاصة "البيولوچية الجديدة : أى ثمن يريح حالة الإنسان ؟ "

١٧ ـ تعليق سانت أغسطس على المزامار٤٩، Ennarationes In Psalmos ( ٣٩١ ـ ٤٢٠ ) .

١٨ ـ كاس ، العلم الطبيعى .

١٩ ـ سية إى . لويس ، إلغاء الإنسان ( نيويورك: ماكميلان ، ١٩٤٧ ) ، انظر أيضاً چاك إلول ELLUL ، المجتمع التكنولوجى، ترجمة جون ويكينسون ( ١٩٥٤ ، أعيد الطبع، نيويورك : ڤينتيج ١٩٦٤ )؛ مارتن هيدجر المسألة الخاصة بالتكنولوجيا ومقالات أخرى، ترجمة ويليام لوڤيت ( نيوريوك : هاربراند روو، ١٩٧٧ ) .

٢٠ ـ لويس، إلغاء الإنسان، ٧٧ .

٢١ ـ صفحة ٨٠ .

٢٢ ديڤيد إيرينفيلد، غطرسة الإنسانية ( نيويورك: مطبعة جامعة أكسفور ١٩٧٨ ) ، ويعطى وصف شديد" التفاوت الواسع والموسع بين اعتقاد العالم ( إيمان العالم) بالعقل وقوة الإنسان والواقع الحى لظروف الإنسان " ( Xii ) .

٢٣ ـ ألكسندر كوييف : مقدمة محاضرة من هيجيل ( باريس : جاليمار،١٩٧٤ )، مقدمة لقراءة هيجيل، مترجمة، جيمس هـ . نيكولز، إصدارها ألان بلوم ( نيويورك :

بيـزيك بوكس، ١٩٦٩ ) . لم تغطى التـرجمة كل الأصل، لكنها لم تتضمن التـزييل عن أى نوع القـهر لإنسـانيـتنا يجب أن يعنى نهاية التـاريخ . " عندمـا يقبـل اختـفـاء الإنسـان فى نهاية العصـر" . لو أكد أحد على أن " الإنسـان يبقى على قيـد الحيـاة كحيوان " مع تحديد أن "ما يختفى هو الإنسان المناسب، هكذا اسمه"، لا يستطيع المرء أن يقول إن ذلك " كل الباقى يمكن الإبقاء عليه بالتحديد : الفن، الحب، المسرح، إلخ" لو يصبح الإنسان حيواناً من جديد، فحبه وفنه ومرحة يجب أن تصبح أيضاً طبيعية " تماماً ثانية ..عدمية الإنسان هكذا تسمى تسمية ملائمة تعنى أيضاً الاختفاء القطعى للمحادثة الإنسانية ( لوجوس ) فى مشهد صارم، حيوانات الأجناس سترد رداً فعلياً عن طريق الانعكاسات للأحوال بعلامات شفهيـة أو "لغوية" ولذا تسمى "محادثات" ستكون مثل ما هو يقترح بأن تكون "لغة " النحل . إن ما سيختفى ليس فلسفة فقط أو البحث عن حكمة منطقية وإنما أيضاً تلك الحكمة ذاتها ـ إنه فى هذه الحيوانات ما بعد التاريخ لم يعد هناك أى فهم ( منطقى ) للعالم ـ للنفس ( ١٥٩ ـ ١٦٠ ) .

٢٤ ـ أعرب كوييف عن تصوره فى مقابلة أجريت فى ١٩٦٨ . انظر التـقرير فى بارى كوبر، نهاية التاريخ : مقال عن الهيجيلية الحديثة . تورنتو : مطبعة تورنتو الجامعية، ١٩٨٤)، ٣٠٣، كتاب كوبر هو تعليق ممتاز على أهمية تفسير كوييف لهيجيل. أنظر أيضاً المناقشة فى طوم داربى، العبد : تأملات فى السياسات والزمن ( تورنتو : جامعية مطبعة تورنتو، ١٩٨٢ ) ، ١٧٠ ـ ١٩١ .

٢٥ ـ فكرة أن الفلسفة هى مشروع الأقسام الأكاديمية وهو، كما أوضح ألا سدير ماكلنتاير، ذات أصل حديث وأكثر انعكاساً لانهيار الدور الأساسى للفلسفة أكثر من أى شيء آخر عموماً، لا تستمر الأفكار فى فراغ ذاتى، بعيداً عن الواقع الثابت للمجتمع والتاريخ الذى جعلهما ممكناً، ظهرواً من الضرورة الحية لتوضيح نظام الوجود من خلاله يشكلون عالم المعنى الذى هو واقع أعمالنا الفردية والإجتماعية. " كل عمل

هو تعبير المعتقد فى النظرية بطريق أو بآخر وأيضاً المفاهيم، إن كل قطعة وكل تعبير عن الإيمان ( المعتقد ) هو عمل سياسى وأخلاقى " . ماكلنتاير، بعد الفضيلة الطبعة الثانية ( نوتردام : مطبعة نوتردام الجامعية ، ١٩٨٤ )، ٦١ .

٢٦ ـ Grotius ( ١٥٨٣ ـ١٦٤٥) كان أول من يقترح أن قانون الطبيعة يمكن أن يستغنى عن أساسه الدينى، لكنه لا يقدم توضيحا شاملاً لهذا المشروع .

٢٧ ـ ماكلنتاير، بعد الفضيلة ، ٤٦ .

٢٨ ـ ألان چيويرث، العقل والفضيلة ( شيكاغو : جامعه مطبعة شيكاغو، ١٩٧٨ ) ، يرتكب أول خطأ جون رولز، نظرية للعدل ( كامبريدج : مطبعة جامعة هارڤارد ،١٩٧١) ورونالد دوركن، أخذ الحقوق مأخذ الجد ( كامبريدج: مطبعة جامعة: هاڤارد ، ١٩٧٧ مذنبو اللحظة .

٢٩ ـ ماكلنتاير بعد الفضيلة، ٢٣ .

٣٠ ـ صفحة ٧١ .

٣١ ـ صفحة ٢٥٣ ـ الصفة "الظاهرية التناقضية " لتجربتنا الأخلاقية لأجل خيانة أفضل نوايانا. " لأن كل واحد منا تعلم أن يرى نفسه أو نفسها كعنصر أخلاقى ذاتى، لكن كل واحد منا يصبح أيضاً مشغولاً عن طريق نماذج الممارسة، والفنية والبيروقراطية، التى تشغلنا فى العلاقات الاستغلالية مع الآخرين، السعى إلى حماية الذاتيه التى تعلمناها للجائزة، نتطلع إلى أنفسنا الا يتم أستغلاها بالآخرين، والسعى إلى إعطاء مبادئنا والنقطة القائمة فى عالم الممارسة، لا نجد أى طريق مفتوح أمامنا ما عدا التوجيه حيال الأخرين الذين هم نماذج أستغلالية للعلاقات حيث يتطلع كل منا إلى المقاومة فى قضيتنا نحن إن تنافر مواقفنا وتجربتنا تنشأ من المشروع الفكرى المتناقض الذى ورثناه " ( بعد الفضيلة، ٦٨ ) .

٣٢ ـ أفكارنا عن العدل والعقاب توجد فى ممارسة الانتقام. حتى" الروائح الصنفية الحتمية للقسوة " .

٣٣ ـ أنظر WP ، فصل ٤ بالنسبة لتقرير نيشته عما يشتق الإنسان من "الفرضيات الأخلاقية المسيحية" ومآلها للضياع الان دونها . " حب الأنسان لأجل الله " ظل شعوراً من أنبل المشاعر بعيدة المنال بين الرجال. إن حب الإنسان هو أكثر غباء وبهيميه وإن لم يكن هناك إهتمام بتطهيره ...

٣٤ ـ "بقايا أحكام القيمة المسيحية توجد فى كل مكان فى الأنظمة الأشتراكية والإيجابية. انتقاد الأخلاقية المسيحية لا يزال ناقصاً ( Wp,7 ) .

٣٥ ـ ضمن نفسه فى "نحن ألفاً سقون "، ويتعاطف مع الجرائم الدوستويفيسكية التى هى حقيقة "البشر القوى " الذى سبب المجتمع لهم المرض، واحتفظ بأكبر إعجابه لـ "الرجل الذى أثبت أنه أقوى من المجتمع " فى جرائمه، نابوليون .

٣٦ ـ كارل لوويث، المعنى فى التاريخ ( شيكاغو : مطبعة شيكاغو الجامعية، ١٩٤٩)، ٢١٤ ـ ٢٢٢ ، من هيجل إلى نيتشة، مترجمة، ديفيد إ . جرين ( نيويورك : يوم مزدوجDOUBLE DAY ، ١٩٦٧ ، ألمانية الأصل، ١٩٤١ )،انظر أيضاً ميرسيا إلياد، كوزموس والتاريخ: أسطورة العودة الأبدية،و مترجمة، ويلارد آر . تراسك ( نيوريوك : هارير آند روو ، ١٩٥٩، الأصل فرنسية ، ١٩٤٩ ) .

٣٧ ـ إريك ڤوجلين، العلم والسياسات والغنوسطية، ٣٢ . ستانلى روزن، يقدم استنتاجاً مماثلاً فى نهاية دراسته : "حاولت الاستمرار خلال انتقاد العدمية الحديثة بإيضاح الكيفية، على مبادئه ينقص السكون والرق. العدميه : مقال فلسفى ( نيوهاڤين : مطبعة جامعه ييل، ١٩٦٩) ١٣٨ .

٣٨ ـ "من لحظة الإيمان بإله النموذج الزهدى، تنشأ مشكلة جديدة : تلك هى قيمة الحقيقة ( GM، فصل ٢٤ ) .

٣٩ ـ "النموذج النبيل لتجارب الإنسان ذاته كقيم محدده ... كل شيء تعرفه كجزء من ذاتها يشرف .. الإنسان النبيل أيضاً يساعد سوء الحظ، لكن ليس أو تقريباً ليس من العطف وإنما يدفعه إلحاح الفرط فى القوة ( Bge ، انظر الفصل ٢٦٠ ) .

٤٠ ـ ما من أمثلة على النظام الأيديولوچى تم تحريرها خلال مقاومة داخلية، تغيرات حديثة ترجع كثيراً إلى التحلل الداخلى للأيديولوجية عبر الزمن أكثر من قوة المناوئين أو المصلحين .

٤١ ـ لوويث، المعنى فى التاريخ، "خطاب " .

٤٢ ـ پول ريكير، تاريخ وحقيقة،، مترجمة، تشارلز أ . كيلى ( إيفانستون : مطبعة جامعة نورتو يسترن، ١٩٦٥ ، فرنسية الأصل ١٩٥٥ ) ، خاصة ٢٨٧ ـ ٣٠٤ .

٤٣ ـ ماكلنتاير، بعد الفضيلة ، ٢١٩ .

٤٤ ـ ماكلنتاير أقر بوضوح هذا فى أحدث كتاب له، عدل من ؟ أى عقلانية ؟ (نوتردام : جامعة مطبعة نوتردام ، ١٩٨٨ ) . فى نهاية مناقشته المطوله عن التقاليد المختلفة للعقل والعدل، يتعجب من كيفية إحتمال الإمكانية لأى أحد خارج كل التقاليد، دون قياس أو نقاط للمرجع ـ أى النفس الليبرالية الذاتية ـ للوصول الى إعتراف اعتناق الرأى العالمى الذى يؤيد أحد التقاليد للعقل والعدل ( ٣٩٦ ـ ٣٩٧ ) كيف يتسنى حينئذ لذلك التحول أن يكون ممكناً ؟ يبدو فقط بتغير يصل إلى تحول، منذ شرط هذا النموذج للنفس، يجد لغة جارى أستخدامها تمكنه من الدخول إلى حوار مع تقليد الأستفسار، وهو يصبح شيئاً لا يكون شيئاً آخر عما هو الآن، قادر ذاتياً على الإعتراف بأن يعبر عن نفسه بمستويات لغة للإستفسار العقلى كشىء لا يزيد عن التعبير عن الرغبة والتفضيل " ( تأكيد مضاف ) . المشكلة هى أن ماكلنتاير ما يمس جوهر المشكلة السياسية، التحول الأفلاطونى ( ريبا بليك ، ٥١٨ ) . مع أننا يمكننا أن نتخذ إعترافة كتشجيع من أجل ما يركز عليه هذا الكتاب .

٤٥ ـ ليوشتراوس، الحق الطبيعي والتاريخ ( شيكاغو : جامعة مطبعة شيكاغو، ١٩٥٣) ، ٣١ ـ ٣٢، أيضاً ١٠٠ ، ١٠٥، أنظر أيضاً ما هى الفلسفة السياسية ؟ (جلينكو، II : نظرة غريبة، ١٩٥٩ ) .

٤٥ ـ ليوشتراوس، "الفلسفة السياسية وأزمة عصرنا، عهد ما بعد السلوكى، طبع چورج چيه، جراهام وجورج كارى ( نيوورك : ماكاى، ١٩٧٢ ) ٢١٧ ـ ٢٤٢ .

٤٧ ـ جاك ماريتان، الرجل والدولة ( شيكاغو : مطبعة شيكاغو الجامعية،١٩٥١ )، ١٥٩ ، أنظر أيضاً الإنسانية المتماسكة الأولى : المشاكل المؤقتة والروحية للمسيحية الجديدة، مترجمة، چوزيف و . إيفانز ( نوتردام : جامعه مطبعة نوتردام، ١٩٧٣، فرنسية الأصل ، ١٩٣٦ ) .

٤٨ ـ إن مصطلح ما بعد الحديث يستخدم بإنتشار واسع عبر الحقبتين الماضيتين، تم تطبيقها مؤخراً على أولئك الذين يعرفون إنهيار كل محاولات تقديم أساس للنظام والذين يصرون عل أن البدائل لم تعد ممكنه، إن الصعوبة هى تلك التى التزام بها فى نهاية العصرية كل من جاك دريدا، ميشل فوكولت، ريتشارد رورتى وآل Etal، وعدم تماسكها دون تخطيها تجاه أى شيء ما بعد الحديث بصورة جوهرية، إنظر لإلقاء نظرة على بعد الفلسفة : نهاية أم تحول ؟ أصدرها ك؛ باينيز ، BAYNES جية .. بومان، وت . ماكارثى ( كامبيريدج : مطبعة Mit ، ١٩٨٧ ) .

٤٩ ـ إريك فوجلين ، " الإنجيل والثقافة "، فى المسيح وأمل الإنسان، طبع دى . ميللر، دى جى هاديد يان ( بيتسبورج : مطبعة بيتسبورج الدينية ، ١٩٧١ )، الجزء الثانى، ٥٩ ـ ١٠١ .

# الفصل الثانى

# الفصل الثانى

# التنفيس الإعلائى

## Catharsis

إن التجاهل هو فكرة أساسية يجب أن تلوح حتما أمام أى مراقب مؤيد للعالم الحديث. عندما يفكر المرء فى التفاؤل المشرق المتألق الذى به بدأ عصرنا والرعب المدمر الكئيب الذى فيه تهديد بالنهاية لايسعنا سوى أن نتأثر بالإحساس بنظام فى الواقع وراء نطاق خطط وأغراض سيطرة الإنسان.

إن أحلامنا هى أكثر من تحقيقها فى وجوه عديدة إلاّ أن النتيجة تصبح فى النهاية بدرجة كبيرة غير التى قصدناها. ماذا يمكن أن يكون تجاهلا أكثر من التناقض بين القوة التكنولوجية الكبيرة التى تحت تصرفنا واليأس الروحى الكبير لمحاولاتنا توجيه استخدامها ؟ ماذا يمكن أن يكون أكثر تجاهلا من الخلاف بين نموذج الحرية العالمية وواقع التلاعب العالمى؟ ماهو أكبر انحراف للقضاء والقدر يمكن فهمه سوى تحول من النزعة الى حب الخير الى القتل؟إن منظور التجاهل لاغنى عنه لو وضعنا هذه الأحداث فى محيطها المناسب. لأنه داخل أوسع أفق من التاريخ نكون مشدودين بقوة للاعتراف بمشاركتنا فى عملية الواقع الذى فيه لانكون مصدر ولا إداة رئيسية ، يعطى التجاهل الميزان الذى به يجب أن يكون وزن التاريخ قد حدث فى نهاية الأمر . إن جيمس بيلينجتون فى نهاية دراسته المطولة عن الثقافة الروسية أفرد فصلا لتجاهل التاريخ الروسى ، والاعتراف الذى يعتبْره ضروريا لاستكمال الصورة . « إن فكرة التجاهل تحتوى على أن التاريخ يضحك على مزاعم الإنسان دون العداء لأمال الإنسان . إنه قادر على إعطاء الإنسان أملا دون خداع» .

إن ذلك المنظور يوضح الطريق تجاه تفتت حلم القوة المتسلط واستعادة نظام للأمل يوجد

بشدة فى واقع طبيعة الإنسان . إن تجاهل التاريخ الحديث قد يتحول الى مستواه الأعمق لايكمن فى نتائج ممارسة القوة وهى نتائج غير مقصودة وانما تكمن فى إعادة إقامة تلك المعتقدات التى رفضتها بشدة بداية العصر الحديث . إنه من المؤكد ما من نتيجة أكثر من هذه تكون غير مقصودة ولا أكثر تسببا فى الاندهاش للدعاة . إن ذلك مع هذا ، الذى سنحاول مناقشته ، هو القضية . إن روح تأكيد الذات المتغطرسة تحدث شعورا معاكسا تماما لتحديد القوة ، لانهائية طبيعة الإنسان والتواضع قبل غموض الكون . إن عصر الهياكل الأيديولوجية المفرطة أتاحت الطريق أمام واقعية متشككة جدا وهو الشك فى كل المقترحات اليوطوبية .،إن ما يذهل للغاية هو التصميم الصارم على موت الله بينما أول مبدأالحرية الإنسان قد أحدث عودة انبعاث قوية للإيمان بالله كأساس وطيد لكرامة الإنسان. إنها الأيديولوجيات العلمانية المسيحية التى تسبب أن نتساءل بشأن « مستقبل خداع » إن التجاهل هو الذى له عداء تجاه العالم الحديث ذاته مما أثار إعادة اكتشاف الحقيقة الأخلاقية والروحية لتلك التقاليد الأكثر قدماً ، وذلك من أيما وجه يراه المرء .

هذه هى نتيجة إنعكاسات بيلينجتون على الثقافة الروسية . إنه يوضحها كفريسة لكل تيارات الأيديولوجية الثورية من الغرب . التجربة الحديثة فى روسيا يمكن إجراؤها الى اقصى مظاهرها بافتراض غياب معارضة نقدية كافية لدفع الابتكار ، هذه هى ظاهرة لاحظها المفكرون الروس بداية من بردياف Berdyaev الى سولجنتسين . يحذر سولجنتسين مرارا من ان روسيا مرت من خلال صيغة ضغط للأزمة التى فى الغرب وامتدت عبر فترة طويلة من الوقت . النتيجة هى أن المجتمع الروسى ظهر فى عدة وجوه فيما أسماه هيرزن HERZEN « الشاطئ الآخر » الشعب فى بلدنا حقق من خلال الألم العميق تطورا روحيا لتلك القوة حتى أن النظام الغربى فى حالته الحاضرة من الإرهاق النفسى لايبدو جذابا » . كتب سولجنتسين . إن عمل بيلينجتون يسبق معظم مطبوعات (مؤلفات) سولجنتسين والمنشقين الآخرين إلاّ أن «التطهير» و«التطهر» تحت حكم ستالين ربما تنبأ بها فعلا .

« سيكون تجاهلا حقا »، ويفكر فى أنه « إذا كان الله فى المنفى فى مكان ما فى الشرق الإلحادى » واذا انتجت الثقافة فى وسط سكونها ومعاناتها كان عليها أن تثبت أنها أكثر شهرة من ذلك الغرب الثرثار والمتخم .

إن الأسباب لهذا التطور ليس من الصعب رؤيتها . إذا كان العصر الحديث هو عصر ثورى حقيقى بالمعنى الأصلى للتعبير حينئذ يجب علينا الاّ نكون مندهشين جدا لو نجد أنفسنا عائدين عند النقطة التى منها بدأنا ، (طبعا ، غنى عن القول أن تلك العودة لن تكون أبدا نفس العودة كالوضع الاستهلاكى ) لإننا كلما حاولنا جعل الواقع ينسجم لمفاهيمنا الأيديولوجية المسبقة كلما واجهنا عناده . يجعلنا النزاع واعين بمشاركتنا فى نظام لأشياء غير مسئول عن سيطرتنا . قد نحاول إنكار وجود واقع اخلاقى متفوق الا أننا كلما الكفاح لرفضه كلما يؤكد وعينا ذاته . الإلحاد يمكن تأكيد رفضه لله بالتركيز المستمر فقط على مايسعى الى لفظه . هذه هى ظاهرة الإيمان السيئ الذى تم تحليله جيدا وتوضيحه فى عصرنا ؛ ويتضمن الاقتراب المتعمد تجاه الواقع جهدا متواصلا لتذكر مانريد أن ننساه . عندما يصبح هلاك المشروع لامفر منه مفرا واضحا، حينئد يكون طبيعيا أن أبعاد التجربه المهملة تعيد تأكيد نفسها بين تلك التى مكشوفة بطريقة كافية لفهمها ، إن المحاولة لكبت وجوه معينة هى فى حد ذاتها مسئولة عن جذب الانتباه لما هو مفقود . إن الاضطهاد متصل بدق مسمار كلما زاد الطرق عليه كلما غار الإيمان .

## التجربة السيدية :

وصل العالم الحديث الى النقطة الفاصلة لتطوره عندما طمس الحصول على القوةالمطلقة كل قيود الغرض . تم تعرية الشخص ببطئ لكنه يتقدم من كل تفوق ليصبح مجرد عامل أوموضوع قوة ، وأن الإنسانية الضرورية قد غارت داخل البناء الاستبدادى لمستقبل مطلق . لكن النقطة التى عندها نقصى الفرد الى « الصفر المتعارض » حيث يحدث شئ ملحوظ . إن المرء يجد داخل نفسه قوة للمقاومة . القوة التى تعين الشخص على مقاومة الرعب

المدمر الذى يسحقه أو يسحقها تكشف فى نفس الوقت عن الإشتراك الفريد والمتعذر استبداله والمتفوق (أنا) فى الواقع الذى يتحمل أبعد من الهزيمة. فقد الإعتقاد بكل المذاهب والنظم يتم إلقاء المرء ثانية الى مصادر روحه . هناك مكتشف لفورية الحقيقة الحية التى يمكن أن تعين المرء ثانية على الحياه والموت كإنسان . يتعرف المرء على هذا المصدر التجريبى بمثابة ينبوع (معين) لكل أفكار الحقيقة والطيبة والعدل داخل التقاليد الروحية الكبيرة لتاريخ الإنسان حيث المرء الأن فقط صنعهم بمثابة تقاليده هو، ذلك بالعيش داخلهم وجعلهم يظلون أحياء .

القوة الجديدة أو المكتشفه ثانية مؤخرا مطلقة العنان فى التاريخ وإمكانية نظام حضارى متجدد نشأ أخيرا فى العالم الحديث . هذه هى طبيعة التنفيس الإعلائى الذى مر خلاله الكثير من الأفراد المتعمقين فى عصرنا . يمكنه أن يوضح الطريق لأولئك الذين لهم آذان ويسمعون .

القيد ضرورى لأن تحقيق التحرير من المناخ الأيديولوجى الاضطهادى لايمكن الحصول عليه دون ثمن . إن التوصل إليه يكون بالنضال فقط. ما من شئ أبعد من هذا الاكتشاف سوى العودة الى صيغ تقليدية دون الاستيلاء على الواقع الحى الذى اليه يشيرون . معارضته الاتجاهات للعالم الحديث فقط لن تكون كافية لإعطائنا أساس جديد. وكأس البؤس المعاصر يجب أن ينضب من مراراته لو تأكدنا من امتلاك القوة الروحية للتغلب عليه. إن ما يميز المفكرين الذين هم ما بعد الحديث هو أنهم دخلوا تماما فى روح العصرية وظهروا على الجانب الآخر برؤية للواقع التى أثبتت أنها المتفوقه . إن التنفيس الإستعلائى لم يكن جانبا سيريا عرضيا . إنه سبيل ضرورى به يمكن اختراق الهاوية المدمرة، والاكتشاف الثابت للواقع الذى به يمكن للبشر الصعود من الاضطراب الهائل للفوضى، إن المفكرين الذين سنناقشهم كلهم لديهم بداية مشتركة فى القبول الودى للمشروع الحديث .

**دوستويفسكى :**

هذا التعاطف ربما يكون حقيقى للغاية بأنه الأول فى صف أمثال المعاصرين لفيودور دوستويفسكى . التوازى غير العادى بين عمله واكتشافات نيتشه أقره الأخير فى ملاحظته أن دوستويفسكى كان «عالما نفسيا عرضا . منه يتسنى لى أى شئ لأتعلمه.» دوستويفسكى أكثر من نيتشه دخل الى روح العصر ليس بالتعاطف مع الحركات الثورية فقط وإنا بالمشاركة الفعلية فى الجماعة الاشتراكية السرية أيضا فى بيترسبورج أثناء أربعينات القرن الثامن عشر . كان دوستويفسكى جزءا كاملا لمجتمع المثقفين الروس المتمرد وتحول من الإنسانية الليبرالية الى الاشتراكية المسيحية وأخيرا تحول تجاه الشيوعية الملحده لبلينسكى Belinsky . كان عضوا فى مجموعة المناقشة الاشتراكية حول بتراشيفسكىPetrashevsky وانسحب بناء عليه الى القلب الراديكالى المتشدد بقيادة دوروف durov اعتزمت هذه الجماعة بوضوح أن تلعب دورا فى إثارة القلاقل الشعبية وفى الكفاح المسلح ليتم اتباعه ،؛ وتآمروا على تشغيل مطبعة سرية كأول خطوة . ولهذا تم القبض عليهم مع بيتراشيفيستيين PETRASHEVISTS فى ١٨٤٩ ، وكان دوستوفيسكى من بينهم . كان التنفيذ خدعة والعفو فى آخر لحظة جزءا من العقاب أعقبهما أربع سنوات سجن ثم الخدمة فى الصفوف . وقف دوستويفسكى على المشنقة «دون أدنى ندم» وكان راغبا فى تحمل الاستشهاد من أجل معتقداته . لم تكن إرادته الثورية لتنكسر بالموت واستمر فى الاعتراف بأنه أتبع درب الإرهاب الذى كان رائده نيتشايف Nechaiev . « ربما أصبح نيتشايف ابدا ولكننى أحد أتباعه ـ لأجل هذا لن أدلى بشهادة لكننى ربما أن أصبح واحدا ... فى أيام شبابى »

اقترب دوستويفسكى من الهاوية التى ترتكن تجاهها العدمية الثورية . هذا هو السبب فى أن يفهم العدميين والمهاجمين للمعتقدات فى ستينات القرن الثامن عشر ورسم لهم صورة بدقة فى «المعتوه». وقد أوضح قدرة القلب الإنسانى على الشر ، وعرف أنها بمثابة

إمكانية لم تكن أبدا غير موجودة أكثر من وقتما نكون قد تم منحنا قوة غير محددة على بنى البشر الآخرين . هذا الوعى يرجع تاريخه منذ سنوات سجنه عندما بدأ دوستويفسكى عمله حيال مشكلة الشخصية القوية المرعبه أو الشيطانية . يسرد فى «منزل الموتى » كيف إن احد الضباط ذات الطبيعة الجيدة «الطيبة» يقوم بجلد رجل باستمرار الى النقطة التى يصرخ فيها من أجل الرحمة .

أولئك الذين يتمتعون بقوة غير محدودة فوق اللحم والدم والروح لبنى مخلوقاتهم ، من الإخوه فى المسيح ؛ هؤلاء أقول يتمتعون بتلك القوة ويمكنهم إهانه الآخرين تماما الذين فى صورة إله ، غير قادرين على مقاومة رغباتهم وعطشهم للإثارة . الظلم عادة يمكن أن تنمو حتى فى النهاية تصبح مرضا . أعلن أن أنبل مخلوق يمكن أن يصبح قاسيا جدا ووحشيا بما لايميزه شئ عن تلك القوة لحيوان مفترس .

لو هذا تم فعله من جانب« أنبل مخلوق» ، فأى أولئك النماذج النبوليونيه أو المجرمة الحقيقية يعتبرون أنفسهم ما بعد نطاق الخير والشر ؟

وإنه برغم ذلك لم يؤدى هذا التحقيق بدوستويفسكى الى رفض بسيط لماضيه الثورى . استمر للاعتراف بالأسباب العميقة الإقناع التى يمكنها أن تقود أى شخص لينتهج منهج القتل والإرهاب . إن جوهر التمرد ضد نظام الأشياء عبر عنه بقوه الإدانه المدوية لكارامازوف لظلم الإله الذى يحتوى عالمه على صرخات الأطفال الممزقة للقلوب الذين يعذبهم آباؤهم . هذا الاعتراض أعقبه كشف المحقق الكبير الذى يعلن خلقه من صناعة الانسان ليحل محل نظام الله ولم يجد المحقق أى سند . دوستويفسكى مؤثر جدا فى تقديم مناقشات المحقق التى غالبا ما يتم الخلط بأنها موقف المؤلف . لهذا السبب كان قلقا من احتمال سوء فهمه لأنه ليس جميع قرائه معتادون على فهم حقيقة الحياة التى عرفها بمواجهتها فى النزع الأخير . كتب أحد فصول المحقق الكبير فى مذكرته : « حتى أنه فى أوروبا لم يكن

ولايكون هناك تعبيرات الحادية بمثل تلك القوة ، ومن ثم ليس الأمر كغلام أن أعتقد فى المسبح واعترافه ، ومرت صيحة التهليل (المجد لله) عبر أتون كبير من الشكوك .

إن اعتقاد دوستويفسكى تم التوصل اليه عن طريق الدراسة الدقيقة لأزمة العدمية الاوروبية التى تنبأ بها هو ونيتشه فقط بكل صرامتها ورعبها ، إنه بدون شهادة الكشف الاستبدادى للقرن العشرين كان قد فكر مليا فى عمق الشر الروحى الذى كان مصدرها . كان هذا هو فرن التطهر الذى أحرق كل اعتماد على الأوهام المريحة والاستجابات التقليدية . إن الأمر يؤمّن أن الإيمان الذى إكتشفه فى لب كينونته « تحمل التجربة وظهر بمثابة حقيقة مشعة لنظام جديد . إنه فى نهاية حياته تقريبا بدأ أن يكون لديه شيئ من هذا النوع من التأثير فى الساحة الشعبية مثل اللحظة الساحرة لما يوضحه خطاب بوشكين Pushkin (١٨٨٠) . هناك نجح تقريبا دوستويفسكى فى تسوية العداءات المستحكمة للمجتمع الروسى خاصة بين الشماليين والغربيين . وحتى أنه عندما بدأت رووسيا انحدارها المشئوم فى الظلام الثورى كان تأثير دوستويفسكى لايزال بين الأكتوبريين خاصة داخل الصحوة الدينية والسياسية للثقافة الروسية اللاجئة لبرديفى BEROYAEN وبولجاكوفBULGAKOV ، وستروف Struve ، وآخرين استمر تأثيره فى روسيا كمجرى ثابت حتى الوقت الحاضر عندما اندفع فى سيل كبير معاصر قدما وهو عمل سولچنتسين وزملائه.

## سولچنتسين :

إن قصة سولچنتسين غير عادية أكثر من قصة دوستويفسكى . لأنها التنفيس الاعلائى للضحية الذى نهض الى الارتفاع الروحى للنصر (للانتصار) على مضطهديه . إنه طفل الثورة الروسية ، .جزء من الجيل السوفيتى الأول الذى نضج تحت الشيوعية وأيد أيديولوجية المادية الجدلية التى تأسست عليها .

إلاّ أنه بينما كان يخدم كضابط مدفعية عام ١٩٤٥ تم القاء القبض عليه والحكم عليه بثمانى سنوات فى « معسكر العمل الاصلاحى » وثلاث سنوات نفى داخلى لابدائه ملاحظات ازدرائية عن ستالين فى خطاب شخصى لصديق. كانت هذه التجربة نقطة تحول فى حياته . انضم كشيوعى مخلص ومقتنع إلاّ أنه برز كمؤمن ومسيحى تائب . عندما دخل المعسكرات فى أول الأمر وجد نفسه يجادل مع الموالين ثم صمت وظهر فى النهاية مجادلا ضدهم . ظهر تحوله أولا كنتيجة للتجارب الروحية العميقة التى مر بها مفضلا ذلك على أى تعليم فى المحتوى المذهبى أو الثقافى للإيمان المسيحى . غادر المعسكرات رجلا جديدا يمكنه الإعلان القوى بالأمتنان . « قمت بتغذية روحى هناك . وأقول دون تردد : مبارك أنت ، ياسجن، لأنك كنت فى حياتى ! » إن التنوير الذى تلقاه هناك أصبح المبدأ المنظم لعمل حياته الشاهد على مصير الملايين الذين غاصت حياتهم فى أرخبيل جولاج Gulag Archipelago وفى اضطراب شامل اكثر لثورة ١٩١٧ الذى يصبح رائعته الأدبية ، العجلة الحمراء.

كان هذا أيضا مصدر القوة الروحية التى جعلت المعجزات الأخرى الكبيرة فى حياته ممكنة :

صراعه الناجح مع حكومة سوفيتية قوية . إنه بعد إصدار يوم واحد فى حياة إيڤان دنيسوڤيتش Ivan Denisovich أغلقت الأبواب أمام المزيد من النشر له فى الاتحاد السوفيتى . مامن شيئ يتم السماح له بتدمير الشيوعية . عاش سولجنتسين فى توقع يومى بالقاء القبض عليه من جديد وسجنه بينما كان يعمل سرا فى أكثر أعماله التخريبية . إن الإستحواذ على« محفوظاته» عام ١٩٦٥ بما فيها مخطوطة السلسلة الاولى حيث مر بالتجربة بمثابة أكبر سوء حظ فى كل السبعة والأربعين عاماً، إلاّ أنه كان أيضا أعظم تحرير الذى فتح حياته كرجل حر - استطاع الآن أن يتكلم علانية أيما يختار، وقبل تمام إمكانية القاء القبض وإنهاء عمله، الذى لم يعد الأن فى متناول يديه. إنه برغبته « فى قبول حتى

الموت» فاز بالحرية ليخاطب العالم ، ووجد نفسه الآن» رجلا بحقوق محصنة وحصانة دبلوماسية» . استيقظت السلطات السوفيتيه حيال ماحدث . فكان بالفعل مشهورا جدا لأن يمسوه .وهلاك المشروع لم يرتد تماما الى الفتى الغرّ . « لم تسقط الشجرة ـ لكنه هل يبدأ إعطاء القليل فقط ؟ »

إن إنجاز سولجنتسين ملحوظ للغاية وشهادة ثابتة للغموض الروحى غير المتناهى للشخص . إن هذا يشير الى شرارة التفوق التى تسمو بالانسان فوق كل السياسات ، والتاريخ كله . حتى الكون برمته .

يلاحظ سولجنتسين أننا على وعى منذ مدة طويلة أن السجن قادر على احداث تحول روحى عميق فى الإنسان إلاّ أنه يدهب بالحرمان المطلق لمعسكرات ستالين الى تثبيته ،هذا ليس لتأكيد أن كل السكان فى جولاج Gulag خضعوا الى الانبعاث . إن غالبيتهم وربما أفضلهم ببساطة كانوا متميزين ، وأولئك الذين عمّروا لم يصعدوا الى الحقيقة الأبدية . لكنهم عزموا على طريقة أعلى لبرهنة قوتها النموذجية .، اكتشفوا أن هناك حداً فيما وراءها لايتسنى شئ للمرء ليفقده وأن هناك من تواجه روح المرء الخالدة . أعلن السجين بوبينين BOBYNIN لوزير أمن الدولة أباكوموف Abakumov أفهم شيئا واحدا فقط وأقوله لأى أحد فى القمة لا يعرف أنك قوى فقط طالما لم تحرم الناس من كل شئ . لأن الشخص الذى تأخذ منه كل شئ لم يعد فى سلطتك . فهو مطلق السراح ثانية » هذه هى«القوة المرعبة» لدى زك Zek القادر على الحياة بنور ضميره .

. إن الفلسفة تركت عالم النظرية لأن يصبح ثانية الحقيقة الأساسية لحياة الانسان ، الرجل الذى يزج به الى السجن كما ذكر سولجنتسين هو الرجل الذى فى وضع جديد تماماً حيث لايتضح أى شئ ؛ فلا توجد قواعد وكل شئ يتعلمه لابد أن يكتشفه بتلمسه طريقه الى الشئ . قد يجد نفسه فى هذه الظروف ليحتكم الى اللصوص ليتخلص من زميل مسجون سياسى من سريره لكى يفسح له مكانا . إنه بعد ذلك هل يوخزه ضميره الذى يحذره من

مدى مافقده لأجل راحة بسيطة مؤقته . ويجب الاستمرار بالضبط فى الإحاطة بالشئ ثانية وثانية لنصبح بشر . نعم ، بشر » يتم بهذه الطريقة تمحيص الأفكار واختبارها بالحياة حتى تأتى واحدة الى حقائق إنسان يمكن أن يعيش بها . هناك ثبات جديد وقوة لإحداها يعرفها المرء بيقين غير مهتز عما يكون أكثر قيمة من الحياة ذاتها . هذا هو السبب فى أن الاقتراح ليس ببعيد المنال حيث أنه فى مجموعة المسجونين الذين تجمعوا فى سفينة فى «الدائرة الأولى» ، وجد سولجنتسين « أن تلك الجنة (ذلك النعيم) الذى حاول فلاسفة العهد القديم هباء تحديدها وتعليم الآخرين» .

هذا لايتم أخذه كتلميح أن كل الفلاسفة بعيدى النظر ينبغى حبسهم فى سجن استبدادى. إن هذا فقط يؤكد أن مثل تلك التجربة لاتقدم عقبة كبيرة ، وأنها ربما تكون ذات نفع ايجابى . إن الاستعادة التجريبية للحقيقة ليست مقصورة على أية مجموعة من الظروف والأحوال ، مثلما يبرهن الإحياء التنفيس الإعلائى للفلسفة والمسيحية فى تنوع كبير من المواقف . إن ماهو عالمى هو البحث المضنى عن الحقيقة .، إن الأمر لايزال ممكنا بالنسبة لرجل أوامرأة تحمل لهيب الأزمة العدمية المعاصرة ، دون سجنهما جسديا . إنه بفضل نفس الانفتاح الشجاع الذى غواهم فى أول الأمر لقبول التحدى فإنه من الممكن لهم اتباع الحركة التجريبية تجاه الواقع الأبدى النهائى الذى يعينهم على العيش فيما وراء الفراغ . إن عدم تماسك كل الدعامات الأيديولوجية والتصميم على العيش دون اللجوء الى الأوهام يؤدى نفس العمل التطهرى مثل الحرمان المادى والسيكولوجى لشخصيات زك ZEKS فى الأرخبيل . يمكن لهذه التجربة أن تؤدى بالشخص القادر على تحملها تجاه نفس الصعود التأملى . إنه من بين الأفراد الذى يمكن تحديدهم كأمثلة لهذه العملية هو ربما الكاتب الفرنسى الجزائرى ألبرت كاموس .

**كاموس** : Camus

أن مايميز كاموس هو الأسلوب الواعى المتأنى لبحثه التجريبى عن الحقيقة . شكل

التزامه المستمر الذى سعى إليه لينتهجه فى مسار حياته برمتها .لم يكن هناك شئ تصادفى أو عرضى فى المراحل التى مَرَبها ، لأنها كانت علامات فى تحقيق كشف عن أصوله حيال الهدف الذى تحتويه ضمنا ، فهم كاموس حياته بهذه الطريقة كمشروع معزز لتوضيح طريقه من ظلام العدمية الأوروبية نحو ضوء نظام حضارى جديد . شعر نفسه يدعو الى العيش خلال مأساة العالم الحديث دون استسلام « لوسائل الفرار » للماركسية أو المسيحية . إن البلوغ إلى الحقيقة الوجودية قد أصبح فى رأيه ضرورة أخلاقية وسياسية ليومنا . أعلن كاموس فى روايته المعركة المكتوبة فى سبتمبر ١٩٥٦ : « نحن نعتقد أن حقيقة هذا القرن لايمكن بلوغها سوى عن طريق الذهاب الى استنتاج مأساتها . إذا كانت الحقبة قد عانت من العدمية ، فليس يتجاهل العدمية سوف نصل الى الفضيلة التى نحتاجها . إنه بالذهاب الى القاع يتم الحصول عليها فقط. كما ذكرها مرارا . كانت المهمة التى أتت لتحديد هيكل حياته .

إن المذكرات التى تم نشرها بعد موته كشفت عن مثابرته فى هذه المهمة . لاحظ ان هناك كتاب يجب اتخاذ إعمالهم ككل إذا ما تم فهمهم بصورة صحيحة . وقصد بوضوح أن يضمن نفسه فى هذه الفئة . قام بمحاولات متكررة خلال المذكرات ليلخص مسار عمله ويميزه بمثابة تتابع لمراحل التأمل . «الغريب» أول رواياته ، هى نقطة الصفر ، والكارثه هى التقدم، والمرحلة النهائية غير المكتملة كانت ظهور القديس . حدد مؤخرا خمس مراحل مختلفة متحركة من السخف الى التمرد ، المحاكمة ، الحسرة ، الى الابتكار الصحيح . وصل أخيرا إلى التفاهم الأعمق لوحدة أعمالة بربطهم من خلال تعاقب الأساطير :

I أسطورة سيسيفوس Sisyphus (السخف)

II أسطورة بروميثيوس PromethEus (التمرد)

III أسطورة نيميسيس Nemesis (المذكرة الثانية)

إنه فى كل مرحلة كتب رواية . مقال فلسفى ، ومسرحية : خلال المرحلة (١) كان هناك الغريب واسطورة سيسفيوس وكاليجولا؛ وأثناء المرحلة (٢) الكارثة ، والثورة ، وسوء الفهم ، والمرحلة الأخيرة ظلت غير مكتملة لكنها تضمنت المنفى والمملكة حيث كان السقوط جزءا أساسيا ، وأيضا الرواية السيرية غير المنتهية الرجل الأول . إن كتاباته يتم رؤيتها كانعكاس مستمر على الحقيقة التى هى مقياس الفوضى العصرية .

لكنها ليست انعكاسات مراقب للعقبة . كان كاموس مشاركا دخل تماما فى أحداث التاريخ كظروف سامحة . لأنه نشأ فى حى الطبقة العاملة الفقيرة فى الجزائر انجذب حتما تجاه الاشتراكية والحزب الشيوعى. كانت هذه المنظمه (الهيئة) تبدو أنها تمسك بزمام أكبر جور اجتماعى رآه حوله .انضم كاموس فى أول الأمر بالهيئة الطليعية ثم بالحزب الشيوعى فى ١٩٣٥ إلاّ أن بسبب رفضه بقبول ارتدادهم عن مساندة قومية المسلمين تم طرده من الحزب بعد عامين . إن موقفه السياسى حتى اندلاع الحرب يمكن وصفه بالفوضوية اللاعنفية . تطوع فى الخدمة بعد الهجوم النازى رغم أنه تم طرده (رفضه) بسبب مرضه بالسل.

تم منعه من الذهاب (العودة) الى الجزائر فى الجزء الآخير من الحرب وانضم الى المقاومة السرية وأصدر أولى أعداد المعركة . واصبحت هذه « المعركة» بعد التحرير الجريدة الأساسية فى تحديد شكل الفضيلة الشعبية الأساسية للنظام السياسى الجديد . كان محررو كاموس شعبيين جدا ومؤثرين فى نفس الوقت رغم أن آماله بتغيير سياسى مستمر وأكثر عمقا مخيبة .

إن الاهتمامات السياسية والاجتماعية فى فرنسا عادت فأكدت تفوقها العرفى . أصبح كاموس أقل تفائل حيال التغيير السياسى الثورى كما فهم بوضوح أكثر الصلة بين الاستبدادية وكل النظم الايديولوجية وهى صلة حميمه . إن نشاطاته السياسية اتخذت شكلا وهى محاولات الإقناع العام المتوازى مع المبادرات الخاصة من جانب أفراد معين .

حتى أن آخر معاناة كبيرة فى حياته ، النزاع فى الجزائر، صب فيها طاقاته لأجل حل معقول ومعنوى . إن عمل كاموس العام فى السنوات الأخيرة فى الحقيقة قد يعتبر نموذج لنوع من التوازن المطلوب إذا ما طبقنا المبادئ الأخلاقية على السياسات دون النظر الى التطرفات المدمرة لإضفاء الصفة الأخلاقية .

إن ماجعل هذا التوازن المؤثر ممكنا كان التنفس الإعلائى الروحى العميق الذى عاشه عبر حياته. إنه بداية من موقف لايختلف كثيرا جدا عن ذلك الموقف لميرسولت Meursault فى (الغريب) ، وهو موقف التعاطف مع الحقيقة حيثما تؤدى حتى ولو إلى النقطة التى تستهدف إدانه المجتمع ، وجد طريقه للعودة إلى تأكيد الحقيقة السامية للفضيلة وحرفيه قوة الحب الشافية فى حالة الانسان . إنه بالدخول الكامل الى التفكك لكل القيم والأفكار واجه كاموس المعنى الذى تقدمه الحياه ذاتها فيما بعد كل التفسيرات والهياكل .

قاده هذا الى العمق الأكبر فى مصادر الأزمة . استكشف كاموس انهيار المبادئ التقليدية والثورة التجريدية التى تصمم وتؤكد الاستعادة غير السهلة للنظام الكلاسيكى والمسيحى أمراًممكنا . إن «الثائر» هى رحلته فى أعصف المياه للاضطراب الحديث . يمعن النظر فى روح نيتشه وكل الثوار العظماء الأخرين فى عهدنا لأجل كشف بصدق أكبر المنطق التجريبى لتأكيداتهم . وصل هناك الى نقطة التحول التى ذات الأهميةالبالغة لعصرنا . يكتشف كاموس أن مبدأ ثورتهم لاتؤدى الى الفنتازيات المسيحية والطقوس العربيدية للدمار العدمى الذى نألفه . يمكن للتمرد أن يولد باستمرار تواضع سياسى عميق، يوطوبيا نسببه» ، احترام الحدود يمكن داخلها تحقيق العدالة . يجد القوة التى يمكنها انقاذ الإنسانية من الاندفاع الى الهاوية . إن «العدمية فى وصولها الى حدها تستهلك نفسها داخل تناقضاتها .نتمسك بهذه النقطة التى سيكون ورائها إما الموت أو البعث . » إن موت كاموس فى غير أوانه قطع تطور هذه التجربة لكن حركته تجاه البعث لم يترك شكك حيال الاتجاه الذى ستسلكه .

إنه الى العامة من الضائعين والأفراد الضالين حيث إيمانهم الميت فى كل الآلهة قديمها وحديثها اوضح كاموس الطريق الى استعادة الحقيقة الروحية السامية فى حياة الانسان . إنه فى استكشافه التنفسى الإعلائى إقتسم بالكامل مصير معاصريه . كنتيجة لذلك . فإن النتائج التى توصل إليها يمكن ان توضح (تعلن عن) سلطة الإخلاص لمطنق تجربتهم المشتركة الواضحة . إن ضرورة استعادة أساس النظام أصبحت ضرورة ملحه واضحة اليوم وربما تعتبر مشهد موحد وأنه معيار الصلة لكثير من الجهاد فى القرن العشرين .

فاق كاموس الآخرين بالقياس لهذا المطلب فى عمق رؤيته الوجودية و فى قوة ترابطه بانتظام .

إنه ربما يكون متوازيا فقط مع عمل سيمون ويل Simone Weil إنتهجت طريقا متكافئا بوضوح فى رفضها كل الورطات المذهبية والكنسية خشية أنهم يحجبون طلبها لحقيقة التجربة . تقدم سيمون ويل المثال غير العادى للصوفى الذى حتى لايصلى خشية أن قوة الإقتراح تلقى بوهم بين روحها وبين الله . هناك تقريبا هوية للنداء الداخلى مع كاموس فى قرارها « لأن تظل بجانب كل تلك الأشياء التى لايمكنها أن تدخل الكنيسة » ، لتشهد على حب المسيح الواضح فى كل الأشخاص . كان فهم المسيحية تلك العقبة بالنسبة لها لأن تفضل البقاء خارجها ضارية مثل قريب جدا من نموذج كاموس وهو أن يصبح « قديسا بدون الله » إن الطبيعة الصوفية لمذهبها قصد تحويلها من عالم التجربة المشتركة وأن موتها المبكر منع صياغة تقرير هائل عن استنارتها .

**ڤوجلين** voegelin

كان هناك استجابة أكثر واقعية من عالم الثقافة إلاّ أنها كانت أقل حسم وذلك عند الطرف الآخر للطيف. عمل جيل مميز من الدارسين لإزاله الظلام الأيديولوجى الذى يمنع دراسة حياة الإنسان .إنهم من خلال تكبيرهم لأفق البحث التجريبى ظهر العمق الساحق

للتجربة مرة ثانية بمثابة مصدر النظام ومصدر كل تصورات النظام . ألمحنا بالفعل الى إحياء الاهتمام بالفلسفة السياسية الكلاسيكية كحادث ذات أهمية كبيرة . يجب علينا الآن أن نشير أيضا إلى التطورات الهامة المساوية فى تاريخ الدين ، ودراسة الثقافات البدائية أو الكنسية . والبحث فى الحضارات العالية غير الأوروبية . والاعتراف المتزايد بالمصادر الروحية بالرمزية الغربية للنظام . إنها معالم جديرة بالملاحظة فى افتتاح تلك الأفق كانت مظهر «متنوعات التجربة الدينية» لوليام چيمس (١٩٠٢) ، فكرة القدس : رودولف أوتو Otto (١٩١٧) ، كذلك «مصدرا الفضيلة والدين» لهنرى بيرجسون (١٩٣٢) . قدم الثلاثة دليل تجريبى على مركزية تجارب الكينونة السامية بمثابة تأسيسى لجوهر الدين وأساسى للنظام الأخلاقى والسياسى. إن عمل ميرسيا الياد Mircea Eliade فى الدين المقارن ، منذ ذلك الحين ، هانز أور ڤون بالتزار فى الدين ، مارى كونيج KONIG فى الرمزية الأفلاطونية، دى . تى . سوزوكى فى البوذية ، وغيرهم قد أسس الأصل التجريبى لكل جهود الإنسان فى توضيح نظام الوجود عبر التاريخ . إن القليل داخل هذه المجموعة الدارسة إرتبطت أعمالهم بوضوح بالتجارب بالأساسية للحقيقة مع استعادة تنفيسية إعلائية للنظام القائم الذى ظهر ردا على التدمير الاستبدادى للحقيقة . إن إريك ڤوجلين الفيلسوف السياسى هو الاستثناء الظاهر والوحيد .

فرغ ڤوجلين نفسه من محنه الخطر الإستبدادى عندما أدار إنتباهه الى المعاناة السياسية.

الوشيكه وذلك عندما كان فى الثلاثينات كعالم سياسى شاب فى جامعة ڤيينا . حرر دراستين هامتين بفكرة مميزة تخلل بدقة شديدة شوائبها وقد أصدر نقدا مدمرا للحركات الجماهيرية الأيديولوجية كأديان سياسية مشوهة عندما حدث الإعصار النازى . هرب هو وروجته الى سويسرا بدلا من قبول القاء القبض عليه الوشيك ، ومن هناك الى أمريكا . إن المواجهة مع الإستبدادية بالنسبة لڤوجلين أيضا تبت أنه حادث حاسم . إنطلقت به للبحث

عن جذور الفوضى ومبادئ النظام الصحيح للتغلب عليها داخل تاريخ الأفكار من أصول يونانية ويهودية حتى اليوم .كان يعمل داخل إطار نظرية سياسية تقليدية ـ عند هذا الحد . بدأ تاريخ الأفكار السياسية على امتداد خطوط معيارية لسابين Sabine ونصوص أخرى مع أن قراء المخطوط الحريصين يمكنهم بالفعل ان يدركوا ظهور ذلك الافق الرحب للمشاعر والدوافع التى سرعان ماشغلته . وتذكر فوجلين أن الراحة جاءت بعد العمل عبر المفكرين الثوريين الكبار فى القرن التاسع عشر . « إتضح لى أن الادراك لتاريخ الأفكار كان تشويه أيديولوجى للواقع . لم تكن هناك أفكار ما لم يكن هناك (أولا) رموز التجارب الفورية. إنه منذ كتابة التاريخ التقليدى للفكر السياسى الذى كان آنذاك كاملا فعليا . انتقل إلى دراسة التجارب الأساسية للواقع وللصيغ الرمزية ذات العلاقة المترابطة . أصبح هذا موضوع عمله الهام « النظام والتاريخ » .

إن عمل ڤوجلين يوحد عالم الدراسة الهادئة والمنحة الدراسية مع البحث عن النظام الأخلاقى والسياسى . هم فى الميزان تماما لأنه وصل الى ذلك الفهم العميق لعلاقتهم المتداخلة قد فهم أنه لايوجد نظريات أخلاقية وسياسية أو تجريدية مطروحه فى مملكة ثقافية عامة . هناك أفكار فقط لأفراد معينين طوروها فى مواقف ثابته من حياتهم ، ويجب علينا العودة دائما إليهم اذا رغبنا فى فهم معناهم كما نشأت أو تحديدها . إنه عند نقطة الأصل نكتشف ان نظريات ورموز النظام لاتظهر فى صيغة (شكل) تأمل منفصلة : إنها فهم ذاتى للنظام حيث يعيش فيه البشر . « لم يكن المجتمع الإنسانى مجرد حقيقة أو حدث ، فى العالم الخارجى يدرسه مراقب مثل ظاهرة طبيعية » . لذلك لها مظهر خارجى كأحد مكوناتها الهامة ، وهى على وجه العموم عالم صغير ، مضاء بمعنى من الداخل بالبشر الذين يبتكرون باستمرار ويتحملونه كنموذج وحالة من تحقيق الذات . « النظرية هى ذاتها حادث فقط فى الرمزيات الظاهرة بثبات للنظام . وبينهما هى ذات أهمية بعيدة المنال ، لاتمد

صلاحية الأشكال الأخرى . هذا هو السبب أن ڤوجلين يعتبر دراسته طوال حياته للبحث عن نظام فى التاريخ ليست بمثابة « حب استطلاع عقيم وواهن » ، لكن بمثابة إنجاز لالتزامه الانسانى بفهم جذور الفوضى الجارية ومصدر النظام العلاجى الذى يحتاجه « عهدنا بصوره قوية » النظام والتاريخ لابد من قراءته ، ليس كمحاولة لاكتشاف أشياء غريبة من الماضى البعيد ، وإنما كبحث فى هيكل النظام الذى نعيش فيه الآن .

إنه خلال فهمه لطبيعة كل رمزيات النظام ، تتبع ڤوجلين نفس الحل التنفسى الإعلائى للأزمة أمثال كاموس وسولجنتسين ودوستويفسكى . أقر بأن الهياكل الأيديولوجية ليست ببساطة نتيجة جدل منطقى وتجريبى ويأتون بجاذبيتهم من الإحساس بالمشاركة فى واقع سامى يتم الحصول عليه عن طريق المتمسكين به . لم يكن لهذا السبب بالامكان تعديلهاأو رفضها بالانتقاد وحده . إنه من الضرورى الغوص تحت السطح الثقافى للقواعد التجريبية لقوتهم لمعرفة ما يجذب فيهم ، والسعى إلى تفتيت مكون الاقتراب والتمرد الذى هو مصدر تعصبهم الغامض . فهم ڤوجلين أن الرغبة فى القوة لابد من كسرها لاقامة نظام الحقيقة السامية من جديد يعيش فيه كل الرجال والنساء . يمكن إتمام ذلك فقط إذا كانت روح الأيديولوجيات وأرواحنا كلنا ، التى هى بطريق أو بآخر نتاج تأثيرها ، يمكن أن تمسها الحقيقة المنبعثة من جديد للتجارب الأصلية للنظام . رأى ڤوجلين هذا بمثابة مهمته الضرورية .

وإن العودة من الرموز التى فقدت معناها إلى التجارب التى تشكل معنى هى ممكن التعرف عليها عموما بمثابة مشكلة الحاضر حيث أن المراجع المحددة غير ضرورية . إن العقبة الكبرى أما م هذه العودة هى السد الكثيف أما الرموز المتجمعة الذى يحجب حقيقة وجود الإنسان فى الوسط . لاثارة هذه العقبة فى الضمير . وبإزالة مساعدتها فى العودة الى صدق الحقيقة كما أنها تكشف نفسها فى التاريخ، صار ذلك هو غرض «النظام والتاريخ» .

إن تجربة التنفيس الإعلائى لاغنى عنها لهذا الاسترداد لأن أولئك الذين فقط تأملوا

الهاوية المطلقة للفوضى التى لها انفتاح لفهم الحقيقة الوجودية . طالما أن المرء مقتنع من أن لديه الإجابة حينئذ انفتاح الروح على الكينونة السامية لايمكن أن يحدث . هذا الشرط ضرورى (آساسى) جدا حيث أن ڤوجلين حدد المسألة كواحدة دائمة داخل التنوع الكبير لتجارب النظام . « السؤال والاجابة هما معا ومتصلان ببعضهما البعض عن طريق نتيجة البحث .. لن تساعد الإجابة الرجل الذى فقد السؤال ، ومأزق العصر الحالى تميزه افتقاد السؤال أكثر من افتقاد الإجابة » عندما يتم تتبع المشاكل الى هذا المستوى يصبح واضحا وبسرعة سبب أن المناقشات العقائدية ستبقى غير حاسمه بصورة أساسية ( بالرغم من أن لها فائدة فيما يختص بها ) ، وسبب توجيه المصدر أن الحقيقة الحية للتجربة . ولأنه مثلما يفسر ڤوجلين » لاتوجد إجابة للسؤال سوى الغموض الذى يصبح واضحا فى صور التساؤل.

كان أمامه وقت قليل للاستجابات للأزمة التى لم تصل الى الجذور . إن تلك المساهمات حسنة النيه كالليبرالية والتحفظية ، والتقليدية والانسانية ، والديمقراطية المسيحية والديمقراطية التعددية وهياكل القانون الطبيعى كلها تم رفضها بشدة » كأيديولوجيات ثانوية.» تحدد نفسها فى علاقة تم معارضتها ، ولاتندمج كثيرا فى النظرة العالمية للأيديولوجيات التى يسعون الى رفضها . فهم ڤوجلين صعوبة تحرير الواحد لنفسه من المناخ الأيديولوجى للرأى . كان عليه أن يكافح باستمرار تجاه انفتاح استفساره عبر السنين. إن هذا مع ذلك هو فقط بمثابة نتيجةهذا الجهد الذى إكتسب استقلالية المعرفة التى تجذب المفكرين الذى يتعامل بشدة تماما . ڤوجلين يتهم ماركس على سبيل بأنه «خادع» ، لكنه فى نفس الوقت يعترف بأن «ماركس وضع إصبعه على الموضع الحساس فى المجتمع الصناعى الحديث .. أنه نمو المؤسسات الاقتصادية فى قوة مثل التأثير السائد على حياه كل رجل فى مواجهة قوه كل حديث عن أن حرية الإنسان تصبح لاجدوى منها »، إن التشخيص الماركسى هو «صحيح تماما» ، وڤوجلين يرغب فى دراسة ضرورة الثورة . يعرف أن التاريخ يحتوى على أمثلة عديدة فيها الاندلاع المدمر للشر يقدم القوة لتحطيم أى نظام غير عادل

ويستبد له بنظام للعدالة الفائقة . رغم أن ڤوجلين كان يتعاطف قليلا مع الماركسية .أظهر إنصافا فى التعامل معها والحركات السياسية الأخرى ولم يكن دائما سهلا للقراء ليستوعبوه . وصارت شهرته كمفكر صعب التصنيف .إنه لاأكثر من سولجنتسين ودوستويڤسكى وكاموس يمكن له تصنيفه بمثابة رجعى ثورى أو شئ وسط . لأنهم يمثلون تلك الأرواح الشجاعة التى فى كل أزمة كبيرة لم تبحث عن ملجأ فى المحاولة والحقيقة إلاّ أنها شرعت فى محيط الغموض لاكتشاف أرض صلبة من جديد . يمكن قول نفس الشئ بالطبع عن الكثير فى خط المفكرين العصريين من ديكارت وبعده . إن الثقة بالنفس والشجاعة لم تكن ناقصة بدرجة ملحوظة فيما بين كثير من كبار المفكرين الذين بدأوا أكتشاف الأسس لأجل نظام جديد للوجود . أن الفرق هو أن هذه المجموعة الخاصة توجد بين القليل جدا الذين أنجزوا رحلة العودة الى الإرض.

## السقوط إلى الهاوية

إن المشكلة الأساسية بالنسبة للفرد الذى يسعى الى معارضة تيار الحاضر هى الافتقار الى أساس منه يُصَّعِّد المقاومة . لم يعد المرء يمتلك استقلال وجهة النظر التى منها يطلق الإنتقاد لكونه جزء من مناخ الرأى لمدة طويلة قبل أن تظهر أولى لمحات الاعتراض ـ إن واقعنا (حقيقتنا) يكونها التفسيرات السائدة اجتماعيا حيث يتطلب الفرد قوة داخلية هائلة لتأكيد سلطتة أو سلطتها كحقيقة تفوق تلك التى للمجتمع . تتبع ڤوجلين ثانية وبعناية الخطوات التى بها ظهرت الفلسفة الكلاسيكية ضد تلك الغرائب فى الجو الفاسد فى دولة المدينة (الدولة المَدينَيّة ) يذكرنا بالطبيعة الدائمة للصعوبة . إن الريبة والشك المؤلمتين للأفراد ليس من السهل الكف عنهما .إننا مثل سقراط يجب أن نستعد تحمل «أطول طريق والأكثر صعوبة» الذى يبدأ من كهف الظلام والجهل الى نور الخير . لأنه عندما تنمو روح الفرد الى النقطة التى يعرف أو تعرف سمو الحقيقة داخليا لأن الهياكل الاجتماعية السائدة يمكن طردها كأشباح .

## ما وراء التخريف :

قبل أن يصل المرء الى هذه الطهارة لابد أن يحدث إقامة مؤقته فى البرية ، هناك من داهمه ارتباك وشعور زائد بالوحدة فى مواجهة القوى الاجتماعية والتاريخية ضده .كيف يمكن أن يكون العالم برمته مخطئ ماعداى (دوننى )؟ ربما لايوجد حقيقة نظام أخلاقى عالى يتسنى دعوة البشر اليه . ماذا لو كانت العدمية حقيقة ولاشئ آخر يوجد ؟ كيف لو أن « السماح لكل شئ » هو شعار يعمل به الواقع ؟ إنه بالنسبة للشخص الذى يشعر بالقوة الجاذبة لتلك الإقتراحات بينما فى نفس الوقت كل شئ داخله أو داخلها يصرخ داخلهما فإن النتيجة يمكن أن تكون اضطراب لانهاية له وألم نفس مبرح منها يبدو فى الحقيقة أنه «لاوجود » . هذا هو تجربة التخريف التى وثقها تماما الوجوديون . كلما ناضلنا مع المشكلة كلما يصير عدم حلها ظاهرا ، وكلما بدت كموقف سخيف كلما تؤدى بنا إلى حد الغثيان واليأس والموت . «هناك مشكلة فلسفية حقيقية» ، يبدأ كاموس تأمله ، « وذلك هو انتحار . إن تقدير ما إذا كانت الحياة جديره أو غير جديرة بأن يتم العيش فيها ـ يرقى الى إجابة السؤال الأساسى للفلسفة . إنها ليست مصادفة أن ظاهرة « الإنتحار المنطقى » كان أول وصف يقوم به دوستويفسكى . إن استشعاراته الروحية قد كشفتها كالنظير للظاهرة البازغة للعدمية .

عندما يصبح التخريف نقطة البداية لانعكاس فلسفى والسؤال لماذا الاستمرار فى الحياة؟ حينئذ تتطلب بؤرته إخلاصا شجاعا لانفتاح وليس لتقهقر الى صيغة أمل وهمية . كان كاموس ناقدا جدا للوجوديين فى هذا الشأن . رفض دائما اعتبار نفسه واحد منهم بسبب ميلهم المستمر إلى « الهرب» الى صيغ بديلة من التفوق ، تحل فقط هيكلا أعتباطيا محل الآخر . اعتبروا النظير للسخف بمثابة دليل على حدود العقل وبمثابة إشارة بالنسبة لقفزة الإيمان الذى حول السخف الى مطلق أو تسببت فى التأكيد من جديد على الإله التقليدى . فضل كاموس أن يبقى مع معارض « ميلى الفطرى للمطلق وللوحدة وعدم

إمكانية تقليل هذا العالم الى مبدأ منطقى ومعقول . إن ذلك التناقض هو التخريف . إنه بدلا من عمل «قفزة» سعى الى العيش دون الذهاب أبعد مما تم كشفه فى التجربة. طريقته كانت طريقة تجريبية أكثر صعوبة وهى طريقة العيش فقط مع الحقيقة ، لكى يكتشف لو أنه من الممكن العيش بدون فتنة ، تجسد هذا الموقف فى «الغريب» لميرصولت حيث عدم رغبته فى التظاهر لمشاعر لايمتلكها تأتى بإدانته لكن الذى يبقى غير مهزوز فى التزامه العميق بالحقيقة .

إن ما يحدث لأولئك الذين يقبلون العقل وحدوده ، الذين يقرون سخافة الحياه بدون معنى ويحترمونها كأول حقيقة للانعكاس ، هو أن استبصار هذه المعاصرة يصبح قيمتها السامية ، إنه فى تحديه لوجود السخف الذى لايسعون إلى الهرب منه يكتشفون عظمتهم السامية . إن تلك الثورة تعطى الحياة قيمتها ، قاموا بتجربة هذا الكشف بمثابة حدث تحريرى ليطلق سراحهم « من كل شئ خارج ذلك الانتباه العميق المتبلور فيهم . » إن التأمل الذى بدأ فى المشاعر المؤلمة للاختلال العقلى يتحرك خلال الثورة للتحرير ، ويصل الى التزام مرح بحياة مجهدة لعدم احتوائها على معنى محدد . ذلك الشخص وجد قيمة الحياة نفسها التى تكمن أعمق من كل «القيم» يمكنه حينئذ أن يقرر قبول مثل ذلك العالم ويستمد منه قوته ، رفضه للأمل، ودليل على حياه بدون سلوى» فى « المذكرات» لنفس الفترة يكتب كاموس عن الوصول الى نقطة تحول فى حياته حيث استطاع ان يقول نعم ولا فى حرية مطلقة . حيث أستعاد ذاته وراء نطاق السعادة وغير السعادة ، وحيث كان « على وعى الآن أين تكمن قوتى ، محتقراً لغرورى ، مليئ بتلك الحماسة الشديدة التى تشدنى الى الأمام نحو مصيرى . »

لأنه قد ظل مؤمنا بإلهامه الأصلى للمثابرة صراحة الى الحقيقة نمت روحه الى النقطة حيث تفوقه على السخف شكل مبرر وجوده . إن هذا النمو هو مايسبب « الرجل المخرف» ، الفرد الذى يعيش حياة كاملة فى وعى بهلاكها ومع ذلك لاتهزمه . حدد كاموس أنماطا

عديدة لوجودة مثل دون چوان الممثل ، والغازى ، الثلاثة يتقاسمون الرغبة لهدف معين ما ، لكن بلوغه سريع جدا حتى أن هلاك السعى ظل دائما ماثلا فى أذهانهم . إن أى دور نلعبه يمكن أن يحقق وظيفة الحياة بطهارة فى التخريف ـ « هذا يكفى لمعرفة شئ ولا إخفاء شئ ـ لكن المثل القريب هو عمل الإبتكارالمنجز ببراعة ، يشهد الفنان على « ثورة عنيدة » ضد حالة الإنسان ، عبر كفاحه أو كفاحها للفوز بمعنى من عالم يعرف أو تعرف فيه أن الجهد محكوم عليه بالإخفاق مقدما .

الرمز الشامل لكل نضال ، مستمر وغير منتهى ، للإنسانية هو أسطورة سيسيفوس . وإنه يتأمل مصير هذا « البطل المخرف » ، يركز كاموس انتباهه على ساعة العودة . سيسفيوس يهبط الجبل يدحرج الحجر لأعلى ويعى تماما أن الحجر سيتدحرج هابطا ثانية.

هذه ساعة الانعكاس (التفكير) عندما يُلقى بالحمل عليه بشدة بسبب فترة الراحة من الإجهاد العضلى .

إن الأستبحار الذى شكل عذابه توج فى نفس الوقت انتصاره . مامن مصير لايمكن تخطيه بالاحتقار .... تركت سيسفيوس عند سفح الجبل ! يجد المرء دائما حمله ثانية . لكن سيسيفوس يدرس الاخلاص الراقى الذى ينكر الآلهة ويرفع الصخور . ويستنتج أيضا أن كل شىء على ما يرام . إن هذا الكون دون سيد يبدو له غير عقيم ولا غير ذى جدوى . إن كل ذرة فى ذلك الحجر وكل رقاقة معدنية من ذلك الجبل فى حد ذاتها تكون العالم، إن الكفاح ذاته نحو المرتفعات كافى ليملأ قلب الإنسان. لابد أن يتخيل المرء أن سيسيفون سعيد.

إن أحد عناصر " الرجل الكبير " لنيتشة يوجد بوضوح فى الرؤية السيسيفونية لكاموس ، " بإرادتها المتحدية لتثبت تفوقها على المصير ، وتتشابة كثيرا فى ثقفتها فى الحياة نفسها بمثابة إرشاد كافى للوجود . لكن الفرق فى النغمية قابل للإدراك أيضا . حيث يؤكد نيتشة على الوهم كتأكيد نهائى على الكينونة نفس الإصرار الذى به يعترف بأنه

يخدع الإفتقار إلى السكون والمرح فى ترويضة للنفس . يظهر كاموس قريبا من النموذج اليونانى للثقة بالنظام الغامض الذى يبقى غير متسلل للإنسانية . إن ملاحظة الانفتاح على الحياة كمصدر الحقيقة أكثر من أنه قوة عدائية التى ضدها أن تسود إرادة الإنسان وتكشف نفسها لنا. سوف نفحص التعقيد "اليونانى" لتجربة كاموس بتطويل فى هذا الكتاب فيما بعد، إن كل ما هو ضرورى الآن هو ملاحظته لأجل فهم الفرق والتشابه مع نيتشه، إن نفس الشعور بالحياه كمصدر غامض للحقيقة يوجد فى معظم الأحيان وبوضوح فى الطبيعة الصوفية (الزاهدة) لدوستويڤسكى الذى كان كاموس متآلفاً معه .

"حب الحياه أكثر من معناهاً هى صرخة كل أبطال دوستويڤيسكى الذين أغرتهم عدمية السلطة ( القوة) ومع ذلك تم إنقاذها من الهوية، إن أولئك الذين لم يكونوا محظوظين جداً مثل ستافروچين ( الممسوس) وسيڤد ريجايلوف ( الجريمة والعقاب) هم الذين أغلقوا أنفسهم عن جاذبية الحياة، خلافاً لإيڤان كارامازوف إنهم غير قادرين على أن تحركهم " الأوراق الثابته فى الربيع". إن الانفتاح على الحياة وهو انفتاح راديكالى يمكن أن يجعل المرء قادراً على الوصول إلى أعلى رؤية كما شهد إلدر زوسيما. إنه خيط الحياه أخيراً يمسك بكل الذين ابتعدوا عن الأمل مثلما مر بدلك دوستويڤسكى نفسه، إن أول تفسير له عن امتياز الحياه موجود فى خطاب حرره إلى شقيقه بعد ساعات من إعفائه من اعدامه الساخر اخر، لم أفقد الشجاعة ولا أشعر بالإحباط. الحياه هى الحياه حيثما تكون، الحياه فى أنفسنا وليست فى المظاهر الخارجية، سيكون هناك أناس حولى، وأكون رجلا بين الرجال، لأبقى هكذا إلى الأبد وغير فاقد للأمل ولا أستسلم ربما تكون الأشياء قاسية هكذا تكون الحياه، وذلك هو الغرض منها .. الحياه هدية، الحياه سعادة، كل دقيقة قد تكون أبدية النعيم.

إن الأعتراف بأن الحياه أكثر أهمية من المعنى الذى أفرد إليها هو الخطوة الأولى فى إدراك الحقيقة فيما وراء نطاق الأيديولوچية .

لكنه مـا من شىء أكـثـر مـن ذلك. يروى سـولجنتسـين أن آحـد " الصـفـات الوطنيـة " الرئيسـيـة لـ .. زِك هى "الدافع الحيوى" المتعطش للحياه الذى شحذ مهارتهم للبقاء لدرجة عـاليـة. هذا هو جـوهر النصيحة التى أعطاها له المعسكر السياسى "القاسى والمرعب" لدى وصوله . "نفس الشىء هو: " تجنب العمل المحدد رفيع المنزلة " . أصبح واضحاً سريعاً لدى سولجنتسين أن حب الحياة قد لا يكون الكلمة الآخيرة . رغم النصيحة قد تلقى عملا رفيع المنزله لا يمكن تجنبه «بأى ثمن ". عندما تكون حتمية البقاء إلى يوم إطلاق السراح مكشوفة تماماً أمامنا فإن نقطة التحول يتم التوصل إليها ، إنها "فرع كبير من معسكر الحياه . ومن هذه النقطة تذهب الطرق يميناً ويساراً، أحدهما يظهر والآخر يختفى أحدهما يرتفع والآخر ينخفض ) . إذا ذهبت إلى اليمين ـ تفقد حياتك، وإذا ذهبت إلى اليسار ـ تفقد ضميرك . لكنه ماذا يمكن أن يغوى الأنسان لأن يفقد حياته لأجل إنقاذ ضميره؟إن الكلمات حلقة مألوفه غريبة لهم، رغم أنها جوفاء بدون الحقيقة الواضحة للسلطة التى هى أقوى من الحياه ذاتها. أين الشخص الذى حرر نفسه أو نفسها فقط من زيف الأيديولوجية ليكتشف تلك القوة

**الثورة ضد الشر :**

تكمن الأجابة بالطبع فى استمرار نفس جهد المقاومة لكل هياكل الحياه المدمرة . إنه باختيار الحياة دون تفسيراتها إننا لا نختار لأنفسا وإنما كقيمة عالمية آيضا ." إنه من اللحظة التى يتم الاعتراف بالحياه كخير تصبح خيراً لكل الرجال، لا يمكن جعل الجريمة ( القتل) قتل منطقياً عندما يكون الانتحار غير منطقى " . هذه هى المرحلة الثانية من تأمل كاموس الذى نشأة من عدم انفتاح نيتشه تجاه الخير الذى كشفت عنه الحياه بنفسها. إنه بتآكيد أن الحياة جديرة بأن نعيشها يؤكد المرء على أن كل حياه إنسان كقيمة تفوق أى مقياس لمعناها أو لخلوها من المغزى،. الثورة ضد التخريف إتسع ليشمل التحول عن كل المشروعات الاجتماعية والسياسية السارية من تقدير عدمى للوجود .

كـانت النازية أيديولوجيـة التى أول مـا بدأ كـامـوس الكفاح ضـدها بحـمـاس . إنه فى "خطاباته إلى صديق ألمانى" نستطيع أن نرى بدايات الموقف الذى تبناه فـى "الثـائر". تعرف على اللب العدمى للاشتراكيـة الوطنيـة التى وضعت حب الوطن فـوق حب العـدل، لكنه مع ذلك لم يكن لديه سبل المناقشة ضدها ما عدا الإحسـاس العـاجز بخطئهـا كتب يخـاطـب العـدو النازى :

إنكم لم تعتقـدوا أبداً فى مـعنى هذا العـالم، ولذا أستنتجتم الفكرة التى تسـاوى كل شىء وأن الخير والشر لا يتسنى تحديده طبقاً لرغبات المرء .. ولأقول الحقيقة أنا، صدقونى أننى فكرت مثلما فكرتم، لم أرى مناقشة صالحة لأجيبكم سوى الحب العنيف للعدالة الذى بدأ لى رغم كل شىء غير معقول مثل عاطفة فجائية للغاية . أين يكمن الفرق؟ ببساطة أنكم قَبِلْتم عن طيب خاطر اليأس ولم أستسلم له أبداً .

كتب بمرور الوقت "الثائر "حيث بسط كاموس تأمله مليا فى المناقشات التى بها عارض الأيديولوچيات القاتلة. إن مقاومته المتعددة قد بلورت مثل الثورة، محددة نفسها ليس فيما يتصل بمعارض فقط وإنما فيما يتعلق بالمستوى الذى يتم الحكم. الثائر هو الذى يقول لا ونعم أيضاً. فهو أو هى يؤكد على أن "هناك حد بعده لا يتسنى الذهاب" . وأن دفاعه يشكل الخير السامى، يفوق حتى خير الحياة ذاتها. يعرف الثائر أن جزءاً من قيمة النفس المحتفظ بها ومنه يقفز الثائر هو ذلك الجزء الذى بدونه ستكون الحياه غير جديرة بالعيش فيها، أكتشف الثائر رغم هذا نظاماً للصواب والخطأ الموجود فى طبيعة الأشياء بعد نطاق رغبة ( إرادة ) الإنسان . "تحليل الثورة يؤدى على الأقل إلى التشكك فى أن طبيعة الإنسان غير قائمة مثلما اعتقد اليونانيون، ذلك بالتناقص مع مُسلّمات الفكر المعاصر. إن لم يوجد شىء دائم فى نفس المرء يستحق المثابرة فلماذا التمرد ؟ إن التمرد يوضح ما هو مشترك بين كل الناس ويشكل أساساً للمجموعة . إن الدفاع عن أحد يشير بالضرورة إلى ما يستحق الدفاع عنه فى كل الآخرين ." إن الفرد هو الذى يعانى فى التجربة التخريفية ". لكنه منذ اللحظة الأولى لبداية حركة الثورة تتم رؤية المعاناة بمثابة تجربة جماعية .

إن السؤال الوحيد هو، ماذا يجعل هذا الإعلان عن حر يفوق أى شىء أكثر من تأكيد ذاتى؟ إن رد كاموس هو أنه غير متبنى لوجهة نظر شخصية استبدادية ولا يحاول فرض مذهب خارجى آخر إنه بالأحرى يبدأ من الإحساس بالسخافة والتمرد وهو المصدر ذاته للأوهام الأيديولوجية القاتلة. إنه لا يُدخِل ثانية "قيما" من الخارج . إنه ببساطة يفكر مليا فى المسألة وهى أن عصرنا يطرح لنا كلنا الذين يجب أن نسأل"ما إذا إنه يتوجب على كل ثورة أن تنتهى فى تبرير القتل العالمى" أو ما إذا أنه من الممكن اكتشاف "مبدأ الملومية المعقوله". إنه باكتشاف هذا الموضوع ما من مرشد لدينا سوى شعور الثورة ضد الشر الذى هو مصدر السؤال ذاته، أى مبدأ للتحديد لا ينشأ من هذه التجربة المشتركة يفقد الوضع الجازم. "لذلك إنها ضرورة مطلقة " ، يستنتج كاموس، أن تجد الثورة سببها داخل ذاتها حيث أنها لا تستطيع أن تجدهم فى أى مكان آخر " .

إنه فى الكفاح ضد تجاوزاتها يتضح شعور التمرد إلى النقطة حيث يكون مبدأ تحديد الذات وصحته قادرين على تنظيم وجود الإنسان . يرجع إكتشاف كاموس إلى بداية الوجه المعاصر للحركة الثورية الحديثة، فى الثورة الفرنسية فى ١٧٩٨ . تنازل الملك والإله ليفسحاً الطريق ليحكم العقل الذاتى، عندما تم السماح للبشر أن يهديهم قانون الطبيعة حينئذ يكون مكتوياً فى قلوبهم وذهبت النظرية الى أن الرغبة العامة سوف تعكس فضيلتهم الداخلية الحقيقية. إن حكم الرعب الذى تم اتباعة لم يكن حادثه فى رأى كاموس إلاّ أن النتيجة المنطقية لهذا المذهب وهو مذهب الطيبة الطبيعية ذا الإكتفاء الذاتى للإنسانية. أدى إلى استنتاج أن الرذيلة لم تكن نتيجة الفشل الأخلاقى حيث كان الرجال والنساء مسئولين عنه، لكنه نشأ عن الضعف الطبيعى الذى يمكن علاجة من خلال النظام، لم ترتكب الثورات الأخيرة هذا الخطأ وهو خطأ الآمال النموذجية، وبدأوا أعمال إخضاع العالم قبل أى أعتماد على اكتمال طبيعة الإنسان .

جزئياً كان هذا تأثير هيجل والتقليد الفلسفى الألمانى . أحلّوا الفضيلة داخل العملية

التاريخية وتطلعوا نحو تحقيقها النهائى فى إستكمال التاريخ داخل الزمن. اتخذت الحركات الثورية أشكالاً متنوعة كلها مشتقة من هذا الهيكل التاريخى الألرديكالى للنظام. تتضمن الثورات مخططات الدمار العالمى الفوضوى، محاولة تأليه الدولة، الاستبدادية المستمرة للأمر، وشده الرعب كسلاح بارز " . ظهر كلهم من مفهوم غير قاطع لعالم عهد للتاريخ مهمة إنتاج قيم وحقيقة ". إن مفكرين عصريين مثل هيجيل ونيتشه أطلقوا مثل تلك الأفكار على العالم، كما جاء فى تقييم كاموس ( من دائرة چان بول ساتر)، شريطة تبرئة ساده داشو وكاراجاندا " . وبينما هذا ليس بالضرورة أن يؤدى إلى إدانة فكرهم الفلسفى برمته، فهو يؤدى إلى الشك الذى أحد وجوهة هو فكرهم ، أو منطقهم يمكن أن يؤدى إلى تلك الاستنتاجات " .

إن إعمق بديهة لكاموس هى أن « الفكر الأوروبى » خان «تراثه وموهبته» . وصلنا الى «عقدة التاريخ» الذى لانستطيع الإفلات منه مع اشتراكنا فى الجريمة سوى عن طريق النضال «لأجل تقليل العمل الشرير السيئ للبشرية من الآن فصاعدا» ، هذا يتضمن إصدار الأحكام القاسية ضد التقليد الثورى الذى ينتهى فى معسكرات الاعتقال . بدأ التقليد أن يقوض مبدأه عندما كانت لحظة العنف التى أقرها الهدف التاريخى . لم يكن فى الإمكان تقدير الإنجازات المستقبليه ، فى رأى كاموس ، والظلم المرتكب فى الحاضر ، ولا العدل كصيغة هامة من منظوره هو نظام مؤسس على الظلم (القهر) ليتكشف فى عدل ما . الفراغ العدمى للإرهابيين ، والتعبير الساخر غير المنتهى للدكتاتورية البروليتارية لماركس، مثل القسوة الصارمة للفاشية كلها طرق تؤدى نحو نفس النهاية البائسة . إن تلك الحركات لايمكن ان تحتفظ بسهولة بنظام لم تعد تمتلكه ، وذلك بالخروج من حدود إنسانية مشتركة . إن المفتاح بالنسبة لكاموس هو عدم فقد الاتصال مع الإحساس الأصلى بالعدل الذى منه تقفز الثورة . إنه بمواجهة الحد الكامل لنتائج ذلك التمزيق وصل الى نقطة حيث يستطيع التأكيد على أنه مامن شيئ خير آخر ، مهما كان جاذبا ، يمكن أن يبرر القهر

للإحساس الأساسى بالصواب الذى هو مصدر كل الأخيار التاليين . قررت روحه القيام بكل ما هو ممكن لمعارضة الظلم ويعوزه ارتكاب الظلم فى العملية .

التفسير الكبير لهذه النظرة الداخلية بالنسبة لكاموس ولكل أولئك الذين يسعون الى تحرير أنفسهم من هول العالم الحديث ، هو فى الحقيقة دوستويفسكى . ليس من المفاجأة أن كاموس يوضح اشتراكا مستمرا عبر مهنته مع عمل الروائى الروسى ، وتلك التحليلات «للمعتوه» « والإخوه كارامازوف تتضح جدا فى مقالاته الفلسفية . إن تحليلات دوستويفسكى كانتقادات قوية متخللة الأيديولوجيات الثورية يستطيع بها التفوق . وسرها أنها نشأت من داخل قلب الحركة الثورية ذاتها مطبقة مبادئها للعدل والحرية لذاتها وتعطى مولد معظم الكشف الرهيب لظلامها . إن الانتقاد مخلص للإلهام الثورى الذى يخاطر به دوستويفسكى مثلما يقر بترك قراءه فى شك حيال وجود مكانه . هل هو يبقى مساندا قويا أو أصبح مثاليا محررا من الوهم ؟ إن ماهو واضح هو أن الحركة الثورية الحديثة تظهر عارية من الأساس المنطقى الأيديولوجى الضرورى . لا إلتجاء الى هدف تاريخى أكبر يتم السماح به لتخفيف الحقيقة القاسية للشر الذى تم تبنيه كوسيلة لبلوغه . إن الخير المتبع يصبح المعيار الذى به يتم فعل كل ذلك باسمه ويتم قياسه . دوستويفسكى أكثر من نيتشه يصر على الأخذ بالايديولوجيين الى نور مبادئهم هم .

إن تجربته الخاصة علمته ضرورة مواجهة هذا التناقض . وأثناء سنواته فى مستعمرة العقوبه فى أومسك أول ما واجهه عن قرب هو الشعب الروسى الذى كل أعماله قصدت صالحه . كانت النتيجة إنهيار شديد للنظرة العالمية الاشتراكية لدوستويفسكى برمتها . ربما وقف بصلابة أمام فرقه الإعدام لكنه لم يتسطع تحمل إدراك أن النبض الإنسانى الكبير له كان قد تأسس على الزيف .

رغم أن « الشعب» المحبوب الذى أثبت أنه مقزز له فلم يستطع تجنب انسحاب غريزى الى المسجونين من طبقته هو . حتى أنه فضل مجتمع الأجانب على مجتمع بنى وطنه. نشب

قتال رهيب فى اليوم الثانى من أسبوع عيد الفصح وتقهقر دوستويفسكى فى خجل من الثكنات . قابل فى طريقة بولنديا الذى عكس رده باحتقاره « إنى أمقت هؤلاء اللصوص » ، مما أجبره على أن يدرك إن كل حبه للشعب لم يكن سوى احتقار لكنه ذلك الأجنبى من الطبقة العليا لهم . عاد الى الثكنات مدمرا تماما . والقى بنفسه على سريره تاركا نفسه لفيضان من الصور والذكريات التى طافت به . كانت إحدى الذكريات ماثلة أمامه بصفة خاصة بهذه المناسبة . إنها الحادثة التى وقعت مع الفلاحة مارى .

كان دوستويفسكى فى التاسعة من عمره وخرج بمفرده ليستكشف الغابات بعيدعن نطاق المنزل. ثم فجأة صرخة «ذئب يعدو» مماجعله يتجمد مكانه مرعوبا . خرج يجرى الى حقل حيث كانت الفلاحة مارى تفلح الأرض . إنه رغم أن العبد لم يجد ذئبا وجد صعوبه فى أن يهدى الولد الصغير ووعد بالدفاع عنه ضد الذئب وأكد له بلطف أن الخطر ذهب . هدأ الولد بما فيه الكفاية ليعود إلى منزله تحت مراقبة وحماية مارى بنظرها (بنظره) لم يخبر دوستويفيسكِى أحدا بالحادثة ولم يذكرها بعد ذلك ، هذه وسيلة ، قال ذلك .

ذلك كان مخبأ فى روحى دون أى جهد من رغبتى ، ثم خطرت بذهنى فى وقت الحاجة ، تلك الابتسامة الرقيقة لو كانت من أم . فقيرة ، فلاحة ، ،وارتعاشه : « أنظر مدى خوفك أيها الابن الصغير ! » أتذكر ذلك الإصبع الكبير له مغمورا بالأرض وهو هادئ مع الرقة يلمس شفتاى المرتعشتين ما من شك أن كل واحد يهدئ الطفل ـ لكنه هنا فى هذا اللقاء المنفرد حدث شيئ مختلف ، ولد كنت ابنه ما كان يمنحنى نظرة تشع بالحب الشديد . ومع هذا من الذى شجعه؟ ـ إنه خادمنا الفلاح بينما أنا أبن نبيل على أية حال . لايكتشف أحد كيف كان يربت علىْ، ولا أحد يكافئه . هل كان ربما مغرما بالاطفال ؟ هناك أناس هكذا . كان اللقاء منفردا فى حقل مهجور إلاّ من الله يرقب من أعلى شعور الإنسان الدفين المستنير ، ما الرقة التى ربما تملأ قلب الفظّ ، الخادم الروسى الجاهل الذى فى تلك الأيام لم يكن لديه هواجس بشأن حريته . إن ما أصبح معروفا فى داخل دوستويفسكى كنتيجة

لهذه المجموعة لايمكن تقييمه على أساس مجرد وصف أيما كان محركا. أعتقد أن چوزيف فرانك على صواب فى اعتباره هذا كتجربة هداية جوهرية . كانت نقطة تحول كبيرة فى خياة دوستويفسكى . يشع منها النور على ماضيه والحركة التاريخية برمتها فى عالمه يجب أن ندون تقريره عن التغيير المتسلل الى داخله للحصول على شعور التأثير لمجموعته عليه ـ عندما هبطت من المسرح وحملقت حولى ، شعرت فجأة بأننى يمكننى أن أرمق هؤلاء الرجال التعساء بنظرة مختلفة تماما ، وفجأة اختفى كل الكراهية والغضب تماما بمعجزة من قلبى ، واستمريت فى حملقتى فى الوجوه التى أقابلها . هذا الفلاح حالق شعره موصوم بعلامات على وجهه يزمجر بأغنية مخمورة ـ لماذا يكون هو نفسه مارى ، لأننى لم يكن لدى طريقه للنظر داخل قلبه .

إن طبيعة هذه التجربة تم كشفها فكريا عن طريق دوستويفسكى من خلال أعماله. وسوف نستكشف معناها فيما بعد كاملة . الآن مهتمون بمغزاها كأساس لنقده للحركة الثورية الحديثة لم يعد يتخبط فى اليأس والارتباك اللذين كانا يسيطران عليه فى أول دخوله مستعمرة العقاب ؛ ولم يكن واقفا فى شرك الأفكار التجريدية والأوهام الذى جلبها معه من الماضى . حدث تحول بعيد المدى للمنظور وقتما دخلت حقيقة الخير الدامغة روحه فى ذكرى مارى .،إنه الآن يلاحظ حقيقة كشفت زيف إنسانيته السابقة وعلم نفسه فى نفس الوقت الطبيعة الحقيقية للحب الإنسانى الثابت إن حادثة مارى كانت عيد غطاس لعمق الحب داخل قلب إنسان الذى صب نفسه الى الخارج لعناية آخر دون اعتبار للعودة . إن دوستويفسكى من هذه النقطة قاس الحب بمعياره وبذلك الأختبار ، ولم يجد معظم الصيغ الناقصة . لكنه لم يجد ماهو أكثر نقص من الاعلان عن خدمة الإنسانية العالمية التى حجبت دافعها الحقيقى فى جنون العظمة للقوة ( للسلطة) . احتفظ دوستويفسكى معظم انتقاداته لأجل صيغة الحب التى إليها كان مشدودا : المذهب العملى الإنسانى وراء نطاق قيود الخير والشر .

## خداع الايديولوجية :

إن رفض الثوريين العصريين المستنير للمبادئ التقليدية للصواب والخطأ ، ورفضهم العدمى لكل القيم التقليدية كأمور زيفية ومذهبهم للتفوق الأخلاقى المطلق لهدفهم ـ قدم أنفسهم بمثابة مؤسسى نظام أخلاقى جديد . أدرك دوستويفسكى أنه ما من شئ يمكن أن يكون من الحقيقة . إنه بدون حب نزيه نقى منذ البداية فلم يكن لدينا سبيل للوصول إليه فى النهاية ، بدون تواضع غرور النفس بشأن هدفنا ، فإنه مامن سبيل لدينا لمقاومة تبجيل الذات المفرط للغاية، وإنه بدون إعتراف ثابت بحقيقة الخير والشر فإننا حتما نخضع لأسوأ إغواءات القوة . هذه هى المادة فى كثير من كتابات دوستويفسكى بعد « منزل الاموات » . إنه المشهد الشائع للخمس روايات ـ درامية الكبيرة ، أعلنها أولا فى خطابات من الخفاء . هناك البطل الشاب هو إنتاج مطابق للعصر الليبرالى المستنير حيث أنه يتحول على امتداد « مجرى الضمير » لديه دون أى مميزات ثابته فى الحقيقة . إن صورة دوستويفسكى للرجل السرى هى تصوير لعين لعدم انتهائية النزاعات المذهبية ، وبرهنة واعدة لحرية طبيعة الانسان الفعلية. يهرب الإنسان فى النهاية من الشرح او التنبؤ داخل حدود أى نظام محدود .

إن البطل ممزق بين تطلعه الى الفضيلة والجمال، والميول المعارضة تجاه الوحشية والفسوق، إنه غير قادر أن يتبع طريق حتى إقصاء الأخر . إن النقطة التى عندها يكون ميالا جدا تجاه الفضيلة ، أثناء الحادثة التى فيها يحاول القوز بليزا ( ب .. ليزا ) أن تعود من حياة البغاء ، فإن نبضه يتحول تحولا كبيرا . يكيل لها الاحتقار والسب فى توالى سريع . عندما تم وضعه فى الاختبار وضحت شفقته أن الذى يحركها « الشهوة الى التسلط على أحد » إنه فى الحقيقة الأخلاقية السامية دون ثقل كبير فإن الحب مآله الفشل فى الكفاح مع الشر . « لاأستطيع أن أحبها » يوضح البطل السرى « بسبب أن الحب دائما يتضمن الظلم والسطوة الاخلاقية . »

إنه باتباع عواقب الميل الليبرالى أو الاشتراكى الى العاطفه يكشف دوستويفسكى النقطة التى عندها تسقط فى عوزها الى مبادئها . يوضح فى نفس الوقت الحب الذى هو أصدق تعبير عن هذا النبض . آخر شئ نواجهه فى رواياته هو الحكم الأخلاقى . كل شخصياته يتم الحكم عليهم فى ضوء مبادئهم التى تم التعبير عنها ، إن جزء المؤلف يكمن فى وضعهم فى مواقف يكون فيها كل ذلك محتوى داخلهم . حيث أن لغز شخصياتهم تم الكشف عنه وفقاً لديناميكياتهم الداخليه ، ثم إعطائنا عرضا للتوترات والنزاعات المعروضة فى قلب كل إنسان . هذا ما يجعل الكفاح الداخلى لرازكولنيكوف فى ، الجريمة والعقاب ، ذلك المعنى القوى للأيديولوجيات النفعيه الإنسانية الذى بها تبدأ أفكارة ، عندما نتتبع تقدمه تكتشف أن تلك المبررات لقتل المُسْتْرهنة القديمة وشقيقتها . أفسحا المجال سريعا أمام الغرض الحقيقى لاختبار حل رازكولنيكوف بأن يصبح فردا نابوليونيا قادرا على العيش بعد نطاق الخير والشر .

جسم رازكولنيكوف الرعب داخل الروح الوحيدة (الانفرادية) مرات كثيرة فى خداع مجتمع تخلى عن قوى الدمار الثورى فى «المعتوه» إن جيل الليبراليين الأقدم عند مستوى يقدمه شيبان ڤيرخوڤينسكى وسيركه هذا من الناحية الثقافية، وسياسيا عن طريق الحاكم ڤون ليمبك وزوجته وأقاربه ، هم الذين أوجدوا جيل العدميين. «إنها فكرتنا »، يشكو سثيبان ڤيرخوڤينسكى، الذى تم تشويهه » . هذا الجيل الجديد يأخذ منه نموذجا فى ابنه بيتر الذى نشاطه الثورى التعصبى ينشأ بوضوح من عدم الرضاء مع الأوهام المثالية لليبرالية والده.

علق كل آماله على أمل الوصول إلى « الجانب الآخر » من خلال اضطراب تحولى كبير. صار كل شئ إلى سؤال عما إذا كنت تريد « الحل البطئ» من النقدية (الانتقاد ) والتغيير أو «حل سريع » مهما يكون مما سيمكن الرجال من تنظيم مجتمعهم أنفسهم ، ليس على الورق فقط لكن فى الحقيقة» إنه بالتركيز على النتيجة بما يسمح لها أن تحجب كل

الإعتبارات، فإن روح الشورى تم تزييفها . لن يتم السماح بشئ ليقف فى طريق نجاح القضية . إن هاوية العدمية للمشروع الثورى انتقدها دوستويڤسكى فى منطقة نظام أيديولوجى وهو نظام شيجالوف . يصف النظام الإشتراكى الذى سوف يأتى بعد النظام لحالى حيث أن واحدا من بين عشرة فيه سوف يمارس سلطة غير محدودة على التسعة الباقين . بدأت بفكرة الحرية غير المقيدة وقد وصلت الى الحكم الإستبدادى غير المقيد . يجب أن أضيف أن أى حل للمشكلة الإجتماعية غير أن حلى غير ممكن . »

إن تفكيره عند هذا المستوى هو تفكير بلاهة وساخر لكنه أصبح شريرا فعلا وقتما وصلنا إلى مستوى العمل . عندما يكشف بيتر عما يجعل عمل منظمته الثورية أعد ابتكار الرتب والوظائف ، هراءمشاعرى (« الاشتراكية تنشر نفسها عبر العاطفية» عضوية المحتالين ، وأخيرا عار عدم كون المرء ليبراليا بما فيه الكفاية ويعترف « أنا محتال ولست اشتراكيا » لكن ستاڤروجين هو الذى أجبره ليعترف بأنه قاتل أيضا . إن السر الى خلية ثورية ، وفقا لـ ... ستاڤروچين ، هو أن « تقنع أى أربعة أعضاء من الخلية بقتل الخامس والتأكيد لهم على أنه يوشك أن يوشى بهم ، عجبا ولاحظ إنهم يمتون لك وللأبد بصلة الدم المسفوك » هذا الاقتراح المأخوذ من مثال واقع الحياة من نشاييف هو خلاصة محددة للأعمال التى تفذتها قوى الثورة « التاريخية » فى الرواية . الكارثات الأخرى ـ نيران، مظاهرات وجرائم قتل ـ هى نتيجة نشاطات العناصر الإجرامية وحثالة المجتمع التى أطلقتها عملية التفتت الاجتماعى .

الرجل الذى يقف لأجل روسيا كزوجها نيكولاى ستاڤروچين وصورة الرجل المعتوه واسمه «الفيلق» هو فى قلب هذا الجنون الشيطانى .

ركز دوستويڤسكى ، فى ستاڤروچين ، على نواة الغموض الذى أثارته هذه الإنسانية القاتلة . كل الشخصيات الأخرى تنظر تجاهه بمثابة الذى يستطيع حل تناقضات وجودهم فى معنى شخصيته ، زرع ستاڤروچين بذور الإلهام فى بيتر والأخرين ، واستمروا فى إعتباره

كأساس ضرورى لمشروعاتهم . يناشده بيتر أن يلعب دورا فى الهيئة الثورية ويتوسل اليه بأقصى لغة مبالغة مثل « صورتى » ، «الأرستقراطى الحقيقى » ، « أمير حكاية الجنية » . «لاتفكر فى شيئ من تضحيتك أو التضحية بحياة واحد آخر» أنت فقط ما أحتاجه . لاأعرف أى أحد مثل هذا ما عداك . أنت القائد ، الشمس، وأنا دفئك» . هذا هو سر السحر والقوه الذى يهدد به ستاڤروچين كل واحد تقريبا : « أنه لايخشى شيئا » . وأن هذا هو الحقيقة الرهيبة التى تم الكشف عنها فى إعتراف قدمه الى الأب طيخون.

إن الصليب ، الذى يرمز الى اسم ستاڤروچين ، هو معاناة الإنسان الذى انقطع من كل حقيقة سامية . غوايته هى سجن نفسه والعالم كله داخل قوة مغلقة لرغبته . هو ذكرى «الرجل الكبير» لنيتشه ، ولدينا فى ستاڤروجين أحد استكشافات دوستويڤسكى لتلك الروح. إن « أمير حكاية الجنية »يعترف الى طوخين أنه بإمكانه شنق نفسه أو ينسف العالم كله من الضجر . ثم يحكى قصة سوء معاملته لـ .. ماتريوشا ، ١٢ سنه ، التى انتهت بتقديم نفسها إليه . نتيجة لذلك سيطر عليها جدا الذنب لدرجة قتل نفسها ، لكن الأسوأ أن ستاڤروچين كان شريكا فى انتحارها حيث كف عن عمد عن التدخل لمنعها. وعرف أنه قد أصبح « منحطا وجباناً» ، لن يستعيد احترام نفسه أبدا ، يعترف بأن هناك سرور معين فى شعوره بأنه أصبح شريرا جدا ، حينئذ كانت «لأول مرة فى حياتى ، كونت لنفسى فى كلمات كثيرة الفكرة التى لاأعرفها ولاأعرف أى شر هى . لم يكن ببساطة أننى قد فقدت الشعور بالخير والشر ، إلاّ أننى لم أشعر بذلك الشيئ كخير وشر ، الذى من الممكن أن يكون حرا من كل تقليد ، إلاّ أنه لوحصلت على الحرية لكنت فى عداد المفقودين».

إن كل لغة الإنسانية يرقد وراءها هاوية الشر داخل روح ستاڤروچين . يدرك طيخون بطريقة صحيحة أن الاعتراف أيضا لم يكن جوهريا لكنه مقنع وهو وسيلة اختبار رغبة ستافروجين فى القوة . ولم يستطع ستافروجين تخطى المشكلة النهائية لعدم جدوى القوة دون غرض ، التى تتفاقم عن طريق ممارستها الناجحة بطريقة متزايدة ، وأنه بمحاولته قوته

فى كل شيئ يعود ثانية الى السؤال «ماذا كان يفترض أن أطبق قوتى عليه؟ إننى لم استطع رؤيتها ولازلت لاأراها حتى اليوم ، إن انغلاق روحه يمكن أن تجد بصورة نهائية تعبيرها فى انتحار البطل فقط» .

إ ن الجانب المظلم للإنسانية الذى تم تتبعه بعد حدود الأخلاقية قلما تم كشفه ، وندرس فقط جزء من تحليل دوستويفسكى . إنه مُكون أساس آخر يتكون من فحص للحقيقة لايستطيع ستافروچين قبوله فى انهيار الإيمان داخل ذاتيتيه المتغيرتين ، كيريللوڤ وشاتوف . هما بالطبع تلميذيه . إنه بوصولهما موقعهما بموجب الهام ستاڤروچين لم يكونا قادرين على الإحتفاظ بهما دون مساندته . إن علاقتهما هى أكثر التطبيقات الناجحة لتقنية دوستويفسكى فى استخدام (توظيف)« الثنائى » لاستكشاف الشخصية والمشاكل .

كيريللوف ، على سبيل المثال ، يعطى فرصة للانعكاس على البعد المأسوى لستاڤروچين ولروح الثورة فى العالم الحديث . عندما نقابله فى أول الأمر يتحدث عن إنسان جديد الذى هزم الألم والخوف ، فقد استنتج هذه القوة النهائية التى سيتم الوصول إليها عندما يكون مستعدا لقتل نفسه. المناقشة التالية معه تكشف عن مشروعه كمطلب غامض لحظة الانسجام الأبدى ، عندما يوقف الزمن كل حياة الانسان سوف تتحول عبر وجود الخير المجسد ، إلاّ أن كل هذا الحديث عن صيرورة « شبيه إله» يوحى بأن الوقت التالى سوف تعتقد فى الله « ، هذا ما يحذر به ستاڤروچين . هذه الملاحظة ليست بعيدة عن الحد ، مثلما تكشف المحادثة النهائية مع كيريللوڤ قبل انتحاره . مشكلته هى أنه «لو لم يكن هناك الله ، حينئذ أنا الاه» ، ذو ضروره لايمكن تجنبها . كل الرجال اخترعوا من قبل الله لكى يستمروا فى الحياه فى مدلول ، كيريللوف الأن سيكون أول رجل فى التاريخ لايشترك فى خداع نفسه . لجلب إنقاذ الحرية المطلقه لكل الجنس البشرى فإن أول من يكتشفها يجب أن يقوم « بإشارة عالية عن الإرادة الحرة التى تقتل ذات المرء . إن عدم احتمال عالم بدون الله دفع كيريللوف الى يأس قتل نفسه لأن يصبح إلاها .

الطابع شاتوف صدمه الشوق الى الله حيث أوضح رؤيته على لسانه من خلال دوستويفسكى بالمهمة الروحية المسيحية للشعب الروسى . صاغ ستافروجين المبدأ بأن «الروسى لايمكن أن يكون ملحدا. إنه بمجرد أن صار كافرا ، كف عن أن يكون روسياً» يوضح شاتوف الآن هذه الفكرة وهى البحث عن الله كصفة وطنية مميزة للروس . إن كل الأمم مؤسسة على المثال الدينى وليست على أفكار العلم والعقل، التى « لم تنجح أبدا بعد فى تحديد الخير والشر أوحتى التميز بينهما » إن للأمة وجود واستقرار فقط إلى الحد الذى تعتقد أنه « وحده حتى إقصاء أى آخر يمتلك الحقيقة . » إن مناقشة ستافروجين بأن تخصيص الأولوية للقوة وليس للتحريك الروحى الداخلى له انحراف كبير عن المسيحية ، الاغراء الثالث، الذى سقطت فيه الكاثولوكية والغرب . الأمة فى الأورثوذكسية الروسية لديها الحقيقه التى تم الحفاظ عليها ، صار الدفاع عنها الآن هو الغرض الوطنى الكبير ، ليس أكثر من ستافروجين الذى أجابه شاتوف بنعم عندما ضغط ستافروجين ليعرف لو أنه يعتقد فى الله . يجب على شاتوف أنه يعتقد فى روسيا (يؤمن بروسيا) ، وفى الكنيسه الأرثوذوكية الروسية ، فى جسد المسيح ، فى المجيئ الثانى (للمسيح) . «لكن فى الله ؟ هل تعتقد فى الله؟ » أنا ـ سوف أؤمن بالله». إن الحقيقة المقدسة حللت إنغلاق الروح يلمحها ستافروجين . لكن شيطانية القوة تعود قوية جدا لتسمح بالانفتاح المستجيب لدعوة النعمة الإلهية .

يركز دوستويفسكى الضوء الباحث على هاوية الشر داخل مشروعات الخلاص الذاتى الإنسانى فى شخصية المحقق الكبير . هناك تناقض بين الاحتقار الذى يكنه المحقق لطبيعة الإنسان والاهتمام الذى يعبر عنه بالنسبة لسعادة الإنسان لايمكن أن يكون أكبر . وصل هذا الى رؤية درامية عالية من خلال المواجهة مع المسيح . يتهم المحقق المسيح «بأنه لايحبهم على الإطلاق» ، وذلك بوضع حمل الحرية على المخلوقات الانسانية ويدعوهم للاستجابة الحرة للإيمان . هذا هو فقط المختار القادر على مساندة هذه الهدية ، لأنه لو يعتنى المرء بسعادة الجميع كما يدعى المحقق، ثم إنه من الضرورى تخفيف الناس من هذه المسئولية

الرهيبة . ثم سنرى كيف « سيكون الكل سعيدا ولن يكونوا ثائرين أكثر ويدمروا الواحد والآخر بموجب الحرية . » إن إغراء المسيح وهو الثالث الذى يتضمن التائبيين الآخرين ،فإن إستسلام الحقيقة الروحية فى مقابل القوة السياسية هو التصريح الأخير لموقف المحقق. «ولسوف يضعون حريتهم تحت أقدامنا فى النهاية ويقولون ، اجعلنا عبيدا لك، لكن إطعمنا » بالنسبة للذى يطعمهم ، يلاحظ المحقق ، يمدهم آيضا ، كل ذلك الذى يسعى إليه الإنسان على الأرض ـ ذلك هو الواحد الذى تتم عبادته ، واحد يحافظ على ضميرة ، واحد يعنى توحيد الكل فى واحد ، وكوم النمل المتجانس. إن استسلام انسانيتهم ، الحرية الداخلية الى الاستجابة التى هى جوهر كل ذلك الذى يشكل الشخص الإنسان ، وهو الطريق الوحيد الذى يمكن أن يجعل المخلوقات «الضعيفة ، الشريرون ، والثائرون ، » إلى أطفال سعداء لكل فانتازية الحالم اليوطوبى . .

اليوم أكثر من قرن مضى ، إنه من المدهش اكتشاف الحد الذى يتم إساءة فهم دوستويفسكى يشجب المؤلف كثيرا جدا بالسماح لشخصياته أن تتكلم عن نفسها حتى أن إمكانية إساءة التفسير دائما موجودة . لكنه كيف يستطيع الإنسان أن يفقد قصده وهو كشف قاعدة تجريد الصفات الإنسانية من إنسانية المحقق وهو أمر صعب فهمه. إنه غير مفهوم وقتما يفهم الواحد الدرجة التى ظل وضع الكاردينال القديم مؤثرا رغم بداية الحروب، المعسكرات ، وأحكام الاعدام منذ أن كتب دوستويفسكى . يوضح كاموس التخلى عن الحرية بمثابة فشل كبير للحركة الثورية فى القرن العشرين . هذا العامل يوضح ( يفسر) تفسخ الثوريين الى قيصرية والاشتراكية العسكرية وقتما أنهم فى السلطة .

يستمر الجدل فى صيغة مناقشات لأجل تعديل المطالب بالحرية خاصة فى العالم الثالث كثمن يجب دفعه لأجل معدلات سريعة للتنمية وإعادة التوزيع . إن مؤيدى تلك الطرق المختصرة اختاروا الخبز فضلا على الحرية ، دون إدراك أن خبزهم يعتمد على حريتهم. «إذا أخذ أحد خبزك فإنه يكبت حريتك فى نفس الوقت . لكنه إذا أخذ أحد حريتك قد تكون متأكدا أن خبزك مهدد ، لأنه لم يعد يعتمد عليك وعلى كفاحك وانما على نزوة السيد، كتب

كاموس . وقتما أسلم الناس حريتهم فإنهم فقدوا أساس ما يجعلهم جديرين بالاهتمام الإنسانى ، لكنه أيضا أى وسيلة للتعبير عن اعتراضهم على الانتهاكات غير المحدودة التى ربما الآن ترتكب ضدهم .

**شرير غير مقنع ( سقط عنه القناع) :**

إن وجود مواقف اجتماعية منتشرة من الإذعان والتواطؤ يفسر فى النهاية ظاهرة الاستبدادية فى عهدنا . الأرخبيل جولاج لايمكن اعتباره كظاهرة منعزلة أو عرضية . فهم سولجنتسين تدريجيا ، بالنسبة لضحيته ، أن اللوم برمته لجهاز الدولة للرعب والدمار لايمكن يلقى به عند أقدام رجل واحد، ستالين . كان ذلك ممكنا لأن ذلك الرجل كان لديه تعاون فعال قادة الحكومات الآخرين، المسئولون والأعضاء والشرطة السرية والقوات العسكرية وجهاز السجن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية، والمواطنون السوقيت العاديون، قد أصبح الكل فاسد وغرق فى الخنوع وتقاسم الكل فى المسئولية والذنب بما فيهم سولجنتسين نفسه حيث ادرك ذلك ببطئ. لكن الذى صنع مقياس القوة والدمار ممكنا كان كل هؤلاء المتعاونين الذين شعروا بأنفسهم أن لديهم مبرر فى الأعمال التى قاموا بها . لم يرتكبوا أفعالاً شريرة لكنهم كانوا يتخذون خطوات فهموا أنهاجيدة فيما يتعلق بالهيكل الايديولوجى الحاكم . اشتكى سولجنتسين من وصف مرتكبى الشر فى الأدب العالمى السابق، أنهم يتم إظهارهم كأفراد أرواحهم سوداء الذين يعرفن شرهم. إنه بالتناقض ، إن كشفه لجحيم الشر فى القرن العشرين علمه أن « إن عمل الشر الذى يقوم به الإنسان عليه أولا الاعتقاد بأن ما يقوم به خير » . تبريرات ما كبث الذاتية ضعيفة بالمقارنة بما هو جارى اليوم خلال الايديولوجية ـ «والأيديولوجية» هى التى تعطى لعمل الشر التبرير الطويل له وتعطى لفاعل الشر الثبات والعزم . قدر للقرن العشرين تجربة فعل الشر على مقياس مدرج بالملايين ـ وهذا بسبب الأيديولوجية »

إن هذا الاعتراف هو ماجعل سولجنتسين ذلك المعادى للشيوعية العنيد، أو مناوئ

للأيديولوجى هو أكثر صحة . إنه لم يعترض أساسا على الوجه المشارك للمجموعة وإنما يعترض على الانفصال الراديكالى للشيوعية عن كل اعتبارات الصواب والخطأ . ذلك هو الملمح الذى تشاركه مع كل النظم الأيديولوجية . لم يكن موقفه هو موقف انتفاضة رجعية وإنما موقف وصل إليه عبر تجربة الظلم المستمر الذى ينتج عندما يكون الرجال والنساء أحراراً فى التلويح بالقوة دون قيود أخلاقية . إن ذلك سم مميت لذلك الرجل الذى « لايعى أى مجال أعلى » إن أولئك الذين انضموا الى أجهزة الدولة للأمن كانوا تقريبا من هذا النموذج، تم جرهم الى العمل بالضبط بالنسبة للتجربة التى فى حالة الثمالة للسلطة. «الكل دون استثناء كان فى يديه، وأى أحد، حتى المهمين جدا ، يمكن إحضارهم أمامه كمتهم» الأساس المنطقى الإنسانى إنزلق بعيدا جدا الى المستقبل الذى لم يكن أكثر من ذاكرة ، وايديولوجية قد اتخذت الوظيفة الأساسية للسماح لأولئك الذين امتلكوا القوة لممارسة إرادتهم (رغبتهم) فى حرية كاملة .

إنه بإعطاء هذا المنظور يستطيع الواحد ( المرء ) فهم السبب فى أن سولجنتسين يرفض إلى الآن بصفة عامة اقتراحات التحسين أو الإصلاح داخل الشيوعية . كان راغبا فقط أن يسلم بأن تلك الظروف المتغيرة ربما تجلب مراجعة النهج . وألاّ تكون الأحزاب الشيوعية نفس التى أنهاها العالم ، طالما أنها مستمرة فى الإيمان بأيدويولوچيتها . « إن جميع الأحزاب الشيوعية صارت عديمة الرحمة تماما بتحقيق القوة» حتى أن إصلاحات ما بعد ستالين الشهيرة لم تشكل أى تغيير فى المبدأ ، استمر المصلحون فى سجن أياً كان يرغبون فى إلقائه غيابة السجن . دون سجن غير الضرورى إضافتهم بما فى ذلك على يد ستالين . يختتم سولجنتسين أرخبيل جولاج ببعض الأفكار عن دولة النظام الشرعى السوفيتى فى أوائل السبعينات ويلاحظ أن ما من شئ قد تغير تغييرا أساسيا . بينما قليل من الناس قد تم حجزهم داخل جولاج ، فإن العملية برمتها بقيت مكانها . كانت لاتزال القضية أنه وقتما بدأ تحرى خلال الإنكار فلا بد أن تكون النهاية فى إدانة . « لم نأت بأخطاء » ظلت القاعدة.

لا شيء يضمن يحذر سولجنتسين من أن التطهير الجماعى من الحكم الستالينى لايمكن أن يبدأ ثانية فى أى وقت : « إن سفينة قانونا مستعدة لعودة حادة » ليس من المفاجأة أنه ينتهى بالموافقة على تحليل الاشتراكية الذى قدمه زميله إيجور شافاريڤتش ـ الرياضى المنشق إختتم دراسته عن « الظاهرة الاشتراكية » بملاحظة فى الدفع الى التخلص من كل ما يشكل فردية وقيمة ثمينه للبشر يجب علينا فى النهاية تمييز خلف الاشتراكية الجدل لدمار الإنسانية وتدمير الذات .

الحقيقة بأن الحكومات الشيوعية مستمرة لأن تنأى بنفسها عن أسوأ جهود الأيديوبوجية وأن الاعتقاد الأيديولوجى ذاته يظهر أنه إنهار ـ لاتؤثر جوهريا فى هذا التحليل . إنه من الصعب إن لم يكن غير ممكن تثبيت منهج انتحارى بوضوح بمثابة حالة دائمة للوجود ـ لايجب أن نندهش حيال تلك التعديلات البراجماتية أو حيال أفول الأيديولوجية التى تتضمنه . لو نرغب أن نفهم الظاهرة فى جوهرها فيجب ان نكون مستعدين لمواجهتها فى أكمل مظهر بعيداً عن المراجعات وحلول وسط مما يجعلها تتحول بمرور الوقت، كما لاحظ ڤوچلين عن الثورات الغنوسطية، إنها "ضرورة منهجية". إن المشروع الأيديولوچى، تغيير المظهر الخارجى لطبيعة الانسان على نطاق جماعى، هو مهمة مستحيلة، لذلك يمكن فقط الدراسة بوضوح فى تلك الحالات المتطرفة حيث يتم تجاهل عدم الإمكانية. وإلاّ سنخاطر بإغفال لب النبض المسيحى داخل محاولات براجماتية متواضعة التحقيق.

« سيتم حساب التسوية أنها الجوهر، وستختفى الوحدة الأساسية للظواهر الغنوسطية المتنوعة » . إن القضية الأساسية بالنسبة لسولجنتسين وزملائه لم تكن الإصلاحات الجزئية التى قد تم إدخالها وإنما الدرجة التى إليها يتم التخلى عن مبدأ الأيديولوچية. هذا هو السؤال الحيوى. وأنها لا تبدو حتى الحد الكامل من الظلام الأيديولوچى، وهاوية تدمير الذات التى تحتويه يتم مواجهتها فى النهاية. والوقت الحاضر هو شاهد على أولئك الذين تحملوا التنفيس الإعلائى وذوى دلالة أكبر .

## التحرر ( العتق) :

قد نعتبر أنه بالنسبة للفرد ، المواجهة الطويلة مع القوى المدمرة السوداء للثورة سوف تحجب أى شعور بالأمل فيما يتعلق بعالمنا الحديث . ربما يصبح الدمار واليأس الرد الوحيد الممكن للعديدين الذين غمسوا أنفسهم فى الرعب . لكنه ليس بالنسبة للمفكرين الذين بصدد دراستهم جربوا موت الباعث الثورى كتنفس إعلائى ، تحرر مما ظلمهم ومدخل إلى مايحرر . إنه بالنسبة للتأمل الشديد لكل ما تم فقده عبر إنسانية همجية وتمت مقاومتها ، فهو فى نفس الوقت الوصول الى فهم واضح جدا لما هو نفيس للغاية فى حياة الإنسان وكيف على أحسن تقدير الإبقاء عليه . التشخيص والعلاج هما حركات مترابطة من نفس الكفاح لأجل الحقيقة . إن وضوح الطبيعة ومصدر الانحدار إلى الشر هو فى نفس الوقت كشف المعيار الذى يمكن إرشاد الصعود تجاه الخير . المقاومة ضد الشر لن تكون مستحيلة ونؤكد على أنها بدون انفتاح تجاه حقيقة الخير كقوة متفوقة من الناحية التجريبية . لاشئ يمكن تأكيده مقدما حيال المعركة لكنه وقتما تمت فإن الانتصار يكون واضحا.

إنه انتصار لحب الحياة على المطالبة بالدمارالعالمى، إنه بدلامن الحب الباكونى للموت، الذى أعرب عنه التهليل السوفيتى المدوى «كلنا معا سوف نموت» ، يكون اعترافا بالحياة كساحة يجب ان يحدث كفاح لأجل المغزى . إن المحاولة لكسب أهمية عبر دمار الذات ترى بمثابة هروب خادع . تعلق كل شئ على الجيل القادم أنه سوف يمر أيضا دون أى نهاية أكثر من أولئك الذين يعيشون الآن . تكشف العنف الثورى عما هو : اللهثة الأخيرة لأى حركة التى لم تعد تعتقد فى نفسها وتسعى هباء لتبرهن تفوقها على حياه لم تعد تحبها .

حلم الإنسانية التى يقف منقذ عالمها تكشّفَ كنقطة عندها بدأت الحضارة الحديثة هبوطها المهلك نحو الموت . وقت أن رغبة السيطرة على ظروف الوجود حجبت كل الاعتبارات الأخرى فإن تجويف المشروعات الأيديولوجية يصبح واضحا تماما . يستنتج كاموس، « أن سر أوروبا هو أنها لم تعد تحب الحياة. استوعب فرويد غريزة الموت بمثابة

انحراف إنسانى عالمى لكنه ربما يصف فقط حالة خاصة (معينه) فى أواخر الحضارة الحديثة بالنسبة له . عندما فصلت الإنسانية نفسها عن النظام التى منه تعرف نفسها أنهاجزء ، حينئذ ما من شئ يكبت فانتازيات تبجيل الذات الذى فى النهايه ينحدر تدريجيا إلى إنتحار جماعى . إن صورة دوستويفسكى عن كيريللوف يقتل نفسه ليصبح إله رمزت إليها تماماً .

إنه بتتبع المشروع الثورى الى خاتمته المنطقية فإننا فى نفس الوقت حررنا أنفسنا من تأثيرها . وقت أن أقامت حقيقة الحياة نفسها ثانية كالوحيدة التى فيها يمكن للنضال لأجل نظام أن يستمر جينئذ فإن المحاولة الخادعة للإفلات من حالة الإنسان يتم التعرف على الشئ الذى هى من أجله . إن نوبة « سحر التطرف » تم كسرها . الاشتراك فى الحياة تم قبوله ثانية كأساس خفى للمعنى الآخر كله فى وجود الإنسان . تم التعرف على أنه ما من نظام يمكن ان يؤسس على رفض الحياة بينما أنه مامن قيمة عليا تكون حالة لايمكن تجنبها لأجل تحقيق كل قيمة أخرى . التحرر المبارك تم الحصول عليه من عبىء ابتكار نظام للسيطرة على الحقيقة برمتها . حتى أن أنبل أعمالنا والبطولية للغاية ، وقد بدأنا نراها تشارك فقط فى ظهور النظام ، لايمكن أن تحقق أبدا تحقيقها القاطع . إنه بدون قبول مشاركة فى الحياة كحالة لايمكن إلغاؤها ، حينئذ كل محاولة لابتكار نظام سوف يتم تشويهها فى جنون الوجود .

هذا هو الموقف الذى وصل اليه كاموس فى نهاية « الثائر » عندما يعلن «النهضة تفوق حدود العدمية » إنه باستنفاذ جذب تحول تاريخى مستقبلى ، « بكل التجاوزات الوحشية »، يمكننا أن نبدأ ثانية أن نعيش فى الحاضر مع « ذلك المرح الغريب الذى يساعد المرء أن يعيش ويموت ، والذى لن نؤجله ثانية أبدا إلى وقت فيما بعد » . إن سر كاموس هو أنه قبل الحياة ذاتها بفرصها وحدودها لأجل تحقيق نظام كأساس لايمكن إبطاله . إكتشف مبدأ « الملومية المعقولة » ، « النقطة الأوجية » داخل الثورة . هذا المبدأ هو ما

يمكن الثورة من بلوغ الحد الأقصى للأفضل الذى ينتهى بتدمير الكل . الرجل يمكنه فى نفسه أن يضطلع بكل شئ يمكن الاضطلاع به . يجب أن يعالج فى الابتكار كل شئ يمكن تعديله . إنه بعد ما فعل ذلك يظل الأطفال يموتون ظلما فى مجتمع كامل» إلاّ أنهم فقط أولئك الذين قبلوا هذه الحالة وهم الذين سيخففون معاناة حتى القليل أولئك الذين يرفضونها ينتهون بجعل الكثيرين بؤساء بزيادة كبيرة .

إن تجربة مواجهة الحدود القصوى جلبت دليلا واضحا على النظام الأخلاقى الذى لانستطيع انتهاكه حتى ولو لأجل العدالة بدون تحويل قدرتنا الى فعل الخير . الإنسانية كمبتكر نظامها الأخلاقى هى وهم مطبق . وقتما تفقد الاتصال بالعلامات المميزة المستمرة للصواب والخطأ فلم يتسنى لنا شئ به نرشد تقدمنا تجاه الخير . فتحنا أنفسنا بصورة نظامية للنفوذ الكامل للشر الذى يغزو الآن روحنا تحت ستار الخير . إذا خرجنا من التاو ، ونتبنى استخدام سى . إس . لويس فلم يكن لدينا سبيل للعودة . إن مشروع ابتكار أخلاقية إنسانية ذاتية كشف العدمية التى وصفها نيتشة فى الصميم ، وإن تطبيقها على نطاق كبير قد كشف حقائق الحقيقة والخير والجمال التى فى عملية التدمير . إن الوضوح الجلى للموقف لم يعد يجعل الغموض ممكنا . إما الواحد يحركة الحب للآخرين ، وإماواحد يتخلى عن كل الآراء التاريخية الموضوعية للأخلاقية كأسوأ عدو للإنسانية ، أو واحد يعترف صراحة أن الواحد لايعتنى صراحة بالبشر ويستمر فى استغلالهم لأجل الامتاع او الحرمان.

إن الحقية المستقلة للخير والشر واضحة . لا تحددها أفضلياتنا الموضوعية ، وإنما القوى التى تضغط على روح الإنسان وتجعلنا بمثابة مستجيبين لهم . إنه فى كشف النبض الإنسانى الحديث وصلنا إلى النقطة التى عندها تكون شدة الخيارات بهذه البساطة . إن هذا يفسر قوة سولجنتسين ككاتب وقوة الشخصيات التى يصورها . إنه يعيش تماما فى عالم أخلاقى حيث أن حقيقة الخير والشر أجهزت على كل زيف للأيديولوجية . لاشئ يقف بين الأفراد والاختيار الذى قاموا به والذى سيجذبهم ناحية الروح ويشدهم نحو الحيوانية . أبطاله

تواجههم أصعب ظروف الحياة الإنسانية حيث أن «ما يعيش به الرجال» يقع تحت الاختبار. كل ذلك هو انزلاقات مصطنعة فى هذا الظرف، ويقف البشر فى حكم عارى أمام أنفسهم وأمام الآخرين . حقيقة الخير والشر السائدة بمثابة الأشياء الوحيدة ليصبح الأمر واضحا.

ربما تقدم الأيديولوجية ذريعة مقبولة عامة بالنسبة لعمل الخطأ ، ولكنه عندما يتم مواجهتها بحقائق الحياة والموت تتفتت . النظام هو فى الحقيقة قوى ، كما أنه قادر على تنفيذ أى عمل تتطلبه الحقيقة المطلقة . لكنه فى نفس الوقت هذا أمر مخيف من جراء أى نقد دقيق لأنه يعرف أساسه الأخلاقى المشكوك فيه . إن سولجنتسين والحركة المنشقة قدمت تهديدا سيئا للإتحاد السوفيتى أكثر من القوة العسكرية للغرب لأنه ضرب الشرعية الافتراضية للدولة الشيوعية . لم يكن يتم السماح بانتقاداتهم لأن السلطات عرفت الحد الذى إليه تأسس نظامهم على منع أى استفسار عن سماتها وغرضها الأساسيين . إن شدة الإستجابة هى شهادة على الوعى الذاتى بالعيوب الجوهرية لنظام الحكم . إنه بدون القهر المستمر للإنشقاق فقوة الحزب الشيوعى سوف تنهار ، وقوة القهر ممكنة بسبب غياب أى أسئلة بشأن مبررها . إن قوة أى دولة أيديولوجية ترتكز فقط على تلك الدائرة المفرغة التى يمكن لحفنة من الأفراد أن تهدد بالخطر من خلال تضحيتهم الذاتية التطوعية .

إن المفتاح إلى نجاح المنشقين كان فى تحرير أنفسهم من عمى الأيديولوجية . وقد صاروا قادرين على رؤية الحقيقة كما هى ، إنه بالنسبة للأفراد الذين إستكشاف شعورا بحقيقة الخير والشر كمقياس حقيقى لحياة الإنسان ، يظهر العالم مختلفا جدا عن العالم الظاهر لأولئك الذين لاتزال العقائد الملبدة بسحب الدعاية التى تطوقهم . إن زيف الأيديويوجية الشيوعية الرسمية رفضها سولجنتسين لأنه يدخل فى ستكشاف حقيقة المجتمع السوفيتى فى « الحلقة الأولى» الدائرة الأولى . يوضح ، بعيدا عن المرجع الواضح الى السجن الفنى ، شاراشكا ، كأول حلقة تعذيب حيث أن الطبقات التالية للحرمان فى المجتمع السوفيتى تحمل المواطنين الى المستويات الأعمق لجهنم ( إلى الدرك الأسفل من جهنم) ـ وذلك

باستخدامه آله دانتون لجهنم كسلسلة من الحقات متحدة المركز . إن المسجونين على النقيض حتى أولئك المنحرفين الى أفواج أشد خشونه فإنهم يحررون أنفسهم من هذا الشر الأكبر .

إنه وراء نطاق فراغ حرية موظفى السجن « الأحرار » ، يوجد الصراع البيروقراطى لإدارة السجن ، البؤس الشخصى لرئيس المؤسسة ، ياكونوف، وأخيرا الوحشية غير الصالحة للآدمى ، وإدانة وزير الدولة للأمن ، أباكوموف.

لكنه فى الجزء الأساسى من الكتاب المحرك الأساسى للكل ، چوزيف ستالين ، ويحتل أعمق حلقة عذاب روحى . يفرد سولجنتسين سلسلة مطولة من الفصول لصورته عن القائد الايديولوجى . كدراسة روح ذلك العدمى يمكن المقارنة بالمحقق الكبير لدوستويفسكى . إن الفرق الكبير هو أن التأكيد هنا على معرفة ستالين الذاتية ، مرسومة على التناقضات الداخلية العميقة التى هى جوهر تعذيبة الخاص.

يتم بناء التناقض بصفة متكررة على ما بين شخصية ستالين العامة كقائد كلى للثورة الشيوعية ، والحقيقة الفعلية لماضيه غير الراهن . إنه كطالب لاهوتى تحول الى الإشتراكية لأنه فقط أحب أن يكون له رجال يتبعونه .عندما ألقت الشرطة القيصرية القبض عليه واستسلم للضغط وأصبح واشيا. تم أنقاذة من الخدمة بسبب المنفى أثناء الحرب العالمية الأولى. وعندما أتت الثورة استخدمها للمكسب الشخصى وكوسيلة للتقدم فى السلطة .جاءت قوته من السرية التى بها حافظ على قراراته ولم يبح بها لأى أحده أو اتخذ أحدا ملازما له ، لم يسامح أبدا أى أحد خانه ، ولم يسمح لنفسه أن «يقلق بشأن النظريات التى دائما جيدة دون مقابل» . تفوق كل زملائه السابقين من خلال هذه النظرة . وخدع بنجاح حلفاءه فى الغرب ، روزڤيلت وتشرتشل دعم قوته فى الداخل ثم فكر فى حرب ثالثه عالمية ليستكمل العملية على صعيد الكرة الأرضية . لكن لماذا ؟ عرف أن الشيوعية لن تعنى الإنجاز العالمى لكن «الخضوع الصارم» للنظام و« تخمة غير مكتملة كالطريق الوحيد لضمان أن الوجود يحدد الضمير . ولم يكن الأمر هكذا بالنسبة له منذ أن كانت الشيوعية عديمة

النفع فى مساعدته ليواجه نهاية وجوده كمريض لايثق فيه أحد ومسنا وحيدا . كان وحيدا تماما بدون أصدقاء فى العالم وبدأ رعب الموت يغزوه جسديا. حتى أن قدرته على جلب القوة من اليأس لم تنقذه من خراب روحه المغلقه كلية .

إنه فى التناقض التام يوجد انفتاح الروح التى اجتازها السجين نيرزين ، الرياضى، الذى تشابه سيرته الذاتية لتلك التى للمؤلف. نلاحظ عبر الكتاب أنشوطة القهر محكمة حول عنقه حيث أنه فى نفس الوقت يحمله التوسع الروحى الداخلى عبر قيود اليأس . كان نيرزين متشككا فى أول الأمر الذى يختبر حكمة المواقف الفلسفية المتنوعة . اشترك فى محادثة مع المسجونين الآخرين ويمكنه إلقاء بعض الإيضاح على هذا الاستفسار . يصبح موقفه هو واضحا فى النهاية . تخلى عن الشكوكية ـ « عندما تكون فى رذيلة قوية لم يعد المرء يهتم بالابتسامة المتشككه لـ ..بيّروً ـ كما أكد اقتناعه بأن « العدل هو حجر الزاوية، أساس الكون» . لاشئ يمكن أن يفوق قيمة نمو الروح فى حقيقة هذا العدل السامى. وكل شيئ آخر يجب أن يتم الحكم عليه فى ضوئه . هذا هو ما يمكنه أن يبقى مخلصا لزوجته . يرفض عرض الحب من إحدى الموظفات الأحرار ، سيموخا، رغم كل الضغوط والحرمان الممارسة عليه فى السجن بما فى ذلك معرفة عودته الوشيكة الى معسكرات الموت. أولا ، يفسر . « لم تكن لدى فكرة عما هو الخير الشر ، وكل ما كان يسمح به بدا لى رائعا لى . لكننى كلما أغرق فى عالم قاسى وحشى كلما استجيب لأولئك الذين يتكلمون مع ضميرى ، حتى فى عالم مثل ذلك . وصلت روحه الى تلك الدرجة من القوة الداخلية حتى أنه استطاع أن يجذب ضابط أمن السجن إلى العودة إلى مصادرة كتاب قصائد شعرية، خلال التهديد بتمزيقه تماماً. تنتهى الرواية مع نيرزين والآخرين فى قائمة الذهاب إلى جهنم المعسكرات « مليئة بأولئك الذين بدون خوف والذين فقدوا كل شئ».

هذا هو التحول الذى شهده سولجنتسين فى أولئك الذين حوله فى السجن . وسجل دهشته عندما اكتشف جيلا أصغر يمثله ثلاثة شبان فى سجن بوتيركى الذين « تخطوا

الفجوة المستقبلية كلها للامبالاة فى قفزة واحدة » ليجدوا أنفسهم فى مملكة الحقيقة الروحية المستمرة . كان ملهمهم آخر خطبة لشميدت عند محاكمته :

**لمدة ثلاثين عاما أقوم بتغذية**

**حبى لموطنى ،**

**ولن أتوقع أوأفقد رفقك**

لم يكونوا ضعفاء فى السجن وإنما على العكس كانوا فخوريين به . كان فى صحبتهم النشاطات الأولى لرؤية جديدة بداية ظهورها فى روح سولجنتسين . ألم يوجد هنا ، فى خلايا السجن ، حقيقة كبيرة بازغة ؟ كانت الخلية ضيقة إلا أن الحرية لم تكن أكثر ضيقا ؟ إن معايير الأيديولوجية والتقاليدية بدأت تسقط من نظره حيث بدأ يخترق حجاب الأوهام، وخداعات النفس واللامبالاه . اعترف بأن العيش إلى يوم إطلاق سراحه كان بدون معنى حيث لم يأت بحرية حقيقية . «كما ولو أن هناك أى حرية فى هذا البلد! أو كما ولو أنه ممكن تحرير أى أحد لم يكن فى أول الأمر محررا فى روحه الشخصية» . ذلك هو حيث تكمن الحقيقة . الحقيقة الوحيدة هى الحرية الداخلية للروح لمتابعة ما هو خير بدون كفاءة إنها حياة الذات الحقيقية التى تصبح ممكنة فقط عندما نعترف بالنمو فى الفضيلة وليس فى الممتلكات أو الراحة بمثابة الغرض النهائى لوجودنا . وصل سولجنتسين فعلا الى العقيدة الثابتة وهى فيما يتعلق بهذه الحياة الروحية الداخلية . بها يجب قياس كل شئ آخر . « إنه بالنسبة لشخص جيد يكون الطعام الصحى . وللشرير حتى اللحم لايأتى له بمنفعة» .

.إنه بقبول هذا الحرمان من كل الأشياء ، حتى الحياة ذاتها ، وصل سولجنتسين الى أن التوازن الروحى وهو حياة الذات الحقيقية . سأل نفسه . كيف يمكن أن أبقى على أرضى عندما تواجهنى قوة مسيطرة وقسوة لاترحم للدولة السوفيتية الايديولوجية ؟ لم يكن مستعدا فى البداية للمحنة ، لكن مثال الآخرين بدأ رويدا رويداً لتنوير الطريق أمامه . كان قادرا بعد قليل لصياغة الحكمة المطلوبة .

بداية من لحظة ذهابك الى السجن لابد أن ترمى التمتع بالدفئ العائلى وراء ظهرك بشدة. يجب أن تقول فى البداية لنفسك : انتهت حياتى ، بالتأكيد مبكرا قليلا ، إلاّ أنه ما من شيئ يتم فعله حيال ذلك . لن أعود إلى الحرية ، تم الحكم بإعدامى ـ الآن أو بعد قليل. لكنه فى الحقيقة فيما بعد ستكون الشدة يأتى بعدها الفرج سريعا .لم يعد لدى أى ممتلكات أياً كان . أولئك الذين أحبهم قضوا نحبهم ، وبالنسبة لهم أنا ميت . من اليوم فصاعد جسدى عديم النفع وغريب لى . روحى فقط وضميرى باقيان نفيسان وهامان لى .

كان الاكتشاف غير العادى الذى أنجزه كافيا ، أن قوة الروح والضمير كافية للتغلب على كل المعاناة قد تكون مطلوبة من الإنسان . إن متابعته للخير كانت ترفع تدريجيا روحه إلى نظام أعلى للحقيقة إذا رفض صوت الضمير داخله ، مما قد يؤدى إلى فقد الجوهر الروحى حيث وقايته تزن الحياة ذاتها .

إنه لهذا السبب استنتج سولجنتسين «الذين عذبونا تم عقابهم عقابا رهيباً : تحولوا إلى الإزدراء (خنزير) وينحدرون عن الانسانية» .

مهما يكن قوة النظام الاستبدادى ومهما يكن نظامه الأيديولوجى لايقهر فإن الحقيقة لا تتغير . الخير والشر يبقى معايير وجود الإنسان . ويعرف كل فرد صرف النظر عن مدى سعيه أو سعيها الى إنكار ذلك ـ حقيقة إن هذه الحقيقة يتم برهنتها عن طريق النغمة الحادة للرفض ـ لايمكننا إغفال حتمية اتباع الخير وتجنب الشر دون معاناة عواقب خيانة النفس . إن وهم إخلاقية إنسانية ذاتية من جانب رجال ونساء مع رأى ما يلائمهم مع كل المبالغات المسيحية من المحتمل أن يتحول أن يكون لاأكثر من حلم كما كان دائما هناك وعى بهذه الحقيقة يبقى فى هؤلاء الذين يبقون بنى بشر . حتى فى وسط أعنف فانتازيا يوطوبية . إن المفتاح إلى نجاح سولجنتسين فى قيامه بالمقاومة ، وبالتطبيق على كل الجهود المماثلة لمعارضته التشويه الأيديولوجى . كان صواب موقفه هو الاعتراف به من جانب معارضية . كان من الضرورى عند كل مرحلة البرهنة على الثبات وتمييز المسئوليه فرادى ومعقل الأيديولوجية المتفتت .

يعيش كل الرجال والنساء فى العالم المشترك ذات المسئولية الأخلاقية المتبادلة . كلنا يعرف عنها أو أنهم يجئ بهم لمواجهتها من خلال تجارب لامفر منها من المعاناة واللانهائية والموت. إننا مضطرون عاجلا أو آجلا للاعتراف بأن الطريق الوحيد للإنسان ليشارك فيما هو باق وحقيقى يكون من خلال إسلام النفس التى تمكننا من تبنى الالتزامات تجاه بعضنا البعض وتجاه الله . إن هذا عندما نكف عن المطالبة باستثناء خاص لأجلنا ، وتجاوز مطلب إحتضار النفس على طريق الحصول على الفضيلة . وأننا نعيش ثانية فى عالم الإنسانية المشتركة . الطرق المختصرة غير ممكنة لأى فرد أولأى عصر . الاعتقاد فى التحول الساحر الذى تقوم به النشاطية السياسة والمادية الخارجية لم يكونوا أكثر من ذلك ـ وهو معتقدات خاصة تماما بدون أساس . إن المحاولة التنفيسية الإعلائية التى مررنا خلالها جعلتنا ندرك بوضوح أكثر من قبل ما كنا نعرفه تماما . مامن طريق آخر سوى طهارة النفس وهى طهارة قاسية بالنسبة للآن لاكتساب الطيبة الحقيقية للروح . ولايوجد طريق آخر « ليصبح المرء إنسان ».

وصلنا الآن إلى « اقتناع ثابت غير مهزوز» كنتيجة لكفاحنا مع المرض والجنون الذى أصاب حضارتنا .لكن الأستفسار لايمكن تضمينه هنا . النظرات الداخلية التى حصلنا عليها فى طبيعة وجود الإنسان زادت من التوتر حول السؤال عن كيفية إمكان هذه النظرات الداخلية أن يتم فقدها . لم نكتشف أى شئ جديد نطلع أنفسنا عليه ثانية مع حكمة العصور . هذا التفاهم لم يتم فقده كثيرا عن دفعه عن عمد إلى خلفية الوعى العلمانى الحديث . كيف أمكن حدوث تلك الفوضى ؟ كيف استحوذت على الحضارة كلها ؟ وعندما يمكن ملاحظة عواقبها كيف يتسنى لنا أن النجاح فى الاستمرار فيها إلى نقطة دمار أنفسنا ؟ إننا لانصف بوضوح فردا ما أو فترات الضعف بين الفينة والفينة هنا . هذا الجنون هو الشئ الذى ابتلع كثيرا من ألمع العقول فى يومنا هذا ومارس نفوذا اجتماعيا منتشرا ـ إنه من الضرورى أن نفهم كيف يمكن لحضارتنا أن يستحوذ عليها الجنون ، اذا رغبنا أن نتجنب التكرار فى المستقبل ، وإذا رغبنا فى ضمان أن نفوذه، قد تطهر فى

الحقيقة لمدة من الزمن على الأقل . بالنسبة لتعمية الإحساس العادى للإنسان عن الصواب والخطأ ، والرغبة فى فرض معاناه وبؤس غير محددين على الآخرين ، وعدم القدرة على التعرف بتناقض الإنسانية الوحشيـــة ـ كلها تقتــرح مقـدما قوة هائلة جدا بمثابة العاطفة الباقية وراء خداع الذات .

هذا هو السبب فى أنها غير كافية لمقاومة الفوضى العرضية، كما وصفنا تلك الحركة المضادة فى هذا الفصل . إن الكفاح ضد الفوضى يمكن فقط أن يكون ناجحا إذا رغبنا فى التدرج إلى مستوى البواعث العرضية .

## ملاحظات

١- چيمس هـ. بيلينجستون، الأيقونه والبلطة: تاريخ مفسر للثقافة الروسية (نيويورك: ڤينتيج، ١٩٧٠). وللإمتاع أنظر رينهوردفيبور، مخرجة التاريخ الأمريكى(نيويورك: سكريبنر، ١٩٥٢)، الذى يحدد السخرية مثل الموقف فى "تصبح الفضيلة رذيله من خلال عيب خفى فى الفضيلة".

٢- بيلينجتون، الأيقونه والبلطة، ص٥٩٤

٣- الظاهرة التى حللها بدقه سارتر فى الكينونة والعدم، ترجمة هازل إ.بارنز(نيويورك: المكتبة الفلسفية، ١٩٥٦)، جزء واحد (١)، الفصل الثانى، "الإعتقاد السيئ". المظاهر التاريخية العريقة يستكشفها نيكولاى كيارومونتى، الظاهرى التناقض للتاريخ(فيلاديلفيا: جامعة مطبعة بنسيلفانيا،١٩٨٥)الفصل السادس "عصر الإيمان السيئ".

٤- للمقارنة مع نيتشه أنظر هنرى دى لوباك، ترا جيديا الإنسانية الأخلاقية، ١٦٧-١٨٧. لازال نافعا ليف شيستوف، دوستويڤسكى تولستوى ونيتشه، مترجمة برنارد مارتن(أثينا: مطبعة جامعة أوهايو، ١٩٦٩ . النسخة الأصلية روسية، ١٩٠٣).

٥- السيرة الادبية المحددة لدوستويڤكى، يتم الأن إنتاجها عن طريق چوزيف فرانك. ثلاثة من الأجزاء الخمسة التى كانت تحت التجهيز ظهرت: دوستويڤسكى: بذور الثورة، ١٨٢١- ١٨٤٩، دوستويڤسكى: سنوات المحنة، ١٨٥٠- ١٨٥٩؛ دوستويڤسكى: إثارة التحرير ١٨٦٠- ١٨٦٥ (برستون: مطبعة جامعة برنستون، ١٩٧٦، ١٩٨٣، ١٩٨٦). قسطنطين موكويڤكى، دوستويڤسكى: حياته وعمله، ترجمة ميخائيل أ. مينيهان(برنستون: مطبعة جامعة برنستون، ١٩٦٧) باقية مصدر نافع. سيرذاتية ستاندارد أخرى متضمنة ديڤيد،جارشاك، دوستويڤسكى(ويست بورت، س ت: جرين

وود، ١٩٦٢)؛ رأ. هـ. كار، دوستويفسكى(١٨٢١- ١٨٨١): سيرة ذاتية جديدة (لندن: أنوين، ١٩٣١)، أفراييم يارمولنسكى، دوستويفسكى: حياته والفن (نيويورك: فانك، واجنالز، ١٩٧١)، والحديثة جدا،جيركييتسا، فيدور دوستويفسكى: حياة كاتب، مترجمة: إس هستفيدت، ديفيدماكدف(نيويورك: إليزابث سيفتون / فايكنج، ١٩٨٧).

٦- دوستويفكى غير المنشور: يوميات ومذكرات(١٨٦٠- ١٨٨١)، إصدار كارل آر. بروفر(آن أربور، أرديس، ١٩٧٣)، المجلد٣، ص١٧٥.

٧- أنظره على سبيل المثال، برديائيف، بولچاكوفى، وأل. فيكى(١٩٠٩)؛ مترجمة: ماريان شوارتز، علامات مميزة (نيويورك: كارزهيوارد، ١٩٧٧). هذا ومجلد المقالات الثانى، دى بروفانديس(١٩١٨)، كانت إلهام لمقتطفات أدبية مختارة للمؤلفين المنشقين لسولجنتسين، من تحت الديش.

٨- السيرة الشاملة تماما لسولجنتسين هى ميخائيل سكاميل، سولجنتسين: سيرة ذاتية (نيويورك: نورتون، ١٩٨٤). مادة هائلة يقدمها السيرة الذاتية الجزئية لسولجنتسين، شجرة البلوط والعجل. لاغنى عنها لتجميع الوثائق وردود سولجنتسين، كذلك سيرة ذاتية هى: ليوبولد لابيرز، إصدار سولجنتسين: سجل وثائقى، الطبعة الثانية (هارموند سويرث: بنجوين، ١٩٧٤)، چون چ. دنلوب، ريتشارد هج، أليكسى كليموف، الكسندر سولجنتسين: مقالات هامة ومواد وثائقية، الطبعة الثانية (نيويورك: ماكميلان ١٩٧٥)؛ چون چيه. دنلوب، ريتشارد هج، مايكل نيكولسن، سولجنتسين فى المنفى: مقالات هامة ومواد وثائقية (ستانفورد، س إيه: مؤسسة هرفر، ١٩٨٥).

٩- أحدث سيرة ذاتية، هربيرت آر. لوتمان، ألبرت كاموسى (جاردن سيتى، نيويورك: دابل داى١٩٧٩)، الموثوق به للغاية أيضا عن تفاصيل حياته. المفيد أيضا باتريك

ماكارتي، كاموسى: دراسة هامة عن حياته وعمله (لندن: هاملتون، ١٩٨٢)؛ دونالد لازار، الإبتكار الوحيد لألبرت كاموسى (نيوهاڤن: مطبعة جامعة ييل، ١٩٧٣)؛ والمجموعة الممتازة من مقالات إصدار راموندجاى- كروسبير، ألبرت كاموسى (جينزڤيل، إف إل: مطبعة جامعة فلوريدا، ١٩٨٠).

١٠- سيمون ڤيل، قارئى سيمون ڤيل، إصدار چورچ إيه. بانيكاسى (نيوورك: ماكاى، ١٩٧٧) أنظر "سيرتها الذاتية الروحية" ١٠- ٢٦

١١- لتفسير السيرة الذاتية لڤوجلين أنظر إيلى ساندوز، الثورة الڤوجيلية (باتون روچ: مطبعة جامعة ولاية لويزيانا، ١٩٨١)، انعكاسات سيرة ذاتية ڤوجلين. مناقشة عامة جيدة عن عمل ڤوجلين قدمها إيجين ويب، إيريك ڤوجلين: ڤيلسوف التاريخ (سييتل: جامعة مطبعة واشنطن، ١٩٨١)

١٢- تبنى ڤوجلين لشعار نظام وتاريخ مبدأ أوجستن،"فى دراسة المخلوق الأول لايجب أن يمارس العبث وحب الاستطلاع المميت، لكنه يجب الاتجاه ناحية ماهو خالد وأبدى".

١٣- ڤوجلين، الإنجيل والثقافه" ص ٦٢، ٦٣ .

١٤- "لدى فى ملفاتى وثائق تدمغنى بشيوعى، فاشستى، إشتراكى وطنى، وليبرالى قديم، وليبرالى حديث، ويهودى، وكاثرليكى، وبروستانتى، أفلاطونى، أوجاسطانى حديث، وطوماستى، وطبعا هيجيلى - ولاتنسى إنى كنت متأثرا جدا بـ.. هوى لونج. أعتبر هذه القائمه ذات أهمية، بسبب السمات المتنوعة دائما تسمى العدو اللدود للناقد، وتعطى صورة جيدة جدا للخراب الثقافى والدمار الذى يحدد العالم الأكاديمى المعاصر. من المفهوم لم أرد أبدا على تلك الإنتقادات، ناقدون من هذا النموذج يمكن أن يصبحوا أهدافا للتحقيق، لكنهم لايمكن أن يكونوا شركاء فى مناقشة".

١٥- تجربة مماثلة تم اكتشافها فى كاليجولا، المسرحية التى تم تخصيصها لهذه الدورة الأولى من التخريف.

١٦- خطابات مختارة لفيودور دوستويفسكى، إصدر جوزيف فرانك وديفيد جولديشتاين، ترجمة اندروماكاندرو (نيوبرونسويك، نيوچيرسى: مطبعة جامعة روتچرز، ١٩٨٧) ٥١- ٥٣. أصبحت محنة روستويفسكى أساس لقصه مطابقه قصها الأمير ميشكين فى "الغبى" ٨٠-٨١.

١٧- كاموس أورد فى المذكرات رقم ٢ محادثة مميزة حدثت بين كوستلر، سارتر، مارلو، سبيرير، كاموس فى التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩٤٦. أصركاموس على أننا الذين جاؤوا من النيتشية، العدمية أو الواقعية التاريخية ينبغى الإعتراف أنه تم خداعنا وأن يوجد قيم أخلاقية. عندما رفض سارتر إدانة الإبعادات غير الإنسانية فى الإتحاد السوڤيتى، أجاب كدستلر: لابد من الإعتراف بأننا ككتاب نخون التاريخ إن لم ننكر مايجب إنكاره. إن تآمر الصمت هو إداتنا فى عيون أولئك الذين جاؤا وابعدنا. أنظر أيضا إيريك ڤيرنر، من العنف إلى الاستبدادية: مقال عن فكر كاموس وسارتر (باريس: كالمان - ليڤن، ١٩٧٢).

١٨- كاموس عدل الروايتين لأجل المسرح، ووضع نفسة فيهما. لوتمان، كاموس١٧٥، ٥٢٨.

١٩- فرانك، سنوات المحنة، الفصل التاسع.

٢٠- سولجنتسين تم جذبة تجاه تحليل مميزة فى جهده لفهم الثورات الإرهابية لروسيا قبل ثورة ١٩١٧. مناقشة بين عمليتين"ثوريتين" تكشف عن عمق هذا التقليد فى المجتمع الروسى وتكشف الهاوية العدمية فى صميمها. ڤيرونيكا، ابنة الأخت تقترح أن الثوريين ينبغى أن يرسموا الخط عند جريمة فردية. لكن العمه أجنيسا تصر على أن "الثوريين لايحكم عليهم بعصا الأخلاقية العنيده... الرعب والرعب فقط يقود الثوره من يدها ! إنه بدون رعب ليرشدها ستكون الثورة ببساطة عاجزة عن التقدم

وتعرقه فى الطمى (الطين) الروس والصلصال. الحصان ذو الأجنحه وهو حصان الرعب يستطيع هو فقط أن يخرجها. يجب ألأنتطر إلى الرعب ذاته وأنما إلى أهدافه المتغطرسة. الإرهابيون لايقتلون هذا أو ذاك الفرد - ففى شخصه إنهم يجاهدون لقتل الشر ذاته".

٢١- كان درستويفسكى مفتونا بالنضال بين الأنفس المختلفة داخل شخصية واحدة. أشار إلى معنى الإكتشاف هذا بمثابة" مادتى المعتادة، واعتبر استخدام الإزدواج كبدعته الأدبية الأساسية. الإزدواج هو بالطبع أحد القصص الأولى. تصبح الوسيلة فى السنوات التالية أحد المبادئ الهيكلية الأساسية لتدبيرالروايات. ما من مكان تكون فيه أكثر وضوح من "المعتوة" حيث أن كل واحد آخر يدور حول شخصية ستراڤروجين اللغز."الأمير هو كل شئ"، لاحظ دوستويڤسكى. أنظرموكولسكى، دوستويڤسكى.

٢٢- مستوى مجزرة القرن العشرين اقتربت فيما سبق أثناء الحرب الدينية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر. هناك إقتناع موازى بللصلاح الكامل غير الممكن الإغارة عليه سائد داخل الجوانب المعارضة.

٢٣- سولجنتسين، "الشوعية: شرعية الرعب"، الإنفتاح: تنبؤات بالديقراطية والديكتاتورية. هذه الكلمة موجودة فى سوبرانى سوشينينى مجلد ٩. ربما نلاحظ أن الإعتدال المعاصر للأيديولوجية الشيوعية يحدث داخل الأنظمة القديمة المستهلكة وليس داخل المتغيرات الأكثر شبابا، مثل ڤيتنام، كوبا أوحتى الصبين.

٢٤- إيجور شافا رڤيتش، الظاهرة الأشتراكية، متوجمة: وليام تيالما (نيويورك: هاربرآند روو، ١٩٨٠)، أنظر أيضا "الأشتراكيةفى ماضينا ومستقبلنا" وهى له، من تحت الزبش، ٢٦- ٦٦.

٢٥- "حقيقة النظام لابد من إحرازها وإعادتها فى الكفاح ضد السقوط منها؛ والحركة تجاه

الحقيقة تبدأ من وعى الإنسان بوجوده فى غير الحقيقة. إن وظائف التشخيص والعلاج ليست منفصلة فى الفلسفة كصيغة للوجود ، يكتب إيريك ڤوجلين.

٢٦- أوضح هذه النقطة جيدا الإشتراك الهائل للأتحاد النقابى فى تحسين أحوال العمال بالتناقض مع غياب النتائج الحقيقية تحت تأثير (تقود) الحكومات الشيوعية. المعارضة بين الاشتراكيين المتطورين وإخوانهم الثوريين هو بالطبع معروف جيدا. سخر ماركس من أى محاولة لتحسين المرتبات والأحوال بالنسبة للعمال كأنها تعطيل للحل الثورى النهائى.

٢٧- لويس، إلغاء الرجل، أنظر أيضا " سم الموضوعية"، "أفكار مسيحية"،اصدار وولنزهوبر (جراند رابيدز: إيردمانز، ١٩٦٧)،

٢٨- أنظر فصل ٨ من لقب فى جناح السرطان، التى بدورها مناقشة معالجة تولستوى لنفس المسألة.

٢٩- الطبعة الإنجليزية ذات السبعة وثمانين فصل وهى الدائرة الإولى هى نص "مخفف" للمخطوط الأصلى ذات التسعة وتسعين فصل. من بين التغيرات الهامة فى هذه الطبعة التامة الآن هو إتساع هائل للفصول عن ستالين. إن مسمار الحبكة تغير أيضا ، من قصتة عن خيانة المعرفة الطبية إلى ذلك الذى يتعلق بالإكتساب السوفيتى لأسرار القنبلة الذرية.

٣٠- فى مسحة مماثلة إستجابة سيدة عجوز أخفت مطران الكنيسة الأرثوذوكسية أثناء هربة إلأ أنها لم تسلم أسماء الآخرين المتورطين.«لاشيئ يمكنكم أن تفعلوه معى حتى لو قطعتمونى إربا. أنتم خائفون من رؤسائكم، أنتم خائفون من بعضكم البعض، وأنتم خائفون حتى من قتلى... لكننى لست خائفة من أى شيئ. سأكون مسرورة أن يحاكمنى الله على التو». (أرخبيل جولاج، الفصل الأول، ص ١٣١).

# الفصل الثالث

## الباب الثالث

# التشخيص

عند البحث عن مفهوم تناقضات المدنية الحديثة التي تتأرجح بين المثالية والواقعية ، الطموحات البشرية الغير محدودة والقسوة الشديدة فإننا نجد عند تطبيقها ضرورة تحديد مستوى المسؤولية لهذه المتناقضات.فإذا تسائل أحد كيف يمكن لنا أن نساند كل تلك المفارقات الشاسعة لاكتشفنا إننا لم ندرك بالقدر الكافي عدم مصداقية هذه الأمور ، أو أنها قد لا تكون مفهومة من قلبنا بالقدر الكافي فبعض هؤلاء الذين يطبقون أساليب تجريد البشر من الصفات الإنسانية كانوا على درجة كبيرة من الغباء والجهل بحيث لم يدركوا حقيقة ما يدور حولهم وآخرين رأوا تلك وسيلة سهلة ومريحة لتطوير الرغبات البشرية الملحة في الظهور والوصول إلى السلطة في كل مجتمع هناك مجموعة كبيرة من الضعفاء ترضخ للإنسياق لأنها لا تستطيع أن تفعل غير ذلك حيث أنها لم تفكّر إطلاقاً في إمكانية السير في اتجاه مضاد لذلك النفوذ المتسلّط وكلِ ذلك الضغط الإجتماعي ، لكن هناك دائماً أقليه . هؤلاء هم الأكثر ذكاء المستقلين فكرياً ، الذين لو لم يتعاونوا لاستحال وجود كل تلك التناقضات هؤلاء تأملوا نار جهنم المصاحبة الإيدولوجية ومع ذلك أصروا عليها للوصول إلى رؤية أوضح للعملية التي تدور داخل هذه النفس البشرية ، فعلينا أن نفهم كيف يمكن للمدينة الروحي للمدينة الحديثة أن يهاجم الحضارة بأكملها .

بصفة عامة فإن موضوع هذا التحليل يلقى الضوء على الحركة التاريخية التي وصلت إلى ندوة الضياع النفسي في العصر الحديث كل هؤلاء الذين مروا بتجربة التنفيس أمكنهم فهم هذه الضرورة بدرجة أكبر أو أقل واتفقوا جميعاً على عدم وجود أي تفسيرات كافية للمشاكل المعاصرة دون الرجوع إلى المفهوم التاريخي . استطاعوا أن يدركوا أن الأنظمة الشمولية المؤدية للخراب ليست من الأمور الشاذة مثل الإضرابات المصاحبة للتقدم المنطقي للحضارة فمثل هذه الظواهر لا يمكن أن تحدث دون الإنجلال المنتشر في النواحي الروحانية في المجتمعات المتأثرة بهذا التقدّم بالإضافة إلى عملية شلل الإرادة الواسع المدى داخل دول العالم التي كانت تسمح بالإستمرارية ولا تعمل على القضاء عليهم . الرجل الواحد أو المجموعة الواحدة أو الحزب الواحد لا يمكن أن يكون مسؤولاً عن كل هذه

المنطقى للحضارة فمثل هذه الظواهر لا يمكن أن تحدث دون الانحلال المنتشر فى النواحى الروحانية فى المجتمعات المتأثره بهذا التقدم بالاضافة إلى عمليه شلل الارادة الواسع المدى داخل دول العالم التى كانت تسمح لهم بالاستمرارية ولا تعمل على القضاء عليهم . الرجل الواحد أو المجموعة الواحدة أو الحزب الواحد لا يمكن أن يكون مسؤولا عن كل هذه الأمور، ان هذه الجريمة المسؤول عنها من داخل وخارج نطاق هذه الأجيال بل " إنها عملية سوء الفهم للدفعات التاريخية لا يمكن أن نصدق أن عدة رجال يستطيعون أن يقضوا على حضارة بأثرها قبل أن تكون تلك الحضارة قد انتهت وقضت على نفسها يمكن أن نشير هنا إلى عبارة توينبى الذى كتبها فوچلين ( ER79 ) إن تعريف أزمة الحضارة لا يعنى أن الفوضى قد تفشت ولكن عندما يحدث ذلك فعلا توجد " قوة علاجية " يجب عليها أن تحافظ على النظام ولكنها إن فشلت فى تلك المهمه فإن الفوضى النفسية ستتكون فى الادراك الكامل لما يجب أن يتم فعله وإذا اجتمع ذلك مع الرفض الشامل والهروب المصاحب الى المنطقية، وبدون هذه العملية الداخلية للاندماج النفسى فان العملية الخارجية للتحطيم السياسى لا يمكن أن تحدث نصل إلى ادراك أن النواحى التاريخية ضرورة ملحه إذا اردنا أن نفهم كيف تم التخلص من الحقائق الروحية فمثلا إذا أراد أحد أن يهتم بصفة خاصة بمشاكل الحاضر يجد نفسه طبيعيا متجها إلى الخلفيات التاريخية لهذه المشاكل حتى يستطيع أن يفهم حقيقة ما يدور حوله ويضع اطارا مناسبا لرد الفعل المطلوب لها وذلك أدى إلى أن يقوم البعض مثل سولز هنتيز إلى كتابه التاريخ العظيم للفوضى وتلاها بالثورة الروسية عام ١٩١٧ ولكنه وجد أن بحثه لا يمكن أن يتوقف هناك لأن المفهوم الاكبر للتاريخ الحديث يجب على الأقل أن ينظر إليه كصورة شامله والا فسيكون عملا ناقصا لايمكننا أن نستند علية ويمكن أن نجد ذلك بدقة كبيرة فى النصف الثانى من " هارفارد ادريس " حيث وضع ادراكه بأن الأزمة المعاصره يجب أن نعود بها الى وقت الثورة النفسية للتمدن التى بدأت مع تاريخ النهضة إن الأفكار التى اصبحت لها قوة اجتماعية الآن " استقلاليه الإنسان من أى قوة عليا اكبر منه » ونقص «اى جوهرى فى الانسان"

والرفض للاعتراف " باى مهمه عليا أخرى غير الوصول إلى السعاده على الأرض " كل ذلك يمكن أن نجده فى الطيارات العقلية التى انبعثت من تلك الفترة التاريخية إن الوضع الذى نراه حولنا عباره عن " الهدوء الناتج عن الضمير الغير مؤمن بالأديان " ذلك هو المصدر المشترك للحركات السياسية للشرق والغرب .

وبنفس الاسلوب فهم دوستوفسكى عدم الترتبط الاخلاقى للاسرة الروسية كوسيله لايضاح سبب الانهيار الاكبر للمجتمع الروسيى . وبالتالى فان ذلك يعكس بصفة عامه عدم الترابذ الذى يمتد جذورة إلى المدنيه الحديثة من خلال التسلسل التاريخى فقد أدرك بدقة شديدة أنه يعيش فى فترة حرجة واغلب المعاصرين ادركوا ذلك أيضا من خلال اهتمامهم بمجتمع لم يعد له وجود . إن مهمته الخاصة كما فهمها هو هى أن يسمو فوق الكتابات المهملة التى تدور حول ملاك الأرض بالتركيز على التشويش الذى كان حوله سعى الى اكتشاف " القوانين الخاصة بهذا التحليل وكذلك البناء الجديد له (٥٩٢ . D.W.) دون التغاضى عن الثورات الداخلية والصراعات الداخلية لشخصياته كوسيلة اختارها دوستوفسكى من أجل اكتشاف الانقباضات التاريخية الواسعة داخل الحضارة الحديثه ويحدد الملامح المركزية لهذه الأزمة " البدعه الكاثوليكية » التى تغلبت على الارثوذكسية والتى وصلت نتائجها الآن إلى ذروتها فى الحركات الاشتراكية الثورية . هذه البدعه هى الخطأ الذى جعل القوة بدلا من التغيير الروحى كأساسا للنظام اعتبرها بمثابة " المبادى الكاثوليكية " ونشأ ذلك عن فهمه للكاثوليكية حيث أنها تعتمد على فكره " أن المسيحية لا تستطيع أن تنجو على الأرض دون القوة الروحية للبابا "(D.W 225 –728) (١٥٦٠) بالرغم أن هذا المبدأ لم يكن معمولا به فى الكاثوليكية إن التعبير الضمنى لها يمكن أن يكون متواجدا فى الاشتراكية الإلحاديه التى ظهرت عندما اشتدت الحاجة الى سلطة مقدسة حيث ادركت الاشتراكية أن تأكيد كفاية القوة السياسية الاستقلالية جعلت من البشرية اكبر حقائقها وسعت الى اهمال الدين . إن تاريخ العالم الحديث يقدم كشف مستمر من منطلق هذه النقطة الأساسيه .

وهناك تفسير متماثل بسير فى نفس الاتجاه قدمه البرت كاموس بالرجوع الى بدايه الحركات الثورية الحديثة فهو يجد نفس الاعتقاد فى الاكتفاء الذاتى للطبيعه البشرية وقيم الاستقلالية للأفراد .

فعندما تسقط فان قوه الارادة البشرية ستأتى بالتغيير التاريخى المطلوب . ويسجل كاموس الانحدار المحزن الى القسوة كنتائج حتميه لهذه الادانات كما رأينا من قبل فانه يربط مسؤولية المعسكرات المركزية فى هذا القرن الى أفكار وتعهدات المائتى عام السابقة . هنا يستخدم المنطق الذى لا يرحم فى التحرك من الاستنادة الى الرعب طريق الثوره حيث أن المبتكرون يعبرون عن رغبتهم فى التضحية بالبشر من أجل الوصول الى المثالية للبشرية فى المستقبل إن نزاع كاموس مع الفوضى فى الحاضر هى ثمار للجذور التاريخية لهذه المشكلة وهو ينظر لها كالطريق الوحيد لتأكيد عدم تكرار هذه المشكلة نفس الإيحاء قاد التحرى التاريخى الواسع المدى الذى قام به اريك ڤوچلين وهو أحد الدراسين مثل كريستوفر دوش وارنولد توينبى وآخرين عادوا الى التاريخ حتى يستطيعوا أن يفهموا مصدر الاحداث الرهيبه التى عشنا فيها إن دراسة فوجلين للتحركات الايدولوجية وعن الطبيعه الدينية من الناحيه الظاهريه أدى إلى رجوعه ليس فقط الى الجذور الفكرية ولكن كذلك الى الجذور النشطة للإتجاهات المختلفة للتجربة الدينية الغربيه. وبوجه خاص اكتشف صلتهم الوثيقة مع مذهب العرفان فى المسيحية وهو اتجاه منشق من اليهودية والمسيحية التى انبعثت فى زمن المسيح .

هذه الفكرة تطلبت استكشاف الرموز التى اضمحلت فى اليهودية والمسيحية ولكن بحث لا يقف عند هذا الحد بل يتضمن كذلك الرموز التى تعود فيها الصحوة للنظام الفردى والسياسى فى الفلسفة الإغريقية وأخيرا فأن هذه الفكره لا يمكن أن تكتمل إذا توسعت الى الرموز القديمة والمتوازيه لنظام الوجود حيث أنها انبثقت من خلال التاريخ البشرى . إن عمل فوجلين يوضح أننا ليس لدينا أى أمل لفهم العالم المعاصر الا إذا كنا على علم بكل

من الرمز التاريخى للنظام القائم وكذلك التدهور التاريخى لهذا النظام والذى كان له دورا فى ذلك . أن المعوقات الاستبداديه التقليديه لهذا البحث لا يمكن من وجهه نظره أن يتم التغلب عليها اذا استطعنا أن نضع يدنا على الجذور العميقة لهذه الفوضى .باسلوب آخر فان هناك اتفاق عام أن مصدر الفوضى المعاصره يجب أن نتتبعها منذ أوائل التاريخ لعصونا ونذهب لأبعد من ذلك الى الهيكل والبناء الذاتى للحضاره الغربية نفسها . وبوضح أن هذا المفهوم المتعدد المستويات والمتعدد المراحل للعالم المعاصر هو الوسيلة الوحيدة لتآكيد أننا وصلنا الى اسلوب العمل الأكثر عقلانيه .

ولكن ذلك يعقد هذه المهمه بدرجة كبيره ، مهمه الوصول الى التأثير والمسؤولية للعوامل المختلفة المتضمنه . اذا أردنا ادعاء الجداره فى معرفه الاتجاه التاريخى الشامل من العالم القديم الى العالم الحديث فاننا نضحك على انفسنا حتى البحث فى الفترة الحديثه ككل محفوفة بالاخطار النظرية والتجريبيه من حسن الحظ أن وجهه النظر الفلسفيه لا تحتم مثل هذه الجداره . كل ما يحتاجون اليه من وجهه نظر المفكرين الذين نتعامل معهم هى القدره على تحديد العناصر الرئيسيه التى بدونها لتطور كل شىء باسلوب مختلف . من المهم أن نحدد مفتاح المستوى الروحى ، رد الفعل الداخلى الناشىء عن الوجود إلى الحقيقه التى تحدد كيف يمكن التعامل مع تأثيرات الاحداث والتجارب فى اطار النتيجة الشاملة .

أن الجزء الأخير من الباب السابق ألقى الضوء على أهميته هذه النقطة إن التنفيس الروحى الذى تحقق كان عن طريق هؤلاء الذين واجهوا « الملابسات » الكاملة لجهنم . وذلك يثير السؤال المعروف لماذا لم يكن رد الفعل مماثلا للآخرين وفى وقت سابق لماذا ادركوا القسوة البشرية لهؤلاء الذين لا يؤمنون باى قيم روحيه تمنعهم عن هذه الافعال وكثير ممن رأوا بوضوح ملابسات هذا الاتجاه الفكرى ، لماذا اصروا عليه باى وسيله ؟

لماذا قادنا المفكرون العظماء للعالم الحديث الى هذا الطريق الذى يؤدى الى النهاية الحتمية عندما ندرك كيف استطعنا أن نقترب وكيف اقتربنا من إبادة انفسنا فاننا نتعجب

للقوة الروحية التى تستطيع أن تغمض أعين البشر لمده طويلة عن نتائج ما يقومون به. اذا أردنا أن نتجنب إحلال آخر لتمسكنا العنيف بالنظام فمن المتوقع أن نصل الى فهم واضح للعاطفة التى تسطيع أن تشوه ردود الفعل الطبيعيه للبشر تجاه الحياه . نستطيع أن نتذكر تعليق كاموس بأن كل ما يسعى اليه " أن يعيش الحياه الطبيعيه للإنسان " ما الذى منع اذن كثيراً من الرجال والنساء من أن يصبحوا طبيعيين .

**التمرد الغيبى :**

إن العامل الذى كان دائما يشار اليه كالمؤشر الرئيسى فى العصر الحديث هو الذى أشار اليه كاموس " بالتمرد الغيبى " ما الذى غير المحاولات المختلفه لبناء نظام ثورى حديث الى عربده وإراقة الدماء بلا حدود ما الذى أدى الى البعد عن أى هدف سياسى محدد نظرا لانبعاثه من التمرد على الطبيعيه المنطقية . للوجود فأنه ليس له أى نتائج محسوسة تستطيع أن تشبع ردود الفعل العامل الوحيد الذى يستطيع أن يسكن النار الموقده لهذه الثوره هو التحويل الكامل للطبيعه البشرية ولظروف الوجود التى تقع كلياً خارج نطاق القوة البشرية كنتيجة حتميه لذلك كان هذا التحرك فى اتجاه تغيير المظهريه وبعد أن بدأت هذه النزعه اصبحت لها ديناميكية داخلية للثورة العارمه لدرجه القضاء على نفسها الا إذا واجهت مقاومه قوه طبيعيه خارقة تستطيع أن تمنعها .إن الحركات الكبيرة المخربه للحركات السياسية الحديثة لا يمكن فهمها إلاّ اذا ادركنا المصدر التى تستمد منه طاقتها. إن عدم الصبر على الحدود، ورفض الحياه المزدوجة، واليأس لحقيقة اننا بشر قادتهم فى النهاية الى التجاوزارت اللانسانيه (R٣٠٥) هذه هى العوامل التى تعمى البشر عن النهايات الحتمية القاتله لاعمالها ، للتناقض الواضح داخل نطاق قيمهم الغريبة وكذلك الى القضاء على مشروعهم المشوة تشويها كاملا أى من هذه الاعتبارات غير قادرة للتحكم فى افعالها لهذا السبب فان اى محاولة لتفنيد راديكالى لهذه الادانات لا تؤتى بأى ثمار . من وجهة نظرهم إن المعاناة التى تنعكس على هؤلاء الثوريين سواء على انفسهم أو على الآخرين غير

محدده المعالم بالمقارنه مع المصداقية المتناهيه لموقفهم من كل هذه الأمور لذلك فهى تعتبر منطقية بالنسبة لانعدام العدل المنتشر الآن فى العالم وهو المتهم الأول أمام الرغبة الماديه التى تحترق بداخلهم من أجل الوصول الى العداله إن الاختلاف المتناقض بين الحقيقة الظاهرية الشريرة وكذلك النقاء الداخلى هى المنبع الرئيسى للرضا أنها تمد من يشاركونها بشعور جامح عن تفوقهم الأكيد من هذا العالم التافه وذلك يتعدى كل الاعتبارات الأخرى لطبيعتها المنطقية من الذى يستطيع أن يتوقع أن هذه النار الموقده للتمرد تستطيع أن تصلح باستخدام الظروف المحيطة فقط .

بدأ كاموس موضوعه عن انبثاق هذا التعقيد والتداخل للمشاعر مع المركيز "دو ساد" وهو أحد الممثلين الأوائل للثوره الغيبيه إن موضوعه يتميز بالنفور من النظام الغير عادل للخلق ، ويتبعه بحل للوقوف فى وجه ذلك بكل ما لديه من قوة حيث أنه يدرك جيدا عدم أهميته الشخصية بالمقارنه بالشمولية للعالم أجمع . لكن دوساد محدود بالوسيلة الوحيده المتاحه وهى اعتراض البشرية الغير محددة المعالم ، ذلك هو السماح المطلق للشر تكريسه لكل شيء لكى يصل الى اقصى حدود الفسوق والقسوة ، هذه المهنه أو الهواية التى اصبحت ملتصقة دائما باسمه ، وتستمر كلما كان ": البشر منغمس فى الملذات حيث تكون هناك نوع من البيروقراطية للقوانين المضاده عن الموت والحياه ، الرجل ، المرأة الذين قدموا انفسهم للأبد لنار رغباتهم " (R 42) ولكن الطبيعة الانتقالية تحدد عن طريق رغبه دوساد فى تبرير افعاله معترفا بانها شر مستمر عن طريق النتائج الحتمية للنظام الاخلاقى.

قد تبعه زمنياً ونفسياً الإتجاه الرومانسى حيث الأفراط فى التأنق والتأمل الذى يتبعه بالنظر الى المرآة وهى عملية مقصودة حتى يظهر أمام أعينهم الظلم الفادح لمصيرهم . عندما يصلب احساسهم بالظلم والتمرد الى درجة عالية من الحمى ، فانها تفجر روابط المواثيق وتنقلب بالتحديد الى الوضع الذى كان وهو " التمرد ضد الله " هذا هو الاتجاه الذى ساد فى القرن التاسع عشر والذى وصل الينا كينبوع التطرف الايدولوجى بالاضافة الى

ذلك إذا كشفنا الأصل الذى يحرك كل هذه الاتجاهات يصبح التضمين المتوقف على هذا الوضع واضحا تماما تقديس الطبيعه البشرية. كل منهما مرتبطا بالآخر نسبيا فهو رباط أقوى على مستوى الخبره العمليه عن المفاهيم العامة الفطرية. إن الثورة والتمرد ضد خالق هذا الكون لم يتحول الى الراديكاليه الا إذا أشعل باسليب التنافس بين البشرية . إن نزعاتنا المتجاوزه قد حاولت أن تقنعنا بان " نصبح مثل الخالق نعرف الخير والشر " على العكس إن التمرد ضد الله الذى يحاول أن يبيد وجدانيته فى القلب البشرى يحاول أن يغير البشرية الى حاله من الواقعيه التى تقدم سبب النهاية لوجودها اذا مات الله تبدأ رؤيا نبوئيه للبشرية حيث تقنع نفسها عن قدرتها الخارقة فى العدل فالحياة العصرية القت بقيود السلطة المقدسة بحيث اصبحت اخيرا الحقيقة العليا لكى يستطيع أن يمثل هذا الاسلوب يرجع كاموس الى تحليل دوستوفسكى خاصة فى الموضوع الشهير له " المتمرد" الذى ألفه إيفان كارامازوف . هذا يتضح بصوره اكثر اذا احتجنا إلى قدره دوستوفسكى لفهم العقلية الحديثه تماما حتى يستطيع أن يقدم جدا لاً أقوى للإلحاد اكثر من المقدم عن طريق الملحدين أنفسهم إن قوه هذا الموضوع ينبع من التركيز المنطقى للموقف الذى كونه إيقان . إن هذا الموقف لدية قوة كبيرة اكثر بكثير من الايمان الروحى الرقيق لشقيقه اليشع الذى لا يستطيع مقاومته . لقد تقابلوا فى طريق مسدود بعد عشرون عاما وغير متوقع أن يتقابلوا مرة أخرى لمده عشرين عاما آخرى لأن مناقشتهم تبدأ فورا عن ": السؤال الابدى " الذى يبين حقيقة كل منهما . يفهم ايقان أن اليشع لا يريد أن يستمع الى أى مناقشات عن غيبيات خاصة بالله أو الحياه الابديه أو الاشتراكية أو الفوضوية ولكنه يريد المعنى الملموس لهذه الأفكار فى حياه الانسان " آنك لا تريد أن تسمع عن الله ولكنك تريد فقط أن تعرف بماذا يعيش أخاك الذى تحبه وقد أخبرتك عن ذلك فعلا " ذلك لأن ايقان يفرغ كل ما فى قلبه واحاسيسه الداخلية حتى يتكون مزيج روحانى حقيقى وهنا تصبح تهم المتمرد واقعية لكل من اليشع والقارىء لكننا يجب ألا ننسى الدور الذى يلعباه فى البناء الكلى لهذه القضية فى اساليب كثيرة يعتبر ايقان الشخصية التى تدور حولها الاحداث لأن بداخله

تتعارك الموضوعات الاساسيه لتجد الحل . من المهم اذن أن نقول كل ما ينطلق به وذلك بالنسبة لطبيعته الضرورية يعتبر " لغزا" يعانى من " آلام بالقلب " وممزق بين الايمان والالحاد إن " الغرابة بالنسبة لهذا القلب " كما هو معهود عن الدرزوزيما هو سؤاله عن وجود الله وعن الحياة الأبديه " اذا لم يستطع أن يجيب على هذا السؤال بالإيجاب ... فانه لن يستطيع أن يجب عنه بالنفى .

إن التمرد على الله الذى يناقشه بهذه الحده يقوم اليشع بالرد علية فى موضوعه الآخر عن " الخالق العظيم "

هذه هى القوة فى تحليل دو ستوفسكى الذى استطاع بتكوينها أن يتفوق على القارئ الذى يقوم بتمثيله إن العمل الذى يقدمه إيڤان يتطلب معرفه دقيقة لأنه شديد الوفاء بالصراعات المتوترة للتجربه فهو يعلن بصراحه موافقته على قبول الله وخطة العناية الإلهية المقدسة التى تقود كل شىء حتى يتحقق فى اللحظة الأخيرة التجانس المتكامل الأبدى ويسأل اليشع " هل تصدق ذلك فالنتيجة النهائية تجعلنى لا أقبلها على الاطلاق . الموضوع لا يكمن فى أننى لا اقبل وجود الله يجب أن تفهم أنه العالم الذى خلقه هو الذى لا استطيع أن اقبله " .

إن وجود الله لا مفر منه وباسلوب آخر حتى نستطيع أن نبرر اتجاه ايڤان بدون خالق يعلو فوق الوجود المادى ويكون مسؤولا فكيف يمكن لنا أن نتمرد على نظام الأشياء أو أن نجد مبررات لحريه الانسان فى هذا الوضع هذا محدد بدقة فى النظرية الحديثة الشاملة للتمرد على الله التى لا يمكن اعتبارها ضد أو مع الالحاد أو ضد المسيحية الذى يعتبره ايڤان شيئ غير محتمل يفوق الطاقة البشرية هو معاناه الاطفال الأبرياء بالنسبة له هذا هو الاختبار الحقيقى لنظام متناغم منظم ومثل دوستوفسكى اصبحت عادته جمع الحكايات النادره عن القسوة بالنسبة للاطفال التى تنشر فى الجرائد وفى القضايا والمحاكمات . ذلك يدل على أن الأمثله التى يذكرها حقيقيه لدرجه ما فهو يوضح كيف استطاع والدين لطفلة

صغيرة تبلغ من العمر خمسة أعوام عقابها بعد أن تبرزت فى فراشها . لقد ضربوها بلارحمه ولطخوها فى الغائط وتركوها تبكى طوال الليل فى مكان خارج البيت فى الثلوج . " هل تستطيع أن تفهم لماذا قامت هذه المخلوقة الصغيرة التى لا تستطيع حتى أن تدرك ما الذى يفعلوه بها أن تقوم بضرب قلبها الصغير المتوجع بمعصمها الصغير فى الظلام والبرد وأن تبكى بدموعها الضعيفة تطلب من الله الرحيم أن يحميها وذكر كذلك المثال البشع للصبى الصغير الذى كان عبدا وجرح بدون قصد خف الكلب أخذه القائد الذى كان يمتلكه وجرده من ملابسه وجعله يجرى أمام الكلاب وعندما استطاعت الكلاب الامساك به مزقته اربا إربا أمام أعين والدته ويسأل ايفان اليشع ما الذى يستحقه هذا القائد الوحش؟! ورد عليه بصوت منخفض " يجب أن يطلق عليه النار " .

المشكلة أن ايفان لا يستطيع أن يفهم أن هناك لحظة أبديه أو مستقبل تصحح فيه كل هذه الأخطاء وينتصر النظام فى النهاية لكنه يعتقد أن أى شيء مهما تحقق لايستطيع أن يعوض القسوة التى عانى منها هؤلاء الأبرياء إن كل المعرفة والسعادة الابديه مجتمعة لا تستطيع أن تعادل مثل هذه القسوة " انها لا تساوى دموع هذه الطفلة المعذبة التى اخذت تضرب صدرها بقبضتها الصغيرة واخذت تدعو الله فى مكانها المظلم البارد خارج المنزل وهى تذرف الدموع متوسلة الى الله الرحيم ، إن الله لا يستحق ذلك لأن هذه الدموع لم تكفر عنها " وايفان يذهب لأبعد من ذلك عن اللغز الانسانى أمام لغز المعاناة يبين دوستوفسكى فى هذا الموضوع كيف أن روح التمرد يمكن أن تنتشر فى الروح البشرية باكملها وترفض أن تهدأ حتى اذا استطاعوا أن يبينوا عدم صحتها .

" أننى لا أريد التجانس من منطلق حب الانسانيه ، أنا لا أريدها فانا أفضل أن اترك وحيدا مع هؤلاء الذين يعانون دون أن يثأر لهم أحد . أفضل أن أبقى مع هؤلاء فى معاناتهم وسخطهم الذى لا يزحزحه أحد حتى إذا كنت مخطىء فانهم يطلبون ثمنا كبيرا لهذا التجانس أن ذلك يزيد عن قدراتنا يجب علينا أن ندفع الكثير حتى نستطيع الدخول

فيه ولذلك فانني اسرعت باعاده تذكرة الدخول واذا كنت رجلا صادقا فانني يجب أن ارجعها باقصى سرعه وذلك سآقوم به فعلا ليس الله الذى أرفضه ، ولكنني يا اليشع ارجع اليه هذه التذكره باحترام كامل .

فى هذا لايستطيع اليشع المؤمن الا أن يعترض بان " ذلك تمردا " إن عدم قدرته على الإجابة تكون اكثر وضوحا عندما يسأل ايفان اذا استطاع أن يوافق على عالم حيث السعاده للجميع " أن يعذب حتى الموت كائن صغير ضعيف " ورد اليشع بصوت منخفض " اننى لا أوافق على ذلك ( K 291 ) إن الوضع الوحيد العكسى الذى يستطع أن يقترحه اليشع هو مثال لهذا " الفرد " الذى يجسد معاناته البريئة ولكن ايفان كان مستعدا لهذا الدفاع واستطاع أن يرد عليه " هل هى اسطورة المحقق العظيم " الذى يكون مستعدا دائما للاجابه إن سببها الغير حقيقى هى أن توضح قدره وتفوق الخالق فى حب البشر بالمقارنة لحب المسيح حيث يتهمه بقوله " انك تتعامل كأنك لا تحبهم على الاطلاق إن تضحية المسيح لتخليص العالم وضعت عبئا جديدا على الانسانية بالنسبة لحريتهم حيث أن الغالبية العظمى لا يستطيعون أن يساندوا هذه التضحية ويعيشوا طبقا لمتطلبات الايمان ولذلك فانهم سيمحقون حتما إن المحقق الكبير قد أخذ على عاتقه مسؤولية الخير والشر حيث استطاع أن يحرر البشرية من المعركه الانهائيه للوصول الى الكمال الروحى لقد استطاع أن يحقق خلاصهم .

إن السعاده الحقيقة محدده فى هذه الحياه وقد ادرك ذلك الكثيرون فاستطاع المحقق العظيم أن ينقذهم جميعا ذلك هو سبب تعاليه على من يزوره هؤلاء الذين القوا بآثامهم علينا من أجل سعادتهم سيقفون أمام الله ويقولون " حاكمنا اذا استطعت أو تجرأت على ذلك " فأنت تعلم أننا لا نخاف منك أنت تعلم أننى كنت أنا كذلك فى هذه الغابه أنا أيضا عشت على الجذور وعلى الجراد . أنا أيضا استطعت أن أقدر الحريه التى كرمت الانسان بها

وأنا أيضا كنت احارب للوقوف بين هؤلاء الذين جعلتهم اقوياء ولهم سلطانهم ، يبحثون عن الوصول الى المزيد . لكننى استيقظت ولا أستطيع أن أخدم الجنون لقد استدرت وانضممت الى صفوف هؤلاء الذين استطاعوا أن يصححوا أعمالك هنا نحن لدينا الشرح المماثل لهذا التعبير عن التمرد فى الباب القادم من هذه القصه أما الآن فهو موجه على الأخص لشخص المسيح . ان تضحية المسيح بنفسه من منطلق حبه للبشر تمثل اكبر تهديدا لهم فى نفس الوقت يمكن أن نتحرك بوضوح ونلاحظ التعبير المغرور والهدف الذى يسعى اليه المحقق العظيم نستطيع أن نشعر رغبته الشديدة فى المبالغة فى شخصه التى تفوق الشكاوى البشرية الرئيسيه إن الملابسات الغريبه فى تعظيم التمرد ضد الله فى هذه النقطة المنغلقة تقلل من حقها فى الشرعية وقد ادرك ايڤان ذلك حيث وافق مع اليشع على أن هذه القصيدة. مدح فى المسيح وليست لإيلامه كما حاولت انت أن تفهمها المسيح هو الذى أحب البشر حقا والذى يهمه شئونهم فعلا وهو يريد أن يحفظ لهم حريتهم الضرورية . إن الاسلوب الذى يعمل من خلاله هذا الحب يظل سرا مجهولا والأعتراض على الادانه الجماعيه لم تختف ولكن حقيقة حب الله من خلال المسيح لا يمكن الشك فيها . هنا على العكس يعرف المحقق بانه إنسان يؤمن بالعدميه ولا يستطيع أن يصل لشئ الا احتقار للبشر ويعمل برغبه ملحة فى تحطيم معنوياتهم أن ثورته التى يقوم بها باسم الانسانية المعذبة غير حقيقيه حتى لو أنها تتضمن ذرة من الصدق الذى قد يعترف به اليشع نفسه فانها انحرفت انحرافا شديدا بواسطة قياده الهيمنة الكونية. نبدأ بفهم المصدر الحقيقى للثقل الكبير الذى يكمن وراء التمرد على الله هى الرغبه فى أن يصبح هو الله " إن هذا المحقق لا يؤمن بالله " ويعلن اليشع ذلك قائلا " هذا هو سره " ويجيب ايفان " حتى لو كان الامر كذلك فانت أخيراً قد توصلت اليه ليس شيئا كبيرا انه توقف عن التصديق حيث أنه قتل الله فى قلبه حتى يصبح هو نفسه الله الشيء الموازى لسر زاراثوسترا " لو كان هناك آلهه فكيف استطيع أن احتمل الا اكون أنا الآخر أحدهم " وهذا دليلا كاملا بالعملية النفسية

التى تؤيد هذا المنهج " لتقديس النفس" فنحن نضطر أن نرجع الى الخالق فى هذه الاسطورة. إن تمرد ايفان ينبثق من رغبته الملحة " للتمسك بالحقائق " عن المعاناة البرئية " مع فهمى للذل البشرى باسلوب أوكليدن كل ما اعرف أن هناك معاناه وأنه لا يوجد أحد مدان " .

لقد أبعد نفسه عن امكانية الايمان التى قد تتيح له بصيصا من الضوء على اسلوب المصالحة الذى قد يوصلة الى البقاء الانهائى أو الخلود .

إن أى تجانس لا يحقق حلا للظلم وعدم العدل فى هذه الحالة يمكن قبوله " يجب أن اصل الى العدل والا فإننى سأحطم نفسى إن العدل الذى اطلبه ليس فى مكان وزمان محدد ولكن هنا على هذه الأرض حيث استطيع أن ارى نفسى إن الاحساس العاطفى للظلم يصبح متوغلا فى نفسى حتى أنه يحجب كل شىء فى العقل المدرك أنه يعمى حتى ايفان نفسه عن طبيعة العدل نفسه كل هذه الامور الخاصة بالمعاناة البرَيئه حدثت ولا يوجد أى شىء منطقى يبررها . للتخلص من هذه المعاناة بنصره العدل كلما امكن والتفتح فى اتجاه اسرار نظام لا نعرف كل خباياه يمحى نهائيا بالثورة العارمة لا شىء يسمح له باحتلال مركز هذا الادراك الا الاحساس بالنفور للظلم فى الكون واتهامة بعدم العدالة المطلقة عند هذا الحد يتضح سبب ثورة ايفان إن تسلطه الذى يفترضة مع حتميه الظلم تنمو من رغبته بان يضع نفسه فوق الحقيقه الكاملة ويجلس ليحكم بدلا من الله الخالق . إن انقياده لتقديس ذاته تصبح واضحة أخيرا فى الاستنتاج الذى يصل إليه " أن كل شىء قانونى " إن ذلك لا نستطيع أن نصل اليه من الحكم بان المعاناه البريئة غير عادله بدلا من ذلك يبين ايفان أن ثورته المشتعله ضد الظلم الالهى هى الوسيلة القوية التى يبنى عليها فكرته للتفوق الإنسانى اخلاقيا .

**القدسيه الروحية للطبيعه البشرية :**

إن عملية التبرير الذاتى متبعه فى اسلوب تحليل فوجلين عن الوعى الروحى الحديث . بالبحث عن إثباتات نظريته لفهم النشاط المتعصب الثائر لدوتوفسكى والآخرين اكتشف

فوجلين العلاقة بين التجربة المنشطه لهذا المعامل المنشط وبين تلك للروحانيه القديمة . هناك تماثل بنائى بين الاثنين يمكن أن نجده فى الشعور المكثف بالانسلاخ والتمرد التى أوحت اليهم بها الروحانية ومذهب العرفان امتدت هذه الاحاسيس بان الله هو المسؤول عن هذا العالم الغير محتمل ولذلك يجب أن ينظر اليه كشر لا يمكن تلاشيه أو قدسية ساقطه وعدم لدود للانسانية . وتزداد هذه العداوه بالمقارنة بين المثالية النقيه الموجودة فى النفسى وفى العالم الشرير الذى تجد نفسها به عندما يصل هذا الصراع الى ذروته كما هو فى مبدأ العرفان بالجميل فان الخيال ينساق دون أى مقاومه إلى الرؤيه السابقة أو المستقبليه حيث المكان الحقيقى للبشرية . إن الروحانية أو المعرفة هى الطريق الوحيد للوصول اليها . عن طريق فهم كيفية التغلب على القوى الشريرة للقدسية الكونية فاننا نستطيع الوصول الى خط التفكير الروحانى نستطيع أن نستعيد الطبيعه النقيه المقدسة لوجودنا التى هى من حقوقنا إن التمرد ضد الله وتقديس الانسانية استطاع فوجلين أن يدركها ولا تعتبر نظرية حديثه على الاطلاق .

تلك هى النقطة النهائية لاسلوب العمل الذى كان يطبق فى الحضارة الغربية بعد انهيار الروحانيات والأوامر المطلقة للعصور الوسطى . حيث كان سر تفسير هذه الأوامر غير كافية على الاطلاق .

والبحث عن اشكال أخرى للتأكد من معنى الوجود الانسانى اصبح ضروريا . لقد سبب ذلك فى تفجير عدد من الحركات ووعدوا بتسكين وتهدئة هذا الاهتمام الزائد عن معنى وهدف الحياة البشرية كانت هناك اشياء أخرى يحتاجونها اكثر من الإيمان التقليدى وعن النظام المقدس للعناية الإلهيه المتعلق بالحقيقة ، الثقة فى أن " لهؤلاء الذين يحبون الله كل شىء يعمل فى الطريق الصحيح " اصبح ضروريا للبشر أن يبحثوا بتعمق اكثر عن اسرار افعال الله فى التاريخ وأن يطلبوا دورا جوهريا كبيرا للعملية الكلية . فهم فوجلين ذلك كانيهار الايمان من حيث : نوع الاشياء التى نتمناها وإثبات للاشياء التى لا نراها " كانت

تلك محاولة لكسب تأكيد محسوس عن الوجود اكثر من الدليل الذى نحصل عليه من الرباط الضعيف للايمان . سعى الانسان لأن يخطو بعد حدود الوضع الانسانى فهو الآن ليس مساهما فى الحقيقة المقدسة ولكن زملاء استطاعوا أن يقتربوا من المعرفة مثل الله " إن محاولة " الحلولية " لمعنى الوجود هى محاولة للامساك بمعرفتنا عن الامور التى تعلو فوق الحدود المادية وجعل هذه الأمور تقع فى قبضه شديده أشد وطأه من ادراك الايمان كما أن التجربة الروحية تقوى كذلك هذه القبضة القوية طالما انها امتداد للروح الى الدرجة التى يدخل فيها الله داخل الوجود الانسانى .

حتى نوضح طبيعه الروحانية الحديثه يختار فوجلين امثله عن الثورة البيوريتانيه هنا الاسس المسيحية تظل واضحة والطبيعه الضرورية لهذه الظاهره " ليست غامضة بتسويات وجود النجاح السياسى .

والبيروتانية الراديكالية لها كذلك ميزة فتحليلها بدقه عن طريق عالم معاصر مشهور ريتشارد هوكر، والذى يخاطبه فوجلين بحرية فى دراسته الخاصة عن هذه الحركة إن الروحانية البيوريتانيه معروفه أولا من خلال نقد قاسى غير محدود للنظام المتبع فى المجتمع ، هذا الاتجاه نعرفه الآن " برفع المستوى الاخلاقى " أو " الافراط فى رفع المستوى الاخلاقى " أو " الاخلاقيات المطلقة " إنها تؤكد صدق الروحانيات كبشر لهم قدرة اخلاقية فائقة وتكون قاعده تمنحهم السلطة للهجوم على سلبيات الحكومة من حيث النفوذ .

بالإضافة الى ذلك فان البيوريتانيه اسست على اساس اللجوء إلى الكتاب المقدس ومن أجل ذلك كان ضروريا أن يضعوا تفسيراتهم دون الاعتراف باى معارضين ولكن الخطوة المضلله هى ما وصفه هوكر " اقناع الرجال الذين يصرون ويقدرون على مثل هذه الاخطاء المتعة، بان ذلك نور خاص من الروح المقدسة فبينما يستطيع هؤلاء فهم هذه الأشياء التى تكمن وراء هذه الكلمه فان الآخرين لا يستطيعون " ڤوجلين معجب خاصة بحساسيه هوكر " لمكونات العدميه للغنوسطيه فى الاعتقاد البيروتانى " بان منهجهم هو الحكم

المطلق لله القادر وأن العالم أجمع يجب أن يعمل به وبذلك يصبح عالما نظيفا منقلبا رأسا على عقب وسيتغلب على اكبر الاخطار ومن وجهات نظرهم فان ايمانهم الكامل عن مصداقيتهم يغفر لهم مسؤولية أى نتائج مهما كانت مخربه وذلك يوضح بدوره المدى الذى يجعل من المستحيل النظر الى بواعثهم على أنها تنتمى إلى الفضيلة أو المسيحية ويستنتج فوجلين بقوله " كل ذلك لا يمت باى صله للمسيحية لأن التمويه فى الكتاب المقدس لا يستطيع أن يخفى وجود الله داخل الانسان إن القديس يعتبر غنوسطى يؤمن بمذهب العرفان ولن يترك التجلى فى العالم لنعمه الله وراء التاريخ ولكنه سيقوم بعمل الله نفسه فى هذا المكان وهذه اللحظة من التاريخ هذه هى الفوضى التى يمكن أن تحدث كلما مرت الانسانية بتجربة الخيار بين الحق والباطل، بين الكمال والنقصان ، وذلك يكون تهديدا للبشر للتمزق بين حقيقتين متناقضتين .

تصبح " الثنوية " بهذا المفهوم تابعه للنظام الغنوسطى . أنه ينبع من الميل الغنوسطى ليعكس المسؤولية لهذه الفوضى على المصدر خارج الذات وهو اساسيا فى الطبيعه الغنوسطية حيث أنها " تؤمن بان تدارك الموقف يرجع إلى حقيقة هامه وهى أن العالم غير منظم" الغنوسطية لا تميل الى أكتشاف البشر بصفة عامه وهم أنفسهم بوجه خاص كغير ملائمين اذا كان فى موقف معين يواجه شىء ليس كما يجب أن يكون فان الخطأ يمكن أن يجده من خلال شرور الأرض هذا هو المنهل الرئيسى للاتجاه الغنوسطى وكذلك السبب الرئيسى للنتائج الهدامة التى تنتج عن الغنوسطية أن الحقيقة تنفصل الى عالمين هما المختارين الأبرار والهالكين وبين هذين لا يمكن أن يوجد أى اتصال أو تسوية من أى نوع " الخطر الحقيقى للحروب المعاصرة لا تقع فى المدى العالمى التكنولوجى لمسرح الحروب ، أن قدرتهم القاتله تنبع من شخصيتهم كحروب روحانية انها حروب بين قوة العالم التى انحرفت واتجهت الى التخريب المشترك إن الخبرة الحقيقة فى انقسامها الراديكالى بين الخير والشر، و بين العناصر الروحية والمادية تعتبر ثابته داخل الغنوسطية وترجع الى منبعها فى الفترة

الواقعة قبل المسيحية لكن تعقيداتها تفترض مدى واسع للتغيرات بما فيها خلق رموز غير غنوسطية مثل "الرؤيوية " وتوقعات العقيدة الالفيه . فى العالم القديم كانت الغنوسطية تفسر للتحرر والهروب من ظروف البقاء الأرضية والرجوع الى القدسية السامية فيما بعد الكون . فى العالم الحديث واضعى المنهج الغنوسطى يعكسون على أى حال تغيير جوهرى للكون فى العالم أجمع والتى تؤدى نفس الاعمال التحررية من الظروف الظالمه للوجود. لا ينظر فوجلين الى الفرق بين المتغيرات الإضافيه والداخليه للكون على أنها تتضمن اختلافا ضروريا فى هذه التجربة. نفس دوافع النفوذ أو الثورة والتمرد والقدسيه تبقى كما هى بينما تكمن التغيرات فى التوجيه فقط ويمكن شرحها بالرجوع الى الظروف الحضارية السائدة كانت الغنوسطيه القديمة استجابه للفوضى فى العصر "المسكونى" وما تبعه من التوسعات اللاعقلية الاستبدادية التى لا تبشر باستعاده نظام سياسى ذو معنى. الغنوسطيه الحديثه نشأت من عدم التآكيدات المخلوقه من الطاقات الاجتماعيه والثقافية والسياسية للعصور الوسطى السابقة أن هذا العصر يبدو فيه امكانية ادراك نظام جديد عصرى من داخل التاريخ نفسه .

فى هذا العالم الذى يسير بوضوح إلى تكوين خاص من الاهداف التقدميه ، تكون الغنوسطيه موجها طبيعيا على خطوط التفكير والتأمل التاريخى مثل هذا التصور الجرىء لفوجلين بالنسبة لخصائص الغنوسطيه الحديثه قد يبدو جرئيا للأذهان المعتاده على الفهم الذاتى والدينوى للعالم المعاصر . بطبيعة الحال عندما قدم نظرتة الخاصة لم تكتسب الشهرة العامة . كان بها نوع من الغرابة يوحى بمصدر الخصوصية الى أن يبدأ الفرد فى تجميع اعداد الدراسات المماثلة بعد الحرب العالمية الثانية والتى وصلت إلى نفس النتائج . هناك عمل كارل لويث على الرغم من عدم استخدامه لمنهج الغنوسطية أوضح المدى الذى من خلاله كانت الفلسفات الحديثة للتاريخ وكيف حولت البناء الدينى السابق الى بناء دنيوى . الايمان بالبعث والحساب فى اليهودية والمسيحية تحول الى استنتاج تاريخى.

مع مرور الوقت: ثانيا كان هناك البحث الدراسى المكثف عن الغنوسطيه القديمة الذى قام به جليز ، جيسبل ، هانز ، جونز ، وآخرين لم يستطيعوا أن ينكروا ملاحظاتهم الموازيه للاساليب المعاصرة للتفكير. ثالثا هناك اعاده تقييم قام بها المفكرون العظماء للقرن الثامن عشر والتاسع عشر على ضوء الاضطرابات العميقة المستبده للقرن العشرين لم يقم بذلك كاموس وحده ولكن كثيرين آخرين مثل هنرى دولوباك ، هانز ارزفون بالثاسار ، چاكوب تالمون وآخرين . وأخر الدارسين للالفيه والافعال الغريبه للعصور الوسطى مثل نورمان كون، چاكوب توبز ، وآخرين بدأوا الاشاره الى اوجه التماثل مع حركاتهم الثورية كل هذه الدراسات يمكن اعتبارها من جانب أو آخر كمرسى لما اسماه فوچلين "الغرتسك" القاتله لهذا الوقت . فى محاوله فهمها استطاع كل هؤلاء المفكرين الوصول الى درجة لا بأس بها من الاستنتاجات . المدنيه الحديثة خاصة كما تظهر فى شكلها الغير مرتب فى الحركات الايديولوچية الكبيره لا يمكن أن نعتبرها مجرد ظاهرة دنيويه مطلقة أو عكس الوثنية التى كانت قبل المسيحية أو طلب لصور دينيه جديدة . انها بصفة أولية تعتبر تشويه للتجربة المسيحية التى تعيد توجيه الأخرويات مثل البعث والحساب الى إنجاز فعلى اثناء الحياه مع مرور الوقت إن ما أحرزه ڤوچلين فى هذا المضمون هو تحديده للغنوسطيه كاسلوب ملائم من الناحية النظرية .

## الدليل الاستبدادى للتاريخ

المفاهيم الدراسية التى تخص التدين من خلال الأمور الدنيويه للعالم الحديث تكون عكسية تماما للمفهوم الدنيوى التقليدى وبدون شك فان هذا سبب عدم تحقيق هذا الاتجاه سوى تقدم ضئيل بالنسبة للادراك العام .

ذلك يفسر ايضا سبب المفهوم المعدل للمدنية الحديثة الذى اصبح هدفا للهجوم من قبل معارضيه المفكرين إن رد الفعل الطبيعى لهذا النقد الراديكالى أو الافتراضات المسبقة الثقافيه والسياسية السائدة هو ببساطة شديدة السكوت تحدث المناظرة داخل نطاق المقاييس

المحدده بدقه وأى شخص خارج هذا الموضوع يحاول أن يتسائل عن الافتراضات الأساسية يهمل نهائيا ويشكو كاموس أنه لا يستطيع أن يجد فى جميع الكتابات العدائية لهؤلاء المتمردين أى محاولة للاستجابة لنقده عن تخريب الاشتراكية وتلك الشكوى الآن منتشرة بين جميع الأوساط . ولكن هذا الاجماع فى الرأى بالنسبة للصوره الدينية الزائفة للمدنية كان يتزايد بصورة كبيرة إلى أن وصل الى نقطة حرجة لا يمكن تجاهلها .

كنتيجة لذلك تمت عدة محاولات للجدال ضد هذا الاتجاه مؤخرا وتلك المحاولات تمدنا باختبار مفيد جدا للتعرف على وسيلة الدفاع الممكنة اشهر هؤلاء الناقدين الدارس الالمانى هانز بلومنبرج فى كتابه " شرعية العصر الحديث" حيث يبين بصراحة نواياه فى الدفاع عن هذا الوضع للمدنية هنا يؤكد ويصر على أن نفهم عالمنا الجديد باسلوب صحيح ونعتبره صورة شرعية للمدنية تتطلب أن تترجم بناء على ملابساتها الخاصة . ويأخذ بلومنبرج اسلوب استثنائى للاسلوب الذى فسر به لويث البناء الحديث للتاريخ باسلوب اليهودية المسيحية، ويعترض على تقليل وخفض الفهم الذاتى للعالم الحديث بالنسبة للايمان المسيحى بالاخرويات الذى يعتبر عاملا متغيرا لأنها تعطى نظام بناء هيكلى فى اتجاه واحد فقط معتمده على التعقيدات الغنيه للعوامل وتأثيراتها على عمله من الناحية الظاهرية نجد أنها تحتوى على نقد يستحق العناية ولكن إذا درسناها بتعمق اكثر نجد أنها لا تحتوى على شىء ذو قيمه لأنه من الصعب أن نجد بين أى من الدراسين الذين سبق الاشارة اليهم مثل لويث ، فوچلين ، تالمون تأكيد بان اسلوب الخلاص كان المؤثر الوحيد فى تكوين الفلسفه الدنيوية للتاريخ، هؤلاء الدارسين لم يكونوا مهتمين بالعوامل الأخرى المتعددة التى لها صلة بالموضوع من وجهه نظرهم اكتفوا بالتركيز على أهم عنصر ، ذلك العنصر الذى يمدهم بالاحساس الطبيعى للإتجاه السليم الذى يجب أن يتبعوه فعلى الرغم من الانفصال عن الايمان المسيحى ظلت هذه التوقعات الايمانية الخاصة بالاخرويات موجودة.

لكن ذلك لا يقلل من أهمية المادة التى استخدمها بلومنبورج فلا نستطيع أن ننكر أنه اشار إلى مشكلة مرتبطة بفرض الاتجاه الدنيوى كما أنه اصر على أن مقترحاته لا توضح فقط التماثل بين البناء الدينى والدنيوى ولكنه يوضح الاختلافات الرئيسية بينهما .

" اذا أخذنا فى الاعتبار اعتماد فكره التقدم على الأيمان المسيحى بالاخرويات نجد أن هناك اختلافات تمنع أى تحويل من حالة الى أخرى أنها فى صيغة جامدة رسمية ولكن لهذا السبب على الاخص هناك اختلاف واضح .

اذا تكلم " المؤمن بلأخرويات " عن حدث تاريخى يسمو ويتفوق عليه وفى نفس الوقت يعتبر غريب المنشأ عنه ، فبينما نقدر استقرائيا فكرة التقدم لبناء متواجد فعلا فى كل لحظة منتقلين الى المستقبل الذى يعتبر جوهريا بالنسبة للتاريخ "

بدون شك هذه المتطلبات لها تبريراتها اذا كان الامر كذلك وكانت الاساليب الحديثه للتغييرات الايدولوجية الثورية تعتمد على خلفيه التوقعات المسيحية السابقة ، اذن فمن الامكان أن نحدد الوسيلة التى نستخدمها لتغيير الاتجاه الى ايمان بالاخرويات مندمج مع العوامل الدنيوية .

قد يكون بلومنبرج سمح بالانتقام فى صالح العصر الحديث حتى يستطيع أن يساند حكمه على بعض التغييرات التى حددت من قبل لكن جوهر اعتراضه سيظل كما هو .

كان دور جوشيم وصف الاتجاهات السامية المسيحية التى تتضمن مشاركة عصر جديد لتحقيقها مع مرور الوقت ، وتلك النقطة ركز عليها فوچلين ولويث لكن ذلك ليس كافيا ما نحتاجه لتأكيد افتراضات الاتجاه الدنيوى هو تحديد تغيير روحانى واسع المدى فى عالم يؤول الى نهايات جوهرية اقتراح بلومنبرج بأن التناظر بين البناء الدينى القديم والبناء الدنيوى الحديث ينبعث من محاولة اعادة العمل بنظام التساؤلات ، ولكن ذلك غير كاف من الناحية النظرية فهى تضعه فى ورطه لرفض عنصر التقدم الرئيسى الذى يتكون من الفهم

الذاتى للعالم الحديث . الادراك الشامل لعهد يفصل بين العالم الحديث واتجاهات القرون الوسطى للآخره ولا يمكن تصديقه بدون الاحساس بالتحرك الى استكمال الصورة التاريخيه. أن التقدم بدون تغييرات رئيسية متراكمة لن تكون له نفس درجة التوقعات والطاقة الدافعه اذا لم نكن نتوقع شيئاً سوى التراكم المتزايد لما تم تحقيقه بالنسبة لنواحى الاصلاح الأدبيه والعلمية والاجتماعية والسياسية .

والتحسين التدريجى للظروف الوجوديه ، فلن يكون هناك أى اساس للوقوف مع التغيرات الكمية الكبيرة فى التاريخ . هنا نصبح محرومين من معرفتنا بالعصر الأخير من النور والكمال، هذا التوقع الذى انبعث من فجر العصر الحديث . إن الانجازات الدقيقة فى مجال العلوم والتكنولوجيا والسياسة لا تمدنا فى حد ذاتها بقاعده للتقدير الاستقرائى فى اتجاه التغيير الضرورى فى الطبيعة البشرية . فبدون هاله الايمان بالاخرويات وتوقعاتها فى العالم الحديث يصبح العالم غير معقول وقد اتضح ذلك من دراسة حديثه لمحاولة فهم العالم الحديث من خلال العوامل الدنيوية البحته سعى المؤلف أن يقوم بدراسته دون الرجوع الى أى نواحى دينيه حيث اعتمد على الاسئلة والرغبات المتولدة بالافكار الفلسفية والتى قدمت فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وذلك الاسلوب معقولا وغالبا يوضح نقاط كثيره ولكنه فى النهاية لا يساعدنا فى فهم السبب الذى جعل مفكرين مثل ماركس أو نيتشه يصرون على " الثورة الكاملة " خاصة عندما تنغلق هذه الدراسة على نفسها بحيث تدور فى فلك " التناقض النفسى " هنا نحتاج الى تفسير نظرى كافى اذا أردنا أن نتعمق فى الحقيقه الواقعية لهذه النظرية ولكن كما أوضح ناقدى بلومنبرج ، يجب أن تكون لها.اساس تجريبى قوى اكثر من دليل النظرية الدنيوية .

آخر ملجأ لترجمة العالم الحديث يجب أن يكون الاثبات المادى من التاريخ نفسه إذا كنا نحاول تأكيد الاسلوب المعاصر الذى اتبعناه اذن فالطريقة الوحيدة لقبولها أو رفضها يجب أن يكون من خلال المواجهه مع الحقائق تحليل الاساليب السيكولوجية التى يرتكب عن

طريقها الأفراد والمجتمعات الخطيئة ويحاولون أن يقنعوا انفسهم أنهم يعملون من أجل صالح البشرية باكملها ، قد تكون هذه الاساليب موشرا للفوضى الروحية الرئيسية قد يكون نيتزسن صائبا فى الاشاره الينا بأننا " قتلة الله" الذين ساقتهم رغباتهم فى أن يصبحوا الله .

لكن السؤال الملح " هل هذا الاتهام يمثل فعلا حركة المدنية ككل؟ " لا يمكن الاجابه على ذلك الا بالرجوع الى التاريخ نفسه .

إن المدنية فى الحقيقه طبقا لاقتراح فوچلين تتميز بانها غنوسطية أو روحية وتحركها. الثورة ضد الله التى تهدف الى تقديس الخلق يمكن أن نقرر ذلك الموضوع اذا قمنا بفحص ما حدث بالفعل .

يجب على وجه الخصوص أن نختبر التفسيرات الذاتية للشخصيات الهامة اثناء الخمسمائه عام السابقه ، نحن لدينا فقط دليل لافعالهم بناء على قولهم وذلك هو الاساس الذى نبنى عليه حكمنا عن طبيعه بنائهم قد يكونوا مخطئين فى نواياهم وقد ننظر اليهم كمضللين أو أسوأ من ذلك فيما فعلوا ولكننا ليس لدينا أى وسائل أخرى لمعرفه ما الذى كانوا يقترحون عدا تفسيراتهم الخاصة عن الموضوع مهما كانت تقديراتنا الشخصية لقيمه وشرعيه ما قاموا به، لا نستطيع أن ننكر ما فعلوه واذا ركزنا على التفسيرات الذاتية لهؤلاء نستطيع أن نحلل الافكار المتضاربة لعالمنا للمفكرين المعاصرين انفسهم يمنحوننا افضل الاساليب الارشاديه لنستطيع أن نفهم المدنية من وجهه نظرهم، سواء كانت المدنيه تتكون من سلسله تأكيدات من المبادىء الدنيويه الرئيسية أو تتكون من تفسيرات للايمان الاخروى المسيحى يمكن أن تتحدد فقط بفحصى الانعكاسات الشخصية لكل هؤلاء الذين لهم علاقة بالموضوع اذا رجعنا الى البيانات التاريخية فى البحث عن اجابه نجد لدهشتنا بان معظم الاعمال قد تمت بالفعل إن المؤرخين المعاصريين وجهوا اهتماماتها الى التاريخ الذى يعتبر جزء هاماً منها.

الدراسات المكثفه خلال الخمسون عاماً السابقه أمدتنا بوفرة من المعلومات التاريخية تخص جميع الاتجاهات فى الماضى . بالطبع فان ازدهار الدراسات التارخية هى أحد الانجازات العظيمة لهذا العصر . وقد أدت إلى مراجعه عميقه للمعرفة التى حصلنا عليها بالنسبة للفترات التاريخية والاحداث السابقه وقد تضمنت كذلك بعض النقاط الشديدة الأهمية الخاصة بميراث العالم الغربى وبالنسبة لمفهومنا نذكر دراسات اصل تكوين مدنيتنا فى التاريخ الأوروبى فى بدايه العصر الحديث . فقد ساهموا للاجماع المتزايد بين المؤرخين الاجتماعيين والمفكرين عن الدعامات الدينيه لكثير من الاتجاهات الدنيوية المشهورة. هذه النظره التاقبة لم تتعد حدود مجتمع الدارسين حيث انهم يتجهون اتجاها معاكسا للفهم الشخصى المنتشر فى المجتمع . ولكن الهدف منها هو التأثير على المدى البعيد . فهذه الافكار تؤيد بعمق مدى التدين فى الاتجاهات الدنيويه فى العصر الحديث وتثبت أنها نقطه شك قائمه لهؤلاء الذين يراقبون التجاوزات الايديولوجية فى عصرنا الحديث .

## التغييرات المسيحية فى أوائل العصر الحديث

### ساحر عصر النهضة.

لقد رأينا فيما سبق كيف استطاعت البيوريتانيه المناضله أن تغير الطبيعه الضرورية للحركات الثورية الحديثه . لقد أفصح المؤرخون الآن المدى الذى وصلت اليه : الاصلاحات الراديكالية " حتى وصلت إلى مستوى المجهودات الماديه للاصلاح .

تعجب لوثر لسرعه وسهوله تطرف مبدأه " التبرير يكون من خلال الايمان فقط " وكان ذلك التصرف بهدف المطالبة بتغيير فورى وشامل للمجتمعات الفردية وللتاريخ . إن زميله المعجب به توماس مونتزر يوضح هذه العملية بصورة جيدة . فقد انتقل مونتزر من عمليه البحث عن التأكيد الداخلى للخلاص الى المطالبه بتأكيد خارجى عن العناية الالهية لله . لقد طلب أن يرى عمليه العدل القدسى المطلق فى الأجواء السياسيه لقد قاده هذا الاتجاه الى طريق عنيد . بعد أن رفض أمير ساكسونيا طلبه لكى يصبح الوسيلة لحكم الله تجاه الثورة

الاجتماعية . اصبح زعيم منتقم للفقراء والمظلومين وانتهت المأساة بان اصبح مونتزر على رأس مجموعه مهلهله من الفلاحين حيث أدى إلى مذبحتهم امام القوات العسكرية المتعجبة من النبلاء إن احساسه الأعمى.

بخصوص معرفه حقيقه العدل المقدس تغلب على جميع الادراكات الأخرى عن الحقيقه كما اذيع أنه اعلن عن قدرته للامساك برصاص اعدائه بين طيات عباءته .

اهتز لوثر بعنف لسوء استخدام الألمان لأفكاره فى ثورة الفلاحين . ولكن مجهوداته الدائمة ومجهودات المصلحين الآخرين للحصول على توازن بين الايمان والتوقعات السياسته لم تستطيع أن تمنع تكرار هذا النموذج خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت المشكلة أن عملية الاصلاح اندفعت الى نوع من المدنيه وكانت مشكلة مسبقة لتوقعات عصر جديد يتسم بروح جوتشيم حيث كان أول من اختلف مع البناء الأوچستينى للتاريخ الذى اعتبر العصر الحديث مثل العصر الالفى السابق الذى كان يتجه الى الاستمراريه فى " العودة الثانية " والخلود إن رئيس الدير الكلابرى قدم عقيده عن مرحلة ثالثه ، وهى " عصر الروح" كان عليها أن تتبع العصر الحاضر " للإبن" كما اتبعت العصر السابق " للأب" الآن اصبح العصر الثالث على وشك التداخل قبل نهاية التاريخ . ونتيجة لهذا البناء تقلد جوتشيم سلطة السلسلة اللانهائية للانقسامات الثلاثية للتاريخ الذى استمر كما بين لوباك ذلك فى الحاضر" اعطى جوتشيم الإيحاء للانتقال الى المحور الروحى من النهايات الابديه الساميه الى وفاء فورى أو فى المرحله القبل الأخيرة فى التاريخ . عصر الروح القادم تكون من رؤيا جديده فيما كان متضمنا فى العهد الجديد والقديم للكتاب المقدس . وكان يجب قياده هذا الاتجاه عن طريق قائد روحانى جديد يدعى أنه نبى جديد ويتسم بصفات آدمية جديده بناء على الصورة الرهبانية كافة البشر سيدخلون تحت قياده اشخاص استقلاليين روحانيين قادرين على البقاء دون مساندة أو قيود أى تنظيمات خارجية . على الرغم من الاتجاه المحافظ فى تعاليم چوتشيم الا أن مضمونها أدى الى

الثورة . توقع الجنة الدنيوية استطاعت أن تتفوق على جنه الخلود فى الآخره فرساله الروح فسرت من رساله المسيح وتم تجاوزها والكنيسة بقرابينها مضافاً اليها منظمات الدوله كانت كلها بلا فائدة هذا المنطق العنيد تحول من تغيير مسار الصراع الآدمى الى تحقيقات داخلية دنيويه الى انفصال المملكة الأرضية باستقلاليه تامة على الله فى سموه . عندما اندمجت المادة المقدسة بتزايد شديد فى البشرية بدأت عملية التحول الى الاتجاه الدنيوى . لا نستطيع أن نتعجب بان تفسيرات جوتشيم اصبحت لها نفوذ قوى على جميع الحركات الثورية المتعلقة بالروح القدس من العصور الوسطى حتى وقتنا هذا وجاءت نقطة التغيير عندما تحركت هذه التجارب الثورية من الجوانب الراديكالية لتحتل مركزا من الاحترام والشرعية فى المجتمع وبوجه عام حدث ذلك اثناء عصر النهضة وهذه الفترة معروفة كبداية للعصر الحديث بسبب الادراك المتزايد لانجازات هذه الفترة كان بترارش أول من قدم معنى " عصر النور " الذى تلى عصر الظلام الذى هيمن عليه " طقوس اسم المسيح " إن لفظ نهضه عبر عنه فازارى فى كتابه " حياة الرسامين والمثالين والمهندسين المشهوريين ( ١٥٥٠ ) حيث وضع طبيعة هذا العصر الجديد كاعادة للمجد والجمال الذى وصف به العالم الكلاسيكى حتى وقت قريب كانت طبيعة التغيرات العميقة والبعيده المتضمنة فى هذا المفهوم الجديد غير مفهومه بالقدر اللازم . إن نهضه الانسانيه نشطت بسرعه فى الانظمة المسيحية السابقة من الفكر مثل الانسانية المسيحية ." أراسمس" والمقربين له الذين حاولوا تشجيع التغيرات الكبيره التى كانت تحدث ولكن الصورة اتضحت كنتيجة للابحاث التى قام بها المؤرخون المعاصرون فى هذا الوقت . لقد بدأوا اكتشاف مدى توغل أول تجلى عظيم فى هذا العصر بالنسبة للثورة الرئيسية للروح .

على عكس المفهوم السائد لعصر النهضة من حيث إحياء النواحى الانسانية الجوهرية والدراسات الهامة فقد اتضح الآن أن هذه الفترة لم تهتم باى شكل من الاشكال بالدوافع الروحية والدينية فمنذ الخطوات الأولى للانشطة الجوهرية الدنيوية الى عصرنا هذا كانت

هناك اهتمامات عميقة بالاعمال والقوة الخفيه والروحية المتعلقة بالسحر . فالشخصيات العلمية الهامة لهذا العصر وخاصة كوبرنيكوس، برونو . كيبلر ، نيوتن اعتبروا أنفسهم مسؤولين عن البحث عن أعلى درجات العلم والحكم المقدسة التى تختفى فى طيات الطبيعه كان للحكام والمرتبطين بالبلاط الحاكم تجارب كثيره مع الرموز السياسية والدينيه التى تصف التحويل السحرى للوجود فى الدول الجديده للأمه . فالانتشار السريع للتصوف أدى الى الإيمان بنظريه اللاهوت القديمة التى كانت الحقيقة الاساسية والوحيدة فى جميع الأديان فى العالم . أدت الصحوة الدينية نتيجة لهذا الاتصال التجريبى مع القوة الروحية الخفية الى زيادة الامل فى اصلاحات إجتماعية وسياسية عريضة ويدل على ذلك سلسلة الاساليب اليوطوبيه التى انتشرت بدءا من يوطوبيا توماس مور عام ,١٥١٦ نضف الى ذلك ظهور مفهوم جديد ذلك هو العنصر البشرى المتصوف الذى يمتلك قوة خلاقه مقدسة وساد هذا المنطق وانتشر بسرعة هذه هى الطبيعة الحقيقية للتغيرات التى قدمها عصر النهضة . فقد تعدى هذا العصر الاهداف التجارية والسياسية والثقافية وكانت له اهتمامات جديده مثل المفهوم الذاتى للطبيعة البشرية وعلاقاتها بالواقع الكلى للحياه وبمصدر النظام الدينى وقد قوبلت هذه التغييرات الثورية بالقبول العام الواسع المدى . أدخل نظام دينى جديد متخفيا تحت ستار التجديد الشامل للمسيحية الجامده المتسلطه ولأول مره فى تاريخ المسيحية بدأت ممارسات كانت تعتبر كفرا فيما قبل مثل دراسة علم الشياطين، تحضير الأرواح ، الاعمال السحرية الخ . سمحت المسيحية بهذه الاعمال ولم تقف عند هذا الحد بل أضافت اليها نظرة جديدة من الاحترام بدأ النظر الى هذه الافعال كمحاولات مشروعه للاتصال بالقوة القدسية الخفيه التى تحكم هذا الكون . وأصبح مفهوم " السحر الطبيعى " مختلفا اختلافا كاملا عن " السحر الأسود " الذى كان غير مصرح به على الاطلاق من قبل الكنيسه انهم لم يحاولوا التقرب من الأرواح فى العالم السفلى ولكن هؤلاء المنتمين الى عصر النهضة كانوا يحاولوا فقط أن يفهموا ويستفيدوا من القوى الروحية الخفية التى

تحكمت فى النظام المقدس للحقيقة الواقعة . تلك الافعال التى كانت تعتبر تعاملا مع القوة السفلية أصبحت من وجهه النظر العامة امكانية لتحقيق اعمال سحرية متصوفه بدأ الجميع ، البابا ، القساوسه ، الملوك ، الملكات ، الفلاسفة والعلماء ، الرسامين والكتاب يجربون علانية فكره تحويل الانسان للماجوسيه . لكن كيف أمكن تحقيق هذا التغيير المستحيل للمسيحية علماء عصر النهضة اكدوا أهميه النظام السحرى التصوفى كوسيلة لاستعاده التقوى المسيحية التى تتصف بها . بالاضافة الى ذلك فرقوا بين هذا الاتجاه الجديد وبين صور السحر المحرقة حتى يستطيعوا تهدئه أى مخاوف يضاف الى ذلك تأثير الكتابات التى تم اكتشافها والتى ترجع الى العصور القديمه " خاصة " كوربوس هرميتيكم " الذى كانت أعماله تعتبر من الأعمال المعاصرة واكتشف خطأ ذلك وتحدى هذا العمل القسيس المصرى "هرمزترسمجيستاس " الذى كان يعيش فى عصر موسى أو قبل ذلك الدراسين فى عصر النهضة كانوا مقتنعين بأنهم وجدوا نظرية اللاهوت الاصلية وتلك هى الالهام المقدس الأصلى للبشرية وبذلك اصبحت تلك الحقيقة النقيه فوق كل التغييرات ولايمكن الاعتراض عليها . كانت المخطوطات التى سيتعاملون بها مثل " كوربوس" " اورفيكا" و " شالوين " مجموعات من الكتابات التوفيقية للاديان ترجع الى القرنين الأولين بعد الميلاد وكانت إتجاهاتهم بصفة عامه روحانيه غنوسطيه الخطأ الذين ظلوا يصرون عليه حتى بعد اكتشافه هو تأكيد القوة المقدسة التحويلية للبشرية . فمثل جميع الأفكار الغنوسطية كان الفكر " السحرى " يمكن البشر أن يجعلوا أنفسهم قدسيين باستبدال الخطوط الرئيسية للتقديس الى الايمان بالمفهوم المسيحى .

كان ذلك واضحا فى سلسلة المفكرين المرتبطين بالاكاديمية الافلاطونية بين عام ١٤٥٠ - ١٥٥٠ وأول هؤلاء مارسيلس فيكينو قسيس كاثوليكى قام بترجمة اعمال افلاطون الى اللاتينية ولكن أوقف هذا العمل وصول مخطوط .

" كوربوس هيرميتيكم" الذى استرعى انتباهه على الفور بصفته الأصل المصرى

للفلسفه اليونانية ومن خلال ترجمة هذا المخطوط الهام أصبح المفهوم الروحى للطبيعه البشرية متاحا للغرب لأول مره . وقد اعتبر البشر مخلوقات نصف مقدسة انبثقت من الالوهيه وأنزلت على هذه الأرض الماديه كحكام لها هنا اعتبروا البشرية مالكه للقوة السحرية والخلقية المقدسة التى تستطيع أن تعيد كل شىء الى الحاله الأولى من الكمال . وهذه الرؤيا للطبيعة البشرية وضحت فى كتاب أسكليبس عن السحر .

" إن الانسان معجزة تستحق الاحترام والتبجيل هذا الانسان له صفات الله وكأنه هو نفسه الله فهو يعرف الشياطين حيث أنه نشأ من نفس هذا المنبع الذى نشأ الشياطين منه وهو قوى حيث أن كل ما بداخله مقدس و يمتلك الجزء الخاص بالطبيعه البشرية والمقصوده عليه فقط . إن صفات الإنسان أفضل من تلك الصفات التى تختص بها باقى المخلوقات. هو مرتبط بالآلهة حيث أن بداخله قدسية مثلهم تماما وهو يفخر بان تكوينة الخاص يربطه بهذه الأرض وبالانظمة السماوية فهو يرفع عينيه بتبجيل الى السماء ويعيش على الأرض وهو مقدس فى هذا الوضع المتوسط بين السماء والأرض إن وضعه يحتم عليه حب كل ما هو أقل منه وكل ما هو أعلى منه فهو يستطيع الوصول الى الجميع . يغوص الى اعماق البحار بذكاءه وفكرة والسماء ليست كذلك بعيده عنه فهو يقيس بعدها عنه من منطلق إيمانه كما لو كانت فى قبضه يده ، بذكاءه الخارق يستطيع أن يخترق الأشياء فالهواء المظلم لايستطيع أن يمنعه لأنه يرى بعقله كما أن الأرض الكثيفه لا تسطيع أن تعطل عمله ولا حتى تلك البحار العميقة فهى لا تسطيع أن تمنع نظرته الثاقبة. الانسان هو كل شىء وهو فى كل مكان ."

فيكينو نفسه إشترك فى نوع خاص من السحر أشار اليه فى هذه السطور السابقة استخدام الموسيقى والطلاسم والتعاويز للوصول إلى التأثيرات الدنيوية الخافيه المقصودة على فئه قليله والتى تستطيع أن تخلق الإنسان السليم من الناحية الجسدية والأخلاقية والروحية لكنه كان حريصا على اصراره باستغلال السحر الطبيعى الذى لا يتقرب الى الشياطين.

كان زميله بيكو ديلا ميراندولا أقل تحفظا منه حيث كان يتصل بكائنات روحية أخرى وقد سانده فى ذلك سلطة " القبلانية " تلك العادة اليهودية المقصورة على فئه قليله والمتوازية مع السحر " والقبلانيه " تصف القوة الروحية الكونية بانها انبثاقات مقدسة متوسطة بين البشر والملائكة المعترف بهم رسميا فى نظرية اللاهوت المسيحية هناك بناء مماثل للتأثيرات الخفيه المقدسة فى العقيدة القبلانيه ففيها رفعت الطبيعه البشرية باسلوب مماثل الى مرتبة الانبثاق القدسى وإفترضت أن الدور المسيحى الجديد هو إندماج الوحدة الاصلية لينبوع الحياه المقدسة ليتغلل إلى كل الأشياء، إن الفكر الجديد المصاحب لطبيعة الله اصبح أمرا واقعيا من خلال الخلق نفسه واصبح ضروريا لاستكمال هذه الصورة، بذلك أصبح الاتجاه اليهودى يميل الى العدمية ومضاد للأسمانيه كما اعتقدوا أن الشر قد نقل فى لحظة كونية معينه وأنه لم يعد يمثل الثورة الروحية التى لاتستند على أى مبرر. جمع بيكو بين السحر والقبلانيه بأسلوب مسيحى مما عضد الاحترام اللاهوتى للاشكال الجديده من التجارب الصوفيه فى القرن السادس عشر .

وكتابة بيكو الشهيره عن " احترام الانسان " كانت بمثابة بيان رسمى باعتبار مفهوم البشرية تصوف مقدس .

كانت تلك الفكرة مشهورة فى كتابات عصر النهضة عند وضعها فى اطار الخلفيه السحرية تصبح القبلانيه الصوفيه واضحة كمثال ذلك يوضح «كلام الله لأدم عند بدء الخليقة» إن طبيعة جميع المخلوقات الاخرى محددة ومقصوده من خلال قوانين حددناها ولكنى قد خلقتك على عكس ذلك غير محدد بأى من هذه التحفظات لقد اعطيناك اراده حره.وسلمنا اليك الوصاية نظم لنفسك بالتخطيط المناسب لطبيعتك لقد وضعتك فى منتصف هذا العالم حتى تستطيع من هذا الموقع الفريد أن تنظر حولك وترى كل ما فى هذا العالم لقد خلقناك بشكل لا ينتمى الى الأرض أو إلى السماء، فانت لست ميت ولست حى وبذلك تستطيع مثل خالقك الحر الفخور أن تشكل نفسك فى أى صورة تراها مناسبة لك "

ما قام بوصفه هو الصعود القبلانى السحرى فى أجواء هذا الكون ويعطينا المعرفة عن التجانس المتلائم لجميع الاشياء .

فالطبيعة البشرية يمكن أن ترتفع أو تدنو من تلقاء نفسها وتستطيع ايضا أن تخترق سر تكوين جميع الاشياء إن للتأثيرات الخفيه تمد الغنوسطيه والافلاطونية باساليب الرجوع الى " الواحد " وهى وسيله تصبح بها البشرية " الاله الحاكم" فى هذا العالم المادى وطبقا لفرانسيس ماتس " الانسان هو الذى تغير فلم يعد الآن التقى الضعيف الناظر إلى معجزات الله فى الخليقه ولكن أصبح الانسان الآن " المحرك" الذى يسعى الى جزب القوة من القداسة ومن النظام الطبيعى للعالم" اكثر الامثله تطرفا لصوفيه النهضة هى نظرية " جيوردانو برونو" الدومينيكانى السابق لقد أوصل هذه التجارب الجديدة الى الاستنتاج المنطقى حيث اختلفت مع المسيحية بصورة مطلقه وعادت الى الدين المصرى " هرمز تريمجستس" لقد اعلن أن الاعمال السحرية هى القاعدة الشرعية الوحيدة للنظام الروحى والسياسى فمن خلال القبلانيه الصوفية والسحر يستطيع الانسان أن يحقق التحول الى القوة المقدسة حتى يستطيع أن يصل للمثالية فى كل شىء وقد أوجد برونو اسلوب ذاكرة سحرية ليستطيع جذب إجماليات التأثيرات الكونية القدسية داخل نفسه ، كان يتلاعب فى الصور الأرضيه الداخلية ، واعتقد أنه يستطيع أنه يجذب القوة السماويه كحقائق أرضية وفى نفس الوقت يصعد الى مستويات الحقائق حتى يصبح مساويا لله"

" لا تسطيع أن تفهم الله إلا إذا جعلت نفسك مساويا له . فلا يستطيع أحد أن يفهم آخرا الا إذا كان متماثلا معه .

يجب أن تجعل نفسك تنمو الى العلا فوق جميع المقاييس ، تستطيع أن تخلص نفسك من هذا الجسد ارفع نفسك لاعلى طوال الوقت لتصبح أبديا بذلك فقط تستطيع أن تفهم الله . يجب أن تؤمن بعدم استحالة أى شىء بالنسبة لك فكر أنك تعيش إلى الأبد وانك قادر على فهم جميع الفنون والعلوم والآداب وطبيعة كل الكائنات الحية . ارتفع لأعلى ارتفاع وانزل الى اسفل الاعماق .

اجذب الى نفسك جميع الاحاسيس لجميع المخلوقات النار ، الماء ، الجفاف ، الرطوبة تخيل أنك لم تولد بعد وأنك مازلت فى الرحم المادى ثم تخيل نفسك وأنت ناضج ثم عجوز ثم ميت وبعد الموت اذا استطعت أن تضم داخل عقلك جميع هذه الأشياء مره واحده الزمان، المكان ، المادة، الكميات ، الصفات ، تستطيع هنا فقط أن تفهم الله ."

كان برونو مقتنعا بهذه المهمه المسيحية لينشر ضوء المذهب السحرى القبلانى فى العالم كله بدأ ينتقل الى قصور أوروبا واحدة تلو الأخرى وكان حكام النهضة على استعداد لمناصرة برنامجه واستمر فى ذلك الى أن وقع فى يد المحقق الايطالى الدينى فى فنيس وحكم عليه بالاعدام حرقا بتهمة الهرطقة عام ١٦٠٠ وتسبب هذا المصير الى انحدار المذهب الصوفى لعصر النهضة حيث ضاعت خلفيه العقائد و التعاليم السحرية القبلانيه الكمياويه وضاعت قوتها ومساندتها .

والصراعات المريره التى فجرتها الحروب الدينيه ووضعت حدا لجميع الكتابات الدينيه والادراك المتزايد بعدم التجانس بين الرموز السحرية الصوفية والمسيحية وهنا تحولت الصوفية من شكلها الموقر الى الشكل الهزلى فى كتاب چوسون " الكمست " كما تحولت الى الاحتقار فى كتابة مارلو " دكتور فوستوس" حدثت نهضة فى الاهتمامات المقصودة على قله فيما سماها يانس «الاستنارة الروز يكروشية» فى أوائل القرن السابع عشر وفيها بدأت المكونات المندمجة تنفصل الى اتجاهات مختلفة .

احدى هذه المكونات العلوم التجريبية والحسابية التى قدمها كل من باكون ، مارسين، ديكارت وآخرين. حتى فى ذلك الاتجاه احتفظت هذه الفلسفه الطبيعيه الجديدة بشىء من الخلفيه الخفيه كما كان واضحا فى مؤلف باكون " نيو أتلانتس" واهتمامات نيوتن السحرية وأصبح هناك محورا جديدا فى الاوساط الصوفية السريه حيث بدأ بعض الكتاب الغير معروفين تأسيس أول هذه الاتجاهات الروز يكروشية كان اهتمامتهم مركزا التجربة الداخلية.

والتصورات البديهية الكونيه ، والخدمات الخيرية واخيرا بدأت المسيحية الانجيليه النقيه وانبثقت من الرغبة الملحة فى عصر النهضة للبحث عن حقيقة إنجيليه اكثر نقاءا واكثر بساطه ومباشرة بشكل اوقع وقد تحققت هذه الرغبة من خلال أعمال چوان أرندت وجاكوب بوهيم فقدت الموجه الأولى العارمة للتصوف بريقها ولكنها تركت بصمات على عده مجالات واطلقت طاقتها إلى اهداف أخرى ملموسة للفهم العلمى والايمان الانجيلى .

ولكن هذه الموجه لم تتراجع قبل أن تغرس حبوبها التى ستؤتى ثمارا فى الاتجاهات المتكلفه للمسيحية الدنيوية. هناك استمرارية اكيده لهذه التجارب كما أن هناك كذلك استمرارية لتأثيراتها منذ أول إنفجار للخلاص النفسى وحلفائها الغير موحدين بالله الذين جاءوا بعد الثورة الفرنسية . هذه الاستمرارية يمكن توضيحها عن طريق قصه تجربة فى السحر القبلانى حيث أراد شريكين خلق رجل صغير - هذا معروف فى عصرنا هذا بالبحث عن الذكاء الصناعى عن طريق أجهزة الكمبيوتر أو علم هندسة الچينات . وفيما يلى ما كتب فى هذا الموضوع " شغل النبى جرميا نفسه بكتاب يتسيرا وهناك سمع صوتا سماويا قال له اتخذ رفيقا فذهب الى ابنه سيرا وأخذوا يدرسون هذه الكتاب لمدة ثلاثة أعوام وبعد ذلك أخذوا يمزجون الأحرف طبقا لمبادىء القبلاينه فى تكوين الأحرف والكلمات وخلق لهم رجلا وعلى جبهته كانت أحرف مكتوبه " الوهيم اميث" ولكن هذا الرجل المخلوق حديثا كان يمسك بسكين مسح بها حرف الألف من كلمه " إميث" فبقيت الكلمة " ميث ( طبقا للتآله اصبح الله ميتا الآن طبقا لهذا المخطوط )

شق النبى ملابسه وقال لماذا مسحت حرف الألف وأجابه هذا المخلوق سأقص عليك قصة لها مغزى كان هناك مهندسا يبنى كثيرا من المنازل والمدن والميادين ولم يستطع أحد أن يقلده فى هذا الفن أو يتنافس معه فى المعرفة والمهارة حتى استطاع رجلين قناعه فعلمهم سر هذا الفن واستطاعوا أن يعملوا كل شيء بالاسلوب الصحيح وبعد أن تعلموا اسراره وقدراته بدأوا يغضبونه وأخيرا انفصلا عنه وأصبحا مهندسين مثله تماما الا أنهم كانوا

يقبلون سعرا اقل وعندما عرف الآخرين تلك الحقيقة بدأوا يتركونه ويذهبون للاثنين الآخريين بدلا منه الآن الله جعلك صورة منه فى كل شيء وحيث إنك استعطت أن تخلق رجلال مثله فان البشر سيقول ليس هناك أى رب لهذا العالم سوى أنتما فقال له النبى " ما الحل إذن " فأجابه اكتب الحروف معكوسة على الأرض بتركيز شديد ولا تركز تفكيرك باسلوب البناء ولكن بالاسلوب المعاكس وفعل ذلك وتحول الرجل الى تراب ورماد أمام أعينهم وقال جرميه يجب على الانسان أن يدرس هذه الأشياء من أجل معرفة القوة والقدرة المطلقة لخالق هذا العالم ولكن لا يجب علينا أن نقوم بتجربتها ".

الانتحالات الأخرى للقدرة الالهيه فى الخلق تختلف من حيث عدم التراجع بعد موت الرب. عندما تستوعب البشرية جميع الحقائق المقدسة بداخلها ينتج عن ذلك عدم وجود أى إله آخر .

وتظهر عملية أخرى مضادة لهذا الاتجاه وهى العمليه الدنيويه والتى تظهر مختلفة تماما عن الاتجاه الخاص بالانفصال عن التأثيرات الدينيه وتصغيرها . قد ينظر اليها كنتيجة للمعرفة المتزايده للطهاره والدناسة الى درجة تتلاشى فيها الاختلافات بين الاتجاهين ويقترح فوچلين أن الدنيويه " اتجاه راديكالى للاشكال القديمه من البارقليط الجوهرية لأن التقديس التجريبى للانسان اكثر راديكالية فى الحاله الدنيوية والاختلافات بين الشكل القديم والحديث بين التجاوزات القليلة أو الكثيرة عند أى نقطه محدده ، مرتبطة ببعضها فى استمرارية القدسية الذاتية المتزايدة للبشرية والبيروتانيا تختلف عن الماركسية فى مدى الاستمرارية فى تعريف الله خارج نطاق الروح القدس للبشرية . فى الماركسية لا يوجد رب لأن تلك الماده المقدمه قد تشربت بالكامل فى الانسان لكن هناك مضادين شرسين مثل التحرريين أو الشيوعيين قد ينكرون ذلك ولكن هناك تشابه كبير بينهما ويظهر ذلك بوضوح اذا استطعنا أن نتعدى الخلافات السطحية ونركز على ايمانهم المتماثل للانجازات الغير محدودة لتقدم البشرية ذلك هو سبب إصرار فوچلين على الاهميه الخاصة " المبدأ أن

مادة التاريخ يمكن إيجادها على مستوى التجارب المختلفة وليس على مستوى الافكار"

بدأنا نرى كيف أن السمو النهائى للمسيحية أصبح موجها تدريجيا للوصول إلى الكمال فى الأمور الدنيوية ووصلت هذه العملية الى إيضاحات نظرية عندما تم امتصاص الذات السامية لله فى الحركات التاريخية ، ذلك هو التفكير الثيو صوفى لجاكوب بوهيم الصوفى حيث كان إنسان مثالى علم نفسه، صانع أحذيه عاش أثناء الاستنارة الروزيكروشيه فى نهاية العصر الشعبى العظيم للمسيحية القبلانيه السحريه لقد استفاد بجميع المؤثرات الروحية الرئيسية من عصر النهضة وعصر الاصلاح وعن طريق القوة الكامنه فى نظرته الصوفيه الخاصة به مضافا اليها تأملاته ودمج كل تلك العناصر كون منها تركيبه جديده وبهذه الطريقة استطاع بوهيم أن يقدم تعبيرا جديدا للعلاقة الحديثة بين الله والانسانية والخلق التى كانت قد تناثرت وتشتت خلال القرن السابق فى بناء بوهيم الفكرى يعتبر أن الله قاتم وغامض وليس له أى اساس ولا ينتمى للأرض وهو لا يدرى حقيقه نفسه حيث ينقصه إدراك إختلافه عن أى حقيقه أخرى " لا يمكن إثبات شىء الا إذا تواجد الضد لهذا الشىء وفى حالة عدم وجود هذا الضد فانه يهرب من نفسه ولا يستطيع الرجوع اليها مره أخرى" .

من الضرورى أن يولد الله معارضة داخله حتى يستطيع استحداث الحقيقة الخارجية ومن هذا المنطلق ينمى الاسرار الكامنة للخلق ، السقوط ، والخلاص من الخطيئه حيث أن تلك وسيله لا مفر منها لفهم الله لنفسه ، لقد خلق بوهيم هذه الرموز للاسلوب الجدالى للمعارضة والموافقة ليعبر عن نظرته الجديدة عن العالم ، إن التحرك فى اتجاه القمه داخل هذه الأرض من الفهم الذاتى داخل هذه القدسية تندمج هذه العملية المقدسة مع الزمن وتجعل البشرية الوسط الرئيسى الذى يتم من خلاله عكس جميع الاشياء فى اتجاه المصدر المقدس إن بناء بوهيم الفكرى يعبر بصورة جيدة عن تدهور السمو المقدس الذى يعتبر من الشروط الهامة لاستيعابها فى العملية الدنيويه وهى الوسيط للطبيعه البشرية أنه يرد على النقد

الموجه الى بلومنبرج والآخرين الذين يستفسرون كيف تتحول طاقة الايمان السامى بالاخرويات والحساب والعقاب الى نهايات تاريخية متتابعه تدين بمذهب الحلوليه.

## التحقيقات الثورية المسيح الدنيوى :

الآن يجب أن نضع فى اعتبارنا مدى استمرارية أو عدم استمرارية المفاهيم الدنيوية المحدده مع هذه العملية الخاصة بمذهب الحلوليه . إن نقطه البدء الاكثر تحديدا هى بدون شك الثورة الفرنسية فهى بدايه النظرة العالمية والكيان العالمى الجديد التى ادت الى الفهم الذاتى للعصريه حتى وقتنا هذا ، إن العالم القديم الملكى تم استبداله دون شك بالاتجاه الديمقراطى الجديد حيث تكون السلطه لقانون قد سى منظم مبنى على اساس حق الفرد فى تحقيق مصيره تلك كانت بداية النهاية للنظام القديم وميلاد نظام جديد لهذه الحياه التى نحيا فيها الآن . أن آثر هذا الحدث الفاصل للحياه العصرية يمكن أن ننظر اليه من خلال نظرة هيجن فى كتابه " فلسفه التاريخ" إن المفهوم أو الفكره الرئيسية للحق فرضت نفسها فجأة ، والنظام القديم الغير عادل لم يستطع أن يقاوم هذه الموجة الفاضيه تم إنشاء قانون ودستور جديد متناغم مع المفاهيم الصحيحة وعلى هذا الاساس بنيت جميع تشريعات المستقبل لم يحدث ذلك من قبل على الاطلاق منذ أن تجلت هذه الشمس فى السماء ومنذ دوران الكواكب حولها ، اصبح وجود الإنسان متمركزا فى عقله وفى فكره حيث استطاع اخيرا أن يبنى عالم جديد عالم الحقيقة .. كانت تلك صحوة عقلية عظيمة شارك فيها جميع مخلوقات هذا العصر إن أحاسيس الشخصية الفذة هزت عقول الرجال فى ذلك الوقت وسرت الاحاسيس الروحية الى العالم أجمع كأن المصالحه بين النواحى الدنيويه والقدسيه قد تحققت أخيرا "

كتب هيجن هذه السطور بعد عشرين عاما من قيام الثورة الفرنسية ولكنها مازالت تحترق بالحماس لهذا الحدث العظيم لقد ادرك هو واصدقائه الدارسين مدى ما حققته هذه الثوره من تقدم ولكن تقهقرت سريعا الى السيطرة اللاشعورية والرعب الذى أصبح شيئا

مألوفا لأى نجاح ثورى إن الأزمة التى ترسبت من هذا الانهيار المفاجىء اصبحت الشغل الشاغل للجيل بأكمله .

و قد أدى ذلك الفكر الى الاجماع عن اسباب سقوط هذه الثورة بصفة أساسية تركزت هذه الاسباب حول إدراك ما قامت الثورة بتحقيقه حيث انحصر فى التغيرات السياسية دون أن يتضمن تغييرات أعمق فى الطبيعه البشرية كانوا يتوقعوا لهذا النظام الديمقراطى أن يكون كافيا لايجاد اتجاه يخدم الجميع دون النظر للاغراض الشخصية الأنانية ولكن اتضح أن ذلك خيالا لم يتحقق. كان المطلوب شيئا اكثر عمقا من مجرد التغييرات فى القوانين والأنظمة السياسية حيث أن الامر يحتاج إلى التعمق فى التكوينات السياسية الرسمية والآمال التجريديه الجوهرية حتى تستطيع أن تدرك الكيان الداخلى للانسان الذى ينبع من خلاله كل هذه الافعال يجب أن نشعر بأنفسنا بقوة نابعه من حقيقه اكبر من انفسنا اذا كنا نريد أن نتغير فعلاً. يجب أن يرفعنا شئ الى أعلى، وابعد كثيرا عن اهتماماتنا الشخصية الى عالم المعانى السامية ذلك إذا كنا نريد فعلاً أن نكون قادرين على التضحية بانفسنا بكامل إرادتنا مما يتحقق معه نظام صادق للحرية ، والمساواه والإخاء . باختصار شديد يجب أن يكون هناك ما يستطيع أن يأخذ المكانه التى إحتلها الدين فيما سبق حتى نستطيع أن نحدث هذه التغيرات الروحية الرئيسية لكن بعد الثورة أصبح بديها أن مجرد تجديد دينى أو ما يشابه ذلك يمكن أن يحقق المطلوب. وتلى ذلك فترة اخرى من التجارب الروحية التى انتشرت بسرعة وتخطت النطاق السياسى . تراوحت بين مفهوم روبر سبيير عن الذات العليا الى تأكيد دوميتر عن السلطة البابوية الكاثوليكية وقد تضمنت هذه الكتابات إيضاحات كثيرة مختلفة عن الماسونية الحره وعن انتشار المسيحية الانجيليه والمسيحية الورعه ـ كان ذلك تغيراً الى الصوفيه الطبيعية بين الرومانسيين، واندماج للفلسفة والالهام فى المثالية الالمانية . كان اختراع هذه الاشكال الدينية الجديده بمثابه دين إيجابى للبشرية والحلفاء المقدسين فى روسيا وبروسيا والنمسا مضافا اليه زيادة الاهتمام

بعمالقة الماضى الصوفيين مثل ايكارت وبوهيم فالجميع كان لهم نفس الرأى وهو أن الثورة السياسية غير كافيه. يمكن تحقيق النظام فى المجتمع والتاريخ فقط من خلال اكتشاف دين مدنى جديد يستطيع أن يفرض سلطته على البشر الاستقلاليين بطبيعتهم ، هذه هى الخلفيه التى انبثقت منها الحركات الايدولوجية الثورية للقرن التاسع عشر ، كانت البداية محاولة الامداد بالمادة الدينية الناقصة من هذا العالم الدنيوى .

وقد تم تمثيل ذلك جيدا على يد أجرأ وأذكى مفكرى هذا العصر«عصر العالم الحديث» وإذا أردنا التجاوز عن، ذلك هو هيجل عندما بدأ البحث عن اساس جديد لنظام اخلاقى وسياسى فى الفترة الواقعة فى عام ١٧٩٠ اعتبرها شكلا من الدين القومى على النمط اليونانى القديم بدأ هيجل تجربته بتجديد المسيحية بحيث تصبح دينا أهليا وطنيا من خلال تجربه الوحدة الصوفية المتواجده بها حدد بوضوح الله كما حدد البشرية وفكر فى احتمالات المعارضة أو الابتعاد عنها .

دقق هيجل فى تلك النقطة التى تستطيع فيها الروح تقديس نفسها كروح وتحقق المصالحة والتسويه الأساسيه بينها وبين هذا الدين الجديد الذى يستطيع أن يزيح عنها المآسى اللانهائية والأحمال الثقليه لعدم توحيدها بالله ، لكن المسيحية مازالت تحتوى على الكثير من الاحساس بالسمو الإلهى وتشعر كذلك بالانفصال بين ما هو بشرى وما هو مقدس " إن الحرية المطلقة لجميع النفوس التى تحمل هذا العالم الفكرى العقلانى بداخلها والتى لا تستطيع أن تبحث عن الله أو الحياة الأبديه خارجها " كيف يمكن تحديد المصير المطلق للأفراد اذا كان هناك رب سامى سيبقى دائما خارج نطاق فهمهم ." ذلك هو الادراك والضمير التعس للشخص الواحد الذى يسعى للاتصال بما هو مقدس فلا يجده هذا الرمز المقدس يجب أن نفترض أنه خارج نطاقنا ولا نستطيع أن نجده أو نصل اليه .

وعلى عكس ذلك حاول هيجل أن يتقن " المبدأ البروتستانتى " بالتأمل فى كل ما كان سابقا خارج نطاق الادراك البشرى هذه المهمه المحرمه فى إدماج الحقيقة.

البشرية والحقيقة المقدسة دون أن نتغاضى عن أى اختلافات بينهما وقد تحقق ذلك بعد أن غير هيجل اتجاهه للمفهوم الادراكى للروح الوسطيه بينهما أصبح الامر بعد ذلك خارج نطاق تحديد الله والانسانية ، ولكن دخل الى مجال رؤية كل منها كلحظة للكشف الجدلى للروح . اصبح سمو الله لحظة مجردة تحتوى على انكارها الذاتى أو عدم استكمالها داخل نفسها يجب أن نتبع هذه اللحظة بانبثاق الاشخاص البشريين الذى من خلالهم تصبح الذات المقدسة شاعرة بنفسها كروح التوحيد يمكن أن يحدث فعلا دون انكار حقيقة الله أو الاستيلاء على الحرية البشرية إن الادراك المحدد للمفكر لم يقاد الى مجاهل العالم المطلق . لقد أصبحت هذه الوسيلة يمكن أن يتحقق الاندماج من خلالها أدرك المؤلف والقارىء أن «نظرية الأرواح " هى الأداه التى من خلالها تدرك الروح ذاتيه نفسها وتصبح حقيقة واقعه ذلك مثل المصالحة بين البشر وبين ما هو مقدس إن هذا التركيب الخاص بهيجن لا يمكن التغاضى عنه لا داعى للتعجب فيما استطاع أن يحدثه من آثار على المعاصرين له ومازال حتى الآن يؤثر على الحاضر .

لقد خلق هيجل شكلا جديدا للدين مبنى على الحرية والاستقلالية للمنطق البشرى وبينما هو يؤكد ويبطل كل ذلك من خلال جداله فهو يفهمها كتجميع للتاريخ لقد تحقق التجلى ولا داعى للانتظار الى ما وراء هذا العالم لقد انتهى عمل " التاريخ الواقعى عندما وصل الى " عالم الروح " ذلك تحقيقا للروح المدركة لذاتها هذه الماده الروحية قد اندمجت باسلوب اكثر كمالا فى العملية التاريخية اكثر من ذى قبل كان مفتاح هيجل الذى حقق به هذا النجاح هو إنحرافه من «مفهوم الروح» إلى" الحقيقة المباشرة للروح " وهو يدعى أن هذا التحول التأملى لم يكن مجرد بناء عقلى لتفكيره هو بل كان تسوية واقعية للنفس الكلية مع ذاتها من خلال فكر هيجن ، ونظرا لحدوث ذلك فى الواقع الملموس فانه يحتاج مجرد الوقت لكى يخترق الجموع العريضة من الحقيقة الاجتماعية والسياسية . لم يتطلب هذا التغيير افعال ثورية أو تحويلات روحية إن المصالحة قد تمت فعلا ويمكن الان توضيح معنى

التاريخ من خلال هذا الإنجاز عندما التفت هيجن الى المجرى التاريخى استطاع أن يحدد هذا المعنى الذى تحقق داخل نفسه . هذا مصدر غير هام لادراك نوع التجارب التى تقع وراء بناءه بجانب ما تضمنه من العادات الروحية الرئيسية لتاريخ البشرية فقد أعطى اهتماما خاصا لخط افلاطون فى التأمل الصوفى منذ العالم القديم الى الحاضر . لقد اعتبر نفسه خليفة لهذه العادات ، يمكن للقارىء أن يلاحظ التماثل بين التأملات الصوفية لبوهيم وهى نفس مفهوم الالوهية الجدلى من خلال الخلق والتاريخ. لم يكن ذلك حدثا فقد كان هيجل قارئ نهم للصوفية وخاصة إيكارت وبوهيم ونظر اليهم كمؤسسين لعمله فى كتاب " محاضرات عن التاريخ والفلسفة " ويحدد مؤسس العالم الحديث فرنسيس باكون للنظرية التجربية المؤثره والتى تعتبر أساساً للعلوم الحديثة وجاكوب بوهيم كأول فيلسوف المانى فهم ضروره وجود عنصر الرفض داخل الشخصيه المطلقه لله كان هيجل شغوفا للحصول على نسخه من اعمال بوهيم وهناك ادله بديهيه بان قراءته للثيو صوفيه كانت لها آثار واضحه على مفهومه الجدلى فى الكشف عن الروح. مهما كان حكمنا عن أحقيه هيجن فى هذا الكشف لانستطيع أن ننكر أن هيجن فهم نفسه داخل العادات الماجوسيه التى كانت ترجع الى عصر النهضه والى الروحانيات الغنوسطيه الهلينيه. ماذا نستطيع أن نقوله عن ماركس. هنا نستطيع أن نصل الى مفهوم دنيوى للطبيعه البشرية وتاريخها وبطبيعه الحال ذلك هو سبب رفضه الشهير لمثاليات هيجن حيث ادعى أنها استطاعت اخيرا أن تقف على أرجلها. لقد وجه ماركس إهتمامه الغير محدود للظروف المادية للوجود كاساس طبيعى ينبثق منه النظام المنطقى الخارق. ومن وجهة نظره المحرك الطبيعى للتاريخ هو العملية الجداليه بين الوسائل المتغيره للانتاج والعلاقات المتطوره التى تخص هذا الانتاج. ذلك يؤدى الى تسلسل العهود التاريخيه الذى أوجد مؤخرا مرحله الرأسماليه البرجوازيه والتى هدمت مع انبثاق الشيوعيه فى العالم. إن الدين مثل عالم الثقافه بوجه عام، مجرد تعبير عن العلاقات الاقتصاديه السائده ولذلك فالدين ليس متغير مستقل فى طيات التاريخ «ليس ادرك الانسان هو الذى يحدد ذاته ولكن على العكس أنه الوضع الاجتماعى الذى

يحدد هذا الإدراك» لهذا السبب لو أراد أحد أن يحدث أى تغيير فى نظام المجتمع لا يبدأ الانسان بتغييرات داخليه سواء كانت خلقيه أو روحيه لاعضاء هذا المجتمع ولكنه يستطيع أن يجرى هذا التغيير بثوره سياسيه وإقتصاديه جوهريه تحول وتغير الظروف "الواقعيه لحياه البشر" باتباع هذا الاسلوب توقع ماركس أن يصل الى التغييرات البشريه الشامله التى تضمن تحقيق الكمال للتاريخ على الرغم من الماديه المتعنته لهذا المفهوم فاننا لودققنا النظر نجد أن هذا البناء يعتمد على نفس الإيمان بالتغييرات الرروحيه كما فى المسيحيه نفسها يبدأ ماركس بالاعلان عن الشيوعيه مؤكدا أن "التاريخ السابق باكمله كان مجرد تاريخ للصراعات الطبقيه" ويستنتج تأكيده بان الثوره البوليتاريه سوف تخلق مجتمعا دون أى طبقات حيث يصبح التطور الحر لكل فرد هو شرط التقدم الحر للمجتمع ولكنه لم يعطِ أى دليل لهذا الاعتقاد، الحقيقه أن البوليتاريا عباره عن طبقه واحده فقيره فقراً مطلقاً وهى الآن مسؤوله عن الانسانيه ولايمكن النظر اليها كسبب كافى لتوقع مثل هذا التغيير الشامل الدائم فى الطبيعه البشرى. إن الإيمان بالنواحى الروحيه المقدسه الساميه أو أى شئ من هذا القبيل هو الذى يستطيع وحده أن يساند مثل هذا الفكر ومن الصعب اذن أن نقاوم النتيجه الحتميه بان العمليه التاريخيه التى تجمعت فى الثوره العالميه الشيوعيه تؤدى هذه المهمه المقدسه الرؤيويه من أجل ماركس.

إن المظهر الدينوى لتفكيره يمكن تقديره عندما يتذكر الإنسان نزوله من ايمان هيجل الى القوه فى الروح البشريه النيتانيه خلال التاريخ. هذا النزول لايتعدى انكماش روح هيجن الكونيه المقدسه الى حاملها البشرى. إن مفهوم هذا الخلاف مع هيجل أن ليس هناك أى مقاييس للروح وراء المستوى الانسانى الجامد. اذا كنا نبحث عن كتاب يعطى مثالا لهذه العمليه الدنيويه، فهذا هو ذاته. إن كل ما يخص روح هيجل الأرضيه واضح جدا كما أنه أكثر وضوحاً فى مفهوم ماركسى عن الكشف الجدلى للتاريخ الذى يجب أن يمر بجميع الاعتراضات والتسويات حتى تصل إلى إمكانية تحقيق الأهداف بمرور الزمن دون المساهمة

فى العملية الخلقية المقدسه فإنه من المسحيل أن تغير الإنسانية طبيعتها الخاصة. إلا أذا كان هناك شئ أخر أكثر من الطبيعة البشرية فليس أمامنا وسيلةأخرى إلا تلك الطبيعة البشرية الأزلية التى نمتلكها .

بالإضافة إلى ذلك فإنها توضح مدى نفور ماركس من الدين. ليس ذلك لأن الدين سراب أو متعنت أو مخرب ولكن السبب أنه يعتبر عدواً، من المحتمل أنه العدو الرئيسى لإيمان ماركس الخاص إن القوة المسببة لهذا الرفض ترجع إلى اعلانه البروميثبوسى فى عبارة واحدة "إننى أكره جميع الآلهه" ذلك يدل على إصراره بأن من ينتقد الدين قد تفوق على جميع الناقدين أن هذه اللهجة الزمية مبنية على إدراك ماركس الأكيد للتهديد الذى يواجهة من الإيمان السامى. فإن وجود هذا الخالق المقدس يقضى على هذا المشروع بأكمله حيث يحتم التضحية بالنفس من خلال عمل ثورى. وماركس نفسه يؤكد هذا التفسير فى سطور فريده حيث يوضح صعوبة إلغاء فكره الخالق من الأدراك البشرى .

ويشكو ماركس قائلاً بأن الرجال لديهم عاده سيئة باعترافهم بأنهم لم يستمدوا وجودهم من أنفسهم. إن ماركس قدم ثورته على فكره استقلالية الخلق عن الخالق " إن الرجل الذى يعيش على المن من الآخر ينظر إلى نفسه كإنسان معتمد على غيره، ولكننى إذا كنت أعيش بالكامل على من الآخر إذا كنت مدان له بماده ووجود حياتى إذا كان قد خلقنى فعلاً وإذا كان مصدراً لحياتى .." ويقترح عندما يواجهنا السؤال التالى " من الذى أوجد الرجل الأول فى العالم وهذه الطبيعة ككل ؟ " يجب أن نرد على هذا السائل " ذلك مجرد ناتج عن المجردات " ويتصور ماركس أن السائل قد يصر ويستمر إلى أن يوضح السبب الرئيسى لعدم أمكانية طرح هذا السؤال "لأنه بالنسبة للرجل الشيوى التاريخ العالمى بأكمله لا يساول شىء إن ميلاد الإنسان بدأ بالعمل الإنسانى لديه الإثبات الذى لا يقبل الجدال عن مولده من خلال نفسه إن السؤال الخاص بالله يجب أن يرفض لأنه "أصبح مستحيلاً فى الحياه العمليه " نحن الآن نقع فى نطاق عمليه قتل الله فى للنازية والقبلاينه التى تصل إلى عمليه الإلحاد للبشرية .

يمكن أن نسرد عمليه مقارنة أخرى للفيلسوف الوضعى أو جست كومت الفرنسى وهو مثل التغيير من المذهب العقلى إلى المذهب المسيحى من خلال حياته الخاصة. إن حياه كومت كانت مقسمه إلى مرحلة وضعية ومرحلة دينية على الرغم من أن المرحلتين بالنسبة له كانوا استمرارية لنفس المؤثرات . لقد أوضح قانون المراحل الثلاثة فى التاريخ وهم اللاهوتى، الغيبى والوضعى، أن هذه النظرية التى تحقق تفوق العلوم الطبيعية.. تفوقت على جميع الأشكال السابقة للمعرفة، فالتقدم الفكرى بمفرده كما اعترف كومت لا يستطيع أن يغير المجتمع، كان كومت عميق التفكير بحيث أدرك ضرورة الوصول الى ما وراء نقد المعتقدات التقليدية. إن الأشياء المادية لا تسطيع أن تصبح ساميه إلا إذا استبدلت .

تحت تأثير الحب كلوتيلد دوڤو وضع مفهوم دين جديد يعمل لخدمه البشرية، بحيث يصبح هو " الذات العظيمة" بدلاً من القدسية السامية للأديان التقليدية كون كومت بسرعة مفهومة عن "دين الإنسانية " متضمناً فيه طقوس معينة ونتيجة زمنية لبداية هذا الدين وبنيان مقدس وملائكى بنفس الأسلوب الكاثوليكى وقد إعتلى كومت نفسه مركز البابا ولكن على الرغم من هذه التجاوزات الخطيرة إلا أننا لا نستطيع أن ننكر بأن هذا البناء يتضمن جميع العناصر للإنسانية المجردة. فالانسانيه هى المطالب الدنيوية المطلقة، وخضوعنا الكامل للطقوس الدينية. نضف إلى ذلك كله أن الإنسان البشرى أصبح مُستَهْلكاً، حتى اللغه المستخدمه فى وصف هذا المفهوم الجديد للفضيلة وعلى سبيل المثال كلمه "الغيرية" والتى تعنى حب الغير، أبتكرها كومت نفسه، الشىء الذى أكد هذه الرؤية من جميع نواحيها ومكن المتعاطفين معها على التغاضى عن نتائجها المخزية هى الفكرة التى تجعل البشر متماثلون تماماًمع الذات العليا .

عندما ننظر إلى الشخصيات الرائدة التى شكلت العالم الحديث لا نجد أى شك بأنهم حاولوا أن يدخلوا القدسية بأكملها إلى النفس البشرية. قراءات التاريخ الحديث لفوجلين وكاموس ودوستوفسكى وسولز هنز .

تعبر عن البروميثبو سى الذى استطاع فيه المخلوق أن يتغلب على الله الخالق هذا الاتجاه تسانده الماده التجريبية المذكورة فى هذا الباب ولا نعتبر هذه تفسيرات خاصة أو إرتجالية فليس من السهل أن نعترف بأن الدفعه الرئيسية للعصر الحديث التى نتج عنها كل هذه الإنجازات العظيمة كانت من الناحية الراديكالية مفهومة بأسلوب خاطئ ليس سهلاً ونحن نستمتع بهذه المزايا وتلك المآسى أن نقر أن العالم الحديث نشأ فى حاله من التشويش النفسى لكن ذلك هو المنطق الذى لا نستطيع الهروب منه والذى وصلنا اليه من خلال التجارب والآن يقر ذلك الباحثين فى المجال التاريخى وهم يضيفون وزناً كبيراً لإحساسنا بأننا وصلنا فعلاً إلى نقطة تغيير تاريخية حيث أصبح الجنون غير مرئى، إن أقنعة الخداع وخداع النفس كان لها دوراً كبيراً فى تأملات نيتزتش تلك الأحلام فقدت قوتها فى الإغراء فى هذه اللحظة حيث استطاع النقاد أن يكشفوا عدم مصدا قيتها فى وضح النهار. وذلك يعطى سبباً أكثر لكى نرى كيف استطاعوا التأثير على تلك العقول العظيمة وتلك المجتمعات الأكثر تقدماً كخطوة أولى لتكوين دفاع يضمن عدم تكرارها.

## جزور الأزمة داخل المسيحية

السؤال الذى لا نستطيع أن تتغاضى عنه لأسباب الفوضى فى العصر الحديث أقحم نفسه على مفكر مثل كاموس حيث كان عليه أن يقاوم آثار هذه الفوضى الموجودة حوله. ماذا كان هناك فى المدنية الغربية ليجعلها عرضه لخيالات مسيحية مدمرة. أو يمكن لها أن تنظر فى محاولات دوستوفسكى القديمة . إن هذه التشوهات فى المسيحية هى التى أدت للإتجاه الثورى الحديث.ولكن ذلك يتضح أكثر فى أعمال إريك فوچلين حيث نجد عمليه كشف مطو له لجذور الأزمة الحديثة . إن تحقيقاته ترجع إلى "العصر المسكونى" وأبعد من هذا العصر وهو يخص بدراسته المسيحية حيث أنها العامل الرئيسى الذى زاد من توترات الوجود للأفضل والأسوأ. وقد انتقد فوچلين لتبنية مثل هذه النظرة السلبية للمسيحية أو من أجل السماح لأكتشافاته التجريبية بأقتراح مثل هذا النتيجة لكنه فى الحقيقة لم يفعل شيئاً أكثر من تتبع الاتجاه الذى يقوده إليه هذا السؤال .

وحديثاً صدق صوت مسيحى موثوق به مثل جون بول الثانى على ضرورة السير فى هذا الاتجاه للوصول إلى الحقيقة.

" إن أزمة الرجل الأوروبى هى أزمة الرجل المسيحى كما أن أزمة الثقافة الأوروبية هى أزمة الثقافة المسيحية على هذا الضوء يستطيع المسيحيين أن يكتشفوا فى مغامرة النفس الأوروبية الإغراءات والمخاطر التى يمتلكها الرجل فى علاقته الضرورية مع الله فى شخص المسيح .

ويتعمق أكثر يمكن أن نؤكد إن هذه التجارب والأغراءات وهذه النتيجة للأحداث الأوروبية لا تسائل الكنيسية والمسيحية من الخارج فقط بصفتها معوق خارجى أو صعوبه تواجة الإنجيلية ويجب التغلب عليها ، ولكن تواجهها من منطلق خاص فتلك المعوقات داخلية فى المسيحية والكنيسة ولذلك لا نتعجب لو أكتشفنا أن ازمة الرجل الأوروبى وأزمة أوروبا هى أزمات للمسيحية وللكنيسة فى أوروبا " .

حدد كاموس لب هذا الموضوع عندما علق بأن الثورة الغيبية غير ممكنه بدون خالق وإله سامى مسئولاً عن العالم أجمع ولهذا السبب يصل إلى النتيجة التالية "فى العالم الغربى تاريخ التمرد لا يتجزأ عن تاريخ المسيحية " كاموس كانت له حساسية خاصة لعالم الأساطير اليونانية حيث تجاربها الواسعة مع البشر والآلهة وكجزء من النظام الكونى الغامض. لقد عرف أن التمرد كان غير ممكناً داخل هذا العالم الأسطورى حيث أنه لم يكن له سبباً واحداً لكى يحدث فى نفس الوقت فإن المسيحية تحرم أى إشارة إلى مثل تلك الحدود الموضحة فى المثال اليونانى "لازيادة فى أى شىء " فإن المسيحية "دين كلى" يطلب من الإنسان أعتراف كامل حيث تجذبه فى اتجاهها إلى سمو لا نهائى خارج حدود العالم ان البشر يجذبون بعيداً عن هذا الكون ليركزوا بعمق فى هذه الاتجاهات لتغيير المظهر الخارجى للنفس وللتاريخ ولذلك يعلق كاموس " بأن الشيوعية نتيجة طبيعية للمسيحية فهى تاريخ المسيحية " لقد رأى أن مهمته الخاصة هى مقاومه الاتجاهات الشمولية حتى يستعيد المنطق

الرومانى للتوازن وللحدود .. آخر عمل له كان تركيزاً على إسطورة نمسيس تلك القوة المقدسة لعقاب التى يجذبها الإنسان لنفسه إذا تعدى نظام الكون. إن التحدى الكبير كما فهمه كاموس هو إعاده "المسار من الهلينيه إلى المسيحية وهى نقطة التحول الوحيدة والحقيقة فى التاريخ " .

هذا هو الطريق الذى إتبعه فوجلين فى اكتشافه لمسؤليه الغرب تجاه عدوى التمرد الكلى والشيء الذى أشار اليه كاموس قام فوجلين باختبارة بعمق أكثر حيث أنه أصبح أكثر إدراكاً للدرجة التى تصل فيها جذور الغليان المعاصر إلى الطبيعة الذاتية للمسيحية نفسها وقد درسنا تفسيراته لإنفجار النشاط التعصبى داخل هذه الاتجاهات فى الثورة البيوريتانية. لقد نظر إليها كانهيار أو عدم مقدره على تأييد التعصب للايمان السامى. لقد أصبحت المسيحية عدواً لنجاحها الاجتماعى حيث ضمت أعداداً كبيرة من البشر لم يكن لديهم النضج الروحى الكافى حتى يستطيعوا مساندة مثل هذا الرباط الضعيف لقد بحثوا عن تجارب "كبيرة" عن القدسيه ليستطيعوا التغلب على هذا الشك عن معنى وكيان حياتهم الخاصة فى هذا الدنيا .

إن الشخصية الدنيوية الأخرى للمسيحية لم تعط التأكيد المطلوب وأصبح هذا الشك وعدم التأكد " الروح الرئيسية للمسيحية" كانت تطلب من الرجال والنساء أن يطيعوا كل شيء دون انتظار أى مقابل. التأكيد الوحيد كان فى تجربة الإيمان نفسها وذلك لم يكن مماثلاً بأى حال للحياه فى وسط هذا الكون الملىء بالأرباب الذين نستطيع أن نشعر بهم ونراهم. تلك مشكلة معروفة للإيمان المتصل بالسمو فى الحياه الدنيا الذى أدركه أنبياء إسرائيل إدراكاً جيداً .

الشيء الذى زاد من حدة التوتر فى المسيحية من وجهة نظر فوجلين هو مدى التعريف الأكمل للسمو المقدس فوجود الله لم يعد مرتبطاً بمكان أو زمان محدد كما أنه لم يعد مرتبطاً بأى أشخاص. كما أن الإنجازات البشرية أصبحت تعرف بصفة مطلقة باتجاهها إلى

الحقيقة الأبدية المقدسة خارج نطاق هذا الكون كل ما كان يربطنا بهذا العالم تبخر مع العلاقة المحدده مع الله حتى وجود الكون نفسه أصبح مشكلة فما هو الهدف من خلق عالم محكوم عليه مقدماً بالفناء ما هو الهدف من النضال لتحقيق الانجازات داخل هذا الكون. إن إعادة القدسية والألوهية لهذا الكون عملية قامت المسيحية باستكمالها من هذه النقطة أصبحت المشاكل الخاصة بالإتزان بين الحياه فى الدنيا والتحركات ما بعد هذه الدنيا من المشاكل المثيرة للصعوبات ومن هذا المنطلق يصر فوچلين على إننا يجب أن نعود إذا كنا سنتعامل مع التأثيرات الأيديولوجية والتغيرات المظهرية فى وقتنا هذا .

لقد استطاع أن ينتقى عناصر تحاليله بتحديد وبدقه ووضوح أكثر الطريقتين الأساسيتين التى يمكن تجربة الوجود الألهى من خلالهما التجربة المباشرة "للألهام" داخل الروح، الشد الداخلى إلى ما سماه أفلاطون "العالم الآخر" هناك كذلك تجربة "الوساطة" للوجود المقدس فى هذا الكون فى صورة القوة التى تصدر الأوامر وتحتفظ وتأتى بكل الأشياء منذ البداية. هذه هى الطريقتين الثابتتين الذى جرب من خلالهما البشر وجدانيه الله. يجب أن تنظم هذه الأساليب فى تناغم معين حتى تستمر الحياه فى هذا النظام ولا نستطيع تخفيض هذه التجارب أو حتى ماترمز الية. إن معلومات البشر المفهومة للروح، وإدراكنا لهذا الكون محدود لما نقابله من كل هذا النظام الكونى سواء كان داخل أنفسنا أو خارجها نستطيع رؤيته حولنا. ليس هناك مفهوم واحد لتعريف معنى كلمه " الكل" من وجهة نظر فوچلين تكمن مشكلة المسيحية فى إنها أشارت إلى هذا المفهوم عندما حددت الإتجاه الأيمانى بالأخرويات ومكانته فى البقاء أصبح من الممكن تحديد باقى المعانى وبعد وقت قليل أستطاعوا أن يكملوا باقى هذه التفصيلات عن التوقعات الرهيبة المخيفة عن الحياه الثانية إلى التأملات القدسية للنظام الغنوسطى. الدرجة القصوى للإلهام والوحى الذاتى فى المسيح أعطت السر لفهم محدد للكون. حتى فى العهد الجديد فى الإنجيل يجد فوچلين يؤيد هذا الاتجاه. القديس جون على سبيل المثال يبدو أنه يخلط الأسلوبين للوجود

القدسى عندما "يجعل ( الكلمة) الكونية للخليقة تندمج مع ( الكلمه) الألهامية للتحدث مع الإنسان من "العالم الأخر" بكلمه "أنا " كلمة المسيح التى تماثلت مع كلمه البداية هى الوجود المقدس "المنتصر على الكون" كيف نستطيع أن نربط بين الكلمتين. هل هذا الكون شر يجب أن ننتصر عليه حتى يستطيع المسيح أن يعود إلى المجد الذى كان عليه " قبل أن يكون هناك كون" تلك هى التساؤلات التى يطرحها فوجلين وهو لا يتهم القديس جون بالغنوسطية ولكنه يشير إلى أن هذا السؤال هو الذى أو جد الغنوسطية . فى المسيحية نزعة الأستقراء فى الحقائق الكامله تأتى فى المقدمه "إن وجود العالم الآخر الذى جرب كثيراً يوجد مشكلة البداية لتحظى بإهتمام مكثف " مقصد فوجلين موضح فى هذا الباب "رؤية بول فى البعث" يبدأ بتحليل ذكى عن طبيعة رؤية بول عن المسيح بعد البعث وهذه هى التجربة التى استطاعت إقناعه "بأن هدف الإنسان أن يرفع إلى الحياه الأبدية إذا أستطاع أن يسلم نفسه للروح المقدسه كما فعل المسيح" هذه هى أساس النتائج التى رسمها القديس بول ومفتاح هذه التجربة يكمن فى العباره التالية " إذا لم يكن لدينا سوى الأمل فى المسيح فى هذا الحياه فإن حالنا جميعاً نساءاً ورجالاً يرثى له " يشير فوجلين هنا إلى أن القديس بول يعنى أن الأمل فى هذه الحياه هى المرحلة الوسطى لبقاءنا عليها وهذا ليس كافياً يجب أن يكون ذلك الأمل بداية لعميلة التجلى نفسها والا يصبح هذا الأمل عديم الفائدة، ثم يغير هذا التركيز إلى النهاية المنتصرة حيث يقول "سوف نتغير جميعاً فى لحظة واحدة، فى غمض البصر مع النفخة الأخيرة للبوق. رؤية إنتصار المسيح على القوة المتمردة فى هذا الكون استولت على خيال القديس بول بدرجة كبيرة حتى تخيل أن هؤلاء الذين يعيشون الآنْ داخل كيان المسيح لن يموتوا ولكنهم سيتحولون إلى الحياه الأبدية من هذا المفهوم تصبح الحياة فى الوجود المتوتر الأمل "تتراجع إلى حقاره وتفاهه نسبيه "إنها الرغبة فى السماح بالحركة فى اتجاه النهاية المتجلية تهاجم الحقيقة الكلية ويجد فوجلين ذلك كعنصر عدم الإتزان فى نظرة القديس بول. يمكن تحديد هذه المشكلة "كميل لألغاء التوتر بين

النهايات الإيمانية بالأخرويات للواقع وكذلك الغموض فى التجلى الذى يحدث فعلاً فى الواقع التاريخى. إن إسطورة القديس بول للصراع بين القوة الكونية تعبر بوضوح عن الحركة التى أمكن تجربتها فى الواقع ولكنها تصبح غير حقيقة إذا استخدمت لتساند العملية المحددة للتجلى فى التاريخ مرة أخرى يجب أن نؤكد أن فوچلين لا يتهم بعدم الاتزان الروحى وعلى العكس يجد فى هذا القديس ميل خاص قد يكون تخيل مقاومته إذا وجد فى عقول أقل منه. بهذا أصبحت الغنوسطية البدعه العظيمة للكينسة القديمة نظرية واسعة الانتشار. لقد نشأت عن مبالغة فى اتجاهات معينة كانت موجودة أصلاً فى المسيحية. الفكرة السائدة أكثر تقليل قيمة الوجود فى هذا الكون إلى درجة أنه يصبح العقبة الرئيسية للصعود والتجلى والاندماج مع الله خاج هذا الوجود. إن المغالطة الضرورية فى الغنوسطية هو ذلك الاستنتاج الغير شرعى للنظرة إلى عملية التجلى فى الحاضر إلى الإدراك النهائى المحدد له. " فى بناء الأنظمة الغنوسطية تكون التجربة الفورية للوجود القدسى بأسلوب "العالم الآخر" توسع بأسلوب تأملى لفهم معلومات عند "البداية" التى نستطيع الوصول إليها فقط بأسلوب التجربة الوسيطة. مثل هذا التحريف للتجارب يمكن الوصول إليه إذا استخدمنا شيئاً أكثر من الإحساس المركز بالأبعاد والتمرد على مشاكل العصر "هذا هو العنصر الإضافى " الذى اقتنع به فوچلين "هذا العنصر الأضافى هو إدراك الحركة فى إتجاه العالم الآخر ويكون مليء بالقوة والضوح حتى تصبح إستناره متوهجة تستطيع أن تعمى رجلاً عن المفهوم البنائى للحقيقة. إن المفكر الغنوسطى يجب أن يستطيع أن ينسى أن هذا الكون لا ينبعث من إدراكه ولكن إدراك الرجل ينبع من هذا الكون يجب أن يحاول أن يعكس العلاقة بين البداية والعالم الأخر دون أن يدرك أنه يحطم لغز الحقيقة بهذا العمل التأملى يجب الا يكون حساساً حيث أنه يقحم طاقته الانفعالية وهنا أركز على عدم حساسيته فى بناء النظام الغنوسطى حتى أستطيع أن أوكد القوة والنور فى الوعى الإيمانى بالأخرويات اللازم لجعل الغنوسطية مقبولة. إذا نظرنا إلى تاريخ

الغنوسطية والإيضاحات الكثيرة المرتبطة بها التى تشتق من المسيحية فإننى أفضل أن أدرك من خلال ظهور المسيح العامل الفعال العظيم الذى جعل هذا الوعى السامى بمثابة قوة تاريخية سواء فى تكوين أو تشوية البشرية " .

ذلك بالذات هو التعبير القوى للمسؤولية التى تتحملها المسيحية تجاه الجنون الأيدولوجى الحديث وبذلك تكون عرضه لهذا الاتهام. هناك اختلاف أكيد إذا أكدنا أن المسيحية سمحت بالظروف التى أدت إلى هذه التشوهات أو ننظر للأمور بوجه آخر حين نعتبر أن تلك الإتجاهات المشوهة كانت موجودة أصلاً فى العهد الجديد من الإنجيل نفسه. وتحليل فوجلين لهذه السطور التى كتبها القديس بول تطرح تساؤلات كثيرة . فعلى سبيل المثال لايوجد أى دليل إن كتابات الحواريين كانت تهيمن عليها توقعات العوده الثانية للمسيح ليس حقيقى أن العهد الجديد بالإنجيل بوجة عام غير مهتم بالمشاكل التنظيمية التى تنشأ من حاجة التواجد المستمر فى المجتمع والتاريخ. والتفسير الذى يمكن أن نسوقه هو أن الكنيسه القديمة كانت تركز أساساً على أساس التجربة الإفتدائية للمسيح فتحديد الكنيسة لأفكارها فى إطار الحقيقة الروحانية لم تتضمن أى إهدا لقيمة الوجود فى هذا العالم كما أنها لم تشمل كذلك أى تمرد ضد نظام الحياه. إن التوجيهات الإخلاقية والسياسية الموجودة فى العهد الجديد فى الإنجيل توضح العادات الغنية للانعكاسات الفلسفية المسيحية. يجب أن نضع ذلك فى إعتبارنا إذا أردنا أن نضع تحليل فوجلين فى مكانه الصحيح. فى هذه الحالة سيبدو واضحاً أن الإرتباط الذى يكونه مع الاضطرابات الثورية الحديثة ليست ضد المسيحية بصفة عامة لكنها تتماشى مع خصائص المسيحية والتحريفات الموجودة بها.

فقد كانت هذه التحريفات الخاصة بالنهايات السامية للوجود البشرى سبباً مباشراً وراء الرغبة الجامحة للثورة الشاملة لقد رأينا الاتجاه العكسى للمفهوم الذاتى للحياه الدنيوية الحديثة ومن يدافع عنها من أنبياء تحرير البشرية الذين اعتبروا أنفسهم خلفاء للمجوس

التابعين للنهضة ووضعوا أنفسهم فى خط هؤلاء الرجال والنساء الذين ألهوا أنفسهم فى العصور القديمة. الآن استطعنا أن نصل إلى الجذور التى كانت تحركهم ونكشف أن رغبتهم الملحة للسمو لا يمكن اعتبارها الا أحد المتغيرات أو تحريف للاتجاه المسيحى الإيمانى بالأخرويات. الشخص الذى تعمق فى الخلفية اليهودية المسيحية مثل ماركس يمكن أن يصل إلى هذا الهدف الغير محدود فقط أعلن ماركس "أن الفلاسفة قاموا بتفسير العالم فقط ولكن ليس ذلك هو المهم فالنقطة الرئيسية هى كيف يستطيعوا أن يغيروا العالم" ولكن كيف تستطيع الطبيعة البشرية أن تغير هذا الشىء الذى تعتبر هى جزءاً منه .

أما نيتز تسن فلم يفعل شيئاً سوى عكس أثر الإيمان بالأخرويات فى المسيحية فى كفاحة الفاشل لمحاوله التغلب على شقاء الحياه فى هذا العالم الذى يؤول إلى الحياه الآخرة. أدرك كاموس إن هذه ليست إحساسات إنسان إغريقى كما أوضح ميرسيا الياد أن الإنسان متجانس مع هذا النظام الكونى سواء كان ذلك للأفضل أو للأسوأ نحن نعيش فى إطار أسطوره الآخرويات والحساب والعقاب الذى خلفها القديس بول "هؤلاء الذين تشبهوا بالمسيح وظهورا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر والذين يتنافسون مع فكره البعث أو رؤية القديس بول يعتبروا أفضل دليل ( إذا كنا فعلاً نحتاج لهذا الدليل ) على استمرارية مشكلة التغيرات فى الإدراكات التاريخية. فبعد تقديس الطبيعة البشرية فى شخص المسيح لن تجدى أية تغيرات أخرى .

إن النزاع الهائل الطويل فى هذا العالم الحديث لا يعتبر محاوله لتحقيق التقديس الذاتى لطبيعتنا دون أن نتخلل شخص المسيح حتى لو كانت هذه المحاولات لجذب هذه الماده المقدسة وإدخالها فى البشرية مثل سحرة النهضة أو الصوفيون المتعصبون فإن هذه العملية تتم عن طريق الوسيط البشرى فقط. إن المنطق يخطو خطوات واسعة فى الاتجاه الإلحادى لماركس أو كومت. كما وصف نيتزتش هذه الوسيلة التى تمد بها الإنسانية نفسها بالنعمة الإلهيه. قد تبدو هذه الصورة تقيه وورعة من الخارج فقط، فكيف نستطيع أن نلصق

بأنفسنا ما لا نملك يجب ألا يسمح بهذا الألهام الذى صنع من خلال المسيحية أن يستغل بانحراف . فالمدنية التى تستغل طاقتها وتقضى على نفسها بالبحث عن شىء لا يمكن إيجاده ولا يمكن تحقيقه ذلك هو التقديس الذاتى للبشرية يجب أن نقف بحزم فى وجه هذا الاتجاه فجميع الطرق الممكنه لخلق هذه القدسية قد فشلت ونحن الآن محاطون بنتائج هذا الفشل. قد يكون الوقت مناسباً لكى ندرك التناقض البين الذى يتوغل إلى جذور هذه العملية وعند هذه النقطة قد نبدأ فى الإدراك بأن الطريق الصحيح للتقديس يكمن فى اتجاه الروح إلى الله الذى انسلخ خارج البشر. مقاومه هذه الفوضى تقودنا حتماً إلى عمليه الصعود .

# الفصل الرابع

# الباب الرابع

# الصعود من الأعماق

إن الشخصيات البارزة فى العالم الحديث صوفيون فاسدون حاولوا الوصول إلى التقديس من طرق قصيرة سهلة، بدلاً من التورع والصلاه الدائبة والإنتظار بصبر وإيمان للحصول على رضا الله وبركته "فهذا الأسلوب الورع التقى يحقق ما لا يمكن أن نتصوره من خلال القوة الكامنة بداخلنا" أما هؤلاء فإنهم يتصرفون بقلق ولديهم رغبة جامحه للأمساك بكل هذه التغييرات وجعلها تحت تصرف الأرادة البشرية هؤلاء الأشخاص لا يستطيعون تحمل نقص الإيمان وعدم التأكد منه فهم يسعون إلى الكمال من خلال أفعالهم الخاصة التى يوجهونها لهذا الهدف .

حتى إذا أظهروا الاحترام والتبجيل لبعض الحقائق العليا سواء كانت القوة الكونية المقدسة للطبيعة أو التواجد المهيب للتاريخ فإن القوة الدافعة الداخلية لهم تبقى كما هى، فالإنسانيه لا يمكن أن تتأكد من التغييرات الخارجية إذا أستطاعت أن تحدثها بنفسها. البشر يستطيعون أن يكونوا مستقلين إذا أستطاعوا أن يرفعوا أنفسهم لأعلى الى مستوى السمو الروحى بمجهودهم الخاص .

على الرغم من الأسلوب الإلحادى فى هذا الإتجاه إلا أننا لا يمكن أن نعتبره غير مقدين فالثورة ضد الله مازالت بشكل أساسى متصلة بالله، عندما تقابل أيفاق واليشع لمناقشة "السؤال الأبدى" لم يكن ذلك يخفى وجود الله والحياه الأبدية ولكن يوضح إيفان ذلك قائلاً "هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله يتكلمون عن الاشتراكية والفوضوية وعن تحويل البشرية كلها إلى شكل وقالب جديد حتى يصبحوا متماثلين تماماً ولديهم نفس الأسئلة لكنهم يحولونها من داخلهم إلى خارجهم " تنشأ هذه الأسئلة عن الرغبة الأكيدة للسمو التى تبقى حتى لوزال الإيمان الذى كان يسعى اليها ، إن مجئ المسيحية أثر على المجتمعات التى

تغلغلت اليها حيث اكتشف الآدميون داخل هذه المجتمعات إنسياقهم فى اتجاه التجلى الإيمانى بالأخرويات، إن القيود على الوجود الدنيوى أو الرجوع إلى كون أكثر قدسية لا يستطعيا أن يشبعا رغباتنا الآن .

لقد استطعنا الآن إدراك الطبيعة الغير كامله والغير كافية للوجود إذا قورنت بالكمال والسمو الممنوح لنا من خلا المسيح أنه هو التعطش للسمو والعلو هو الذى يدفعنا حقيقة خارج نطاق أساليب الخلاص الدنيويه فى هذا العالم، فى نفس الوقت فإن هذا التعطش هو أكثر الأدلة على الكذب البين والخداع الواضح لهذه الأساليب الدنيوية، عندما حدد ماركس الدين بأنه "تنهدات الإنسان المظلوم، بإحساس الدنيا القاسية وإنه الروح لظروف بلا روح "فانه كان فى الحقيقة يصف خراب مجتمعه هو بعد المسيحية الحظ الخط لا يمكن أن تثير هذه العبارة مشاعر المرء إلا فى النظام الشمولى الشيوعى .

كان ماركس يصف ذلك وهو منفصلاً عن الحرمان الأقتصادى الواضح، فهناك فقد الدين مادته الأختباريه. كان يعارض الهيكل الإجوف للدين الذى لم يكن له أى وظيفة سوى أن يكون "أفيون البشر" يضعف رغباتهم فى السعى عن أهتماماتهم الأقتصادية الحقيقية" يمكن أن نعتبر أن ثورة ماركس ضد أكذوبة المسيحية من وجهة نظرة كانت بسبب رغبته للإتصال الصادق بالحقيقة السامية والفضيلة فى الإنسان. هناك كثير من الأشياء فى ماركس نفسه أو كومت أو هيجل أو نيتزتش مثل "تنهد الإنسان المظلوم " لا يمكن أن ندعى إن هذه الأشياء تنتمى إن إحساس متبلد عن الوجود، إنها تسعى إلى الصعود لعالم له معنى وحقيقة مقدسه حقاً.

إن الإيحاء الروحى ملموس فى "المخطوطات الاقتصادية والفلسفية" حيث يقدم ماركس "الشيوعية الحقيقية" هى النقطة التى يصبح فيها كل شخص يحتاج للآخر وعندما يصبح ما أفعله لنفسى أفعله للمجتمع أجمع بحيث أشعر بنفسى من خلال المجتمع " كما يتضح فإن الإتجاه الماركسى أو الأيدولوجيات الأخرى ليست مجرد قوة ولكن الأهتمام الأكبر هو

الإحساس بالمشاركة فى نظام حقيقى بدرجة أكبر يؤدى الى وصول النفس إلى الأرتفاع والسمو وفى نفس الوقت يحررنا من الأرتباط الغير عقلى بالغنوسطية، عندما يطلب "البيان الشيوعى" خلق مجتمع جديد يكون فيه التطور الحر للفرد هوشرط التطور الحر للجميع " فمن الصعب أن نقاوم الإحساس الداخلى بالموافقة على هذا التعبير المسيحى الصادق لحب البشرية بأجمعها. فعلى الرغم من الخداع الذاتى فى تعاطفنا مع المسيحية الدنيوية لا يكفى أن نتهم ماركس أو كومت بالرياء أو عدم الصدق . إن عنصر الروح التى تسعى إليها مختلطة بكل شىء وقد تكون هذه الرغبة ملحة حتى تصل إلى درجة الصوفية هذا السعى الروح هو المصدر الحقيقى للحركات الدنيوية البشرية الكبيرة، والتى يتبعها هو أكثر الناس مثالية والتزاماً هؤلاء المثاليون معروفون بأنهم مسيحيون بهم عيوب أو أخطاء لأن هذا الاتجاه يبين التدمير النفسى التراجيدى لأنفسهم. إن حساسيتهم الزائدة للأزمه الروحية فى العالم الحديث عبروا عنها من خلال مفهومهم بأن هذه الأزمه يمكن أن تحل عن طريق عمل سياسى منظم فى الإطار التاريخى والأيدولوجيين غالباً محقين فى تحديدهم للمشاكل ولكن الحلول التى يقترحونها كانت تؤدى إلى تفاقم هذه المشاكل على الرغم من ذلك الفشل فإنهم يرفضوا الاعتراف بضرورة التغيير الشخصى كالوسيلة الوحيدة لتحقيق الإصلاح الأخلاقى للمجتمع على الرغم من أدركنا بإن عدم تراب الفلسفة المسيحية هو المصدر الرئيسى للفوضى فى المدنية الحديثة إلا أن الأيدولوجيين ما زالوا يرفضون بإصرار النداء للتصحيح والخضوع إلى النظام السامى للحق كأسلوب للتجديد، لقد فهموا حقيقه الينبوع الروحى بالنسبه للنظام ولكنهم لم يستطيعوا أن يمدوا الناس به ، إن الأعتقاد الخيالى بأن قوة الفعل الثورى أو الخارجى يمكنها أن تجعل الإنسان مثالياً من الداخل لا يمكن أن يغير هذه النتيجة جميع التجارب التى أجريت لمحاولة تطبيق هذا المفهوم من الهندسة الإجتماعية أدت إلى نتيجة واحدة لا مفر منها .

إن التغيير الخارجى للطبيعة البشرية التى تؤدى إلى الأشباع الروحى الأقصى غير ممكن إلا عن طريق الاندماج مع الله بعد الموت والتحرك فى اتجاه النهايات وذلك لا يحدث

ألا عن طريق معاناه هذه النفس أثناء الحياه، إن التضحية الذاتية الاراديه هى الطريق الوحيد للتقدم فى الحياه المعنوية إن الدمار والخراب لا يؤدى إلى أى إنجازات معنوية حقيقية، وأهداف هذه الأعمال تؤدى إلى نتائج ناقصه، بالنسبة لأصحاب المهن أى عناصر أبتدائية للفضيلة تستأصل وتلغى بشكل قاطع، كل شىء فى الحركات الأيدولوجية يشير إلى الرغبة الأكيدة للكمال والسمو النفسى من خلا المجتمع الحديث وإلى استحاله الوصول إلى ذلك الهدف من خلال الأشتراكية المانعة التى يطبقونها، أفضل جدال مؤثر لأحياء الفلسفة والمسيحية فى الوقت الحالى تأتى من أكثر أعدائها شراسة، لقد أدركوا أهمية الأساس الدينى الأخلاقى ولكنهم فشلوا فى تحقيقه وهؤلاء الأشخاص الآن يشيرون إلى إحياء الفلسفة المسيحية التى كونت النظام الغربى منذ البداية .

إن الحركات الأيدولوجية تبين من خلال توقعاتها للتغيرات الخارجية الرؤيوية بأنهم هم أنفسهم متغيرات فى الأسطورة المسيحية للإيمان بالأخرويات التى كانوا يسعون لتغيرها والآن بعد إدراكهم لاستحاله مثل هذه المحاولة نستطيع أن نقترح بأن هذا الأمل يمكن تحقيقه بالرجوع إلى المنبع الذى بدأ منه إذا كنا قد أصبنا فى رؤية رغبة هيجن للتصالح مع الروح المطلقة أو طلب ماركس عتق البشرية من العبودية أو كفاح نيتزتسن فى التغلب على روح الأستياء وتلك هى التعبيرات المشتقه من التوقعات اليهودية المسيحة للتجلى الأخروى للوجود كان واضحاً منذ البداية أن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه عن طريق أستخدام العنف. إن نتائج هذه التجربة أوضحت هذه الرؤية كل ما تبقى هو فتح طريق الإيمان فى اتجاه رحمه الله حيث إن ذلك هو الطريق الوحيد المتاح ليرفعنا إلى أعلى درجات الإنسانية، إذا كانت الحركات الأيدولوجية تنبثق من قدسية زائفة لطبيعتنا يمكن أن نتغلب عليها فى النهاية بأكتشاف قد سيتنا الحقيقة هذا المطلب بدأ فى التجربة اليهودية المسيحية للنظام ولا يمكن أن يجيب عليه أحد الأ بالمشاركة فى التجربة نفسها هذا هو الهدف الذى يجب أن نسعى إليه .

إن كشف جوانب هذه النظرة الداخلية هو موضوعنا فى هذا الباب تبدأ من حيث إنعكاسات التنفيس فى الباب الثانى والحلول العلاجية فى الباب الثالث مما يقودنا إلى الأدراك الكامل للمفهوم الذى تقوده هذه المعركه مع الفوضى المعاصرة إن مقاومة التخريب الأيدولوجى أكثر من مجرد معارضته لبعض الأشخاص أو الأنظمةأوالأفكار.. إنها الجبهة القتالية لهذه المعركة مع الأزمة الروحية الكبرى فى التمرد على الله التى قضت على النهضة المسيحية فى العصر الحديث، الآن نرجع إلى تركيز مجهوداتنا للمقاومة عن طريق كاموس سولز هنتسين دوستوفكس وفوجلين الذين لم يبدأو ا بالضرورة كمسيحيين، لكن المهم هو بحثهم عن وسيلة للتغلب على الانغلاق الشيطانى والعنف فى العالم من حولهم، ذلك هو الذى أعادهم مرة أخرى إلى المسيحية كالطريقة المؤثرة الوحيدة للتغلب على الجنون الأخروى عند أستعراضهم للمنابع الروحية لتؤيدهم فى معركتهم مع الشر أكتشفوا ضرورة النعمة الألهية لقد رأوا أنهم يحتاجون أن يغفر لهم الله ويحتاجون كذلك إلى مغفرة الآخرين كطريق الخلاص من أجل إيجاد النظام، كنتيجة لذلك أصبحوا مسيحيين تحت الإختبار إلى أن أستطاعوا فى النهاية أن يصبحوا مسيحيون حقيقيون يتكون هذا الباب من المرحلتيين المشار إليهما بعالية وفى كل مرحلة تنتقل من نقطة إلى أخرى أكثر تعقيداً حتى نصل إلى التكوين المسيحى النهائى من خلال معركتهم .

فتح طريق الخلاص إلى رحمة الله

## الحياه بدون مرارة

فى حالة كاموس لم يصل على الإطلاق إلى الاعتراف بالأبعاد المسيحية كما أنه أنكرها بوضوح وهو فى الحقيقة أقل هؤلاء الأربعة ايماناً بالمسيحية، كان متأثراً بالشخصية الإغريقية من منطلق تجربته الخاصة على البحر الأبيض المتوسط ومع استمراريته مع عالم الأساطير التى تبحث عن أسرار الكون، كانت علاقة كاموس مع المسيحية خارجية فقط كان ينظر إليها بأسلوب جامد متشدد ولكن لم يوجد فى اتجاهاته أى نوع من العداء للمسيحية،

لقد أستمر فى النظر إليها بأسلوب هادئ وكان يكن لها كل احترام، كيف كان سيتطور كاموس مع هذا الإتجاه لو أنه عاش فترة أخرى . يخضع ذلك إلى التأمل الشخصى فإذا أستمربنا على نفس الأسلوب الذى كان يتبعه لوصلنا إلى نقطة تتماثل تماماً مع المسيحية، بجانب التركيب الإغريقى لتفكيره كان هناك اتجاه آخر متزايد ومؤكد للمسيحية انبثق هذا الاتجاه عندما تعمق أكثر فى المعركة مع الشر كان ذلك واضحاً جداً بحيث إننا لا نبالغ إذا قلنا إن تجربة كاموس أصبحت مسيحية من جميع النواحى ما عدا الإسم فقط وبتعبير آخر حتى المفكرين الغير مسيحيين للفترة قبل العصر الحديث كان إتجاههم مسيحى فعلاً. فى بداية تأملاته كان إتجاهة أغريقياً مثل مولده ومن منطلق هذا المنشأ كان يحاول أن يتغلب على البؤس ولكن عندما بدأ المرحلة الثانية بدأ يفكر فى مشكلة الثورة فى وجه الشر وبالتالى بدأت إنعكاساته تتجه إلى الموضوعات المسيحية، هذه هى فترة الطاعون يواجه كاموس مشكلة الأبرياء الذين يتألموا ولذلك إتجه إلى رب المسيحية عاش أزمة الإيمان عن طريق العالم والأب بانلو ثم كتب عن علاقته بالدكتور البطل ريو . فى بادئ الأمر كان الأب بانلو يلقى خطبة دينية عن الطبيعة الهادئة التى إختفت من أوران وطلب من الأبارشة أن يعتبروا هذا طاعون شر يمكن أن يقودهم فى النهاية إلى الكمال الروحى،ويضطر الأب بانلو مع ريو وتارد أن يشاهدوا لحظة آلام الأبن الصغير للحاكم وهو يمر بمراحل هذا المرض اللعين وأخيراً يرون اللحظات الأخيرة وهو يموت حين يتحول جسمه النحيف الى شئ غريب بشع يماثل صلب المسيح وعذابه ويعترض ديو بان هذا الطفل كان بريئاً ويجيب بارنلو بضعف "ربما يجب أن نخب مالا نفهم" إن موقف كاموس قريب إلى الدكتور ريو الذى يؤكد "أنه لديه فكره مختلفة تماماً عن الحب" وحتى اليوم الذى أموت فيه سأرفض أن أحب أى أسلوب يجعل الأطفال يتعذبون " أعترف إن "الرحمة " شيئاً لا يمتلكه ويبدو أنه يقترح أن هذه الرحمة قدتكون عامل معوق أكثر من كونها عامل مساعد، كل ما يهم الآن أن الدكتور والقسيس يعملان " فى شيئاً يجمعنا خارج نطاق التأله والصلوات " هذه هى صحة الإنسان كيف يمكن تخفيف الآلام ويستخدم بانلو حديثه التالى فى الكنيسه ليوضح

الإجابة التى لم يعد الموضوع مجرد انبثاق الخير من الشر ولكن أصبحت المسألة الصراع الكائن بين نعمه الله وبين المعاناه البشعة للأبرياء ، هنا يرسم وصفاً أقرب ما إلى "الوجودية المسيحية" .

إذا وجدنا أنفسنا و "ظهورنا مستندةعلى الحائط" فى هذه الحالة لا نستطيع أن نخفى حقيقه المأزق الذى أمامنا ولكننا نواجه الخيار " إما أن نصدق كل شىء أو ننكر كل شىء، ومن منا يستطيع أن ينكر كل شىء ليس هناك أى مخرج نستطيع أن نهرب منه من هذا الطاعون فهو يجبرنا على مواجهه مأزق الاختيار منضطر أن نختار كل شىء فى هذه الحالة يمكن أن نرتفع لأعلى خارج نطاق أنفسنا إلى طبقات الرؤية العليا حيث نستطيع أن نلمح بصيصاً من "الصدق منبثقاً من سحابة الظلم " إن الطبيعة الغير مرضية لهذا الحل هى "القفزه "التى جاءت فى اقتراح القسيس. أن الوقت لكى يطبقها هوشخصياً، عندما أصابه الطاعون، بدأ يطبق النصيحة التى قدمها للناس حيث أنه "غير منطقياً " أن يطلب القسيس معونه من طبيب، إن اختياره للاعتماد على الله يقودنا إلى الخلاصة الغير منطقية بألا نحاول التدخل لشفاء المرضى على عكس ذلك كان موقف الدكتور ريو الذى كتبه تارو فهو رد الفعل الأكثر منطقية.. قدم تارو ذلك بأنه أدرك أصابته فعلاً بالطاعون فإنضم إلى مجموعة سعت إلى القضاء على المجتمع المصاب بالطاعون ولكن فى أثناء ذلك وجد نفسه مسؤولاً للحكم بالأعدام على كل من يقف فى طريق العالم الجديد تلك المسؤولية نتحملها كلنا سواء بأسلوب مباشر أو غير مباشر لقتل الآخرين وأخيراً أعترف "كلنا مصابون بالطاعون" كل ما نستطيع عمله هو أن نبزل كل مجهود لعدم الإصابة بالطاعون " هذا هو الطريق الوحيد الذى قد يريح الإنسان وحتى لو لم ينقذه سيقلل الضرر الواقع عليه بقدر حتى لو كان ضئيلاً " كل ما نتمناه أن نصبح "قتله أبرياء" نطلق مبادئ "الاستحقاقية المحسوبة " كما هى فى "المتمرد" استطاع تارو أن يدرك ولكنه لم يستطيع أن يحقق وضع "الشافى الحقيقى" كان يريد أن يتعلم "كيف يصبح قديساً" فى عالم دنيوى

وقد واجه كل من ريو وكاموس نفس السؤال «هل يستطيع الأنسان أن يصبح قديساً بدون الله " .

أدرك كاموس أن طاعون "الجريمة المنطقية" يمكن فقط التغلب عليه بالحب المضحى الذى يستطيع القديس أن يقدمه وينهى "المتمرد" بنداء مماثل "لكرم مجنون" أو "نوع غريب من الحب" الذى يعطى كل ما يملك لهؤلاء الذين لا يملكون شيئاً ولكنه لا يتعدى نطاق العطاء فهو لا يزال قريباً جداً من منطق تارو وريو الذين لا يعترفوا بأن الله مسؤولاً عن الظلم فى العالم، عندما ينظر الدكتور ريو إل أوران بعد إنتهاء الطاعون يقرر أن يشهد للثورة التى أصابته ولكن فى نفس الوقت يعترف بالخير الموجود فى البشر فى كفاحهم اللانهائى ضد الرعب " فهؤلاء هم الذين "لم يحنوا رؤوسهم إلى الطاعون على الرغم أنهم ليس قد يسيين ولكنهم بذلوا كل ما بوسعهم ليشفوا المرضى " قد يدل ذلك على الامتداد الروحى لكاموس عند هذه المرحلة حيث أنه وجد إستحالة أن يصبح قديساً حقيقياً، لو أنه إختار المسيحية لكان اتصل بكل من بقوا ليخفف عنهم آلامهم وبذل مجهود مكثف لتخفيف آلام البشر الذين يعانون فى الحاضر من الواضح إن تلك السطور تحمل تفسيرات جامدة ليس بها سوى تشابه قليل للتجربة المسيحية الواقعية إن البعد المقصورى للمسيحية ليس بالضرورة يقلل احترام الآخرين بل يرفع من التبجيل لهم إن التفكير الناقص الذى يدعى إن الإيمان بالله، سيؤدى إلى تركنا للمرضى حتى يعتنى الله بهم نظرية خاطئة بكل المقاييس لماذا لا يقودنا الإيمان بالله إلى النتيجة المنطقية بأننا من هذا المنطلق نصبح أداه فى يد الله لمساعدة الآخرين.

إن النقص فى كاموس معادل لمحاوله الشيطان الثانية مع المسيح فهى تضع الله تحت الأختبار لتثبت أن المسيح يستطيع أن يأمر الإرادة المقدسة وبنفس الأسلوب يفسر كاموس الإيمان بالحياه الأبدية كهروب خطير من التزاماتنا بخلق نظام للعدل فى الحياه، قد تكون الإجابة مقنعة أن فكره الحساب والعقاب هى وسيلة مؤثرة على الرجال والنساء حتى

يضطروا أن يؤدوا واجباتهم نحو الآخرين، لن يفيد الغاء ذلك فى معركة الحياه تحت نظام سليم .

فهم كاموس هذا العقم فى التفكير وعندما تخلى عن اعتراضاته الصلبة فى السير وراء تجربته عن الحق، نجده مرة أخرى يتحرك فى إتجاه المسيحية هذا ما قام به فعلاً فى القصه التى كتبها بعد الطاعون والتى تخص المرحلة الثالثة التى لم تكتمل من تطوره، قصة "السقوط" لا تتعامل مع المناقشات اللاهوتيه لكن مع المشاكل المحدده للنفس الشيطانيه المنغلقة هنا يتعامل كاموس مع الطبيعة الشريرة مباشرة فالبطل چين بابتست كلامنسى وهو الشخصية الوحيده والراوى لهذه القصة يقدم "بطل هذا الزمن" مثل بطل ليرمونتوف هو "جامع لشرور الجيل بأكمله بابشع صورها" فهو محامى مهاجر فى جو المدنية الكئيب فى أمستردام يخترق كاموس الأعماق النفسية لأزمة المدنية المعاصرة التأملات الفلسفية المجردة تترك جانباً ويتم الكشف عن المفهوم الشخصى لرجل يدرك أن ما يفعله شر، عند هذه النقطة يتحرك كاموس أبعد من مجرد التأملات الإغريقية حتى عنوان هذه القصة "السقوط" يدل على إرتباط القصة بعالم المسيحية أسلوب كتابتها يماثل التقليد المسيحى فى كتابه الأعترافات وسوف نتذكر تماثل كاموس مع القديس أو جستن فى هذا المضمون لكى الموضوع الأساسى لهذه القصة هى مشكلة "الحكم" وهى بذلك توضح مرة أخر ى إنسياقها مع الشخصية المسيحية هنا يوحنا المعمدان لا يعلن قدوم كليما نسى ولكنه يعلن نواياه بالتغلب على ذلك بالهروب من الحكم. أنه يوضح لزائر غير معروف أنه أصبح "قاضى تائب" ويشرح هذه المهنة الغريبة قبل أن يغرق فى هذا العالم التافة داخل قضبان أمستردام المثمرة والتى تعتبر آخر دائرة من دوائر جهنم كان كلا كان كلامنسى محامى ناجح والكل معجبون به، كان يميل إلى الأفعال النبيلة قد يخرج من طريقة ليساعده أحد فى عبور الطريق، وكان يدافع عن القضايا الجنائية الميئوس منها حتى يوسع معرفته بالأشخاص المدانين له بالجميل، ويعطى المحامى السابق تصوراً لإحساسه بعد أن أصبح رجلاً قديراً

وكان ذلك يسعده كثيراً خاصة بالنسبة لطريقة الصحيح الذى يتبعه ولتفوقه على الآخرين ولكن عند ذروه هذا الشعور بالرضا حدث شيئاً كبيراً كشف عن الحقيقة المجوفة التى يعيش فيها .

كان عائداً لمنزلة ذات ليله عن طريق "بونت رويال" ولاحظ امرأة شابة نحيفة تلبس ملابس سوداء وبعد قليل سمع كلامنسى صوت جسم يرتضم بالمياه وسمع صرخه استغاثة ثم توقفت هذه الصرخة . لم يفعل شيئا بدلا من ذلك سار فى طريقه ببطىء ولم يخبر أحد . ثم تتابعت أحداث أخرى اوضحت رياء هذا الانسان النبيل من وجهه نظر الآخرين . لم يستطع أن يقاوم الرغبة فى الانتقام من سائق موتوسيكل استطاع أن ينتصر عليه اكتشف كلامنسى أن رغبته الحقيقه هو أن يصبح قاطع طريق أو أحد أفراد عصابه كان تفكيره ينحصر التحكم المطلق فى الآخرين خاصه امرأة كانت له علاقة بها .

وفجأة أثناء عبوره أحد الكبارى ليلا فاجئته ضحكة عاليه موجهه اليه شعر وكأن العالم كله يضحك عليه وكانت تلك لحظة اكتشافه الكبير.

ادرك كلامنسى أنه تعرض للتجربة " باختصار فهمت إن موضوع هذه السيده كان للحكم على وشعرت أن هذا الحادث يمتلك قدره فائقة على الحكم . نعم لقد كان هذا الشىء هناك كما كان من قبل ولكن هذه المره كان يضحك على " وقد لا حظ نفس هذا الاسلوب مع الآخرين أدرك أنه واقع تحت وطأة الحكم ورغبته فى الهروب من ذلك " إن الاشخاص يسرعون بالحكم على الآخرين حتى لا يحكم عليهم أحد " إن الرغبة فى الهروب من الحكم دون السير فى طريق الصلاح والهداية هو الذى يجعل الانسان حرا حتى إذا تعرض للحكم إن ميولنا الداخلية " الا نكون مذنبين ولكننا لانفعل أى مجهود لتطهير انفسنا " أن المرض الحديث هو الرغبة للحياه بهذه الصورة التى ترفض المسؤولية سواء للخير أو الشر. وهى شديدة القرب من حاله النفس التى وصفها القديس بول " أنا أريد ما هو صحيحا " ولكننى لا استطيع أن افعله ، أنا لا أفعل الخير الذى أريده ولكننى أفعل الشر الذى لا

أريده " هذا النوع من الاضطراب فى الروح لا يمكن أن يحدده كاتب أوفيلسوف إغريقى " إن بحث كاموس فى الأزمة الروحية للبشرية المعاصرة كانت فى مرحله ما قبل المسيحية . ظل كلامنسى مطاردا بذكرى هذه السيده التى وقعت فى نهر السين ويتذكر هذه الحادثه بانها " المياه المريرة لتعميدى " لم يكن ذلك التعميد للغفران ولكن ليقفل لطريق المغفرة فى وجهه فهو الآن يعيش وهو مدرك تماما لجريمته وجريمة العالم أجمع ولكنه مقتنعا بعدم امكانيه وصوله الى الرحمه الالهيه كانت هذه آخر محاكمه له دون الله وهى تكرر كل يوم . من وجهه نظره الهدف الوحيد لله فى الأزمنه القديمه هو إيجاد " مغامره كبيرة " تضمن براءة البشرية عن طريق توجيه اللوم الى الخالق . نحن نعلم إن حى المسيح نفسه لم يكن بدون خطيئه لقد كان مسؤولا عن مذبحه الأبرياء عن طريق هيرود إن كلا منا يعيش فى عالم منغلق .

والخطوة الأخيره هى اكتشاف مهنته الجديده " كقاضى نائب" لقد ادرك أنه يستطيع أن يهرب من الحكم الوحيد المتبقى ، حكم البشر عليه إلا عن طريق استعادة تفوقه عليهم ولكن ذلك لا يمكن أن يحدث إذا تفوق عليهم فى الفضيله حيث أنه لا يمتلكها يمكن أن يكون ذلك ناجحا إذا استطاع أن يتعدى عمليه إدانته لهم بادانتهم هم لانفسهم " حيث أن الشخص لايستطيع أن يدين الآخرين دون أن يحكم على نفسه أولا فيجب عليه أولا أن يقنع نفسه بهذا الحق " يجب أن يتمرن على كونه حتى يستطيع أن يكون حرا ويحكم على الآخرين . هذا بالضبط هو ما يقوم به فى احداث هذه القصة الان يقوم بتكرار هذه الحادثة الداله على فسوقه لأى شخص يستمع اليه . أنه يخرج هذا السر الكامن بداخله لكل من يحاوره وكانه ينظر الى مرآه وبهذه الطريقه يستطيع كل شخص أن يرى جريمته بنفسه بهذه الطريقة استطاع كلامنسى أن ينجح فى تحرير نفسه من حكم الآخرين انه يسمح لنفسه بكل شىء بكونه أول من يعترف بخطيئته مره أخرى يعرف شعور التشبه الله " بالنسبة لى فانا اتعاطف دون أن أحل وافهم دون أن أغفر وفوق كل ذلك أشعر كاننى معبود"

لقد انكشفت جهنم الغرور دون أى رحمه كلامنسى يوضح إن هدفه من وراء ذلك " سكوت هذا الضحك" فهو يسعى الى " قفل باب هذا العالم الصغير حيث أنا الملك ، البابا ، القاضى "اكثر من ذلك من الواضح إن هذه هى نفس دوافع الفلاسفه الاخلاقيين فى عالمنا.

فهم مازالوا مسيحيون فى قلوبهم على الرغم من عدم اعترافهم بذلك لأن ذلك هو الاسلوب الوحيد الذى يمكنهم من الحكم على الآخرين .

إن البديل الدنيوى هو الاخلاقى الشيء الذى يحدد هذا الاتجاه انهم " يؤمنون فقط بالخطيئة ولا يؤمنون بالفضيلة " بالطبع ما يريدونه حقا هى الفضيلة وكلامنسى يعترف بذلك ففى غيابها يصبح البديل الوحيد بناء عالم مغلق . لم يستطع كاموس أن يوصل هذه المشكلة لحالة متطورة أوضح من ذلك . لا يوجد بها أى من مثابرة نيتزتش أو ماركس بالنسبة لخداع الذات ، بدلا من ذلك تصبح عدم الجدوى للموضوع واضحة بل تصعد كذلك . لهذا السبب استخدام تعبير " قبل المسيحية " لوصفها لأن التأمل يهدف الى الانفتاح فى اتجاه النعمه الالهية التى يحتاجونها من أجل التطور الأكثر يجب أن نعود الى الكتابات التى تعكس النفس بطريقة مباشرة منذ البداية كان كاموس يؤمن بالكون الذى انقذه من التجاوزات فى الثوره فهو يكتب " الرجوع الى تيباسا" كنوع من البحث عن سوابق خاصة " النعمه الالهيه الخاصة " التى كان يمتلكها دائما وأنه يحتاجها لكى يظل حيا إن تعطشه الدائم " للحب والاعجاب " حول هذا العالم الى صحراء " لأن العنف والكراهية تجعل القلب نفسه جافا ، إن الصراع الطويل من أجل العدل يجهد الحب الذى كان اساسا له فى هذه الضوضاء التى نعيش فيها يكون الحب مستحيل والعدل غير كافى إن الجمال الداخلى للبقايا القديمة ، الاشجار الأحجار الغابات والطيور فى تيباس لا تغضبه لقد استطاع كاموس أن يكشف ينبوع السعاده داخل نفسه«ذكرى هذه السماء» التى اعطته الأمل طول السنوات القاسيه للحرب .

«كنت دائما اعرف أن الدمار فى تيباس» أقدم من الدمار الذى سببته قنابلنا الجديده

هناك كان العمل يبدأ كل يوم مع مطلع كل ضوء جديد .هذا هو الضوء «تلك هى صرخه جميع الاشخاص فى المسرحية القديمه عندما يواجهون مصيرهم كان آخر ملجأ لنا هو الآخر» «وكنت ادرك ذلك فى منتصف الشتاء اكتشفت أن الربيع يعيش بداخلى».

هذا هو الايمان الذى يفترض اسلوب مسيحى متزايد بالنسبة لصراع قوة الشر داخل نفسه كانت تقوده معرفته للهدف الكامن بداخلة «لقد اضعت عشرة سنوات لأنتصر على شيء جبار ذلك هو القلب بلا مراره» كما أن الاتجاه للعفو ، التخليص التضحية بالنفس يتزايد تدريجيا بداخله فهو يرى أن الاسلوب الوحيد للتغلب على الاستبداديه التفوق عليها وعلى هدفها الوحيد وبتقديس الطبيعه البشرية ويصل هنا الى هذا الاستنتاج «ليس لدينا سوى طريقه وحيدة لخلق الله وهو أن نصبح هو» الاختلاف أنه الآن مستعدا لمرور بمرحلة الموت النفسى التى تؤدى وحدها الى التجلى .

«اليس ذلك موتا بل تحقيقا وليس هناك تحقيق اكثر من الحب والتضحية بالنفس والموت من أجل العالم . لتستطيع أن تصل الى النهاية اختفى يجب أن تذيب نفسك فى الحب إنها قوة الحب التى تخلق اذا ضاعت منك نفسك واصبحت لا شيء وانكرت نفسك فهذا هو تحقيق وحب الحقيقة . »

هذا التعبير يمكن أن يوصف بانه بعد المسيحية لأن ما ينقصه فقط هو ذكر المسيح وهو الشخص الذى يمثل هذه العملية أو قد يكون هذا الاتجاه متماشى مع الحقيقه الافتدائيه للخادم الذى عانى قبل المسيح . من الواضح إن كاموس اكتشف بالتجربة نعمه المعاناه وقوة الحب التخلصى الذى انتصر على المراره والعنف والخراب فى عالم مغلق إن الانعكاسات فى مذكراته من مارس ١٩٥٠ دليلا للتزايد المستمرعن دور الحب فى تفكيره ومن الملحوظ كذلك من هذا التأكيد بان الجهود البشرية غير قادره على اشباع الرغبة فى حب بلا شروط . يجب أن نذكر كذلك أن كاموس استمر فى رفضة للمسيحية طوال حياته ولكنه عندما يستخدم الانعكاسات التجريبيه يستمر اتجاهه إلى الرحمة والنعمة " اذا كنت ساموت والعالم

يتجاهلنى فى داخل اعماق سجن متجمد فان البحر فى اللحظات الأخيرة سيملأ وسيرفعنى أعلى مـن نفسـى وسيمـكننى من الموت دون كراهية إن روح العفو دائما تتغلب على روح الثورة .

## الندم

أحد الحركات المسيحيه المعروفة يمكن رؤيتها فى مضمونها الأعترافى من خلال كتاب «جولاچ ارتشبيلاجو» ذلك الكتاب تسجيل ملايين من المسجونين والمقهورين والمقتولين عن طريق الدوله السوڤيتيه وهو كذلك عمل فريد لشخص واحد لهجته معتدله ذلك هو سولز هنز وأول القراء لهذا المخطوط فى المخابرات السوڤيتيه لم يدركوا" اننى فى هذا الكتاب اخبرت القارىء عن حقائق دقيقة عن نفسى وهى اسوأ بكثير من الافعال الشنيعه التى يستطيعون عملها . هذا هو المقصود من كتابى :

" أنه دعوه للغفران وليس كتابا عاديا كان السجن مفيدا لسولز هنز لأنه اعطاه الفرصه للتأمل بدأ يدرك اخطاءه وخطاياه وحاجته الى الندم والغفران من ادراكة لذلك علت روحة الى الدرجة التى يستطيع من خلالها أن يمن بالعفو كوسيله وجيده كالوسيله الوحيده للوصول الى الكهنونيه كان ذلك نتيجة لتجربته الشخصيه اكثر من مجرد جدل فلسفى أو لاهوتى وهى التى اوصلته الى هذه المكانه عندما دخل المعسكرات لأول مره كان مسيحيا بدرجة كاموس على الرغم من نشأته فى بيئه مسيحية أحضر معه فى هذا السجن النفسى المتفتحه التى لا تستطيع أن تبقى داخل أى أفق محدود لم يكن كافيا له أن يتجاوب بتعاطف مع عذاب زملائه خاصة هؤلاء الجنود الذين اطلق عليهم " خونه الارض الأم ". واطلق عليهم ذلك الاسم لأنهم لم يكونوا خونه . كانت قصتهم أول ما جذب اهتمام هذا الضابط الصغير لقد قرر أن يشهد معهم ولم يتوقف عن الاعتراض والشكوى . لقد ذهب لاكثر من ذلك بدراسة جذور هذه المأساه ومن هذه النقطه انطلق الى المصدر الوحيد للشر فى اعماق القلب البشرى . نضيف الى ذلك إن هذا القلب كان مختلفاً عن أى قلب آخر فهو

قلبه هو. لقد فهم جهنم الشر الكامنه فى النظام السوڤيتى لأنه واجه احتمالاتها داخل نفسه كانت فترة السجن تجربه مفيده فقد كانت أول واطول فترة تأمل على مسؤوليته الشخصية فى موضوع الشر .

لقد اكتشف " اتجاه مجزى ومريح «لا فكاره سيقوده الى الطريق العلوى للصعود » أن تتذكر كل شىء فعلته كل ما كان سىء أو مخجل ثم تعيد تفكيرك الا تستطيع أن تصحح ذلك الآن . كانت تلك نصيحة دكتور يهودى عجوز يسمى بوريس كورنفلد الذى كتب قصه تحوله الى المسيحيه . لقد اصبح مقتنعا " لا يصيبنا على هذه الأرض أى عقاب لا نستحقه " إذا فكرنا بتعمق اكثر سنكتشف الخطيئة التى تستحق عليها هذه الضربه أخذ سولز هنز هذه الكلمات كأنها صادره عن نبى خاصة وأن هذا الدكتور قتل هذه الليله وعند وصوله الى السبعين من عمره استطاع أن يستعرض حياته كلها ويفهم سبب حدوث كل شىء كثير من الحوادث كانت إسقاطات داخل نفسه .

على سبيل المثال تذكره لحادثه اثناء وجوده بالقرب من الجبهه وهو ضابط بالمدفعيه كان يتمشى بعد المعركة وسمع صرخه استغاثة فى روسيا كان مسجونا يجلد بلا رحمه عن طريق رجل أمن يمتطى جوادا أى ضابط فى الجيش كان عليه أن يتقدم بشجاعه ويمنع هذا التعذيب ولكنه خاف أن يفعل ذلك " لم انطق بحرف ولم افعل شيئاً مررت عليه كاننى لا أسمعه حتى لا أواجه هذا المصير " وحادثه أخرى عندما كان على وشك تقلد منصب ضابط فى البوليس السرى وبذلك يصبح من ضمن هؤلاء القتله الا أن شعوره الداخلى منعه عن ذلك لكن هذه اللمحه النبيله منه لم تكن كافية لتمنعه من اساءه معامله الجنود الذين يرأسهم عندما اصبح ضابط بالجيش حتى بعد أن دخل السجن سمح سولزهنز لنفسه أن يكون ضمن المخبرين الا أنه استطاع أن يختلق الاعذار لنفسه كل مرة بحيث لا يوشى على أحد لهذا السبب لم يدع تفوقه الخلقى عن الآخرين وسأل نفسه " ليس أنا سوى البشاعة" تجربته مع التأمل الطويل ادت الى تغير كبير داخل نفسه ونرى ذلك من خلال كلماته .

" لقدمُنَّ على بحمل ثقيل على ظهرى المحنى بعيدا عن سجنى وهى التجربة الضرورية: كيف يصبح الانسان خيرا أو شريرا.عند نجاحى فى فترة الشباب شعرت باننى معصوم من الخطأولذلك كنت قاسيا من وجهه نظر القوة كنت قاتلا واقوم بتعذيب الآخرين فى أحلك لحظات حياتى التى كنت أمارس فيها الشر كنت مقتنعا باننى افعل الخير وكنت ابررذلك لنفسى هنا فقط وأنا أرقد على القش العفن فى هذا السجن الكئيب شعرت داخل نفسى باول نزعات الخير وبالتدريج ادركت أن الخط الفاصل بين الخير والشر لا يمر بين الاول أو الطبقات أو الأحزاب السياسية ولكنه يمر داخل كل قلب بشرى وفى القلوب البشرية كلها .

هنا الخط يتحرك بداخلنا أنه يتذبذب مع السنوات حتى تلك القلوب المليئة بالشر هناك قدر حتى لو كان ضئيلا من الخير وحتى فى احسن القلوب هناك شعره صغيرة من الشر .

منذ ذلك الوقت استطعت أن أفهم حقيقه جميع الاديان فى العالم " أن هذه الأديان تصارع الشر داخل كل انسان( هذا الشر الكامن داخل كل انسان ) من المستحيل أن يمحى الشر من الدنيا ولكن ممكن أن تحاربه داخل كل انسان .

من هذا المفهوم يرى هذا السجن بضوء روحانى ساطع لقد استطاع أن يصل الى درجة من الاستقرار النفسى بحيث استطاع أن يفهمها دون أى شكوى. مهما كان المستوى الذى يتعامل معه سواء كان ذلك تبلد البروقراطيين أو قسوة الجلادين كان يتذكر فقط شعوره بالفخر كضابط ويتسائل " هل كنت انا أفضل منهم»

لهذا السبب يشرح وجهه النظر الرئيسية فى هذا الكتاب فهى ليست اتهام أو لوم أنه اعتراف " بان كل هؤلاء الذين يتعزبون وهؤلاء المضغوطين وهؤلاء الذين يختارون القسوة أبرياء وليسوا متهمون " هناك استعداداً كبيراً للمغفرة التى لا تشمل اخطائنا ولكنها تمتد لهؤلاء الذى من الصعب اختبارهم كما أن هذه المغفره يجب أن تمتد لهؤلاء النادمين على ما فعلوا ويمتد تفسيره بان حتى القتله والسفاحين والجلادين يمكن أن تغفر لهم " هل يجب

أن فغفر للجميع " لقد أدرك ضرورة التفريق بين العفو الذى يغفر لهم افعالهم والعفو الذى يؤدى الى المصالحة الحقيقية بين البشر إن ذلك اسلوبا للغفران المتبادل المطلوب لهذا القرن باكمله المحمل بالمسؤولية الشامله للشر .

" لا أنوى أن اغفر للجميع ولكنى ساغفر لهؤلاء الذين سقطوا. بينما كان هذا الشبح يخيم فوق رؤوسنا منذراً بالشر كان يشوه حياتنا ويبحث عن اثقل صخرة ليقذفنا بها أو يجعل عشرات منا يضربون كبش مسكين حتى يقضى نحبه ولكنه اذا سقط وتحطم على الأرض فالقوا بهذه الحجارة على الارض .انه يرجع الى انسانيته ، الى نفسه الحقيقيه لا تحرموه من هذا الطريق الذى انعم به الله عليه ."

عندما ننظر الى الاساس التجريبى لهذا التحول هذه الرقه فى القلب القاسى فاننا نواجه الصعوبات المعتاده لم يصل الى هذه الرقه كنتيجة للتفكير المنطقى لكن هذ التغيير داخل نفس سولزهنز كان اختراق من الحقيقه الساميه التى اجبرته أن يرى كل الاشياء بشكل مختلف إن العالم حوله لم يتغير ولكن المقياس الذى حكم به على العالم تغير . على ضوء الحقيقة المقدسة الثابته خلاله لقد رأى كل شىء بحجمة الحقيقى وكانت هذه الصعوبه فى تفسير التجربة الروحية التى سببت مشاكل للناقدين خاصة هؤلاء الذين نقدوا سولزهنز نفسه ذلك هو السبب الذى جعل بلاتو يصر أنه لم يكتب أى شىء جاد بالقدر الكافى لأن هذه الاشياء لا يمكن التعبير عنهاإن اهم جزء فى الفلسفه هى الحقيقة السامية داخل نفس الفيلسوف فكل شىء يقاس طبقا لعلاقته مع تلك الحقيقة ومن الصعب أن تنتقل فيجب أن تجرب لهذا السبب يجب أن نكون حريصين فى ترجمه التجربة الروحيه والا نصنفها على اساس التماثل الخارجى أو النظرى لقد وصف ايمان سولز هنز كنوع من الربوبيه لأنه مثل فلاسفه القرن الثامن عشر يتكلم عامه عن الله دون أن يشير الى المسيح كما أنه يستنبط من الدين نواحى اخلاقيه قويه عندما ننظر الى تجربته بدقة اكثر نكتشف أنها تخص رجل يتحسس طريقه الى المسيحية دون أن يتعرض للانظمه الجامده عن الحقيقة الحيه التى

تنبعث من نفسه على الرغم من وجود تماثل كبير للربوبيه فان عمق هذه التجربة ، والمعاناه التى ادت اليها ، التركيز على الندم والغفران الذى نادى به كل ذلك يؤكد الشخصية المسيحية المؤمن بها واكثر الامور وضوحا تركيزه على الرحمه والنعمه الالهيه . وبالنسبة له الفهم الواضح لتحويلة أو صعوده كعملا من اعمال الله بداخله على عكس الاعتماد على النفس فى مبدأ الربوبيه . واكبر دليل على ذلك القصيدة التى كتبها عندما كان فى السجن كطريقة لاسترجاع افكاره فى هذه المرحلة هذه القصيدة تعبر كذلك عن تحويل أوجاستين فى " الاعترافات " حيث كان هذا القديس متهما بانه افلاطونيا . هل نستطيع أن نجزم بان اوجاستين لم يتحول فعلا الى المسيحية على الرغم من فهمه للفرق بين الافلاطونية والمسيحية فترة طويلة قبل هذه الأزمه نفس السؤال نوجهه الى سولزهنز .

* متى استطعت أن أنثر كل هذه الحبوب الطيبه
* فقد قضيت طفولتى فى ظل الاغانى الجميله لمعابدك
* استطاعت الكتب والمراجع بضوءها الباهر أن تخترق آفاق ذهنى .
* لقد استطعت الامساك بجميع اسرار العالم والهدف من الحياه تمسكت بها بقوة .
* غلت الدماء وكل دوامة ظهرت بجلاء امام عينى .
* دون تردد انكمش الإيمان بهدوء داخلى قلبى

كانت المسيحية حقيقة واقعية بالنسبة لسولز هنز اثناء طفولته ولكن الضغوط الدراسية عن الايدولوجية محت آثارها تدريجيا . الان جاءته الفرصة ليتذكر حياته باكملها ويرجع الى طبيعة الوجود الانسانى مرةأخرى يستطيع أن يرى بوضوح اكثر دون تأثير الانتقام الجامع والسطور التالية قصيده آخرى له فى هذا المعنى .

* عند المرور هنا بين الوجود واللاوجود

* أتعثر وأمسك بقوة على الحافة

* انظر خلفى برعشة وأشعر بامتنان

* عن الحياة التى قضيتها

* لم احكم عليها بالكمال ولا الرغبة

* إن ثنياتها واتجاهاتها المختلفة منيره

* لكن هذا الضوء يخص المعنى الأعلى

* الذى لم ادركه الا فيما بعد .

فمن الخارج لم يتغير فيه شيء ولكن داخليا كل شىء تغير بالكامل لقد من الله عليه برحمته

* الآن بعد عودة الكاس لى

* أرتشف مياه الحياة

*أؤمن مره أخرى برب هذا العالم .

* على الرغم من انكارى لك كنت معى. إن ذلك الايمان الذى تمكن منه الذى دعاه الى رحمة الله والذى استجاب به بعد هذه السنوات اصبح ظاهرا فى هذه اللحظة الفريدة من السعادة الغامرة .

**القوة التحويلية للحب**

تلك اللحظة التحويلية هى المحور الرئيسى لقصه دوستوفسكى هى النقطة التى يتحرك فى إتجاهها شخصياته أو لايستطيعوا الحراك إما أنهم يستجيبوا لنداء الحب أو ينساقون الى بريق الهيمنه فى كتاب " المملوكين " ستيفان فركوفنسكى العجوز النادم الحر

يقودنا الى الطريق قبل انفجار مآسى وكوارث تلك الثورة يعلن " إن الكلمة الأخيرة فى هذا الشأن يجب أن تكون العفو العام " لقد ندم من جهته على مساندة حركة الثورة التحريرية التى تبتلعه الآن ويدرك أنه لا يمكن خلق نظام حكم جديد دون التضحية بالنفس. عنف مبدأ " العدمية" واهواله يجب أن ترفض بصورة مطلقة فى عالم جميع البشر مدانين والكل يشاركون مسؤولية شرور العالم أجمع فان الكلمة الوحيدة للمصالحة العالمية تكون «المغفرة» يمشى فركوفنسكى مع سيدة تبيع نسخاً من الانجيل ليبشر بهذه الكلمه عن الحق " أولا يجب أن نغفر لكل انسان كل شىء .. ودعنا نتمنى أن يستطيعوا أن يغفروا لنا لأننا كلنا مدانون كلنا مذنبون ، لقد عرض أن يكون أحد الخنازير التى انتقلت اليها الشياطين من الرجل ليچيون والتى جرت حتى وقعت فى المياه وغرقت. من خلال هذه التضحية يتمنى أن يفتدى الرجل الذى تسكنه الشياطين " رشا ستا فروجين" يمكن أن يخلصه منها حتى يصبح حرا مثل ذلك الرجل فى انجيل متى ليصبح انسانا مسالماً بعد ذلك يجلس بهدوء تحت قدمى المسيح .

إن المعاناه التى مر بها جعلته بدرك أنه لا يوجد طريق مختصر للتغيير الاخلاقى ذلك يمكن الوصول اليه عن طريق تواضع النفس التى تنمى الروح وتملأها بحب العالم أجمع لا يمكن استثناء أى انسان من هذه العمليه كما اكتشف إخوان كارامازوف باساليبهم الخاصة " عندما تسقط حبه قمح داخل التربه وتموت فانها تكون وحيدة ولكن بعد أن تموت تعطى الحياه لكثير من القمح " هذا هو مبدأ هذا الكتاب الذى يجعل كل شخصية ترجع وتتحكم فى حياتها يكون ذلك من خلال الندم ادراكنا باننا نحتاج الى المغفرة وموافقتنا على قبول العقاب لا يوجد لهذا القانون أى استثناءات فالجميع يقعون تحت وطئة " قانون الأرض " أى محاولة لتفادى هذه الضرورة ستؤءى الى عدم نمو انسانيتنا أو نفوسنا الداخلية ولكنها ستؤدى الى تحطيمها وسقوطها فى الحرمان ولا يمكن أن نصل الى التغيير فى الطبيعة البشرية بأى طريقة أخرى .

ديمترى كارامازوف الرجل الذى يمثل قوه الحب المؤثرة على الأرض يكتشف أن الخير لا يمكن أن يقتنص بالقوة . لا يختلف عن حب جروشنكا هل تستطيع أن تستولى على هذا الحب بالإكراه . إن الالم الناتج عن حبس الانسان واتهامه كذبا بتهمه قتل أبيه تذيب القوة المالكه لرغباته أنه يرى أن كل شيء حوله فارغ عندما يزوره اليشع يبين له ديمترى التغيير الذى حدث بداخله " لقد ولد رجل جديد بداخلى كان هذا الرجل مختبئا فى طياتى ولولا هذه الضربه من السماء لما ظهر أبدا على السطح" أنه الآن لا يبحث عن اشباع رغباته كل ذلك قد انتهى حيث أنه استطاع إدراك الدور الذى طلب منه لعبه فى الغموض الكبير للوجود ويتذكر دميترى رؤية قديمه بأنه كان يسير بجانب قريه محروقة فى غابات الاستبس البارده كان الناس يقفون حولها وراى رضيع يبكى من شده البرد والجوع . وظل يسأل نفسه فيما بعد " لماذا كان هذا الطفل بهذا الفقر " فهو مثل ايفان تملأه الرغبة فى مساعده الاخرين الآن وهو فى السجن بدأ يفهم سبب هذا العقاب والمعاناه التى يعانيها " أنه هذا الوليد الذى تركته ولم ابالى به " كلنا مسؤولون عن كل شيء انا لم أقتل أباه ولكننى أعاقب لأننى مسؤول مثل الآخرين عن الجميع فى هذا العالم كله حيث لا يستطيع أحد منا أن يخلى مسؤوليته من الشر الذى بداخلة فان الطريق الى الانبعاث الروحى لا يؤدى الى العنف الثورى . إن البداية هى تطهير الروح التى تصاحبها المعاناه من هنا فان الرضوخ الارادى للتضحية قد ينشر حقيقة " الرتبه الروحية" للآخرين واذا لم يكن هذا دليلا فقد يؤدى الى عملية افتداء غامضة كان دميترى على استعداد للتضحية بنفسه ليس من أجل ما اقترفه من أخطاء ولكن ليكفر عن الشر الذى قام به فعلا وهذا لا يعقل من الناحية المنطقية ولكن إيمانه بان هذه التضحية ستجعل الحياه أفضل من أجل كل هؤلاء الرضع الأبرياء الذين يبكون بها تلك التضحية بها شيء من الصدق المقنع فى هذا العالم الذى ترتبط فيه كل الأشياء ببعضها حيث الخير والشر الذى يحدث فى جزء منه يمكن أن يكون له آثارا فى مكان آخر منه ، نجد إن ذلك التفكير منطقيا .

إن التضحية الاراديه التى يقوم بها أحد الاشخاص قد يكون لها آثار كبيره ومنتشره على الآخرين إن المعاناه الرمزيه بدأت تظهر كأكثر نصر مؤكد على الفوضى .

فى حاله ايفان الزهو بالثوره أقوى من العاطفه العميا ء لديمترى. والأمر يحتاج الى دراسة اكثر تعمقا للنتائج فى الحالتين حتى نستطيع ان نلين قلب ايفان ليس فقط لمقتل أبيه ولكن للقبض على اخيه والتفكك الجسدى والنفسى الذى يعانى منه ، كل هذه العوامل تحيط به من كل جانب . لقد تحول قلبه الى حجر عند رؤيته للشيطان والانعكاسات المقبله توضح المفاهيم العقلية الكبيره التى استطاع ايفان أن يصل اليها فى «هذا الشيطان الحقير المسكين» استطاع أن يدرك حقيقه مفهومه السابق الرجل يجب ان يقتل فكره الله فى نفسه حتى يستطيع أن يأخذ دور الله . بعيداً عن موضوع خلق هذا الرجل الاله كل ما وصل اليه ليس سوى هذا المخلوق الذى ينحصر اهتمامه فى نفسه ، هذا هو قرينه الذى يراه امامه وأخيراً الفوضى فى تصورات ايفان « بان كل شئ مسموح به» يظهر بسؤال الشيطان له« إذا كنت تريد أن تخدع فلماذا تريد تشريع اخلاقى لممارسة الخداع؟!» وينتهى الموقف نهاية عنيفة حيث يندفع اليشع معلنا بان سمردياكوف قد شنق نفسه سمردياكوف هو الإداة المباشرة الغير معقده لفلسفه ايفان . كان يطبق مبدأ « كل شئ مباح» فى مقتل والدهم ولكنه لم يكن مثل ايفان لم يجرب الاضطرابات الداخليه التى تمزق الروح ولكنه تمكن ان يجد الوسيله لتطهيرها . الصراع بين الخير والشر يحدث بدرجة اكبر داخل ايفان. فنفسه هى «ارض المعركة» كما يعرف ديمترى واليشع وعندها ستتحدد نتيجه المعركه . إن فهم شخصيته بنفس اهمية ادراكه ووجوده بين الايمان والكفر. تلك الثورة لم تقضى على الاطلاق لاحتمال إيمانه . لقد استمر فى التجاوب حتى فى اثناء انغلاقه وذلك يعنى كما يتوقع اليشع « أن الله سينتصر» ايفان اندفع إلى المحكمة ليعترف« أنا لست مجنونا أنا قاتلاً فحسب»

مرة أخرى هذه التجربة داله على المسيحيه على الرغم من أن تركيبها لم يؤكد ذلك منذ

البدايه مثل كل من كاموس وسولزهنز كون دوستوفسكى فلسفته المسيحية للوجود أساساً بتوضيح الصراع ضد الشر . هذا واضح فى تجربته التحويليه الخاصة . لقد ناقشنا موضوع الفلاحه مارى شخصيه الموضوع الدينية الضمنية حتى أن جوزيف فرانك هو المعلق الوحيد الذى استطاع ان يحددها كتجربه تحويليه . « حدثت معجزه حيث اختفت جميع الكراهيه والغضب من قلبى » فى لحظة وصل فيها دوستوفسكى الى أقصى درجات اليأس . ، وهو يتالم من أجل الحقيقه والحب السامى فى صوره مارى وهى مثال للحنان والعنايه التى ملأت روحه . لكن هذه الذكرى لن تكفِى وحدها لتؤدى كل هذا الأثر لقد تأكدت بالحقيقه التى كانت موجودة بداخله . أقرب نص مماثل يمكن أن نجده فى الإنجليل الاحداث بين عدة رجال ونساء مع المسيح لقد ادركوا اكتمال القداسة بداخله مما غير حياتهم .

وهى على خط متوازمع قصة « حلم رجل سخيف» وسميت مفتاح فلسفة دوستوفسكى المعقدة كتبت قبل « اخوان كارامازوف » بوقت قصير وهى قصة رجل معاصر بدأ يشعر « فى كل مكان فى العالم أن لاشيئ يهم» ويعود للمنزل ذات ليله مقرراً أن ينتحر وقبل أن يحقق هدفه يفاجئ بطفله صغيرة تتوسل اليه لمساعدتها ولكن الرجل يطردها الاأنه لم يستطع أن يتخلص منها فى افكاره . إن معاناتها قدأثرت فيه لقد اكتشف إن هناك شيأً يهم وبعد لحظة يغفل ويحلم بانه قتل نفسه بالرصاص وأنه داخل التابوت ودفن . إنبعثت مُن قلبه صلاه يطلب المساعده وهنا يرفع الى السماء ويسافر خلال الفضاء حتى يصل الى ارض ثانيه ويجد نفسه على الأرض الاغريقيه المثالية الجميله هذه هى الجنة فهى مملؤه باطفال جميلة «أولاد الشمس» يعيشون فى تجانس تام مع بعضهم ومع الطبيعة « السعاده البريئه كانت فى كلمات واصوات هؤلاء الرجال» وبعد لحظه ادرك أن تعييراً حدث لهم لقد ضاعت هذه البراءة واصبحوا فاسدين انساقوا وراء الاكاذيب ، القسوة ، الشهوة ، الغيرة ، والغضب ادرك إن هذه حقيقة واقعهة وليست حلم بعد ان عرف أنه السبب فى هذا البلاء الذى اصابهم « النقطه هى اننى .. اصبتهم جميعاً ».

بعد أن استيقظ لم يعد يريد أن ينتحر بدلاً تمسك بالحياه . اصبح يريد أن يهب نفسه لخدمة الحق الذى شعر به فى هذا الحلم» إن الانجذاب الصوفى الغير محدود رفع كيانى كله» لقد رأى الطريق الذى يجب أن يتبعه البشر حتى يصلوا الى السعادة الأبديه التى اخترقت نفسه الحقيقة الكبرى وهى أن الإنسان عليه أن يعطى ظهره للشر حتى يصل الى الجنه «أنا أرفض ولا استطيع أن اصدق أن الشر حاله طبيعيه فى الانسان لكن كلهم يسخرون من هذا الاعتقاد لا أستطيع الا اكون مؤمنا لقد رأيت الحقيقه إن عقلى لم يخترعها ، رأيتها وصورتها الحية ملأت روحى الى الأبد » . هذا ما نضيعه اذا نظرنا الى الأمور من الخارج فقط التصرفات الشاذة التى جعلته يبدو غريب أوسخيف اصبحت مملوئه بالمعانى . هى الحقيقه الحيه للواقع والتى استطاعت أن تؤثر عليه بعنف شديد . اذا سأل الرجل كيف نستطيع أن نحقق الجنه على الأرض . يكون ذلك عن طريق الصدق المجرد . يمكن أن يتم ذلك فى يوم واحد أوساعه واحده «الشئ الرئيسى هو أن تحب جارك مثل نفسك هذه هى النقطه الرئيسيه والوحيده ولاتحتاج لغير ذلك بعدها تسطيع أن تكتشف كيف تسير باقى الأمور.... لقد وجدت هذه الطفله الصغيرة وسأذهب لنجدتها » .

الحب القادر على التغلب على الظلام الداخلى لايمكن أن ننشئه. هذا الحب يمكن أن تستدعيه لسبب واحد وهو انك اصلاً كنت محبوباً إن الصوره الحيه. نعمه الحب يجب أن تخترق أنفسنا قبل أن ينبثق ذلك الحب نجد أن الشر لايقارم ونتحمل مسؤولية النحيب والعويل لكن عندما نسمح بدخول الحقيقه السامية للحب تنقرض العقبات الى حجمها الصغير بحيث تصبح بدون أى تأثير . بالمقارنه بالحقيقه التى بداخلنا تصبح هذه العقبات فرعيه ،ذو مستويات أقل . التأكيد الاقصى لانتصار الخير على الشر فى هذهالتجربه هو مصدر الاحساس بالقوه الافتدائية للتضحيه . أدراك التضحيه بالذات من منطلق الحب تلك هى اكثر وسيله فعاله للتغلب على الشر فى الوجود وهى تقودنا الى إكتمال السمو لهذا النصر بحيث يصبح متواجداً فى حياته وتكتمل الرؤيه بالتجلى الانسانى للأخرويات ، هذا

مع إتجاه دوستوفسكي والآخرين الذين يصارعون هذه الفوضى الموجوده فى عالمنا المعاصر. وهو نفس الإتجاه الذى إتبعته الفلسفه الاغريقيه قبل المسيحيه فالمعركه مع الشر والفوضى لاتنتهى وتكون غالبا نتائجها غير مرضيه . أين وكيف يمكن استكمالها ؟ تصارع افلاطون وارسطو مع رموز اكثر تحديداً لبلوره طبيعه هذه المشكله خاصه بالنسبه للصعوبة فى تطبيق نظم الفلسفه فى الدوله المثاليه يوضح فوچلين بانهم تحركوا فى نفس اتجاه المسيحيه كالوسيله الوحيده لحل هذه المشكله والحاجة الى تحقيق السمو واضح فى استجابه سقراط لعدم امكانيه تحقيق « الدوله المثاليه بالخطب فلا يوجد أى فرق سواء كانت هذه الدوله موجوده فعلا أوغير موجوده هذه الدوله هى الرغبه الوحيده التى يريد تحقيقها » قدم أرسطو سؤال عن العلاقه بين الحقيقة فى نفس الفيلسوف والدرجات الأقل التى ينجزها الأخرين . الفرق بين النظام الروحى والمؤقت كان على وشك الظهور . يلاحظ فوجلين إن كل ما ينقص هو « السمو للطبيعه الدنيويه للانسان من خلال الحب الغير طبيعى لله » ذلك لايعنى غيابه عن ارسطو ولكن هذا الوجود لم يحدد بوضوح الآن مع المشاكل المماثله للقضاء على الشر قادت مفكرى العصر الحديث الى نظام مماثل وذلك هو الآخر يؤدى من النهايه الى المسيحيه مثل الفلاسفة الإغريق المفكرين الذين جاءوا بعد العصر الحديث بدأوا بالأسلوب المسيحى أو أ قادهم تفكيرهم الى هذا الاسلوب والسبب بسيط هو وجود الخير والشر حيث قادهم دون استثناء الى هذا الإتجاه بالطبع إستفادوا من التأثيرات المسيحيه ممن خلال المدنيه التى كونوها ولكنهم لم يدركوا ذلك قبل أن يبلوردا تفكيرهم فوجدوها فى النهاية تقودهم الى المسيحية وسنرى ذلك بوضوح فيما يلى .

## الاعتراف بالمسيح

## الحاجة الى النعمة الألهية

مدى إدراك التضمين المسيحى لافكارهم يختلف من مفكر لآخر . هذا بالطبع يرجع الى الاختلافات الشخصية والى التغيرات فى مفاهيمهم . ليس بالضرورى أن نأخذ فى اعتبارنا

درجة التطابق اللاهوتى بينهم . نستطيع ان نحقق انجازاً اكثر باكتشاف التغييرات فى النقاط التى يركزون عليها والاسباب الكامنه وراء ذلك حيث ان كل من الأربعه كانوا يتصارعون مع نتائج تأملاتهم . من ذلك المنطلق يكون ممكنا أن نستخلص بعض الرؤية داخل المشاكل التى تهمهم ـ إن هدفنا ليس مجرد الحكم على اكتمال أو نقصان أى من الانعكاسات الشخصيه ولكننا يجب أن نضع فى اعتبارنا الاتجاة الذى اشار إليه عملهم والتطور المقابل الذى يؤدى اليه .

ليست هذه دراسة للاهوتيه أو حتى نظريه سياسية . إنها بالدرجة الأول بدراسة للبحث عن الوجود لرتبة النفس والمجتمع والتى يقودها اكثر المفكرين عمقاً فى العالم المعاصر.

من هذا المنطلق كانت قيود كاموس ضد المسيحيه والتى يجب أن تؤخذ كتعبير لمعارضته العنيده لأى اتجاهات قد تجرد الانسانيه من شخصيتها أو تشوهها .. لايجب إعتبارهم انعكاساً لنواحى النقص سواء فى ايمانه الشخصى أو فى المسيحية نفسها فقد كان رد فعله تجاه ما إعتبره أسلوب نظرى للمسيحية بمثابه عقبة للوصول الى الادراك الكامل للكهنوتية . فاذا كانت الطقوس الدينيه تتحرك فقط فى مجال حساب العطايا التى سنحظو بها فى الأخره فانها تعتبر قاصره على حب الذات واذا كان الحب المسيحى للبشريه استسلام ضعيف فى كل الامور مع تركها للعنايه الالهية فإنها تصبح بلاشك استجابه ضعيفه للتخفيف عن المعاناه التى يواجهها البشر لم يتعمق كاموس اكثر من هذه القشرة الخارجيه للمسيحيه ، لم يصل الى حقيقه الحب الغير محدود التى تمنحه للبشر . ما يهم فى هذا الموضوع إن ذلك هو الاتجاه الذى حدده فى تأملاته. نستطيع أن نعتبر تطور كاموس كمؤمن بالمسيحية الطبيعيه وما ينقصه الاستمراريه فى الحكم المضاد لها فى اعمال إريك فوجلين نجد ترفع عن المسحيه ولكن إن تعمقنا فى مفهومه نجد تأكيد صريح لها . سبب هذا الاتجاه نشأ عن مشاكل حاسمه داخل اطار المسيحيه نفسها سنقوم بمناقشتها فيما بعد اما الآن يجب أن نشير بأن فوجلين اعلن موافقته على رساله الانجيل أن أول ثلاثة مجلدات

للكهنوتية والتاريخ تشير باستمرار الى الالهام المسيحى كحل للعوائق التى نواجهها فى صراعنا من أجل النظام . وقد سبق أن اشرنا الى موافقة فوچلين على الاطار المحدود للفلسفه الإغريقيه ارتباطها الشديد المرهون للدوله المثالية حرمتها من التعمق فى موضوعات أخرى فالذى كان ينقص الأغريق هو فهم التكوين السامى للروح عن طريق النعمه الالهيه فهذا التكوين بلا ادنى شك يرفعنا فوق أى ادراك جامد محدد للكهنوت كما يشير الى التجلى فى الأخره مع الله فى العالم الآخر ولكن فى بحث فوچلين عن الانبياء العبريين يتضح تداخل الطبيعه المسيحيه فى دراسته .

كان صراع هؤلاء الأنبياء مع المتمردين والمرتدين فى الشعب المختار ومع مرور الاحداث اعترف هؤلاء الانبياء استحاله تتويج نظام الكهنونيه فى التاريخ وكان عليهم أن يواجهوا الاجابه عن سؤال هام : كيف يبقى الحق المقدس منتصراً على قوة الشر ؟ واكتشفوا أن المكان الوحيد الذى يصل فيه نظام الله الى الكمال يكون داخل النبى نفسه . إن عناء الانبياء يرجع الى النظام الشامل للبشريه فى أى مجتمع جامد فى التاريخ فى نفس الوقت فان خضوع النبى بكامل اردته لعواقب الشر ونتائجه تعتبر ملازمه للعناء المقدس التخليص الذى يحول الشر الى خير. إن غرابة هده المعاناه تبلورت من خلال أنبياء اسرائيل يلاحظ ڤرچلين بالنسبه للنبى ديترو إسحق «إن نظام الوجود كشف عن سره" الافتدائى كنتيجه للمعاناه" ولكن تلك ليست حقيقيه الافتداء كما هى واضحه فى التاريخ فإثبات اكتمال وجود القداسه مع مرور الزمن كانت مرتبطه بظهور المسيح. لاحظ ڤچليين طبيعه هذا الحدث كتجميع للصراعات الانسانيه للوصول الى الكهنونيه الساميه "إن مشاركه الانسان فى المعاناة المقدسه لم تواجه بعد مشاركه الله فى معاناة البشريه» تمثل المسيحيه بالنسبه لڤوچلين الاختلافات الجوهريه بين القداسه وبين البشر فهو يفهم تلك الملامح الخاصه من خلال " إنحناء الله فى وقار أمام الروح" ذلك هو التمثيل الكامل لتجارب الفلاسفه والانبياء «يتضح ذلك الالهام فى التاريخ من خلال اتحاد الالوهيه والناسوتيه فى المسيح مما أشبع

الحركات العارضه للفلاسفه الصوفيين. ونتج عن ذلك «الرؤيا الداخليه بان الانسان ببشريته المجردة بدون هده الروح يعتبر لا شئ» ويقر ڤوچلين إنه حتى المفكرين اليوم مثل جاسبر أو برجستون يميلون الى البعد عن هذا الاعتراف بالمسيحيه كما نستطيع أن نستخلص من كتاباتهم ولكنه يرفض تلك الفكره على الاطلاق ويصر على أن هذا الامر لا ينحصر في تجميع الآراء من الآخرين ولكنه ضروره تفرض نفسها علينا من خلال التجارب نفسها يجب أن نظل مؤمنين بالاتجاه الواضح الذى يوصل الى الحقيقه إذا أردنا أن نفكر باسلوب نظرى اليوم. "حيث أن اسلوب التعريف الذى تم انجازه من خلال الفلسفه الإغريقيه والمسيحيه، يدل على تقييد حركه النظريات من خلال الافق التاريخى للتجربه الاغريقيه والمسيحيه" وسولزهنز إكتشف شيئا مماثلا من خلال ابحاثه "إن المسيحيه أو زؤية العالم من خلال المسيحيه إنبثقت تقريبا من خلال الحاجه، كالطريقه الوحيده المناسبه للوصول الى حل للأزمه التى نعيشها" أحد قراء سولزهنز الكسندر سميمان اشار الى الطبيعه المسيحيه لمفهوم المؤلف فى «يوم واحد من حياه ايفان دينسوفتش. وشكره سولزهنز للاشاره الى ذلك رغم أنه لم يكن يقصده فعلا. فى كتاباته تتجلى الشخصيه المسيحيه فى الصوره الأرثوذكسيه بوضوح بدءا مع اليشع المعمدان الإنجيلى فى "ايقان دنيوفتس الذى يكشف من خلاله عن أحد اشكال المسيحيه الواضحه وتدريجيا تنبثق من كتاباته مفاهيم واسعه واكثر عمقا لايمانه من خلال اكتشاف الابعاد الكامله للمسيحيه الأرثوذكسيه فى اعمال المتتاليه وأخيرا نواجه التجربه الصوفيه للمؤمنين الارثوذكس فى كتابه «العجله الحمراء» من الصعب أن نتجاهل هذا العمل الذى يضيف بعدا جديدا لايمان سولزهنز .

أول اشاره لهذا الاتجاه المسيحى تتضح من تجربته مع ثلاثه من الشباب المؤمنين فى سجن بوتبركى. فقد سخر من صلاه أحدهم واعتبر إن ذلك نوع من الرياء وتعجب أحدبت المسجونين الشبان من هذا الموقف ويقول سولزهنز أنه كان محقا «فقد احسست اننى لم اكن اسخر منه عن اقتناع ولكن لأن هذا الاتجاه زرع فى عقلى من العوامل الخارجيه فضلا عن

أن هؤلاء المؤمنين من الشباب هاجموا تولستوى ليس على اتجاهه الماركس ولكن بسبب عدم ايمانه الكافى بالمسيحيه اهتزت لهذاه الاحداث احقاده السابقه واضافت اليه تجربه السجن قوه روحيه نابعه من المسيحيه. من ضمن كل المجموعات التى وصفها فى السجن كان المسيحيون هم الوحيدون القادرون على الاحتفاظ باتزانهم الداخلى والشجاعه دون أى مراره أو زهو وكان ذلك ضروريا حتى يحتفظ الإنسان بانسانيته تحت هذه الظروف البشعه «كان يعلمون جيدا الهدف من هذه المعاناة وكانت اعتقاداتهم راسخه كانوا الوحداء الذين لم تؤثر فيهم فلسفه السجن أو لغته» ومثل هذه الاحداث كانت بالاشك اساس شخصيه اليشع المعدان ففى حديثهم فى نهايه اليوم يقول اليشع ها أنت يا ايفان إن روحك تهفو للصلاه الى الله لماذا لاتعطيها حريتها» ولكن ايفان يقاوم هذه الرغبه على أساس مفهومه بان الصلوات «لاتصل الى أحد أو انها ترد الى صاحبها» ولكن عندما يختلى بنفسه يجد الحق فى اصرار اليشع باننا يجب فقط أن نصلى «عن اشياء تخص الروح حتى يزيح يسوع المسيح الغضب من قلوبنا» هذه هى الحريه الحقيقيه الوحيده والحياه الانسانيه الوحيده التى تستحق من أجلها الحياه. «لم يكن اليشع كاذبا فاذا سمعت صوته أو نظرت الى عينيه لوجدت أنه فعلا سعيدا فى هذا السجن. النقطه التى توضح فى الاعمال الأخرى كانت هجوم اليشع على الكنيسه الأرثوذكسيه ولكن سولزهنز يعارض هذا الهجوم تمتاز بالقوه فى بساطتها، وهى مباشره وتمتلك قوه روحيه هائله تستطيع بواسطتها أن تصل مباشره الى الاشخاص فاليشع يشير الى إن الكنيسة الأنجيليه الدينويين. كما انه يلاحظ كذلك إنها محدوده فهى تجربه تاريخيه غير عريقه ليس لديها ماتقوله عن الاسئله التاريخيه الآزليه أو عن نظام الخلق والتحول الطبيعى لجميع الأشياء. اتجاه المذهب الانجيلى للاخلاقيات والعقلانيه بغيض بالنسبه لسولزهنز وذلك يتضح من هجومه على تولتوى فعلى الرغم من تأثير تولستوى عليه فى كتاباته الا أنه يلفظ تشويه المسيحيه فى كتابات هذا المؤلف الكبير هذا هو كذلك السبب الذى يوضح معارضه سولزهنز لجميع الاتجاهات الأخلاقيه البحته فى الانبعاث الروحى للمجتمع دون الأرض الصلبه للمسحين وخاصة العادات

التاريخيه الغنيه للمسيحيه يكون مثل هذا التحرر الاخلاقى اعاده لأخطاء السابقين فبدون التحول السامى للنعمه الالهيه فان هذه الاخلاقيات المستقله ستنهار حتما.

هذه النظره الخاصه بسولزهنز تستحق الفحص الدقيق فان صراعه مع التأثيرات الفاسده المشوهه للايدولوچيا قادته الى تأكيد المسؤوليه الفرديه للشر، وبالتالى يسعى الى تجاوب فردى فى بدايه مرحله التغيير. وهذا التمسك الخاص بالمسيحيه يتضمن تحولا ثانيا له. هذا هو التحول الاخلاقى الذى أيسقط صوت الضمير بداخله نضيف الى ذلك تأثيره المبنى على ادراكه بان هذه المجهودات المبزوله للاقناع ستكون اكثر فاعليه اذا وضع نفسه فى مستوى شامل للمناشده بالاخلاقيات. لكن هذه العوامل لا يجب أن تقلل اعترافنا بالرؤيه المسيحيه الاكيده من وجهه نظره والتى نشأت آساسا من ادراكه بان الخير والاخلاق لايمكن أن تتحقق الإإذا كانت تقع فى نطاق نظام خلق الله وغموض عمل الله الافتدائى من خلال المسيح والفكره الدنيويه عن الأخلاقيات العقلانيه الانسانيه تعتبر بديل ضعيف غير مؤثر ومصدرا للاخلاقيات التجريديه المخربه وهذه الاخطار تتضح من الصرخه الحاده لتولستوى العجوز.

يبحث سولزهنز فى هذه المشكله من خلال تجارب الطالب الشاب المتطوع فى الجيشن الروسى عام ١٩١٤ اسحق سانيا لازنش هذه الشخصيه تتماثل مع مبدأه الفلسفى فقد كان سانيا متأثراً الى حد كبير هو الأخر بكاتب الاساطير تولستوى وكان يسعى الى تقليده فى حبه للحياه البسيطه للبشر . لهذا السبب استمد اسمه الغير معقد من غابات الاستبس وتمادى فى التقليد لدرجة رفضه للطقوس الدينيه الرسميه للكنيسه . قابل سانيا ، تولبتوى فى منزله وسمع من هذا الرجل الذى كان يعتبره نبياً رغبته « لخدمة الخير ولخلق مملكه الله على هذه الأرض» وعندما أصر سانيا كيف يمكن أن يتحقق ذلك كان الرد«الحب هو الطريق الوحيد ، الطريق الوحيد ، ولن يستطع أحد أن يجد طريقاً افضل منه .

لكن هذا الدارس الشاب كان غير قادر على التمسك بايمانه بصفه مطلقه لقد كان يشعر

بضغوط الالتزامات الأخرى ولهذا السبب اتبع طريق مخالف لنصيحه الرجل العظيم واستمر فى كتابه الشهير وعلى الرغم من معارضته للعنف والحرب تطوع فى الجيش والتفسير الوحيد الذى استطاع أن يقدمه قوله « اشعر بالاسف على روسيا » كان يتلاطم بين القراءات المختلفه حتى قرأ كتاب (علامات على الأرض) بعد قراءته لهذا الكتاب إهتز بعنف حيث اكتشف أنه مخالفاً تماماً لكل ما قرأ من قبل لكنه صادق لاقصى درجه مؤلف هذا الكتاب بولسجاكوف مع مؤلفين آخرين اصطدموا بمآسى القرن العشرين وأعلنوا فى هذه المقتطفات الأدبيه المختاره احياء المسيحيه الارثوذكسيه كالاسلوب الوحيد الذى يتناسب مع المجتمع الروسى . فالمسيحيه التحرريه أو الاخلاقيه مجرده من غموض التخليص والبعث ولايمكن لها الاستمراريه هناك . يكرر ذلك من حيث المراحل المتدهورة فى الفصل الأخير من المسرحيه المأساويه س من تحت الجليد» حيث استمر نقد اسلوب تولستوى عن الاخلاقيات المجرده من خلال الحديث بين سانيا وصديقه كونيا مع فارسونوفيف الدارس الروسى الذى يلقبوه ستارجاذر . يشرح هذا الدارس ان التاريخ لايحكمه التعقل فهو على عكس تولستوى يرفض افتراض إمتلاكنا للمعلومه أو الوسيله لإدراك النظام الاجتماعى المثالى مع الوقت .

وجهه نظر فارسونو فيف إن التاريخ وحدة متكاملة وقوانينه غير معروفه «الروابط بين الأجيال» الروابط بين التنظيمات من حيث العادات والتقاليد هى التى تجعل هذا النهر المتدفق متماسك ، ذلك ما يجعل إمكانيه تحقيق نظام إجتماعى مثالى من اصعب الأمور لأن القوانين اللازمه لتحقيق ذلك يجب أن تكتشف « من خلال النظام الكلى للاشياء » ويمثل فارسو نوفيف ذلك باسلوب آخر ذلك هو التكامل الغامض للعادات التى لا يمكن التفاضى عنها بحجه أى أشياء مطلقه مهما كانت أهميتها ولو فعلنا ذلك فعلاً لكانت العواقب وخيمة كان سولزهنز يحتفظ فى ذهنه بتجربه الثوره الروسيه ولكن المشكله الانسانيه العامة هى كيفية توجيه الأحداث فى هذا العالم مع عدم المعرفه الوثيقه بعواقبها

عندما سأل الدارسين فارسونوفيف اذا كان قراره بالانضمام الى الجيش صائباً يرد بالموافقة على الرغم من عدم وضوح السبب.« يمكن أن اذكر سبباً واحداً وهو اهتمامى بعدم كسر شوكة روسيا » إن مجرى الأحداث تبدو معاكسه لاستبداديه تولستوى التى تؤدى فى الحقيقه لهذه العواقب الوخيمه . اذا سألناه عن العدل يجيب ستارجازير بان هذه الحقيقه موجوده « لكن ليس العدل بمفهومنا الخاص الذى قمنا بإختراعه فعلاً ليتلائم مع جنتنا الأرضية المناسبة إن هذا العدل الحقيقى تتواجد روحه أمامنا وبدون تدخل منا ، ومهمتنا الوحيده هى تقديس هذا العدل كما هو دون تدخل منا .

التدمير الأخير لمبدأ الاخلاقيات من وجهه نظر تولستوى وبالمثل أى اتجاهات للأخلاقيات المجرده لأخرين تمت فى اكتوبر ١٩١٦ . كانت سانيا منشغلاً لحوالى عام كامل فى حرب إنهاك لامعنى لها كانت أحد معالم «الحرب العالمية» عند عودته فى مساء يوم كئيب حيث ادى استهتاره الغير مقصود الى موت تشفردين احد أعضاء فرقته . قابل القسيس سفرين وبدأت مناقشتهم تتجه الى اسباب هذه الحرب التى انهكتهم واختلفا فى الرأى أجاب القسيس بإن البشرية أبعدت عن الله خلال الأربعة قرون السابقه حتى هؤلاء الذين يصرون على تدينهم وتمسكهم بالمسيحية لم يقدموا أنفسهم لتعاليم الله . وسأله القسيس هل كان ممكنا أن تعتبر رجل مثل تولستوى مسيحياً « انه نتيجة مؤكده لطبقه النبلاء وليس لديه البساطه الكافيه أو حتى الانسانيه ليذهب باخلاص ويبحث عن الايمان بجانب الفلاحين البسطاء إن اختيار تولستوى لبضعة أجزاء صغيره من الانجيل توضح أنه مثل التحررين يظن أنه لايحتاج الايمان فعلاً ولكن كان السبب الأول لعدم نجاحه فى ذلك غروره . لقد فشل فى اكتساب أهم صفه روحيه للبشريه « إن تولستوى نفسه يبحث دائما عن الله لكن الله يحبطه دائما « لأنه يتمنى أن ينقذ الانسان دون مساعده الله» ويستمر سفرين باتهام تولستوى بنسيان كل احساسه الادبى « بهذا العالم الذى يهرب من روحنا » ومع ذلك يؤثر علينا تأثيراً كبيراً . ويتسائل لو كان تولستوى نفسه جرب الاحساس بالمحدودية أو حتى

تعرض لهذه الحالة على الاطلاق « إذا لم تسعفنا قدرتنا على تحقيق ما نتمنى فليس أمامنا سوى الصلاه . الانسان يرغب فى شئ واحد ـ الصلاه ـ تسليم نفسه الى قدره الله . اذا اعطيت الينا هذه القوة بحيث تنير قلوبنا وتعيد القدره لنا هنا نكون قد جربنا الشئ الذى عبرنا عنه : «احفظنا وامنحنا نعمتك الالهيه هل تعرف انت هذه التجربه ... لقد كنت اعيش فى خضم هذه التجربه عندما قابلتك اليوم .

ما هو الشئ الذى ينقص الاسلوب التحررى عن الاسلوب الاخلاقى البسيط للخير . إن تفسير تولستوى للمسيحيه « ادراك اعماق الشر التى تجثم على القلب البشرى فاذا لم يدرك الانسان ذلك فانه يفشل فى ادراك مدى اصابة المفكر نفسه بهذا المرض إن غياب الانسانيه الضروريه تفتح المجال لجحيم الغرور داخل المفكر وقبل أن نفيق نجد نفسنا تحت وطأة العبودية التى لاتستطيع أن تخفى الاسلوب الشهوانى الأنانى ، يبدو أن سولزهنز حدد هذا العنصر للغرور الذى أحبط مجهودات توليستوى للانبعاث الروحى الأخلاقى فى المجتمع حيث أعمى كثيراً من أتباعه عن العواقب الوخيمة للأسلوب الأخلاقى الأستبدادى، فمع وجود هذا التحليل الأخير من الأفضل أن يشعر الإنسان أنه على حق أو متفوق أو له مبرراته بدلاً من مجرد القيام بعمل مطلق فى مجال الخير.. وتتعرض البشرية لمثل هذه التجربة بأستمرات ، حتى فى أحسن لحظات حياتنا يبقى الإحتمال قائم بأننا "نفعل الشىء السليم ولكن الهدف غير سليم" إن الغرور الداخلى يمكن أن يذوب أذا أدركنا أن كل الخير الذى نملكه بداخلنا ليس ملكاً لنا من الطبيعة أو عن طريق مجهودنا ولكن من خلال طريق واحد فهى نعمة الهبة من الله مباشرة.

"الشىء الوحيد الذى يعفينا من مسؤولية الكمال الذاتى هو إدراكنا التام بأن ذلك خارج نطاق قدرتنا. يجب أن نجرب ضعفنا فى معركتنا مع الشر حتى نعرف إن النعمة الألهية هى مصدر الخير والحب أنها التجربة المسيحية للنعمة الألهية، وضعف البشرية وحب الله التى يحددها سولز هنز كأساس النظام فى الوجود .

وأدت كارثة أغسطس ١٩١٤ الى نفس الاستنتاج السابق بالنسبة لسولز هنز والذى أستكمل بانهيار ١٩١٦ الذى حدد مصير روسيا خلال القرن بأكمله، إن رؤية سولز هنز هنا ليست عن المآسى أو الشكاوى ولكنها دراسة متعاطفة للقوة والأسباب التى أدت إلى هذه النتيجة، كانت تأملاته تسمو إلى أعلى مستوى من التفهم للأحداث حيث كان مدركاً بأن هذه الأحداث يمكن أن ينظر إليها فقط من جانب واحد ذلك هو العناية الآلهية.

أول نقطة تغيير حقيقيه فى تاريخ روسيا كانت خسارتها للجيشن الثانى تحت قياده سامونوف. كان ذلك سبباً رئيسياً لهزيمتها الكبرى فى الحرب. لم تكن روسيا أقل من المانيا من حيث الجيوش أو العتاد ولكن كل ما كان ينقصها الحكمه فى استخدام هذه الأمكانيات بكفاءه وكان ذلك منتشراً على مستوى التسلسل القيادى كله. سواء كان قرار التحرك فى اليوم الخامس عشر بعد التعبئة ( بدلاً من الستون) وفشلها فى الاحتفاظ باحتياطى كافى للمؤن على الحدود، والأسلوب الأستراتيجى الناقص فى التخطيط الحربى، وجبن قواد الجيش فى تنفيذ هذه الخطط وعوامل أخرى كثيرة لا حصر لها، كل ذلك كان توجيه نحو الهزمية دون مفر ويوضح سولز هنز"أن روسيا قد قامت بكل ما يلزم من جانبها لتؤكد أنتصار العدو " كانت الصورة قاتمة ولم يدرك أحد الأسباب التى أدت إليها كانت هناك محاولة لتأكيد أن عدداً من الضباط ذوى الرتب العالية قد تسببوا فى هذه الهزيمة واستمرت سلسلة الاتهامات الى أن وصلت الى القيصر نفسه لتعيينه لشخصيات ضعيفة وقراره المأساوى الأخير بأن يقود الجيشن بنفسه. كان بحث سولز هنز عن مسئوولية الأفراد فى حركة التاريخ الكبرى دليلاً على نظرته المسيحية بالنسبة للعالم، لقد اتهموا القائد سامونف بأنه تسبب فى ضياع الجيشن الثانى، لكن سولز هنز يوضح أن الخطأ تسبب فيه كثيرين غيره، ولكن سامونوف يتحمل جزءاً من مسؤولية هذا الفشل، هاجمة احساس عميق بالخوف وبالشكوك وكان يبحث عن السلام النفسى الداخلى أخذ يبحث عن طريق الصلاة حيث "يضع أمام الله كل أحداث حياته ومعاناته العالية " كان يصلى من أجل مساعدة

مقدسة لكى يصل إلى قراره ويخرج من هذه المعركة وأستجاب الله لصلواته وأزاح الحمل الجاثم على صدره "أصبحت نفسه أقل قتامه كل هذه الحمل وهذا السواد ذهب بعيداً عنه، تبخر الله الذى يستطيع أن يحمل كل هذه الأحمال أزاح عنه هذا الحمل" . فى عيد رفع مريم العذارا ء إلى السما ء سمع الكلمات المقدسة "سوف ترفع الى السما ء" وفى اليوم التالى قدر أن ينتقل إلى الجبهة وأن يدرس الموقف بنفسه حيث أجرى اتصالاته برؤسا ء الجيشن وجميع الوحدات المتناثرة من الجيش الثانى، وقد نبعه أحد اللوا ءات بأنه "يهمل واجبه كقائد للجيش فى السيطرة على الجيش بأكمله"، لكن ساماتوف لم يستجيب لهذه النصيحة .سولز هنز لا يلقى اللوم على القائد الذى أخرجة تورعة عن الطريق السليم بينما كان يبحث فى أوجه القصور به، كان يريد أن يصل كذلك إلى معنى أعمق يدل على الندم والأفتدا ء التى قد يكون سبباً للإنبعاث الروحى فى روسيا ، لقد تقبل سامانوف مسؤوليته عن الكارثة الآن يقدم نفسه ككبش فدا ء فى مقابل خطأه .

فوروتنسيف اللوا ء النشط الذى كان على عكسه مقتنعاً بقدرته على تغيير الأشيا ء من حوله لاحظ التغيير الذى طرأ على قائد الجيش" لم يعد وجهه مثل وجوه الآخرين ، لم يعد يخاف لقد استطاع أن يعلو فوق كل المخاطر هذه السحابة التى كانت تغطى جبهته إختفت لقد تحولت تعبيرات وجهة من إنسان مذنب إلى إنسان عظيم، ربما ظاهرياً قام بأفعال منافية لقوانين التكتيكات والإستراتيجيات الدنيوية ولكن من وجهة نظرة الخاصة لقد فعل الصواب" لقد استطاع سامونوف أن يحقق الشفافيه الروحية التى مكنته من روية كل ماحدث كتخطيط من الله، لقد كان عنده إدراك مسبق بأن هذه الهزيمة ستؤدى إلى الثورة فى انحا ء روسيا ، أثنا ء التقهقر يخلع سامانوف رتبته العسكرية ويتخذجانباً بعيداً عن زملائه، إن جيشه لم يعد له وجود الآن سامانوف ينهى حياته، لقد أصبح بالنسبة لسولز هنز سبباً فى مأساه روسيا نفسها على الرغم من النعمة الألهية للندم وغموض التضحية التى تؤدى إلى التجلى الأفتدائى فى أكتوبر عام ١٩١٦ أكد هذا المفهوم حيث أخليت مسؤوليته عن هذه الهزيمة.. نقابل .

فى هذا التاريخ سيدة شابه ذكرتها فيما قبل حيث كانت رمزاً لروسيا نفسها أسمها زنيداً أو زينا ( أسمها يعنى الحياه) وهى سيدة صلبة الرأى جريئة تفضل أن تتبع نبضات قلبها عن المسؤوليات التقليدية للزواج والأمومه، هذه بالضبط مسؤولية روسيا بأكملها، وقد أوضحت هذا بالتركيز على عدم الوفاء وفشل زواج أحد الشخصيات الهامة القائد جورج فورد تنسيف، بالنسبةلهذا القائد سنناقش مشكلتنا فيما بعد أما بالنسبة لزينا لقد حدثت لها صحوه، ويرى سولز هنز أن هذه الصحوه ترمز إلى روسيا، إن العجلة الحمراء بدأت تدور ولا تستطيع أن تتوقف قبل أن يعترف كل إنسان بجريمته وهنا يستطيع أن يحظى بالنعمة الألهية للغفران، ويؤيد إيمان سولز هنز ثقته فى قوة النعمة الألهية فى التخليص التى تؤتى ثمارها الغامض للتحول فى هذا العالم .

يدرك كل من فونوتنسيف وزينا أن الحرية التى حصلا عليها زائفة، كانت زينا حزينة غير راضية عن نفسها ودخلت كنيسه حيث كانوا ينشدون أغنية دينية وفوقها رأت صورة السيد المسيح، شعرت زينا بالنظام المتجانس للخلق الذى لا يجب أن يخالفه أحد لا حظت مسحه حزن على وجه المسيح الذى لم يشكوا أبداً من أى إنسان أساء اليه "كان يحنو على كل من يأتى إليه مثلها فى هذه اللحظة كانت عينى المسيح تمتص كل الحزن من قلوبهم .. كان يعرف كيف يخلصنا من كل الأحزان " أدركت وهى تحت تأثير هذا الضوء الروحى أن طفلها الرضيع الذى مات "لا يزال يعيش فى مكان ما" وإنتقلت أفكارها إلى وضعها الخاص، ولم تكن تقصد الشر .

وقدمت قلبها بإخلاص للرجل الذى أحبته ولكن كل شىء كان خطأ، الآن بدأت ترى خطيئتها ورضخت للقسيس واعترفت، أعترفت أنها أخطأت وأغوت رجلاً متزوجاً وإنها بذلك أساءت إلى زوجته، لقد أهملت والدتها حتى ماتت بدونها وأهملت طفلها مما أدى إلى موته هو الآخر "كل حمل كانت تبوح به بدأ يزاح عن كاهلها إلى الأبد" الاعتراف تخفيف للاحمال وهو أنبعاث روحى، لكن الخطيئة الخامسة مازالت موجودة.

لم تكن قد شفيت بعد من الرغبة اللاشعورية للرجوع إلى حبيبها سواء غفرلها القسيس الآن أو لم يغفر لها على الإطلاق، إن ذلك لا يهمها " لقد رأت وهى خائفة إنها منقاده إلى الرذيلة، إليه، وصرخت زيناً "يارب تعالى لنجدتى أنت شاهد على فأنا أريد أن أبعد نفسى عنه ولكن ذلك يسبب لى تعاسه بالغه ... "

كانت متعبة ومهزومة لم تعد بها أى ملامح حياه وعندما كانت تستمع إلى كلمات العفو "أسامحك على كل أخطاءك" امتدت اليها نفخة لحياه أخرى لقد رفرفت روحاً فوقها وإخترقت جسدها "نظرت إلى القسيس وفهم سؤالها" كل منا لديه شىء غامض أكبر مما نتصور إننا نحظى بهذا الشىءعند إتصالنا بالله، تعلمى كيف تصلين فى صدق فأنت تستطيعن أن تفعلى ذلك لم تكن تدرك بعد أن جميع خطاياها غفرت لا يوجد فى هذه الدنيا شىء أصعب من مآسى أى أسرة ومن الصعب أن نختار الطريق الذى نسلكه كيف أستطيع أن آمرك آلا تحبى بينما قال المسيح إن الحب هو أسمى ما فى الوجود ولم يستثنى أى إنسان من هذا الحب .

جحر الأساس الذى تستند إليه الرؤية الأخلاقية لسونز هنز هى النعمة الإلهية للغفران ومسح الخطيئة، لقد ادرك عدم قدرة الإنسان بمفرده الإنتصار على مراره الصراع ضد الكبت والصعوبات التى نواجهها فى مقاومة الغرور والزهو وعدم إمكانية قبول غموض الحقيقة ، فهو يصل فى النهاية إلى ضرورة وجود دعامة خارقة عندما يتوغل الحب المقدس فى قلوبنا نستطيع أن نحب بلا شروط هذا ما يمكننا من الوصول إلى التضحية بالنفس وإعطاء كل ما نملك دون أى مقابل حيث أن ذلك هو الأسلوب الوحيد للتغلب على الشرفى العالم نصبح قدرين على تغيير آنفسنا وكذلك الآخرين من خلال إيماننا بالتحول الكبير فى العملية التاريخية عن طريق العناية الألهية ذلك يتماثل مع إيمان دوستوفسكى فهو "مفهوم البعث "الإنسان الذى ينبثق من يوم خلال عذاب يوم الجمعه للمسيح وهو الأساس الوحيد الموثوق به فى الحياه البشرية، لكن الأسلوب المسيحى لسولز هنز به نوع من الهدوء والاتزان غير موجود فى الروح الثائرة لمن سبقوه .

## قدسية البشرية الحقيقية :

إن سبب الإختلاف فى روحانيات دوستوفسكى وسولز هنز تنبعث من مراكزهم المختلفة فى دائرة الأزمة المعاصرة لقدمر سلولز هنز بعملية التنفيس ولكن أعماله موجهة أساساً تجاه أستعاده النظام، ونتيجة لذلك فإن نظرته عن المسيحية تؤكد بشده تكوينها الأخلاقى، واهمية المسؤولية الشخصية والصراع بالإضافة إلى الدور المستتر للعناية الألهية المقدسة التى تقاوم الإنسياق وراء الشر والفساد فى الوجود، لقد عاش دوستوفسكى فى فترة الإنداد ولذلك فإن أعماله موجهة أساساً إلى الصراع الذى يحدث فى قاع جهنم يمكن أن ننظر من خلاله فى ربط قوة المسيحية لمواجهة الأحساس بالتمرد لقد تفوق على أى مفكر آخر ( عدا نيتزتسن) حيث رأى بوضوح الإضطراب الهائل الذى كان على وشك القضاء على الحضارة الغربية ولكن مخالفا لنيتزتسن اكتشف من خلال هذه المواجهة الصدق والحق فى المسيح الذى انتصر على بريق العدمية لهذا السبب فإن نظرته الدنيوية مركزه أكثر على شخص المسيح عن أى مفكر آخر فى المئتين عام السابقة قبل دراسة اكتشاف دوستوفسكى يجب أن نوضح أننا لن نتوقع منه أو من سولز هنز أن يقدم لنا رؤية منطقية عن المسيحية، من الملاحظ أن المعلقين لديهم ميل للتركيز على المضمون المادى المتشدد لأيمان أى كاتب، لقد أوضحنا فيما سبق تفسير إيمان سولز هنز " بالربربيه" والآن يجب أن نتعامل مع خصائص المسيحية من وجهة نظر ديستوفسكى بصفتها تميل إلى الأسلوب النموذجى وأسلوب المواعظ. المشكلة الرئيسية تكمن فى أن هذا التقييم تنحصر على ميل الكاتب فى التركيز على جانب واحد من الألهام المسيحى وذلك لا يعنى بالضرورة عدم انفتاحة للجوانب الأخرى كذلك إن دوستوفسكى لا يركز على التفكير أو عملية التخليص و الأفتداء وذلك لا يعنى أن نرفض إتجاهه يمكن أن نعتبر ذلك من وجهة نظر الكاتب عدم الرغبة للخوض فى مثل هذا الغموض. إن الصعوبة سببها اهتمامنا أساساً بالجوانب الجامدة ولا نهتم بالتجارب والرموز، فالتجربة الروحية حقيقة حية ثرية ويمكن تطويعها فى عديد من

الإتجاهات معتمدين على حاجتنا الشخصية والاجتماعية، إن الصمت بالنسبة لبعض النتائج يمكن اعتباره نوع من التغاضى عنها على الأقل نسبياً بالنسبة لأهميتها فى إطار مفهوم تاريخى معين .

تلك الاعتبارات لها أهمية كبرى عند قراءتنا لفلسفة دوستوفسكى الدينيه التى ترتكز على الصدق النموذجى للمسيحية مع قليل من التركيز على الماديات، إنه لا يهدف إلى إحياء المسيحية ولكنه يريد أن يكتشف كيف يمكن تحقيق تحويل الطبيعة البشرية والمجتمع الذى كان يهدف إليه أساساً من خلال الثورة، كان دوسيتوفسكى مدركاً للإيحاء المسيى لهذا الاتجاه ولكنه تعلم من التجربة الفعلية عدم إمكانية تحقيق ذلك إلا عن طريق المسيحية فكل الطرق الأخرى مضللة وتؤدى إلى الدمار إن التضحية الغير محدودة للمسيح هى التى تجسد الحب الكامل أو المثالية التى يجب أن يسعى إليها البشر للوصول إلى الكمال الحقيقى فى وجودنا، أصبح شخص المسيح بالنسبة لدوستوفسكى التحقيق والاستجابة الوحيدة للجنون الثورى، إن وجود المسيح داخل نفس الفلاح الروسى هى التى مكنته من أستبدال القوة التى كانت بداخله إلى النعمة الإلهية والحب الغير مشروط داخل دوستوفسكى نفسه وعلى هذا الأساس عمم نتائجها على البشر أجمعين، إذا كان ممكنا إدراك هذا التحول عن طويق الحب وحدة فإن ذلك سيفتح الطريق الى "الواحد" حيث الحب الحقيقى فى أكمل صورة تذكره للحادثة مع الفلاحة مارى كان بمثابة الغطاس له، ففى ذاكرته لم يستطع أن يمحو الحنان العميق الرقيق لهذه الفلاحة كإنعكاساً عميق للحب المقدس فى شخص المسيح، فى هذه اللحظة عرف دوستوفسكى الشعب الروسى والمثل الأعلى لهم وهو المسيح، لا يهم لو كانوا جهلاء عن تفسير إيمانهم لقد كانت معلوماتهم نابعة من القلب من خلال المسيح الذى أصبح حقيقة حية له هو الآخر، لم يكتسبوا هذا بالإيمان من خلال الكنيسة أو الإنجيل ولكن "من خلال القرون الطويلة للمعاناه المستمرة التى عاشوها خلال التاريخ حيث كانوا مقهورين من الجميع ويكدو ن من أجل الآخرين ولم

يبقى لهم سوى المسيح الذى كان يخفف عنهم آلامهم لقد أحتضنوه بصفة مستمرة فى طيات نفوسهم وكافئهم المسيح على ذلك حيث أنقذهم من اليأس، كان ذلك نوعاً من "الحقيقة الحية اخترقت نفس "الرجل السخيف" ووجهت كيانه بالكامل إلى إتجاه جديد بعد أن رأى حكمة الصليب وأنه لا يستطيع أن يتطهر إلا من خلال الآلام حتى نستطيع أن نحب ببساطة وتواضع كما فعلت مريم والمسيح، هذا الإتجاه الذى تبناه دستوفسكى وكان محور حياته وتبلور ذلك بوضوح لاتجاهين أتبعهما فى السنوات الأخيرة ، أولهما رسالته المشهورة التى بعثها إلى فونفزينا بعد إطلاق سراحها من السجن فقد أعطته نسخة من الإنجيل أحتفظ بها فى السجن والآن كتب لها ليعزيها بعد رجوعها إلى منزلها من المنفى "لست متأكداً تماماً ولكن خطابك أوحى لى أنك تشعرين بالأسى وأنت تعودين إلى أرضك وبلدك،و أنا أفهم ذلك ... لقد سمعت من كثيرين أنك إمرأة شديدة التدين، ليس ذلك لأنك متدينة ولكن لأننى أنا نفسى جربت وشعرت بنفس الأحساس، أقول لك إن فى هذا الوقت يكون الإنسان متعطشاً للإيمان مثل "الحشائش الجافة" المتعطشة للمياه، والإنسان يستطيع حقا أن يجده لآن فى الأحوال القاسية الحق يكون منيراً، سأكلمك عن نفسى أنا طفل أنتمى إلى هذا القرن ولدت وسط الشك وعدم الإيمان كنت دائماً متعطشاً للإيمان وسأظل كذلك حتى يقفلون على التابوت إن هذا التعطش قد كلفنى كثيراً من الأهوال ومازال حتى الآن. كلما زادت قوته فى نفسى كلما زاد الإعتراض عليه على الرغم من كل ذلك فإن الله يبعث لى بلحظات من السكينة والهدوء أجد خلالها أننى أحب الآخرين وهم يبادلوننى نفس الشعور، أثناء هذه اللحظات كونت داخل نفسى رمزاً للإيمان حيث كل شىء واضح ومقدس وطاهر، هذا الرمز بسيط جداً " أن تؤمن بأن لاشىء يستطيع أن يعادل المسيح من حيث الجمال، العمق ، التعاطف، الرزانة، الشجاعة لا شىء يعادله ولن يكون وأكثر من ذلك إذا نجح أحد أن يثبت لى أن المسيح خارج الحق وإذا كان الحق خارج المسيح فأنا أفضل أن أبقى مع المسيح عن بقائى مع الحق "

إن الشك الموجود فى هذا الخطاب لا يقع فى نطاق الأيمان أو الكفر ولكن يعتبر تذبذب بين الأحوال التى يكون فيها الحق واضح بأسلوب مبالغ فيه وعندما لا يكون بهذا الوضوح ليس من الضرورى أن تستخدم الأساليب المعقدة لتفسير ذلك، فهذه التغيرات جزء طبيعى من الظروف الإنسانية المهم فيها أن إيمان دوستوفسكى مبنى على يقين بالمسيح وبالمقارنه بجميع الحقائق الأخرى تصبح بلا معنى الفقرة القادمه تركز على الحقيقة التى اكتشفها فى هذه التجربة . وهى متضمنة فى الانعكاسات التى كتبها دوستوفسكى يوم وفاه زوجته الأولى " إن ماشا ترقد على المنضده ، هل سأراها مره أخرى . أن تستطيع أن حب الأخرين مثل حبك لنفسك طبقا لوصايا المسيح شيئا مستحيلا فقانون الشخصية المستقله على هذه الأرض المرتبطه بـ "الأنا" تقف فى طريق ذلك .. كان المسيح قادرا على ذلك، ولكن المسيح هو الأبديه ففى كل العصور هو المثل الأعلى الذى يسعى اليه الانسان وطبقا لقانون الطبيعه الإنسان يجب أن يسعى . بعد ظهور المسيح زصبح واضحا أن التطور الاقصى للشخصية أن تصل الى الدرجة التى تمحق فيها شخصيتك اننى متنازلا عنها بالكامل للجميع دون تفرقه ودن تحفظ .. هذه هى السعاده القصوى هذه هى جنه المسيح .. على الأرض الانسان يناضل من أجل مثاليه مضاده لطبيعته عندما لا يستطيع أن يحقق قانون السعى إلى الكمال أى لا يتنازل عن "الانا" يحب للآخرين أو لأى كائن آخر ( ما شاو أنا ) أن نفعل ذلك إنه يعانى ويسمى هذه الحاله الخطيئة " اكتشف دوستوفسكى إن تضحية المسيح بذاته من أجل حبه للآخرين هو الحق الذى يجب أن نقيس على أساسه أى حق آخر ، قد أدرك أن هذه هى النقطة التى يندمج عندما قانون " الأنا" مع قانون " الانسانية" وهذا هو الاسلوب الوحيد الذى يوضح مثالياته الانسانية التى سبق الاشاره اليها فى نفس الوقت استنتج منها أننا جميعا أحياء الى الأبد ولا اصبح " الموضوع لا يمت للمنطق بصله فما فائدة الوصول الى مثل هذا الهدف اذا كان كل شىء سيفنى ويختفى الى الابد اذا كان الانسان سيموت الا بعد تحقيق هذا الهدف فلا جدوى من محاولة تحقيقة من هذا المنطق يستنتج وجود حياه أبديه فى الجنه " ليس ضروريا أن نفسر هذه المقتطفات من كتابات

دوستوفسكى بنظرة محدوده من حيث تأكيده لعدم حاجة البشر الى نعمه إلهيه خاصة لكى يحقق حالته أو أن " الاهميه الوحيده " للمسيح " أنه الفداء المقدس من أجل الحب . الحياه غنيه بالتجارب لكل هذه الأبعاد إن الوجود الكونى للمسيح يسحب البشرية الى سمو ذاتى كتقليدا له وتلك هى عملية العناية الالهيه المقدسة . لا يهم الطريقه التى أثر بها المسيح على هؤلاء الذين قابلهم كما ذكر فى الإنجيل كما أننا لا يجب أن نستنتج إن دوستوفسكى فهم هذه التجربة من وجهه النظر الاخلاقية فقط لقد كانت تتضمن عنصر قوى عن المفهوم الارثوذكسى التقليدى عن الصوفيه وتقديس الطبيعه البشرية إن الحياه الابديه ليست مجرد استنتاج مبنى على استحاله إحباط الإيحاء البشرى الغير محدود للوصول الى الكمال ، انها تجربه لحياه جديده موجوده بعمق فى نفوس هؤلاء المتفتحين لروح المسيح " لقد دخل المسيح كليتا داخل الجنسى البشرى والإنسان يحارب من أجل تحويل نفسه الى " الأنا" للمسيح أى الوصول الى الكمال . إذا استطاع تحقيق ذلك فانه يرى بوضوح أن بالمثل كل من استطاع على هذه الأرض أن يحقق نفس الهدف فقد تحول التحويل النهائى ( إن الطبيعه التركيبيه للمسيح مزهله فهى فوق كل شىء طبيعه الله ذلك يعنى أن المسيح انعكاساً لله على الأرض عن طريق هذه الفلسفه الحقيقيه استطاع أن يصل دوستوفسكى الى " مركز وتركيبه الكون وشكله الخارجى والله والحياه الأبديه إن المشاركة فى حياه الله هى الوسيله والنهاية لهذا البحث الآخلاقى " منذ أن ادرك هذه الحقيقة سعى الى تجسيد الصورة الإيقونيه للشخص المطلق الجمال فى جميع رواياته .

لم يكن ذلك موضوعا للنقد من جانب هؤلاء التحرريين ولكن كان صورة حية لهذه القوة الخارقة التى تؤدى الى صعودنا اعادة ميلاد المسيح داخل نفسه ستحدث بهذه الطريقه الى روح المجتمع نفسه ، ركز على العادة الأرثوذكسيه المتقدمين فى العمر الورعين كنموذجا لما كان يدور فى عقله . وقد أثر فيه " دون كيزوت" بعمق حيث اعتبره اعظم كتاب الارض ولكنه لم يستطع أن يكتب مثله كان أول تجربه له " الأبله " وقد نجحت كروايه لأنه لم يفرض

رؤيته المسبقه على نهايتها الامير مسكين هو البطل البرىء الطاهر الذى يسبب الدمار فى كل مكان بسبب سذاجته المفرطه إنه يقاوم بازدراء خطيبته أجليا ، وهو مسؤولا عن وفاه المرأة الأخرى التى يحبها (ناستاليا فليبوفانا ) وغير قادر على تقليل موجة الشر من حوله. يمكن أن نجد تفسير ذلك فى جميع الصفات المكرره التى تشير الى الأمير " كروح محررة من الجسد " لم يستطع الوصول الى الطهاره من خلال صراعه مع الشر لم يكن حبا ناتجاً عن المعاناة ولذلك فهو لا يستطيع أن يقاوم الشر من حوله إن الامير يعيش كرمز للجنة التى يستطيع الانسان أن يحظو بها ولكنه لا يستطيع أن يرشدنا الى طريقها إن احتمال صدق روايه يتطلب أن يتشرك البطل فى الصراع الذى يؤدى الى الحكمه والا يكون قد حصل على هذه الحكمة بسهولة ولهذا السبب لم يحول دوستوفسكى أن يجعل مثل هذه الشخصية القديسيه البطل الرئيسى لأن مثل هذه الشخصيات تكون محور هذه القصص .
لذلك فان الالهام الشخصى أو الاعتراف الذى قدمه ستافروچين عند مقابلته مع القسيس تيكهون زادونسكى كان فى قصه " المملوكين " وفى قصة " البالغين " يركز على والد البطل الصغير الرجل المقدس الهائم ( ما كار دولجووكى ) ليوضح الطبيعة الداخلية للرغبة التى تحرك جميع الشخصيات فهو يعلن على الملأ أنه لم يقابل قط " رجل لا يومن بالله " كانوا جميعا مصابون بالضجر والتملل كانوا يبحثون فلا يجدون النور " لكنهم لم يفكروا أبدا فى مواجهه الحقيقة الواحده على الرغم أن الحياه بدون الله عذاب متواصل يسعى مكار للشخصيات الأخرى لكى يدركوا صوت الله والمسيح بداخلهم وأن يخضعوا له فى حب من أجل الآخرين يشير الى الطريق المؤدى الى الجنه التى يحملها بداخله ويؤكد هذه الحقيقة فرسيلوف الأب الحقيقى للبطل الصغير حيث تنتهى أحلامه بالأخاء الشامل الجامع مع ظهور المسيح مرة أخرى " بين هؤلاء الرجال الوحيدون هذا الاسلوب المستخدم فى تمثيل الصدق الروحى كان فى " اخوان كارامازوف " لدوستوفسكى حيث قدم نصيحته الخاصة " على الأرض لا يوجد سوى شخص واحد جميل ، المسيح " ولذلك فانه يتضمن شخص المسيح من ضمن اشخاص القصة فاسطوره " المحقق العظيم " وشهادة الدر زوزيما"

كان المقصود بهما تكوين وحدة متجانسة فهما أوقع صورة لتوضيح روح الثورة والتى كان يعتبرها سببا لأزمة المدينة الحديثه . كان ذلك موجها للمعاصرين ليدركوا أن الجنة التى يسعون اليها موجوده فعلا بداخلهم اذا استطاعوا فقط أن يفتحوا قلوبهم للحب المقدس المجسد بصورة كاملة فى شخص المسيح على الرغم من تأكده من عدم فائدة هذا النداء الا أن ذلك العمل يعتبر فى عصرنا هذا من اكبر أعمال الأدب المسيحى والباب الخاص " بالمحقق العظيم " اقوى وأنجح وصف للمسيح باستثناء الإنجيل حتى أنهم وجدوا مبررات قويه بان هذه القصه تصلح لأن تكون إضافه للمسيحية .

لقد وجد دوستوفسكى السر الذى يستطيع أن يقدم به شخصية المسيح باسلوب مقنع داخل إطار الصراع لهذه الروايه كان يرسم صوره غير مباشرة للمسيح فهو المنقذ الهادىء الذى يأتى الى الحشد المجتمع فى سيفيل القرن السادس عشر ثم يواجه المحقق فى غرفه الاستجواب الخاصة . نستطيع أن ندركه بسرعه من خلال قوه ردود فعله وخاصة من خلال الكاردينال الحكيم حين يقول " هل أنت هو " وعندما لا يتلقى ردا يقول " لا تجب ، ابقى صامتا ، مالا تستطيع قوله اعرفه جيدا ..." ولا يجيب المسيح بشئ كل شئ أصبح واضحا فالمحقق يوضح سعه أفقه فهو يدرك الان إن كل ما يقوم به لخدمه الانسانيه مجرد اكاذيب ، أو انقضاض على قلب الوقار الانسانى أنه لا يتأثر من ذلك البأس الشديد لمجرد اهتمام عاطفى للانسانيه المعذبه الشئ الوحيد الواضح هو احتقاره للطبيعه البشرية يصبح الان الموقف واضحا للطرفين " لماذا تنظر الى بصمت وترقب بهذه الأعين الضعيفه ؟ لماذا لا تثور على ؟ فانا لاأريد حبك لاننى أنا الآخر لا أحبك وما فائدة اخفاء تلك الحقيقه عنك وأخيرا يكشف المحقق نفسه " نحن لا نعمل معك ولكننا نعمل معه وهذا هو سرنا " إن الشيطان الذى إختبر المسيح هو نفسه الذى يتعاون معه المحقق . إن اليشع يظن أن السر فى ذلك عدم ايمانه على الاطلاق بالله هنا يظهر التضاد بين العقلانية المتغيره للكاردينال والثبات البسيط للمسيح . حيث يوضح المسيح عن طريق افعاله أنه الوحيد الذى يستطيع

أن يحب فعلا الانسانيه . الصبر اللانهائى المقدس وهو أساس الحرية البشرية يمتد حتى بالنسبة للهجوم على عملية الخلق التى قام بها الله . هذا الحب الممنوح للاشخاص حتى وهم غارقين فى الخطيئة ، أى شىء يقل عن هذا العطاء يعتبر تجريح للرب ومصادمه مع الكرامه الانسانيه . فى الاعماق الداخلية للانسان البشرى توجد نزعات دفاعيه عن الحرية البشرية ، وذلك الحب المقدس هو الذى يعانى من نتائج هذه الحرية . المسيح هو الرجل الذى أصبح اله والذى عانى على يد مخلوقات الله الحرة إن الشر الناتج عن الحرية البشرية لا يمكن التغلب عليه بواسطة الدمار المانع للطبيعه البشرية يجب أن نعذب بواستطها حتى نصل الى حاله الندم فى نفس الوقت انتصار الحب على الكراهية الذى تعبر به هذه التضحية هى الافتداء المؤكد للطبيعه البشريه من خلال الاندماج الداخلى لجميع الاشياء تؤثر المعاناة الرمزية على عمليه التغيير الخارجى للعالم . كل هذه النتائج واكثر منها يمكن أن نستنتجه من شهادة المسيح الصامته أمام المحقق.

إن الهدوء العجيب للمسيح يعتبر قوه اكبر من قوه احتمال هذا المحقق أنه معتاد على النقدوعلى الشكاوى ويرحب بكل فرصه تجعله يستعرض قدرته على جميع المعترضات ولكن أمام هذا المنقد أصبح هو بدون أى قوة حقيقة الكره الشيطان وانغلاقه عن الحقيقة تخرج من شفتيه ففى وجود الله المحب فى صورة المسيح ادانته الكاذبه لكل ما هو انسانى اصبح بلا فائده إن جهنم هذه الرغبة فى السيطرة لا يمكن أن تكون اكثر وضوحا ويصل الى ما لايطيق عندما " يقترب المسيح من هذا الرجل العجوز بهدوء وسكون ويقبل شفتيه الباردتان وكانت هذه هى كل إجابته " ثم يقول ايفان إن المحقق العجوز إرتعد واشار الى الباب آمرا هذا السجين بالا يعود مره أخرى على الإطلاق أنه لا يزال يصر على فكرته لانه لا يستطيع أن يتوقع إن هذه القبله ستؤثر على القلب القاسى للأبد الا بعد أن يصل نورها الى قلبه " من العجيب أن المؤلف نفسه لم يكن متآكدا أن القراء سيفهمون مقصده شعر أنه يحتاج الرد على المحقق وإيفان بالفصل الطويل " الراهب الروسى " وهى تتكون من الجزء

الأخير من " زوسيما العجوز" والتى تعتبر من تجارب دوستوفسكى فى تصوير شخص " كامل الجمال " وهى توضح الشخصيه المسيحية من وجهه نظر دوستوفسكى . هذا العجوز منشغلا " بفكرة توضيح المعنى التجريبى لحياته الروحية هذا هو رد الفعل لتمرد إيفان وعقلانيه المحقق لم يبذل أى مجهود لاحباطهم منطقيا زوسيما لا يسعى لتقديم دفاع نظرى عن المسيحية حتى يحدث تأثيرا مماثلا لتجربة المسيح على سامعيه لهذا السبب يجب أن ننظر إلى كتابه دوستوفسكى من حيث المسيحية المحدده دون النظر إلى الجانب التجريبى بها . اذا كان لدينا استعدادا لقراءتها من هذا المنطلق نجد أن التأملات الغير متماسكه والمتناثره تؤدى المعنى المطلوب اذا نظرنا اليها سطحيا تبدو عاطفية وغير مؤثره خاصة إذا قورنت بمنطلق التمرد الذى يسبقها ولكن قوتها تكمن فى احداث تجربه مماثله داخل القارئ نفسه . إن الطبيعيه الصوفيه المسيحية فى قلب العجوز ونفسيته تقدم كتجربه. فهو يحثنا دائما للمشاركة لادارك ذلك وتأثيرها يتضح اكثر من المشهد التالى مع اليشع الذى لا يستطيع أن يفهم الا إذا مر بنفس التجربة .

يبدأ سوزيما باسترجاع التجربتين الكبيرتين اللتان وضحنا له الطبيعه الصادقة للحقيقة أول هذه التجارب وفاه اخاه الصغير الذى استطاع فى خلال عده اسابيع من المرض أن يصل الى تغلغل روحانى علوى للجنه التى نعيش فيها وما علينا إلا محاوله اكتشافها داخل انفسنا والتجربة هى تحول زوسيما من ضابط مغرور قاسى الى راهب لطيف متواضع . كان قد أعد نفسه لمبارزة مع غريمه من أجل التنافس على حب امرزة شابه قبل المبارزة غضب زوسيما بشده ضد الجندى الملحق بخدمته وضربه على رأسه بوحشيه حتى سال دمه ثم أدرك ما فعل ورأى ما آلت اليه نفسه وفهم طلب أخوه له للمغفره " الحقيقة اننى مسؤولا اكثر من أى أحد واقترفت خطايا اكثر من أى رجل آخر فى العالم. فى المبارزة سمح لغريمه باطلاق الرصاصه الأولى ثم طلب منه العفو واستقال من منصبه وقرر الانضمام الى الدير. يتبع هذا مشهد ثالث لتحويله جاء رجل غريب الى الراهب ليعترف بجريمة إقترفها منذ

فترة طويله ولم يعترف بها على الاطلاق بعد أن رأى ما فعله زوسيما استطاع أن يعلن عن الجريمة البشعه التى اخفاها عن الجميع كل هذه السنوات لقد استطاع هو الآخر أن يفهم " أن السماء داخل كل منا ولو أردنا لظهرت لنا " أن الطريق لإكتشافها هو تجربة الصليب الذى نقتل فيها نفسنا القديمة ونولد من جديد " ويذكره زوسيما " إن حبة القمح تموت وتسقط على الأرض وتبقى وحيده ثم تعطى ثمارا كثيرة .

على اساس هذه التجربة يستنتج زوسيما " أنه من خلال هؤلاء الرهبان الضعفاء الذين يصلون بمفردهم يمكن أن نحقق الخلاص لروسيا ربما مرة أخرى هم الذين يحتفظون داخل نفوسهم بالصورة النقيــه للمسيح " عندما يأتى الوقت المناسب سيجعلون العالم كله يرى هذه الصورة "

سوف يوضحون إن الأخاء والعدل الذى يبحث عنه بشغف العالم الحديث الان لا يمكن تحقيقهما الا عن طريق المسيح . فى مشهد يذكرنا " بالمحقق العظيم " يقول زوسيما " أنهم يسعون الى العدل ولكن مع إنكارهم للمسيح يجعلون العالم يسبح فى الدماء حيث أن الدماء تتعطش لمزيد منها وذلك الذى يسمك بالسيف سيقتل بالسيف هو الآخر ."

لكن " العجوز" تهتم اكثر بتوضيح الحقيقة عن الاتجاه النقدى لها . فهو لا ينافش وضع المحقق ولكنه يحاول أن يستخلص من خلاله الأخاء الشامل والحب كمرشد للطريق الداخلى الوحيد المؤدى الى الهدف الانسانى الاسمى بدلا من الرضوخ لنزعات التمرد عند رؤيه الشر " العجوز" يسعى الى الحب " إذا فكرنا قليلا سوف نقف مكتوفى الايدى لخطيئه الانسان ونتعجب هل يجب أن نستخدم القوة أو الحب . لا تقرر الا أن تستخدم الحب المتواضع اذا قررت ذلك تستطيع أن تخضع العالم أجمع هذا رجاء يبدو أن يكون موجها الى ايفان " لا تجعل خطيئه الانسان تؤثر على افعالك " يجب أن تدرك أننا جميعا مسؤولين عن خطيئته واننا جميعا نحتاج الى العفو الشامل بدلا من الاحساس بالانتقام حاول أن تخفف آلام المعذبون ، حتى لو كنا دون خطايا فاننا متهمون لاننا لم نستطيع أن نكون بمثابه نور

لهم ونبعد هذا الشر من طبيعتهم إن غرورنا قد يقودنا بسهول الى " الثرثرة ضد الله " يمكن أن نتصور أننا نقوم بعمل جليل لمجرد حكمنا على أفعال الآخرين . يجب أن نمنع انفسنا عن ذلك " على هذه الأرض نحن ضائعون مبعثرون فى كل أرجاءها اذا لم نحتفظ بالصورة الغاليه للمسيح أمام أعيننا سوف نضل الطريق كما كان حال البشرية قبل الفيضان " إذا طلبنا المغفره من جميع البشر واذا استطعنا أن نسامح كل من أخطأ فى حقنا سوف نكون بذلك نقلد المسيح فى إفتدائه التخليصى للبشرية ولكن من وجهه نظر شيخ الكنيسة يجب أن نعفو حتى " نرى مره واحده إن ذلك هو الحق " إذا استجبنا الى نداء المسيح للعفو المتواضع ستولد حقيقه جديده بداخلنا ستحدث معجزة التغيير الكامل وسوف نرى على ضوءها أننا نعيش فى عالم مرتبط بغموض بمناطق سماويه عليا إن المتعه فى الحب الذى يعانى يشع بنوره الى الخارج ويؤدى الى طبيعه صوفيه. يقترح زوسيما اننا يجب أن نطلب حتى من الطيور أن تسامحنا قد يبدو هذا غير منطقى ولكنه صدق اذا كانت نظرتنا عميقه ويقول زوسيما " كل شيء مثل المحيط الذى ينساب وينقلب اذا لمسنا هذا المحيط فى أى موقع ستتولد حركة فى النهاية المقابله لهذا الموقع على الأرض.» اذا فعلنا الخير لا يمكن أن يتبخر دون أى اثر الحقيقة إن أثر هذا الخير يضاف إلى عمليه التغيير الشامل التى تؤثر بالتالى على جميع الاشياء : لكن هذه الحقيقه لم تتضح الا لهؤلاء الذين مارسوها فعلا هم الذين يذركون حقيقة كلمات زوسيما وهم كذلك الذين يحتفظون بداخلهم بالحقيقة الحية التى تنبثق منها تعاليمه. وسيفهمون نداءه الاخير " يجب أن تحب القاء نفسك على الأرض وتقبلها ، قبلها بحب دائم لا ينتهى ولا يستهلك. آحب جميع البشر ، أحب كل شيء ابحث عن الصوفيه أمطر الأرض بدموع الفرح وأحب هذه الدموع ولا تخجل من هذا الانجذاب الصوفى قدرها على حق، انها هديه من الله وهديه عظيمة لا يعطيها الله لكثيرين ولكن لايعطيها لا للمختارين فقط .

يجب أن نضع هذا الهدف أمام أعيننا عند قراءه " الراهب الروسى " فمن خلال هذه اللغه

الانجيليه الورعه التى يستخدمها نجوم القرن التاسع عشر يحاول زوسيما أن يجذب اليشع والاخرين الى نفس الخضوع الغير متحفظ للحب سوف يفتحوا قلوبهم ليستقبلوا الغبطه التى تخفى السر الوحيد للكائنات جميعا وانسياقهم فى الخدمة البشرية سوف تصل الى مستويات أعمق .

هذا المنهج ليس لاهوتيا لا بطبيعته أو نواياه ولكنه وسيله لنقل شئ عن التجربة الصوفية ومن هذا المنطلق يمكن أن يتشابه مع الجدال الافلاطونى أو الكتاب المقدس إن بناءه يتحول من مستوى التجربة العادية للشر للتجربة الغير عاديه للتضحية بالنفس كالاسلوب الوحيد للتغلب عليها وخلق هذه الحركة هناك شخص « الواحد » بحبه الغير مشروط الذى وصل الى حد الإفتداء... هذا لا يوضح المعنى الكامل للمسيح ولكنها محاولة لتوضيح شيئا من تجربته. ومنهج زوسيما مثال ذكى لكيفيه تداول اساسيات التجربة المسيحية دون الخوض فى الكهنوتيه ونفس الشيء يمكن قوله فى الاستمرارية فى حياة تلميذه اليشع الذى يبدأ تطوره بعد وفاة كبير الكنيسة يستطيع اليشع أن يمر بازمته الخاصة بالروح عندما يبدأ جسد مدرسه الحبيب التعفن. ولم تحدث معجزة لحفظ جسد زوسيما من التعفن الأخ كارامازوف الصغير يخرج عن الدير متأثرا بتنكر " العدل الاكبر " للواحد الذى اعجب به بعد أن تاه وسط الآخرين عاد متآخرا فى الليل ليركع فى خشوع بجانب لتابوت يغوص فى نوم عميق يحلم أنه فى حفل زفاف ويرى إنسان مألوف يتحرك فى اتجاهه أنه الاب زوسيما يدعوه الكبير للانضمام لهذا الاحتفال حيث الجميع يشربون نخب السعاده الكبيره كان ذلك الهدف من المعجزة ، سبب مجيء المسيح بيننا " لقد جائنا فى صوره مماثله لنا من شده حبه لنا أنه يحول الماء الى خمر حتى لا يقلل من بهجة الضيوف الحاضريين بدأ اليشع يشعر بالسعاده والنشوه ومد يديه ليلمس " الكبير " لكنه استيقظ من النوم ليجد نفسه حيثما كان .

لقد وقف على ارجله وترك الزنزانه .خرج الى الهواء المفتوح حيث السماء المفتوحة والطبيعه الجميله والقبب المضيئه للكاتدرائيه .

" أن سكون الأرض أخذ يذوب وسط سكون السماء إتحدث اسرار الأرض مع اسرار النجوم وقف اليشع ودقق النظر وإرتمى على الأرض لم يعرف لماذا احتضنها ولم يعرف سبب لهفته على تقبليها قبل الارض وبكى وروت دموعه الأرض لقد كان مشتاقا لحبها الى الابد " اسقى الأرض بدموع فرحتك واحب هذه الدموع ."

لقد جرب الاتصال الصوفى مع عالم آخر حيث تكلم اليه الكبير وطلب منه " أن يغفر للجميع كل شىء وأن يطلب منهم الغفران له عندما أخذ يتأمل ذلك فيما بعد قال " لقد زار أحد روحى فى هذه الساعه . كان ذلك الشىء صلبا لا يهتز " لقد اخترق روحه وحياته وغيرها الى الابد .

لا نستطيع أن نقول اكثر من تلك الحقيقة أن التغيير الكلى للانسان هى عمل النعمه الالهيه المقدسة بداخله .

عندما تتمكن هذه التجربة من الانسان جميع الاعتبارات الأخرى تصبح بلا قيمة

هذه الحقيقة الحيه التى " اذا حصلت عليها واذا أدركت أنها الحقيقة، فلا تجد أى حقيقه غيرها سواء كنت نائما أو مستيقظا لن تستطيع أن تستقبل أى معلومه أو جدال آخر لأنك الآن ترى جميع الأشياء بصوره مختلفة لهذا السبب لم يستطع دوستوفسكى الاجابه مباشرة على اعتراضات ايفان فى " المتمرد" أو على نقد " المحقق" لايستطيع ذلك لأن العذاب وسوء استخدام حريه الانسان يبقيان على وضعهما . الفرق الوحيد هو اننا مستعدون أن نقبل غموض الحقيقه التى تحدث من خلالها هذه الاشياء ونلاحظ إن هذه ليست الاعتبارات الوحيدة فلا يستطيع البشر أن يحكموا على نظام العالم أجمع كما إن هناك احساس بالصدق والحق اقوى من احساسنا بالظلم والتمرد . على هذا المستوى من التفكير يمكن أن نسوى مثل هذه التفاهات ولكننا لأزلنا لا نمتلك وسيلة التسويه ولكننا نستطيعت أن نثق فى نظام الله الذى يمتد حبه ويستطيع أن يتحمل هموم الكائنات الحيه على عاتقه عندما ندرك أن ذلك هوالحب المتواضع القادر على خلق النظام وأن السير فى الطريق العكسى يعقد المشكلة تصل بذلك شكوانا الى مستوى يمكن التحكم فيه. بالنسبة

الا ليشع لم يتغير شيئا به من الخارج ولكن بداخلة " حدث تغيير قوى ومتين فقد قفز الى السماء وحدث هذا التغيير فى نفسه فى المواجهه بين " الرجل الرب؛ و " الرب الرجل " تذوب الحاله الأولى الشخصية المصطنعه لعظمة وجلال الانسانيه تأخذ وضعها عندما يتعرض المسيح لما تعرض له . هذه الخيالات مجرد أوهام الروح المحمومه فحقيقه حب الله الموجوده فى المسيح الذى يقدم نفسه من اجلنا هى النصر التخليصى على الشر وأمام هذه العظمه يختفى أى شئ آخر مجهوداتنا للتحويل الذاتى المستقل لايستطيع ان يثمر شيئا اذا قورن بحقيقه الحب المقدس الذائب فى أرواحنا . إن حركة الطبيعه الانسانية تجاه الله لاتستطيع أن نتحقق الا إذا كان الله معنا منذ البدايه حتى الدوافع التى تحثنا الى البحث عن الله لن تتواجد الا إذا كان الله قد حركها إن قدسية الطبيعه البشريه هى عمل الله بالكامل حيث ان الحقيقه القدسيه الساميه بدون شك خارج نطاق قدراتنا أو إرادتنا . يجب أن نؤكد إن تلك الأمور ليست مفاهيم عقليه عن الحق .لقد اصبحت حقائق مجربه المحاولات المستميته للوصول الى القدسيه عن طريق الانسان ذاته وهذا البحر من الأحزان البشريه لم تثبت غير شئ واحد أساسى ذلك هو استحاله أن يصبح الإنسان اله .

أما تلك النفوس المنغلقه على نفسها باسلوب مطلق هناك بادره أمل لحصولها على النعمه الالهيه . هذا معنى الأزمه والصراع الذى يمر به شخصيات دوستوفسكى .، ففى لحظات اليأس والفراغ النفسى تتفتح قلوبهم ليستقبلوا حب الله ففى قاع جهنم مازالوا يسمعون « الصوت الضعيف » الذى ينادى كل منهم باسمه .هذه هى حقيقه الحياه التى نصل اليها عن طريق الموت ، تلك هى حكمه الصليب التى جربها دوستوفسكى فى حياته . فى هذه الحاله فقط يمكن أن ندرك مدى مشاركه الله للمصيرالانسانى « ياالله لماذا تخليت عنى » تلك كانت صرخه المسيح على الصليب لقد سكب كل ما بداخله وجرب مثل الانسان تفريغ قدسيته نفسها . مثل الرجال والنساء فى العصر الحديث وفى كل العصور فقد الاحساس بوجود الله لقد تخلى الله عنه . إن حب الله كان كاملاً بحيث لم يمت فقط من

أجلنا ولكنه عانى حتى وصل الى معرفه أقصى لحظات اليأس التى يصل اليها البشر وعندما نصل الى هذه النقطه نجد الأمل فى تضحية المسيح منتظرة هناك ليحتضننا كما يوضح المهاجر مكار دولجوروكى » هذا هو حال الدنيا كل نفس تجرب هذا الوضع بحيث تختبر ثم تعزى .

اذا ادركناأن جميع البشر يمرون بذلك « هذا هو قانون الأرض » فيصلون الى الحكمه عن طريق المعاناه ، النمو الروحى عن طريق انكار الذات سنصل الى درجه كبيره من الرضا لتحمل التزاماتنا بدلا من الثورة والغرور الذى كان يتملكنا .

ليس لدينا حاجه الآن للتأكيد الذاتى الذى يتطلب معنى وهدفاً من الحياة الآن لايوجد الا الانسانيه التى لاتطلب شيئاً من الحياه ولكنها تسأل عما تريده الحياه منها يسجل فيكتور فرانكل هذا التغيير الجذرى الذى حدث لبعض زملائه المسجونين فى المعسكر الملئ بالنازيين لقد توقفوا عن الشكوى من هذا المصير وتقبلوا الوضع كما هو وبعد قبولهم لهذا الوضع اكتشفوا النعمه الالهيه للحب الذى يحول من الظلام والاسى الى غبطه وسعاده « لقد اصبحت المعاناه مهمه ولانريد أن نعطيها ظهرنا ونتناساها » من خلال النعمه الالهيه اكتشفوا مشاركه الله فى هذا العناء البشرى دون ان يذكر ذلك ، أنها حقيقه المشاركه ، الصداقة والحب بين الله والبشريه وهى تتضح بجلاء من المسيح .

إن ادراك وحدتنا مع المسيح كحقيقه واقعيه حيه ليست مجرد افتراضات تجريديه تؤدى الى امكانيه صعودنا بلا أى شرط الى غموض العمليه التى نجد انفسنا من خلالها . إنها الرغبه لتأكيدهذا الحب الذى أدى من البداية الى تحريك التمرد ضد الظلم فى المصير البشرى. إن الرغبه للاندماج مع الحقيقه المقدسة الساميه ظهرت بداخلنا مع ظهور المسيح . جميع التوقعات التى شكلت اتجاهاتنا وحكمنا على الحقيقه دمغت بهذا النبضه الصوفيه . الا أننا قد نندم لاختفاء الاتزان المتماسك الذى يؤدى الى الثقة فى قانون آلهه هذا الكون الذى لم يعد متاحاً لنا الآن ، هذه الفوضى التى نراها حولنا مصدرها الوحيد توقع ظهور

المسيح . الآن يتضح أن التغيير الشامل والاندماج فى حياه الله السامى لايمكن تحقيقها باى اسلوب آخر اذا لم تتحقق هذه الرغبه من خلال الله فانها ببساطه لن تحقق هذا الهدف إلا عن طريق القدره الفائقة للاراده وحتى مع جميع الظروف المدمره يمكن تطبيق هذا الاسلوب. إن هذه الاراده تصل الى الدرجة القصوى من اليأس حتى تستطيع أن تجد ضالتها. إن الحب المقدس الغير محدود هو الذى يستطيع أن يشبع هذه الرغبه فى قلوبنا عن طريق وجود الله بكل هذا الكمال فى شخص المسيح .

إن اعاده اكتشاف هذه الحقيقه الابديه لاتستطيع أن تخلق وحدها النظام الحديث انها تقدم فقط البؤرة المنيره لهذا النظام مازلنا نحتاج ان نظهر كيف يستطيع هذا الإساس أن يتحمل نظام الوجود البشرى فى المجتمع والتاريخ ويجب أن نعترف إن المسيحيين لم ينجحوا كلية فى تحقيق ذلك فى العصر الحديث. إن الثورة الدنيويه المسيحيه لاتعتبر السبب الوحيد لهذا الكابوس المعاصر يجب ان يحدد مستوى المسؤوليه لهؤلاء الذى يحملون على عاتقهم اسلوب الفلسفه المسيحيه ، إن عدم قدرتهم على توضيح كيفيه اندماج الله فى شخص المسيح الذى يفتح الطريق أمام اكتمال الحياه البشريه ، وكيف اننا لانستطيع ان نصل الى النظام الا عن طريق المسيح ، تلك الاشياء لاتمثل سوى جزء من هذه المشكله لأن هذه النقاط ترتبط بنقص تاريخى فى الرموز المسيحيه واتضح ذلك من مفهوم أوجستين فى العصر الحديث كيف يرتبط التغيير الذى حدث ما قبل التاريخ مع التغيير الذى حدث اثناءه؟ ماهى العلاقه بين الصراع الانسانى من أجل التقدم وبين تقدمنا اللانهائى ؟ ماهى العلامات المسيحيه المميزه لاعمال الرجال والنساء خلال الزمن ؟

هذه هى المشاكل التى نواجهها اليوم ولايمكن أن نتجاهلها . إن اعاده اكتشاف حقيقه الفلسفه المسيحيه المختبئه فى نظام الوجود البشرى داخل المجتمع والتاريخ اصبحت من الضروريات الملحه بعد ان صارعت وانتصرت المسيحيه على نقيضتها المعكوسة تستطيع الآن أن تستعيد الاساس القانونى للنظام اذا كان الحل الموجود فعلاً والذى كنا نتبعه رمزاً،

إذن يجب أن يكون قادراً على تمثيل هذه النظره الأشمل هؤلاء الذين يحملون مسؤوليه الفلسفة المسيحيه يجب أن يكونوا قادرين على تضويح تجاربهم التى تؤدى الى ادراكنا الكامل عن حقيقه البشريه . يجب أن يذهبوا الى أبعد من ذلك ويوضحوا مميزات الفلسفه المسيحيه من خلال الحركات التقدميه المعاصره بعد أن مررنا بالفترات الأولى التى حقرت من الحياه الى الفترات الأخرى التى عكست الوضع وبالغت فى توقعات الكمال والتغييرات الدنيويه فإننا نعود مره أخرى الى الوسط بين النقيضين إن المفاهيم الآن افضل من ذى قبل للوصول الى حاله اتزان للوجود البشرى إن امكانيات التقدم العصرى موجوده ولايمكن تجاهلها كما اننا شفينا من أحلام المسيحيه الدنيويه . أكثر من أى وقت مضى خلال الخمسه قرون السابقه هناك استعداداً كبيراً لقبول الغموض الصوفى بصراعاته بين عملية التغيير التى تتحقق أثناء الحياه وما تحققه بعد الحياه إن نعمه الآمال الغير وهميه واضحه فى اتجاهات مفكرى ما بعد العصر الحديث .

إنهم مثل الكنيسه التى تعرف نفسها بهذه الحاله المهاجره بين عالمين فان هؤلاء المفكرين يظلون متأكدين أن القانون الذى اكتشفوه داخل نفوسهم يجب أن يحدد الحياه البشريه فى المجتمع والتاريخ لكنهم لايستطيعون تحقيق الرؤيه الأخيره من خلال هذا الفكر . من منطلق هذه الرؤية الوجوديه للنظام نحاول أن نعود مره أخرى الى الحقيقة .

# الفصل الخامس

# الفصل الخامس

# إحياء النظام

كما رأينا من قبل فان المسيحية هى المصدر الرئيسى للتوقعات الصوفية فى يومنا هذا وهى الوسيلة الرئيسية كذلك لتحليل هذه التوقعات. تماما مثل عدم امكانيات تحقيق التغيير الكامل بدون ظهور المسيح وعدم امكانيه تحقيق الكمال العلوى الا بالتفتح تجاه الكمال القدسى للمسيح لا يمكن أن ننكر هذه التجربه أو نشوهها من خلال التودد للمنطق. اذا جربنا مره واحده التحرك تجاه الصوفيه القدسيه لن يرضى رجلا أو سيده بأى بديل آخر ولن يستطيعوا أن يعيشوا فى هذا الإطار المحدود للكون. إن الحياه تحت هذه الظروف لا يمكن احتمالها وكثيرا من مراره التمرد العصرى منبثقه من ادارك هذه الحقيقة إن آلام وتفاهه الحياه الحديثه فى عالم تم تقديسه تنبثق من هذا الموقف.

إن يأس العدميه المعاصرة هى الحاله التى تصل اليها الروح المسيحيه بدون وجود إله بها. البشر فى العصر الحديث لا يستطعون أن يكتشفوا السر المحدد لهذا العالم الملئ بالالهه.

إن ادراك الحب الالهى الغير محدود هو الطريق الوحيد الذى يمكن أن يعيننا على مشاكل واعباء الوجود الانسانى ويعيد ثقتنا فى النظام الغامض للأشياء. ذلك لايعنى أن المعنى المنطقى لكل شئ إتضح فجأه أمام أعيننا فاننا لازلنا ننظر من وراء زجاج قاتم ومع ذلك نحن الآن لدينا يقين اكثر من ذى قبل عن الخير المطلق. اذا كان تجسد الله بصوره كامله فى شخص المسيح قد أصبح حقيقه قائمه، فان تلك الحقيقه يجب أن تصل الى جميع البشر على الاطلاق. إن التقلبات فى حياتنا على هذه الأرض لاتستطيع أن يكون لها الكلمه الأخيره حيث انها توضح عدم حقيقتها فى النصر التخلصى المكتسب عن طريق المعاناه الصوفيه. اذا خضعنا بكامل إرادتنا للمآسى التى تلقى على عاتقنا فاننا نسمح لتجاربنا بالاندماج مع الانتصار المسيحى الافتدائى الآخير وهو على الصليب. إننا نجرب

الحياة بالاشتراك فى قدسيه الله الذى أفرغ نفسه لكى يشارك مشاركه كاملة فى بشريتنا. اننا نرفض نصائح هؤلاء الذين ينظرون الى المسيحيه كجذور للمسيحيه السياسيه فقط. انا لاأخفض من القيمه التحزيريه لنقدهم ولكننى فقط اكون نتيجه مخالفه لما وصلوا اليه وأؤيد جدالى بالاتجاه المسيحى الذى يشير اليه هؤلاء الناقدين لقد رأينا من قبل كاموس لم يسع الى تأييد المسيحيه ولكنه اقترب منها رويدا رويدا فى اطار تجربته الخاصه وبنفس الاسلوب أشار ليوستراس أن الدين المكتشف ظاهرة خطيره يجب أن تعدل بالرجوع الى قواعد الفلسفه السياسيه الكلاسيكيه إنه يرى "معارضه رئيسيه" بين علم افلاطون عن الحقيقه مع توغله الى مفهوم النظام الأمثل والايمان النبوى بأن «سلوك الرجال تجاه بعضهم قد يطرأ عليه تغييرا جذرياً اكثر مما حلم به أفلاطون نفسه» كما إن ستراس يوضح كذلك إنه متعاطف اكثر مع الإغريق. انه ينظر الى فائده الدين فهو ضرورى للبشر الغير قادرين على فهم الفلسفه كما لو كان فى خطر الاضطهاد من هذا العالم الذى لايطاق انه يركز بصفه مطلقه على النتائج السلبيه للدين دون أى اعترف عن أهميته كقوه دافعه للنظام فى المجتمع لم يفطن ستراس أن النكبة والكارثه الغير معروفه النتائج التى نتعامل معها الآن لايمكن أن نصل الى حل لها بأساليب الفلسفه الإغريقيه وحكمها التى لم تفترص على الاطلاق امكانيه مثل هذا التمرد الجذرى حتى مفكر مثل اريك فوجلين الذى يؤكد الاختلافات المسيحيه لايجعلها اساسيه فى صراعه مع الفوض المعاصرة. فهو ايضا يرى فى الفلسفه الإغريقيه خاصة «الافلاطونية» عناصر التوازن، الحدود، الكمال الذى تنقصه المسيحيه فى تعاملها مع الحركات الصوفيه. يمكن أن نستنتج بسهوله من المناقشات التى يجريها لتأثير المسيحيه على الاستقرار بانها منافشات سلبيه من حيث تقيمها للرموز. ولكن إذا أضفنا اليها النقص العام للتأييد الايجابى للمسيحيه فى السنوات السابقه لانستطيع أ نهرب من استنتاج فوجلين الذى لم يتصور دور سياسى إيجابى للالهام فى العام المعاصر لكن هذا الاستنتاج قد يكون مبالغا فيه إن الاستنتاج الأصح أن فوجلين ترك البعد المسيحى لأفكاره فى مرحله غير كامله التكوين. لم يدع انه بنى نظام معين وكان

سعيدا وراضيا بترك المشاكل دون أن يحلها باسلوب كامل ولكن المهم فى هذا الموضوع أن فكر فوچلين مثل فكر كل من كاموس وستراس يشير بقوه الى الصدق المسيحى كنتيجه حتميه منطقيه.

قبل أن نوضح ذلك يجب أن نقر بأن التحفظات ضد المسيحيه ليست مجرد انهيار للنظام اليهودى المسيحى الذى صادف الأزمه الحديثه. كانت هناك مشكله فى المسيحيه منذ البداية جعلتها عرضه للتشويش اثناء البحث عن عمليه التحويل الدنيوى للوجود. هذا العنصر الناقص هو الرمز الصوفى. ليس لديها الا القليل عن مشاكل النظام تحت ظروف البقاء الدائم فى العام. حتى عندما توائم المسيح مع عدم تحقيق(باروسيا) وقبل منطق اوجستين عن الالفيه كالزمن المؤدى الى الحاضر، لم يعط سوى اهتماما ضئيلا للانجازات المعاصره للبشريه التى حدثت مع مرور الزمن. باختصار كانت هناك مشكله التوزان داخل المسيحيه نفسها وهذا يتضح من الاتجاهات الراديكاليه المنشقه للحركات الايدولوچيه الحديثه. المسيحية يجب أن يضاف اليها الرمزيه التى تنظم حياة الأفراد والوجود الجتماعى خلال الزمن. لو ارادت أن تكتسب الاتزان الروحى للنظام. هذه الرمزيه هى الفلسفه.

اذا كان هذا الاستنتاج حقيقيا فان المسيحيه تمنح اكبر أمل فى إستعادة النظام الشخص والسياس والتاريخى فى الحاضر، كما انها يجب أن تقوى آساس النظام الفلسفى. إن المسيحيه مرتبطه ومتناسقه مع النظام الكلاسيكى كما أنها تقوى وتدفع البحث عن الفضيله باسلوب لاتستطيع أن تنجزه الفلسفه نفسها مثل هذا الاقتراح قد يثير الجدال ويذكرنا بالتوتر الشديد بين المنطق والإيحاء. باستخدام تركيب "أكوينا" عن الطبيعه المثاليه بالنعمه الإلهيه، الى هيجل والالهام فى حدود التعقل، كل هذه الموضوعات قد قتلت بحثا فى تاريخ الفكرى للغرب وليست مهمتنا الأن استعراض مثل هذه الخلفيات لانها لاتخص دراستنا إن تركيزنا فى هذه الدراسه على عمليه التنفيس التجريبى من خلال المدنيه المعاصرة. سنحدد نقاشنا فى مجال الحركه التجربيه للمفكرين فى العصر الذى يلى العصر

الحديث سنجد فى هذا الباب أن حقيقه ألهام المسيح هى اهم اساس من آجل تجديد نظام آخلاقى وسياسى فى المدنيه المعاصرة. نبدأ بمناقشه العلاقات الضروريه ثم نختبر بناء النظام الذى يسفر عنها .

## أساس السمو

### الحركه التجربيه لحقيقة السمو

إن أصعب العناصر اللازمه لأسس الاخلاقيات كما لاحظنا فى الباب الأول الإحساس بالصواب المطلق الذى يدعمها. مهما كانت قدرتنا على الإقناع سواء كانت مبنيه على "الغائيه" أو "البديهيه" أو "القانون الطبيعى" لأنها تبقى غير مؤثره حتى نجيب على السؤال التالى «لماذا يجب أن اعتبر هذه المبادئ صحيحه ؟» إن الجدال يؤدى الى هذا السؤال لأنه يعيدنا دائما الى مشكله تبرير اختيارنا لنقطه البدايه . إن الحركات الايدولوجية للمجموعات يمكن أن تعتبر من وجهه نظر معينه تعبير عن اليأس ، أو الميل العاطفى للتمسك بأئ شئ اكبر من أنفسنا حتى نبرر أفعالنا بمنطق من الحقيقه والاسباب . لقد فهم نيتز إن الانسان يفضل أن يتمنى «لا شئ» ، أفضل عنده من الايتمنى . عندما لا نستطيع إيجاد أى اساس للوجود ، سنلقى بأنفسنا الى المطلقات الكاذبة بدلاً من الاعتراف بالفراغ داخل انفسنا . إن الأساس الوهمى افضل لنا من الحياه دون الاحساس بالصواب المطلق . على الرغم من فشل نيتزتن فى بحثه عن حقيقة موثوق بها الا أنه أضاء لنا الطريق اليها إذا لم نستطيع أن نعيد للحياه احساسنا بالصواب السامى فان افعالنا لن تكون أخلاقيه أو مؤثرة لايكفى أن نؤكد صواب مبادئنا الخاصة .

إن مصداقيتها سيشعر بها الأخرين من خلال حركتنا التجريبيه تجاه الحقيقة السامية . لهذا السبب تخلى فوچلين عن اعماله فى مجال تاريخ الافكار السياسية وفضل أن يبحث فى التجارب التى تكمن وراء الاشكال الرمزية . لم يحاول إحياء القانون الطبيعى أو الحق

الكلاسيكى لأن فى مثل هذه التركيبات الجامده لاتوجد الرابطه مع التجربه . بدلاً من ذلك ركز على استعاده التجربه الأولى عن طريق إعادة بناء البنيه الاساسيه للفلسفة الكلاسيكيه .اكتشف أن علم الاخلاق وعلم السياسة الذى اخترعه الإغريق لم يكن مبنياً على اساس اقتراحات مقدمه عن النظام . كانت مغروسة فى أعماق التجربه الحية للروح لتسمح بصعودها الى الخير المقدس « خارج نطاق الوجود وتتفوق عليها فى الوقار والقوه« عندما كان سقراط مضغوماً من أجل تعريفه « بالعدالة » ويأتى آخر ليقدم لطلابه أى سبب يجعلهم يحيدون عنه فكان يحثهم على اتباع « الطريق الأطول والأكثر مشقه » هذه هى بداية مثل الكهف الذى تأوج عند رؤية «الخير» ويلاحظ فوچلين أنه لم يذكر شيئا آخراً عما يدل عليه هذا المعنى . لايمكن أن نعطى تعريفاً محدداً عن « الخير » لأنه حقيقه علوية « إن رؤية الجاثون لاتؤدى الى اسلوب مادى للأخلاق ولكنه يكون الروح من خلال تجربه السمو الروحانى .

إن معيار النظام الصحيح وتكوين الاراده التى تمكننامن تطبيقه ليست نتيجة لسلسه من الاستنتاجات المنطقيه إنها الحركة المحكومه للروح تجاه الحقيقة المقدسة التى ينتشر ضوءها على الوجود كله ويشير ارسطو الى ذلك فى «علم الاخلاق» كأسلوب « للحياه الأبدية » ويركز فوچلين على أهميه هذا المفهوم فى علم الأخلاق. فاذا أردنا أن نفهم المفهوم الكلاسيكى للشئ « الصحيح بطبيعته » . فان علم الاخلاقيات الكلاسيكى لايقدم أى افتراضات أو معادلات عند طرح سؤال عن صحة أو خطأ عمل معين ويدرس الموضوع من حيث تجربه الرجل الناضج الذى يحتفظ بالمعيار الصحيح داخل نفسه المقدسه «آن معيار الوجود الانسانى فى ظل نظام صحيح... هو منقذ حركه كون أى إنها انفتاح الانسان للقداسه. إن الانفتاح بدوره ليس افتراضا لشئ موهوب ولكنه حدث. وكذلك علم الأخلاق فهو ليس جسم من الافتراضات ولكنه حدث للوجود يمد الكلمه بمعنى يدل عليها. انها تجربه اللمس أو المشاركه فى الحقيقه المقدسة التى تعتبر النهاية الوحيده السليمه لكل الوجود. من

خلال هذه الحركه نرفع لأعلى، خارج نطاق انفسنا لنشارك فى هذه الحقيقه العليا التى اذا قورنت بأى شئ آخر تجعله يبدو ضئيلاً أمامها أنها التأكيد التجريبى لأفلاطون «إن الله هو المعيار» وهى المنبع الإغريقى للنظريه الاخلاقيه والسياسيه. لانحتاج الى اى استنتاج آخر عندما نجرب الحق الذى يحتوى على برهانه الخاص بداخله. سؤال نيتزين الذى لا يقهر يختفى الآن أمام الضوء الساطع للخير الذى يشدنا جميعا. هذا هو الغباء فى محاوله إمتداد الاخلاقيات بدعامه استقلاليه عقلانيه. عند الاسراع للاستعانه بالاقتراضات اللاهوتيه والاقتناع بان الاستنتاج وحده سيكون كافيا لتبرير الأعمال الصحيحه فشل فلاسفه العصر الحديث من أول ديكارت ومن بعده فى ادراك بان مثل هذه التكوينات لن تكون ملزمة. يجب أن تتبلور الإراده باسلوب سليم أولاً قبل ن تكون لدينا السلطه الضروريه للحكم السليم على الاستنتاجات إن الاحكام المسبقه لاتنشأ من الجدال نفسه لأنها تعتمد عليه. لكن الحركه التى تؤدى الى المشاركه الأكبر فى الكيان المقدس قد تثمر بالمبررات اللازمه للوصول الى القرار. إن الطبيعه العصريه للجدال الأخلاقى من حيث عدم التكافئ والاطاله المبلغ فيها، تستغيث من أجل الوصول الى تجربه الحق الأعلى تستطيع أن تعتمد عليها لأنهاء عملية الإستفسارات الممله والوصول الى النتائج المرجوة. إن الاستنتاجات التى تهدف الى انهاء الموضوعات تستمر بدون توقف حتى تقابل النهايه من داخلها ليست كمجرد فكرة تجريديه ولكن من نفس طبيعه المنبع والهدف من حيث الصلابه. هذه المعلومه التى نحصل عليها من خلال التجارب لايمكن الوصول اليها بالاستنتاج. إنها مصادمات مع الحقيقه فهى ليست جاهزه وغير متوقعه ولانستطيع الوصول اليها بمعاييرنا المعتاده. فهى تختلف عن الأشياء الماديه الموجوده فى مكان محدد وزمن محدد. إن تجربه الذات الساميه لانستطيع تحقيقها بمجرد الرغبه إنها حقيقه لاتنفتح لنا الامن خلال انفتاحنا الوجودى تجاه تأثيرها الكهنوتى إن الرؤيه الداخليه التى تنبعث من دراسة فوچلين الشامله للتجربة والرموز الكهنوتية تستنتج أن هذه المعلومه لاتتواجد الابالمشاركه الفعاله. هؤلاء الاشخاص الذين وافقوا لأن يشكلوا طبقا للجذب العلوى للروح يستطيعون أن يشعروا

بحركتها بداخلهم كلما زادت رغباتنا لتناغم حياتنا مع صوت الله كلما تأكد وجوده داخل انفسنا

هذا الاسلوب واضح فى تحليل فوچلين عن موسى وتجلى الشجيرة الشائكة. من خلال نشأته أصبح موسى نوعا من البشر يمكن أن يستجيب للنداء المقدس عندما كان يرعى الغنم استرعى انتباهه شجرة صغيره تحترقه وفى هذه اللحظه كان معدا للخوض فى هذه التجربه فى اعماق الذات المقدسه. هذا الوجود المقدس يعرفه بوجوده بالمخاطبه المباشرة لأنه ينادى على موسى باسمه. ثم يعرفه أنه مقدس وبالتالى يحدد المسافه الصحيحه بين الانسان والله وعند هذه النقطه فقط يبدأ الإلهام عن علم الله بالخبايا "لقد رأيت الظلم يقع على شعبى فى مصر" الآن بدأ عمل الله فى التاريخ بالهامه الى موسى.

«عندما سمع موسى صوت الله يعينه خادماً للعبرانيين تحول نفسياً إلى خادم لهم. هذا الأمر لا يرفضه الا الرجل الذى لا يستطيع أن يسمعه أما الرجل الذى يستطيع إن يسمع فلا يستطيع أن يرفض لأنه من الناحيه الوجوديه دخل فى نطاق إراده الله كما دخلت إراده الله الى اعماقه عندما وصل الاحساس بالاراده المقدسه الى حد الالهام الواضح، بدأ العمل التاريخى»

بفتح روحه لاستقبال الأمر المقدس اصبح موسى مستعدا أن يستقبل الهام الله المطلق الذى يؤكد للناس «سأكون بجانبكم». اسم الله الذى كان على موسى أن يخبر شعبه به هو" انا هو أنا». بالاضافه الى صفات الله الواضحه من خلال هذه التجربه هناك عمق مقدس لايمكن الوصول اليه يرمز له بتعريفه لنفسه «أنا» إنها النقطه المحدده للالهام الذى وصل الى موسى عندما كبرت روحه الى درجه المشاركه والتكوين مع الذات المقدسه .

هذه هى التجربه التى مر بها الشعب المختار. منذ بدايه هذه التجربه من روح موس انتشر الضوء الى القبائل العبريه. وجربوها من خلال التحرر من الارتباط النفسى مع مصر.

من خلال اتصالهم مع العلو والسمو «انا هو» استطاعوا أن يجربوا خلاصهم من العالم الاستبدادى المتبلد الذى تركوه خلفهم فى كل مرحله من نضالهم التاريخى هذه هى الحقيقه التى يستطيعون العوده اليها لقياس صدق الاتجاه الذين كانوا مجبرين على التوجه اليه. تلك كانت الروح المجسده فى الوصايا العشر وسفر تثنيه الاشتراع ولكن تفسيرها لم يقتصر على المتطلبات القانونيه التى كانت ظاهره فيها واجبهم فى اتباع الله وتسليم انفسهم بالكامل الى السمو الالهى لم يكن مجرد طاعه للأوامر المقدسه كانت نوع من التجانس والتناغم لروح الرب مكنتهم المشاركه فى الحقيقه المقدسه. تلك هى التجارب التى مر بها الأنبياء كان قانون الله مكتوبا فى قلوبهم. لقد اكدوا اهميه خلق النظام الكهنوتى داخل الأشخاص والمجتمعات تلك كانت ثمار المعرفه والخوف من الله بداخلنا لقد كان ذلك تماثلا مع الحقيقه العلويه المقدسة قادتهم الى الاصرار على حمايه الأرامل والأيتام ، كما يسوق ڤوچلين مثالاً آخر لهذه التجربه مع الفلاسفه الصوفيين الذين يعتبروا مصدر الرموز الإغريقيه للكهنوت عندما وصف بارمنيدس الحقيقه التى مر بها فى تجربته المنيره طبق الكلمه التعجبيه "يكون!" لقد جرب الحقيقه الأخلاقيه الصادقه اذا قارنا أى شئ آخر بها نجد انه غير حقيقى وغير موجود. هذا الاتجاه متماثل لاتجاه موسى بالنسبه للفظ الجلاله «انا هو» لقد وقعت حادثه الهاميه ذات خاصيه مميزة وأصبحت هى الأخرى الدعامه التى بنى عليها مجتمع جديد. أصبح التوجه والمشاركه فى هذه الحقيقه العليا معيارا للفعل الصحيح وكل ما كان يؤدى اليها يعتبر خيرا وكل مايبعد عنها أصبح شرا ان الحياه التى تلزم أن نتبع ونحب هذه الحكمه هى الحياه الحقيقيه. هذه الحكمه نور يشع على جميع الكائنات البشريه. البحث للتناغم مع "هذا المعيار الغير مرئى" أصبح الشغل الشاغل للفلاسفه الصوفيين، الذين يصنعون القوانين، والتراجيديين، وأخيرا الفلاسفه الكلاسيكين سواء كان هؤلاء سقراط أو افلاطون أو ارسطو فقد وصلتنا لغة النظام الأخلاقى والسياسى هذه هى الوسيله التى استخدموها لبلورة الحقيقه النابعه من داخلهم والتى كانت تشدهم إلى الاعماق على عكس الفوضى التى كانت تشدهم الى العالم الخارجى. إن النظام لايمكن أن

ينفصل عن الدعامات الوجوديه ولكن بدون الحركات التجريبية تجاه الوجود المقدس لايمكن أن يتواجد علم للنظام الاخلاقى أو السياسى هذا الاتجاه تؤيده تجاربنا التنفيسيه اليوميه فالاشخاص مثل ماموس وسولزهنز الذين عاشوا فى العدميه لكل المبادئ اكتشفوا حقيقه الخير والشر من خلال تجاربهم الخاصة. بالتجارب مع الانجذاب لموضوع معين والتنافر مع موضوع آخر ادركوا أن نظام الخير والشر يتواجد بشكل مستقل عن جميع أمانينا. لقد اصبحت حقيقه حيث أننا نسعى الى التوائم مع الالتزامات الماديه المفروضه علينا لقد اكتشفنا أن هناك شيئا اكثر من تفاهات الوجود. إن هناك اتجاه لنظام يقودنا الى الحقيقه العلويه.

«الادراك السليم مهما كان مشوشا يتكون من كل حركه تمرد: المفهوم المفاجئ المثير بان هناك شيئا ما فى الانسان يستطيع أن يحدده بنفسه حتى لو كان ذلك مجرد لحظه واحده» ويصفها سولزهنز فى رمز "الصعود" بالابتعاد عن الشر عن طريق تجربه الطهاره عن طريق المعاناة التى خلصته من جميع الأحاسيس بالشر والكره والقلق التى كانت تشده دائما الى اسفل "إن الأحجار تتحرك تحت اقدمنا، اننا نصعد لأعلى..." هذه هى الطريقه الوحيده لوصف الحركه الى أعلى، الى نظام علوى للحقيقه. انه الإيمان الذى قواه وساعده فى السنوات الطويله المضنيه. لقد عبر سولزهنز عن ذلك فى المثال الذى كتب على اساسه خطاب جائزة نوبل «إن كلمه صدق واحدة تتفوق على العالم كله» من الواضح أن كلمه الحق التى ينطقها انسان ضعيف لاحول ولاقوه له لاتقارن بالقدره الماديه للاتحاد السوفيتى باكمله ولكن الانسان الذى استطاع أن يفتح نفسه لهذا الحق فى الحياه يستطيع أن يدرك أنها حقيقه تحتوى على طاقه كامنه هائله تهزل أمامها أى قوه ماديه أخرى إن انجازڤوچلين هو ايضاح الطبيعه الكامله لهذا النظام. فهو يختلف مع جمود أى رموز كهنوتية أخرى والاتجاه الحديث بان النظام يمكن أن يبنى على أساس الاستنتاج فقط خداع لايفيد. مهما أن بحثنا فى هذا الموضوع النتيجة واحده فجميع الحضارات التى سبقت العصر الحديث بما فيها المجتمعات البدائية أسست نظام وجودها على نظام التواجد .

"إننا نجرب استمرارنا فى الوجود ، كما هو مثل التسلسل الهرمى للبقاء، فى هذه التجارب يصبح التواجد شفافاً ليبين شيئاً عن غموض الوجود ، هذا الغموض الذى يساهم فيه ولكنه لا يعرف ما هو، إن التناغم يجب أن يكون حاله الوجود عندما تصغى إلى ذلك الشيء الأبدى فى الذات .. أننا نأتى الى الحياه ونخرج منها دون إرادتنا ودون أن نعرف "السبب" أو "الكيفية" ولكننا عندما نكون فى هذه الدنيا نعرف إننا جزء من العلو الذاتى الذى سنرجع إليه، من تلك المعلومه نمر بتجربة الألتزام فإن "العلو الذاتى" المؤتمن على إدارتنا الجزئية للوجود التى قد تستمر أو تنتهى حيث أننا يمكن أن نكسبها بالتناغم ونخسرها بالأخطاء . "

إن الرغبة للحياة فى صدق ليست قيمة اختيارية أو عابرة قد نقرر اختيارهما من عدمه ولكن كما أوضح ميرسيا الياد من خلال الخاصية التكوينية للبشر فى كل مجتمع الجميع يرغبون فى المشاركة فى كل ما له معنى ولا يريدون أن يضيعوا أنفسهم فى كل ما هو عابر وبلا معنى، حتى حركتنا الأيديولوجية دليلاً على عدم كفاية الاستنتاجات النظرية أو العملية لإشباع هذه الرغبة، عندما نقطع علاقتنا مع القداسة الأبدية الحقيقية فإننا نسعى إلى إسناد وجودنا إلى شيء آخر يعطينا إشباع ذاتى :

هذا فهم للنظام مر به فوجلين فى أعمال ويليام جافر وهنرى برجسون، أشتكى جامز من عدم تركيز الإتجاه المفاهيمى للفلسفة بالمقارنه "بتركيز" حقيقه التجربة الفعلية "الطريق الوحيد لفهم درجة تركيز الحقيقة هى تجربتها مباشرة كجزء من حقيقة الذات أو بتصويرها فى الخيال لقد فرق برجسون بين مصدرى الأخلاقيات والدين، إن الأخلاقيات مبينه أساساً على الحاسة الإجتماعية وأسلوب التصرف اللازم للتلاحم فى المجتمع والمصلحة العامه ولا يتحقق ذلك إلا بعد اتحادها مع خلق يعلو بمبادئ المصلحة الشخصية، هذا هو مصدر الأخلاقيات أو الدين والذى يوجه أساساً خارج نطاق الأهداف الشخصية من وجهة نظر برجسون، الإحتفاظ بالنظام فى مجتمع معين لا يكفى، الإنسان يجب أن ينجذب إلى الحب

وخدمه البشر جميعاً بدون حدود يمكن الوصول إلى ذلك من خلال حب الله الذى سينعكس على جميع الأفعال "إن الحب الذى يشغله لم يعد ببساطة حب الإنسان لله إنه حب الله لكل البشر، من خلال الله ومن خلال قوته يستطيع أن يحب البشرية .كلها بهذا الحب المقدس، ليست تلك الأخوية التى يفرضها علينا الفلاسفة تحت أسم المنطق، لقد فهم برجسون الأخلاقيات بالوصول إلى تأكيدها من خلال هذه الزروه الصوفية، أى وأحساس لدينا بأن أعمالنا صحيحة تنبثق من هذا المفهوم .

استطاع فوجلين من خلال دراسته للتاريخ العالمى أن يصل إلى تأكيد تجريبى للرؤية الخاصة ببرجسون وجامز الإنسانية فى كل مكان كانت مشغولة بالرغبة فى المشاركة بشكل أكبر فى حقيقه الكيان المقدس بأسلوب أوقع وأكثر أستمرارية ولايكون ذلك عن طريق الأخلاقيات التجريدية، التى تعطى القوة الحقيقية لأى من أفكارنا، إن الأخلاقيات تفسر على أنها صحيحة من خلال الحركة التجريبيه تجاه الحقيقة الواقعة، هذا معنى تحويل فوجلين الشهير عام ١٩٤٣ من تاريخ الأفكار السياسية إلى دراسة التجارب والرموز للأنظمة فى التاريخ . إنه أدرك أن أفكار أو مفاهيم النظام ليست وجود منغلق على نفسه إن هذه الأفكار تستمد مفهومها من الحقائق العليا الباقية ثم تسعى إلى تشكيلها إلى مبادئ وقوانين، إذاأردنا أن نكشف القانون الحقيقى للوجود للفرد والمجتمع يجب الا نتوقف على المناقشه والجدال الذى لا يمس إلا الجوانب الخارجية فقط يجب أن نعود للأشياء التى تمد هذه التعبيرات بالأحساس الداخلى بالصدق وأن نتحرك إلى مشاركة أكثر فاعلية مع الكيان السامى العلوى .

## الإدراك المؤكد من خلال المسيح:

إن العنصر الوحيد الذى نتعجب له فى استرجاع فوجلين للحقيقة التجريبية للنظام يتوقف عند حالة واحدة وهى المشاركة المتبادلة "للإنسان فى الله" و "الله فى الإنسان" أنه يتراجع عن الإعتراف بأن المسيح هو مركز النظام أكمل، كما رأينا فإن فوجلين ليس

بالضبط خارج الإطار المسيحى فكثيراً من تعليقاته أثبتت التأثير المسيحى الأكيد على أعماله، إنه يعترف أعترافاً كاملاً بالأختلاف الذى يتحقق بالهام الله للمسيح يعتبر فوجلين "تجسد المسيح" محور التارخ بأكمله " إن التاريخ هو أسم المسيح مكتوباً بحروفاً مفصلة " فهو قد أعترف بذلك فعلاً مؤيداً تعظيم المسيحية كما فى نظرية أفلاطون فى علم الإنسان الخاصة بالمدينة الفاضلة بأنها "الإنسان" مكتوبة بحروف مفصلة لكن هناك شيء ناقص وقد شعر بذلك كثير من المعلقين، هناك البرود الواضح للمسيحية كما لو أن فوجلين استمر فى رؤيتها من الخارج .. ويلاحظ هذا البرود فى التناقص بين مقدار الاهتمام الذى يعطيه للعناصر السلبية الغير متزنة فى الشريعة المسيحية،وندرة إتجاهه إلى توضيح دور المسيحية " كالقوة العظيمة التكوينية" للوصول إلى النظام الأمثل .

إذا كانت تجربة المشاركة فى الخير المطلق لله هى التى تخلق النظام فى الروح فبدون شك تجسيد الله فى التاريخ البشرى هو الإدراك المؤكد لهذا النظام، لم تعد تجربة الكيان المقدس عملية مقصورة على الصفوة فالآن هى واضحة بتجلى فى التاريخ. إن الإله الحالى الموجود بصورة كامله فى المسيح هو أكثر حقيقه واقعة لمشاركتنا نحن فى هذه القدسية. وأكثر دليل منطقى على صدق هذه الحقيقة، لكل من يفتح نفسه إلى روح الله، وتظهر بجلاء فى المسيح نفس الحركة للاندماج مع الحقيقة المقدسة فبكل تأكيد يمكن للإنسان أن يمر بهذا الصعود بطريق داخلى متكامل ودون الأستفاده من الدليل المجسد لكى لا يوجد طريق أكثر فاعلية من إحتضان حقيقة تفسير الواقع المقدس والواقع البشرى. الوجود التاريخى للمسيح هو تركيز قوى لرغبة الانسان للصعود لما هو باقى وحقيقى . « المسيح » أنه الكمال والنتيجة الحتميه للتحرك الى النظام من خلال الروح لذلك فهو المركز العظيم الذى يشع بالنظام فى التاريخ كله .

إذا أضفنا الى ذلك ادركنا أنه من خلال المسيح يكون اكتمال الحقيقه المقدسه ، للرب العالى ، وخلق نظام الوجود نجد أنه ليس مجرد مخلص لنا . ويعترف فوچلين أن النعمه

الالهيه هى مفتاح التجربة المسيحيه . لكنه لايستمر حتى يصل الى عواقب هذا الادراك وبالتالى فإن انبثاق النظام يجب أن يفهم كالنشاط المقدس داخل الروح. إن المصدر الرئيسى لهذه النعمه الإلهيه التى تنقذنا هى روح الله الموجوده فى المسيح والتى من خلاله تنتقل الى كل من ينفتح للمسيح بايمان المسيح هو الوسيط بين الله والبشرية يتفوق على أى وسطاء آخرين سواء كانوا كونيين أو فلاسفة لقد اتضح الأمر تماماً الآن إن ما يشدنا إلى النظام وإلى المشاركة فى الوجود المقدس الموجود فى المسيح بصفة مطلقة، إذا انفتحنا إلى المسيح فإن هذه الحقيقة المقدسة تشدنا لأنها استطاعت أن تجذب جميع البشرية إلى داخلها فى شخص المسحيح أكبر من هذا التناغم الرئيسى مع النظام العلوى ذلك التسلسل فى اتجاه النظام ككل، انتصار المسيح على الشر من خلال حبة وتضحيته بنفسه على الصليب جريت خلال التاريخ كوسيلة مؤثرة لخلق النظام، أشار فوجلين إلى معجزة العذاب كرمز يحقق مهمة انقاذ البشرية من الشر والفناء، الآ أن هناك خطر واضح لأن هذا الإدراك قد ينفصل إلى مذهب العرفان فى الصراع بين الخير والشر، ولكن هذه إمكانية واحدة فقط فكما حاولنا أن نؤكد فى الباب السابق هناك إحتمال مماثل أو قد يكون أكبر بأن التضحية بالنفس الافتدائية التى قام بها الرب من أجل البشرية قد تؤدى إلى رفضى كامل للثورة القائمة على مذهب العرفان لا يجد الإنسان أى إشارة تمرد فى العهد الجديد من الكتاب المقدس لكن على العكس هناك قبول تام لهذا اللغز، الله الذى أحب العالم ضحى بإبنه الوحيد من أجل العالم مازال لغزاً فنحن لا نعرف الكثير عنه، لكن الله أمدنا بتأكيد لا رجوع فيه بأن الحقيقة الواحدة التى تهم : "هى حبة للبشرية" لا توجد أى إشارة للنفور أو التمرد فى وجه الله الذى سكب نفسه من أجلنا.

فى نفس الوقت نجد فى المسيح النهايات التى نوجة إليها تناغمنا مع الذات المقدسه، لقد قدم نفسه للموت لذلك فإنه انتصر ليس فقط على الخطيئة ولكن على جميع حدود الوجود، لقد اتضح حبة كقوة أقوى من الموت إن موت جسده على الصليب هى أكتساب الحياه

الروحيـة من البعث تلك العمليـة للموت من أجل الحيـاه الأبدية واضـحة هنا بشكل غريب حقيقة الحركة إلى الحقيقة العليا، الصعود من الفناء إلى الأبدية محددة بدقة فى "الواحد" الذين شارك مشاركة كاملة فى الذات المقدسة، الرب المبعوث هو هدف كل هؤلاء الذين يفتحون قلوبهم وأرواحهم للقداسة فى المسيح كل من يتحد مع المسيح سيكون مثله سيتغير ويصعد معه إلى الأب فى السماء يجب أن نؤكد أن تلك المناقشة غير محدودة إلى ما بعد انتهاء الحياه، إن تركيزها موجهاً أساساً إلى الصدق وهو الشيء الوحيد الذى يهمنا الآن : فمن هذا الصدق ننتقل إلى الإدراك الكامل لهذه الحقيقة فى عملية القدسية للطبيعة البشرية، إن الأحساس بالمسيح يؤكد ويعمق الحقيقة الفلسفية للروح وذلك أساس إيمان كل من دوستو فسكى وسولز هنز. إنهم يصلون إلى المسيح كما يفعل الاخرين فى الإنجيل ليبحثوا عن الحقائق الروحية لا يوجد أى تعصب أو هروب عند رجوعهم إلى المسيحية لأكتشاف وسيلة اعادة الانبعاث الروحى والأخلاقى للمجتمع فهم ببساطة يعتبرون المسيح كأعمق وسيط فى العالم فالجميع يبحثون عنه حتى من خلال تشوهات وتحريفات الأيدولوجيا، لقد جربوا التمزق والفراغ فى الاتجاه التحررى البديل لم يستطيعوا التفكير فى أى قوة أخرى تستطيع أن تجدد النظام الروحى للمجتمع الروسى، إن رسالة المسيح بسيطة ومقنعة ومؤثرة بحيث تتفوق على كل الوسائل الأخرى لإرشاد البشرية إلى الخير إنها هذه الرؤية التى تمكن عملية الربط للأسس المسيحية المرتبطة بالنظام الروسى من وجهة نظر لسولز هنز المسيحية هى الوسيلة الأولى التى نستطيع بواسطاتها أن نستعيد إرتباطنا بالمصدر القدسى للنظام، كل ذلك قد حدث لروسيا منذ العام المشؤوم ١٩١٧ ومن خلال العملية الأكبر للمدنيه الحديثة "إن الإنسان نسى الله: وهذه هى النتيجة " استخدم سولز هنز هذه الملحوظة الذى تذكرها فى طفولته فى الثلاثينات كأساس لخطابة عند تسلمه جائزة تمبلتون للتقدم فى الدين، لقد تذكر الإنفصال التدريجى لروسيا عن الدين بدءا من الأنشقاق عن الكنيسة فى القرن السابع عشر إلى حلول الشيوعية كما أشار إلى عمليه مماثلة فى الغرب إمتدت إلى يومنا هذا الفرق الوحيد أن الدين الشرقى عبر عنه من خلال

الكراهية الإلحادية للدولة بينما فى الغرب اتخذ أسلوب التحقير والتحطيم الإرادى للنفس الروحية ذلك بسبب المرض الحديث المتفشى " نسيان الله " .

لهذا السبب فقدنا الإحساس بالقيم الغير مشروطة للإنسان وبدأنا ننظر إلى أنفسنا كأحرار نستطيع أن نكيف حياتنا كما نريد بدون أى أساس من الله وبذلك تصبح الأخلاقيات البشرية تابعة للمذهب. النسبى، لقد كان مذهب "الألحادية البشرية" لهؤلاء الصفوة الذين قدموا تبريرات سهلة للمحاكم السريعة الثورية والعدل المشوه الذى وزعوه على الجميع » تلك هى الكلمات التى قالهاسولز هنز وهو يدرك أن مقاومة الشر يجب أن تبدأ بالمجهود المركز لاتباع ما يمليه علينا ضميرنا "لا تكذب" لا توجد نقطة بداية أفضل من تلك لكنها يجب ألا تنتهى عند هذا الحد حتى يكون تأثيرها ناجحاً، إن التاريخ الحديث علمنا أن الموارد البشرية غير كافية فى معركتها مع الشر إن رغبتنا إلى الخير يجب أن تقودنا إلى المصدر العلوى لو أرادنا الوصول إل هدفنا ذلك يعنى الانفتاح الى النظام الذى تنجلى فيه حقيقه الذات المقدسه تلك هى المسيحية .

## لخضوع إلى الوحى الكامل :

إن سولز هنز لا يعتبر المسيحية عصا يتكئ عليها فى برنامجه عن البعث الأخلاقي ذلك هو الاختيار الذى اتبعه تولستوى واتبعته حركة التنوير التحررية بدرجة أقل، هو وزملاءه فى كتاب "من تحت الأنقاض" يصرون على الرجوع للدين ويقبلون الغموض الكامل للمسيحية ويحتضنون نواميسها فى الكنيسه، فالوقت والجهد الذى بذله سولز هنز فى الموضوعات الصوفية كبير جداً هو مع المسيحين المنشقين الآخرين يعتبرون الكنيسة الأرثوذكسية الوسيلة الوحيدة للصعود إلى النظام العلوى، فتجربة "السخافة التراجيدية للحياه بدون الله" أعادتهم مرة أخرى إلى المسيحية ليجدوا الإجابة للأزمة الروحية، ولكن عندما تكون كنيسة المسيح التى يعودون إليها "صماء لا ستفساراتهم " فإنهم لا يرتدون عن ذلك الكيان المتصدع فبروح الانفتاح التى تولدت عندهم من خلال التجارب القاسية

التى مروا بها يحاولون الوصول إلى لغز الحقيقة المقدسة، إذا كان الإنسان جاداً فى تحقيق الإصلاح الاجتماع المبنى على أسس دينية فإنهم يصرون على أن عملية البحث يجب أن تبدأ أولاً بتجديد الكنيسة نفسها .

وحجر الأساسى لهذا التجدد هو إدراك اللغز القدسى للكنيسة، من أجل الوجود القدسى بداخلها تبقى الكنيسة منبع الحقيقة الأبدية مهما كان ضعف القساوسه الأرضيين المنتمين اليها . ويستعرض سولز هنز وزملاءه الولاء الأرثوذكسى والإرتباط بالكنيسة ويتذكرون كيف إنها غيرت روسيا أساساً من خلال الجمال المقنع لطقوسها الدينية.فهم لا يستطيعون أن يعترضوا عل الكنيسة إن الكنيسة ستظل أيقونه الحقيقة المقدسه وستضئ وسط الفساد والفوضى فى هذا العالم قال كورساكوف "إنها تقف فى إباء شديد إنها دليل الله وتصميم الله، لا يستطيع أحد أن يخرب مقدساتها أو يفسد تعاليمها لقد تأثر كورساكوف والآخرين بأعمال. فلورنسكى أحد ضحايا السجن الروسى، كانت أعماله عن التحول النفسى الذى يعمل داخل هؤلاء الذين يخضعون بتواضع إلى السلطة المقدسة للكنيسة "أنت تكع ولا تكون بمفردك .. أنت داخل الحق نفسه وأى مجهود روحى تبذله وكل التنهدات التى تخرج منك تشحن لمساعدتك القوة الاحتياطية الهائلة المخزونه هنا " إذا تخليت عن جميع أكاذيب المحكمة البشرية وفتحت نفسك فى ندم الحكمه لغموض الحكمه المقدسه الموجوده فى الكنيسة فمن هذا المركز المضئ يشع النظام إلى وجودنا بالكامل .

هؤلاء الذين يختارون ما يعجبهم فقط من المسيحية يبقون إلى الأبد خارجها فهم مثل تولستوى يشاركونه إحساس أساسيات الأخلاقيات المسيحية ولكنهم فشلوا فى معرفة الألغاز الروحية الى تكمن ورائها يوضح كورشاكوف أنه بدون هذا الفهم عن التجسيد والبعث والخطيئة الأولى والتكفير، حتى إنسان فى مثل قدسية تولستوى يمكن أن يستعرض "الميل القديم لتأليه الإنسان على الرغم من عدم قدرته فى مقاومة المغريات، هذا المنطق المتحجر يقود إلى الإتجاه المضاد للمسيح والى المحقق الأعظم .

عندما يكون الخضوع كامل بدون أى شروط أو تحفظات تبدأ رؤية طريق الندم المسيحى الذى يؤدى إلى خلق النظام الجديد، هذه هى الرؤية المؤكدة لتجربة سولز هنز فبعد تدمير البشرية فى القرن العشرين أول خطوة هى أستعاده وإحياء النظام الكهنوتى حيث أننا جميعاً مشتركون مع البشر .

فهو يصر قائلاً " كلنا مذنبون كلنا نحتاج إلى المغفرة ويجب أن تكون لدينا الرغبة للتسامح مع الآخرين، إن الندم يمدنا بالوسيلة التى تساعدنا على التغلب على الفوضى والضلال الذى يسببه الشر إن الأحقاد والكراهية يجب أن تنتهى من أنفسنا حتى نستطيع أن نبدأ من جديد، إن الأساس الذى سيبنى عليه هذا النظام الجديد ليس غريباً يؤمن بالحرية المطلقة أو ماركسياً يؤمن بنوع خاص من الحرية لكن القانون المسيحى الصحيح عن الحرية هو ذلك الذى يحدد من حرية الشخص وتكون نابعة من ذاته من أجل الآخرين .

ويعطى سولز هنز أهمية للدور التاريخى الذى لعبته الكنيسة الأرثوذكسية فى تكون هذه الروح ولذلك رفض أى انشقاق عنها أو استبدالها بنظام أنقى مهما كانت أخطاء القيادات فى الكنيسة ومهما كانوا خاضعين للدولة لا يؤثر ذلك مطلقاً على الصدق المقدس بداخلها وتاريخ المسيحية بأكمله يشهد بذلك " أذا كانت خطيئة الكهنة تنتقل إلى الأشخاص فلن تكون هناك أى كنيسه للمسيح على الإطلاق بدلاً من ذلك ستكون الكنيسة خاضعة تماماً للحظ ورغبة الأفراد " فالطقوس الدينية التى تقام خارج الكنائس أو بدون القساوسة كضرورة ملحة، تختفى بمجردوجود الكنائس مرة أخرى، من منطلق إيمان سولز هنز بأهمية دور الكنيسة وجه أهتماماته بأصلاحها خاصة فى إطار الاتجاه السياسى الحالى فهو يوضح البديل بين الخضوع الكامل المتجاوز للدولة أو الانسحاب والاختفاء فى السراديب، والطريق الثالث الذى يقترحه الانفتاح وتأكيد حقوقها دون أن تكون خاضعة لأقصى الحدود أو تكون سلبية لأقصى الحدود. وذلك يمكن تحقيقة بأستعادة دورها التاريخى يجب أن تستعيد الحقوق السياسية للكنيسة وبذلك تكون مثلاً أعلى للكنائس المسيحية فى الغرب

كذلك سولز هنز وزملاءه أدركوا أنهم يتعاملون مع مشكلة أشمل وهى علاقة الكنيسة بالعلم الدنيوى، وذلك يعتبر استمرارية للتوتر الذى أستمر قروناً طويلة بين الاتجاهين المسيحيين ويعلق برنانوف "هذين الوجهين للأسلوب المسيحى للعالم وهما المشاركة الفعاله فى تغييرها الشامل والتخلى عن المغريات من الصعب جداً تحقيقهما "فهم يريدون أن يبقوا على جبل طابور مع الإله المجسد ويريدون أن يعودوا إلى العالم بهذه الأنباء السعيدة، ولكن للوصول إلى الحل المناسب يجب أن تصل الكنيسة إلى حالة من الاتزان الروحانى وذلك يعتمد على الرسالة الروحانية للكنيسة والدور السامى الذى تقوم به فى هذا العالم الضائع، والمكانة التى حددها سولز هنز هوالتأكيد الحقيقى لحقوق الكنيسة على ضوء الحق الروحانى الذى تمثله، هذا يتعارض مع سياسة التعويض والتكييف الذى اتبعته الكنيسة " نحن فى روسيا كنا أول من تعلم ألا نفعل أقل حركة تمرد ضد القوة التى تستطيع أن تأذى الشعب وادت هذه السياسية إلى القضاء على أنفسنا " يتضح من ذلك أن سولز هنز مصراً على رفض أى مصالحة مع الشيوعية ومع روح العصر حتى يستطيع أن يحمى روح الكنيسة ويبث تأثير الحق العلوى إلى الدنيا الضائعة هذا هو الإتجاه الذى يؤكده والواضح من خطابه إلى البطريارك بيمن فهو ينتقد بعنف قيادات الكنيسة لا ستجابتها الدائمة إلى مطالب الحكومة من أجل نجاتها وبذلك خفضت الرساله الروحانية إلى درجة لا يمكن ذكرها، إذا تكلمت الكنيسة فقط عن الظلم فى الخارج وتناست كلية الشر الأكبر الكامن حولها فإنها تناقض نفسها وهو يسأل البطريارك "بأى منطق نستطيع أن نقنع أنفسنا أن الدمار المحسوب ـ الذى يقوم به الملحدون لجسم وروح الكنيسة هو أفضل وسيلة لإنقاذها من الهلاك " ويطالب سولز هنز الرضوخ لسياسه "التضحية العلنية " فهذا هو الأسلوب الوحيد الذى يجب أن تتبعه الكنيسة إذا كان الإنسان مجرداً من القوة وأمامه عدو قوى لا يرحم فهناك طريق واحد وهو قوة التضحية " الإنسان المجرد من أى قوة مادية يستطيع أن يحقق النصر بالتضحية " هذه هى حكمة الصليب التى بنيت الكنيسة على أساسها فالكنيسة هى القائد المثالى " للصفوة المضحية" الذين يستطيعوا أن يتخلصوا النظام من الدمار.

بالكنيسة نفسها يطلب سولز هنز من القساوسة الأرثوذكس أن يضعوا خلافاتهم جانباً حيث أنها ثانوية بالمقارنة بالمهمة الشاقة المطالبين بها ، وهو يطالبهم بأن يتبنوا أسلوباً جديداً ليحتضنوا تعاون جميع المسيحيين يجب أن يكونوا جبهة موحدة لأن إعادة توحيدهم لا يمكن أن يتم فى وقت قصير، لذلك فإن هذه الجبهة المسيحية تستطيع أن تقف أمام الشر فى العالم أجمع، والأعمق من ذلك عملية الطهارة التى يجب أن تمر بها الكنيسة نفسها يطالب سولز هنز رفاقه المؤمنين بأن يقروا "إن حالة الكنيسة الروسية فى أوائل القرن العشرين هى أحد العوامل الأساسية للأحداث الثورية" والأكثر من ذلك المسؤولية الشاملة للكنيسة بالنسبة للعالم الحديث الذى ساعدته على الحركة فالخطيئة التى لم يستطع الأرثوذكس الخلاص منها هو ما حدث فى القرن السابع عشر للانشقاق وإعدام المؤمنين القدماء فتلك كانت بداية التاريخ الروسى الحديث بعد أن تستطيع الكنيسة أن تنظف نفسها من تورطها مع الشر تستطيع أن تكون لها قوة روحية لقيادة العالم فى طريق واحد عندما تستطيع الكنيسة أن تبعث من جديد فإنها ستصبح مرة أخرى الشاهد الرئيسى للحق العلوى لهذا الوجود الإنسانى. وينظر سولز هنز إلى هذه الكنيسة الجديدة بتفائل شديد بحيث تستطيع بصلابتها ومثابرتها على البحث أن تجذب العالم الغربى المتعطش لهذه الروح الجديدة .

يجب أن نرجع إلى دوستوفسكى إذا كنا نريد الكنيسة الأرثوذوكسية أن تكون أساساً للنظام فقد كان أحد عظماء الرسالة الروحية للكنيسة الروسية الأرثوذكسية وقد اعتمد سولز هنز على دوستوفسكى ومفكرى القرن العشرين للإحياء الدينى فى روسيا ، للوصول إلى استنتاجاته أتبع سولز هنز الأسلوب الغير تقليدى الذى بأعترافة بالدور السياسى الأورثوذكسى مخالفاً للوضع التحررى الدنيوى الذى اتبعه معظم السوفييت المنشقين، ساكانوف مشهوراً كممثلاً لأسلوب البرلمان الغربى وسنذكر الأختلافات بينهما فيما بعد فى هذه اللحظة يجب أن نفهم هذا الأسلوب الأرسالى للأرثوذكسية الروسية التى يمكن تمثيلها

بسولز هنز. ولفهم هذا الاتجاه جيداً يجب الإشاره إلى مجهودات دوستوفسكى فهو الذى أكد على أهمية اعادة تأسيس الكنيسة على عكس الاتجاه الليبرالى الثورى الآخر .

## تحقيق نبضات الإنسانية الحديثة

بعد أن تحول دوستوفسكى اتجهت أعماله إلى تأكيد استحالة وجود نظام أخلاقى سياسى مبنى على البشرية فقط، إن لم يكن هناك اله تصبح البشرية سيدة الحقيقة ويصبح كل شيء مسموحاً به للحاكم على الأرض، ويقول كارامازوف "هذا عظيم كيف يستقيم أى شيء بدون اله؟ هذا هو السؤال الذى أعود دائماً إليه ؟ "ويشير فرسيلوف مؤلف "البالغين " إلى ذلك بأنها "أفكار جنيف أو الفضيلة بدون المسيح هذا مفهوم معاصر أو قد نقول الفكرة التى تكمن فى المدنية الحديثة " الكابوس الذى تلى اتجاه الإنسانية المضاده للمسيحية كان واضحاً بحيث أصبح الموضوع الرئيسى الذى تدور حوله جميع أعمال دوستوفسكى، لقد رأى مسبقاً الظلام، الجمود، الخراب واللإنسانية التى ستنشأ من محاولة بناء أى نظام جديد دون أساساً للحب السماوى، كانت رؤيته خارقة حتى أن الشخصيات الوهمية فى قصصته ستارفروجين سفيدريجالوف وإيفاق كارامازوف، المحقق العظيم كادوا يتكلمون بهذه الحقائق التاريخية فى المائه العام التالية، لقد إخترق أعماق الثورة الحديثة ولا يمكن أن ننكر أنه أعاد اكتشاف حقيقة المسيح من هذا المنطلق تحرك فى إتجاه الربط الإيجابى الأساس النظام المسيحى على عكس تأكيد الاتجاه "الإنسانى" للحرية المطلقة أصر دوستوفسكى أن الحب النوعى للنظام يؤدى إلى اكتشاف مصدره المقدس إن إصدار الأمر للوجود الإنسانى للتحرك إلى الخير والحق والكمال عمل من أعمال الله حيث أنه الكمال والشمول لكل هذه الحقائق لكن أكثر من ذلك تلك مهمة المسيح المجسد حيث أنه المركز المشع للحق الحقيقى للبشرية فى التاريخ، ذلك لا يعنى الأعتراف المحدد بأننا مؤمنون قبل أن نستطيع أن نحب لكن دوستوفسكى استطاع الاحتفاظ بهذا النبض البشرى الأخوى الذى ينتشر ليشمل العالم كله ولكن هذا الحب يجب أن يعترف بأنه ليس مصدر هذا الخير يجب أن ندرك بتواضع

حدودنا وعدم قدرتنا وفشلنا فى الحب نحن الآن نتحرك إلى الحب الحقيقى المؤكد عند هذه النقطة يتضح سر هدية الله فى شخص المسيح ليتسلمها هؤلاء المستعدون لتقبلها .

تلك هى تجربة فرسيلوف فى "البالغين " فهو رجل إنجليزى تقليدى، تحررى، من طبقة ملاك الأراضى الذى انبثقت منهم صفوة مفكرى القرن التاسع عشر، يعتبر فرسيلوف أن الأخلاقيات الاستقلالية للطبيعة البشرية وسيلة الحصول على المدينة الفاضلة المتحررة التقدمية، وهو نفس مضمون فركهوفنسكى الأب الثورى، ويعتبر فرسيلوب على عكس ستيفان عنده عمق وقوة تمكنه الأب لرجل تحت الأنقاض هو أركادى دولجوروكى ولكن فرسيلوف من متابعه توابع هذه الفكرة التى تعود به مرة أخرى إلى المسيح يوضح فرسيلوف حلم لابنه حيث عاد إلى العصر ما قبل المسيحية العصر الذهبى للأخوية المطلقة جميع المذاهب والعقائد التى كانت سبباً للنزاع بين البشر سقطت وتلاشت الآن البشر أحرار ليسلموا أنفسهم بدون أى قيود إلى الحب البرئ بعيداً عن أى طقوس دينية يوجهون اهتمامهم لبعضهم وعند الوصول الى هذه النقطة للجنة البشرية على الأرض (تلك الجنة النابغة من قلب رجل منغلقاً عن الحقيقة السماوية العليا ) يرى المسيح وسط هذا الحشد من الرجال، يأتى اليهم ويمد يديه إليهم قائلاً " كيف أستطعتم أن تنسوا. وفجأة تسقط قشور سميكة من أعينهم وينفجرون فى أنشودة دينية لبعثهم الجديد والنهائى .

على الرغم من التغييرات الواضحة التى مربها دوستوفسكى فإنه استطاع أن يشير إلى أستمرارة أقتناعه بالمثالية الأشتراكية السابقة مثاليات الأخوية الشاملة بقيت كما هى منذ أيام تعامله مع بلنسكى كان مدركاً دائماً للمصدر المسيحى وشخصية هذا التأثير، أما الان فقد أعترف بأن أى مثاليات لا يمكن تحقيقها بدون المسيح حتى فى قلوب الأفراد . من هذا المنطلق يكون هناك أملاً فى انتشار النظام فى المجتمع والمدنية الحديثة كلها كل ما يحركه الحب للبشرية يحمل الحقيقة الواقعية للمسيحية بداخله وسيصلون إن آجلاً أو عاجلاً إلى النتيجة توصل إليها دوستوفسكى، لم يهتز إعجابه بجورج ساند حيث كانت

تصر على إن التغيير الداخلي للبشر هو الطريق الوحيد الصحيح الى المجتمع المبنى على الأخوية، كان ينظر إليها "كريوبية" "ربما كانت أقرب الى المسيحية من أى شخص آخر فى عهدها " دون أن تعلن ذلك صراحة فقد كانت تتبع ما يمليه عليها مركزها إلى درجة أعلانها بأن المفهوم المسيحى للأنسان هو الأساس المطلق له .

"لقد أسست الاشتراكية والأعتقادات والآمال والمثاليات على الإحساس الأخلاقى للإنسان، على التعطش الروحى له وعلى رغبته فى الكمال والنقاء وليس على "الاحتياجات التافهة " فى كل حياتها تصرفت على الإطلاق بناء عل المسؤولة البشرية (إلى درجة الخلود ) وقد رفعت ووسعت هذا المفهوم فى جميع أعمالها وبالتالى فقد كانت تتماثل فى أفكارها وإحساسها مع إحدى الأفكار الرئيسية للمسيحية مثل ( إدراك المسؤولية البشرية وحريتها ) .

لم تكن تماثل الإيدولوجيات الدنيويه فإن المسيحية لا تحل الإنسان من مسؤوليته عن الشر، إن هذا الذنب لا يتحول إلى أسباب اجتماعية أو أسباب موضوعية. لكن فى نفس الوقت يمكن أن يرفع هذا المذهب عن الإنسان بالتسامح الذى يمنحه المسيح للبشر وبالتسامح المقابل له من البشر مع بعضهم البعض إن المسؤولية لازالت موجودة ولكن التهمة المقترنة بها تزاح من خلال النعمة الألهية للندم والتسامح، وبهذه الطريقه فإن الكيان الروحانى الداخلى للإنسان يؤكد ويعمق، لقد فهم دوستوفسكى الضغط فى إزاحة اللوم للأفعال الخاطئة على التأثيرات البيئية ولكنه أدرك كذلك جهنم التى فتحت أبوابها لا زلال البشرية، فى المسيحية وحدها يجد هذا الأصرار على تلك المسؤولية والوسيلة المؤكدة للتسامح ومحو الخطيئة، من خلال عذابه وتسامحه مع الشر أكد المسيح قيمة الإنسان الداخلى ومنحنا الوسيلة للمعجزة الروحية العظيمة وهو التجاوب المحب إن خلق النظام يكون داخل النفس البشرية وداخل المجتمع نفسه من منطلق الحب وهذا هو قلب المسيحية وهو الأسلوب الوحيد لنحقق إنسانيتنا .

إن المسيحية هى التحقيق الصادق للنبض الإنسانى بأساليب كثيرة وقد جرب دوستوفسكى هذا بنفسه فهى الفكرة الرئيسية التى أعادته إلى الشعب وهم الذين سيحملون هذه الرسالة إلى العالم الحديث هذا هو الشعب، الفلاحين البسطاء فى روسيا وهم الذين لديهم الإجابة للصفوة المفكرة، إنهم لا يدركون ذلك لبساطتهم ويحتاجون إلى طبقات أخرى للتعبير عن تلك الحقائق وعلاقتها بالعالم الحديث، ولكن الشعب الروسى الذى يحمل الأرثوذكسية فى طيات قلبه هم الذين يمثلون الإيمان المسيحى، ويقول دوستو فسكى أنه من خلالهم أستقبل مرة أخرى المسيح داخل نفسه حيث رآه من خلال والديه وبيته الذين كان سيفقد هم عندما حول نفسه إلى التحررية الأوروبية ليس هناك شىء خيالى أو عاطفى فى مثل هذا الإرتباط مع العامة لأن دوستوفسكى يعرف جيداً جميع نقاط الضف فيهم، فهم ليس نوع من القديسين بأى درجة ولكنهم كانوا متمسكون بالحق وحيث إن الفضيلة والرذيلة موجودة فى الفلاح الروسى مثل أى مكان آخر فى العالم لذلك أصر دوستوفسكى " بأن الناس لن تقبل على الإطلاق أن تعترف بأن خطئها نابع من الصدق" فإنهم يقيسون الحقائق على ضوء أفكارهم الأبدية ـ على ضوء المسيح "مع المسيح يأتى النور وفى اللحظات الحرجة كان هؤلاء يفكرون فى الشئون الوطنية بروح مسيحية "

من خلال هؤلاء البسطاء تبدأ ارساليه المسيحية فى روسيا وتتحقق.هؤلاء يوضحون بأسلوب عملى واقعى من خلال حياتهم اليومية سمو حقيقة المسيح هم الذين يحملون على كفوفهم مستقبل العالم الحديث ويحملون أمانه تحقيق جميع اماله داخل أنفسهم، إن رؤية دوستوفسكى ملتهبة بالحماس فهو يرى عصراً كاملاً قد تغير بهذا الأدراك لم يعد الأمر يخض الدين أو الكنائس ولكنه يخص التقدم الإنسانى الشامل والأنسانية العالمية ويتم ذلك على الأخص على يد الشعب الروسى الذين يستخلصون كل شىء من المسيح ويجسدون كل مستقبلهم فى المسيح وفى حقيقة وهم الآن غير قادرين أن يتصورا أنفسهم بدونه لقد أتهم دوستوفسكى بالاتجاه "المسيحى" و "الحربى" لهذا الفكر الشامل، وبعض تعبيراته

العاطفية قد تؤيد هذا الألتهام مثل أقتراحة بالإتحاد وضرورة إنتصار روسيا على القنسطنطينية إلا أن هذا الاتجاه يؤيده تعاطفة مع السلوفاك، وتعذيبهم على يد الأتراك بالأضافة إلى تأكيده لضرورة إتزان القوى فى العالم، إن هذه الأفكار لا تؤثر على اتجاهاته الرئيسية ظلت تلك الاتجاهات متزنة على حافة سكين فهو يرى إن لا شىء يستطيع أن يقف فى طريق تحويل المدنية الروسية أو الغربية. هذا ما آثاره خياله وعبر عن ذلك « خطاب البشكين » ولكنه لم يجيد أبداً عن هذا الميزان الدقيق حيث أنه لم يفصح بأن هذا التحول يمكن أن يحدث بأى أسلوب آخر عدا الاستجابة التلقائية أو الاتجاه الإكراهى .

كان دوستوفسكى مقتنعاً تماماً بأن الوسيلة يجب أن تتناسب مع النهاية المرجوة إذا كان هدف روسيا أن تحمل مسؤولية الحقيقة المسيحية للحياه البشرية فإنها يجب أن تحقق ذلك ليس عن طريق السيف ولكن بقوة الأخوية، كان ذلك أمله الكبير أن يدمج ستافوڤيل والإنسان الغربى والصفوة والفلاحين فى مجتمع روسى واحد . من خلال اتحادهم، الحق المنبعث من المسيح يمكن أن ينتشر إلى العالم الحديث. روسياً من وجهة نظر دوستوفسكى يجب أن تقوم بهذه الخدمة العالمية للبشرية كلها ، كان يسعى إلى إظهار الطريق الذى يقضى على العناء الأوروبى بالرورح الروسية المتحدة والإنسانية كان يريد أن يحتضنهم بهذا الحب الأخوى وبذلك يصبح العالم كله محكوماً بالقانون المقدس للمسيح، لكن هذا الفداء لدوستوفسكى لم يكن ناجحاً لم يمنع إنهيار روسياً القيصرية إلى الفوضى والثورة، ولكن هذا الاتجاه مازال باقياً وسوف نتبناه مرة أخرى كالحقيقة الكبرى لانقاذنا الروحى حيث أن المسيحية الكاذبة المؤسسة على النفوذ قد قضت على نفسها .

## طبيعة نظام العصر التالى للعصر الحديث :

بعد إدراك لب النظام العلوى للمسيح يجب أن تترجم هذه الرؤية الى بناء منظم داخل الحياه البشرية، الحاجة الملحة فى عصر الأزمة الروحية هو إحياء الشعور بالإرتباط مع الحقيقة ولكننا يجب أن نفكر بعمق كيف نستطيع أن نحقق هذه التجربة داخل الإنسان

والمجتمع والتاريخ، لقد ركزنا على المركز الرئيسى الدرجة التى تشارك فيها فى هذه الذات المقدسة والتى أصبحت معياراً للحياه بأكملها ، يجب الآن أن نتجة إلى الكشف العقلى لهذه التجربة وتحويلها إلى نظام أخلاقى وسياسى وتاريخى هذه هى الخاصية الواضحة بجلاء عندما تحقق المسيحية دورها كأساس لهذا البناء ففى مضمونها الإيمان المسيحى وتقديس الطبيعة البشرية مع الله ومن خلاله تحقق الأبدية، ولكن كيف يؤثر ذلك عن نظام الموجود ؟ هذا يحتاج إلى توضيح مستمر حيث إنها ليست الدفعه الأولى لهذه التجربة لهذا السبب فإن أرتباط المسيحية بالفلسفة وتركيزها على خلق النظام فى الوجود كانت لها أهمية تاريخية كبيرة كل رمز يقوى ويساند الآخر . إن الفلسفة تحتاج إلى سلطة علوية لتصديقها والإلهام يؤدى إلى الوسيلة التى تؤكد تأثيرها خلال التاريخ .

## الحقيقة الروحية الملزمة :

عند البحث فى حقيقة العلاقة بين الفلسفه والإلهام نجد أن العنصر الأساسى فى الإلهام هو تجربة الإلهام نفسه خاصة فى الفترة التى إنكمش فيها الإيمان عندما هوجم مصدر سلطته وعندما أصبحت فلسفتها نفسها منتقدة فى هذا الكتاب لم أبدأ بفلسفة الضمير والإدراك التى ستقدم تفسيرات. أو مبرداً للأفتراضات التى وضعتها. لهذا السبب أو حيت للقارئ بأننى أقترح مفهوم مسيحى للعالم، أما الآن فأنا أحب أن أوضح بأن هذه الأستراتيجية متماشية مع فلسفة الإدراك الكامنة بها ، النظرية الرئيسية إن الصدق الروحى لا يمكن فهمه إلا عن طريق المشاركة فيه، لا يستطيع الإنسان أن يعرف الحقائق التى يشير اليها الحق إلا بع أن يقربها إلى نفسه بالخضوع لتأثيرها . على أقل تقدير يجب أن يكون الانسان قادر على الاشتراك فى إعادة التشريع . إن التحليلات النظرية لهذه الاحتياجات ستكون لها اثارا ضئيلة على الانسان الذى لم ينفتح لها . الاكثر فاعليه واقناعا هو التقديم المباشر القوى للتجربة نفسها بهذا الاسلوب فان المتحولين ، والمذبذبين والرافضين يمكن أن ينجرفوا مع هذا التيار .

الان من الضرورى أن نكمل المفهوم الكبير والا سيكون هناك خطرا داهما حيث تصبح هذه الحقيقة العلوية فى عزله عن العالم الذى جاءت لتنقذه . لم يعطى أحدا إهتماما لهذا الموضوع مثل اهتمام اريك ڤوجلين لقد تعلم باسلوب فلسفه ما بعد الكنتيه وفهم بعمق طبيعه الاعتراضات ضد جميع صور المعلومات الميتافيزيقية . وضح " كانت" إن معاييرنا العقلانيه يمكن أن تطبق على الأشياء داخل تجارب محددة بمكان وزمان واننا ليس لدينا أى معلومات اكيده عن النهايات المقدسة أو الروحية التى تغير العالم . اتجاه فوچلين الحديث يؤيده بقبوله لهذا المفهوم على الرغم من انكاره بان هذا الفكر يمثل الفهم الكامل للمعلومات البشرية لقد حاول أن يعالج هذا النقص من خلال فلسفته الخاصة للادراك حيث يوجهها ضد الهجوم الفلسفى على الايمان وعلى الاعتراضات الأخرى " للموضوعيه" إن التأكيدات الدينية الموضوعيه موضوع خاص بصفهه مطلقه ، والمجتمع التحررى مبنى على أساسا عدم معرفه أى شىء عن الله . تلك هى العوائق المانعه التى تمثل " قبول حالة عدم الادراك كواقع ويجب أن يقاوم هذا الاتجاه من أى مفهوم للنظام مغروس فى اعماق تجربه الذات العلويه .

إن نظرية فوچلين للادراك لم تكن جاهزة ولم تظهر فجأة فى صورتها النهائيه . لقد نتجت من صراع إمتد بطول حياته مع مشاكل النظام الذى القى به جانبا بالرفض الايدولوجى لهذا العصر . وهذا واضح بصفة خاصة فى المجلد الأخير الذى لم يكتمل عن " النظام والتاريخ" تحت عنوان " البحث عن النظام " هنا توضيح فلسفة الضمير أخفت تماما الشخصية التاريخية للموضوع إن تحليل الوعى قد تطلب ذلك الاسلوب بسبب اقتناع ڤوچلين المتزايد بان من خلال هذه التوضحيات فقط يمكن احياء تجارب ورموز النظام وللتغلب على التأثير المضاد للايدولوجيا يجب أن نتتبع المشكلة حتى نصل الى جزورها من خلال الوعى هنا نستطيع أن نبين أن رموز النظام تنبع من التجربة الموثقه للحق وأن المعارضة الايدولوجية مجرد محاولة لانكار هذا الوعى اصبحت مهمه فوچلين الرقى " بعدم

الادراك العـام " وتحـويله الى وعى : كـان سلاحـه تحليل تـكوين الوعى حـيث يصـبح الحق معروفا . لقد أقر صحة تجارب النظام من خلال فـهمه لهذا الوعى وبذلك أصبح ممكنا إحيا ء هذه التجارب الصادقة داخل الوجود البشرى .

" اذا أردنا أن نحطم عدم الوعى العام يجب أن نحلله وبذلك نرفعه إلى مستوى الإدراك يجب أن نسترجع الاعمال التاريخية المنسيه حتى نعرفهم على حقيقتهم كما يجب أن نتذكر لغة الادراك والحقيقه مثل حقائق التذكر والنسيان حتى ندرك هذه المتناقضات الظاهرية مثل الصدقه والكذب ، يجب أن نفرق بين ابعاد المسافات المحددة التى تقف بصلابه فى بدايه جميع الفلسفة العقليه "

إن المسافـة التـأمليـه أو الادراك التأملى للتوترات داخل نطاق الوعى أصبحت الوسيلة المستخدمه للاسترجاع من النسيان ذكرى الحقيقه العليا . وهى كذلك الوسيله التى تؤكد أن تجارب الحقيقة الوجوديه لا تقع ضحية للتشويه فى الاعتقادات والمذاهب للنظم الايدولوچية المختلفة .

التغيير الذى حدث لفوچلين وانتقاله الى فلسفه الوعى والادراك جاءعندما ترك دراسته عن تاريخ الافكار السياسية . لقد أدرك كما لاحظنا أن هذه المحاوله كانت مجرد أحد المحاولات الأخرى " للتشويه الايدولوجى " للإفكار " لم تكن هناك أولاً افكار عن النظام الا لو كانت هناك إلا رموز للتجربة الفوريه " إن الافكار عن النظام مشتقه إنها لا تحتوى على الدليل حتى نحملهم داخل انفسنا . عندما نختبرهم لتكشف عن مبرراتهم نجد أنهم لا يستندوا إلا على التآكيد الاعتباطى حتى ندرك إن هذا ليس المصدر الحقيقى . لن تكون هناك أى أفكار و مراجعها ستكون خاويه اذا لم تكن هناك تجارب محدده تتناغم مع نظام الواقع . اذا اتبعنا ما هو متقارب مع ارواحنا سوف نساهم بصورة اكبر فى النظام الذى عرفناه .الأمر لا ينحصر فى مجرد اختيار طريق ارتجالى إن ذلك يعتبر أساسا للحياه البشرية مبنى على الحقيقة المجربة . إن الافكار عن النظام مجرد قشور ثانويه من الرموز

التى تربط هذه الاضاءه التجريبيه للحقيقه. إن النظام يتغير ليس كنتيجة للتأملات التجريديه ولكن من خلال الجهود التى يبذلها أشخاص استثنائيون يسعوا الى كشف وتوضيح هذه الحقيقة من خلال حياتهم الخاصة . لا يمكن أن نأخذ فى إعتبارنا أى مفهوم آخر بعيدا عن تلك المعركه لتحديد الحق الوجودى نحن نستمر فى الحياه فى هذا الكون طالما لم نستطيع أن نتقدم خارجة الى تجربه حقيقيه توصلنا الى الحق . لا يوجد أى نظام الا وقد إنبعث من خلال التاريخ البشرى عن طريق البحث والتنقيب.

إن الطبيعة المشاركة للحقيقة الروحية هى صفتها التعريفية الرئيسيه .

كان " كانت " محقا عندما أعلن اننا لا نستطيع أن نحصل على أى معلومات الا عن طريق التجربه ولكنه كان خاطئا عندما أكد أن النفس المقدسه أو خلود الروح لا يمكن تغييره خارج النطاق التجريبى ببساطه شديده حيث أنها ليست اشياء ملموسة فان ذلك لا يعنى اننا لا نستطيع تجربتها بجانب النشاط المتعمد للوعى الموجه الى الاشياء الخارجية نجد هناك كذلك الحقيقية التى يشارك فيها الوعى والتى تعرفها بدقه من خلال المشاركة:

" إن الوعى يمكن أن يفسر بطريقتين يمكن تعريفه بالتعمد والنورانيه هو حقيقة لها معنيين " حقيقه الشىء " و" حقيقتها " الوعى اذن موضوع يتعمد أن تكون الحقيقة موضوعه ، ولكن فى نفس الوقت هو الشىء فى الحقيقه المفهومه ، والحقيقة هى موضوع الوعى وفى نفس الوقت الموضوع الذى يؤكد به هذا الوعى."

إن " التعمد " والنورانية " هما البعدين الهامين للوعى والبعد الثالث هو " التامل وهو الذى يربط البعدين الأولين سويا عن طريق ادراك الفرق بينهما . تثار المشاكل فقط عندما يؤدى التأمل إلى النسيان وينسى الفرق فى المعنى بينهما فى هذه الحالة يكون بعد " التعمد" محتفظا بالسلطة المطلقة ويصبح النموذج الموضوع أو " حقيقه الشىء " هى التى تهيمن على الفكر الانسانى .

من الضرورى أن نذكر انفسنا بان الانسان يواجه الاشياء داخل الحقيقه وكذلك داخل نفسه هناك جزء من هذه الحقيقه هى " حقيقتها" المفهومه ولا تستطيع أن تكون شيئا " لنا حيث أننا متضمنين بداخلها ، يمكن معرفتها فقط عن طريق زياده النوءانيه فى مشاركتنا بداخلها . نحن نعلم إننا جزء من كل حيث لا نكون البدايه أو النهاية ولكن اساسها يجب أن يكون مختلفا عن الاشياء الملموسة والواضحة فى الوجود . نحن لان تفهم تسلسل التأثيرات التى تنبع منها أفعالنا أو التسلسل الزمنى الكامل للنتائج التى ستسفر عنها . ولكننا نعرف الالتزام أو الشيء الداخلى الذى يجذبنا الى أعلى إلى الخلود والخير . اذا إتبعنا هذا الأنجذاب الى الحقيقة العليا نستطيع أن نشارك بصورة أكبر فيها ونحصل على المعلومة والقدره الذى يمكننا من السير فى اتجاهها بايمان اكبر نحن لا نتعدى حدود المفاهيم الانسانيه لنصل الى الفهم المقدس لنظام الاشياء .

إن معلوماتنا تظل مرتبطة " بجهلنا الضرورى ومن الناحية الأخرى هل نستطيع أن نقفل على أنفسنا بصورة كامله عن إدراك الحقيقة العليا فنغرق الى اسفل المستوى البشرى . نحن نستمر فى المعرفه لهذا الشيء الذى نحاول الهرب منه فوق كل شيء تبقى طبيعتنا فى التساؤل هذا. هو ما يستنتجه فوجلين كشيء أكيد للوعى الانسانى من خلال حركات التاريخ إن المعلومات التى نتملكها هى معلومه المتسائل لا يمكن أن تكون علويه أو تافهه جزريا لكنها يمكن أن تتزايد الى درجة الانفتاح الالهامى من خلال كشف متجاوب . داخل السؤال نجد المعلومه التى نبحث عنها نعرف محدوديتنا محدودية كل ما حولنا ونعرف الأساس المقدس الموجود كقوه تحجرك بحثنا بانفتاح الى اتجاهها . إن طبيعه الاستفسار هو الذى يحركه يجد ڤوچلين ذلك فى اسطوره بابليه دؤيويه يهودية أو هندية ولكن فى الفلسفه الاغريقيه المترابطه يجد فوچلين اكثر التعبيرات شفافيه انها تلخص التجربة الكلاسيكية للعقل " الوعى الذى يؤدى إلى التساؤل وعدم الاستقرار هو حاله من الجهل تصبح نورانيه لنفسها كحركة فى العقل تقوده الى السبب الموجود داخله فى كل لحظة

يكون ذلك من خلال الكشف التآملى للسؤال حيث تنتقل الينا النورانيه المقدسه لنظام الوجود " ليس هناك أى إجابه لهذا السؤال الا الغموض حيث يكون النور فى السؤال نفسه "

بالاضافة الى ذلك هذا الانفتاح فى التساؤل الذى يمدنا باسس الاثبات داخل التجربه النفسيه إن النظرية فى كل حاله هى تعبير الخاص قد يعتبر تقدما أو تاخرا عن الانفتاح لهذا التساؤل.

على أى حال نجد انفسنا نتحرك فى اتجاه الحقيقة التى تظهر لنا كموضوع سؤالنا نحن نفترب من الحقيقة. حيث إننا نرفض أن نقبل السؤال نبتعد عن الحقيقة فاننا نرفض الحق ونبحث عن الخداع الذى يجعل من هذا الاتجاه نظريه عامه تقع خارج نطاق جميع التعريفات. انها أعمق واسبق لكل المفاهيم الايدولوجية السابقة " التساؤل الغير مستقر" هذا التوتر الوجودى الذى يحرك جميع الابحاث والتآملات والتى لا نستطيع أن نهمل ترابطه . إن الحق الذى يصل اليه أى شخص من خلال التساؤل التآملى سوف يدركة جميع البشر كحقيقة حيث إنها تتطابق مع الايضاحات والتفسيرات لتساؤلهم هذا هو اسلوب فوچلين فى الاستجابة على الاعتراضات الدائمه عن الموضوعيه " إذا كان الموضوع يخص النظام فى المجال الاجتماعى من حيث السلطه فان الجواب يجب أن يصدر من سلطه مميزه للرجال الموجه اليهم هذا النداء . حيث إن النداء لن يكون له أى أحقيه فى الصدق الا إذا تكلم بسلطة عامه موجوده داخل وعى كل إنسان مهما إن كانت غير مترابطه أو مشوهه أو مكبوته باستخدام الفرق الذى يحدد كل من الخاص والعام نستطيع أن نقول إن هذا النداء لن يكون سوى رأى خاص الا إن وجد المتسائل اثناء إستفساره الكلمه التى تجعل هذا النسؤال عاما ويصبح الوجود الانسانى عنصرا فى فهم الحقيقة ويكون ذلك إذا تكلم السائل بلغه الحقيقة فيصل بها الى نظام عام للجميع. إن العنصر الهام الصدق ينبعث من طيات السؤال نفسه ولا نستطيع أن نعرفه باى وسيله أخرى لهذا السبب يكرس ڤوچلين المجلد الأخير تقريبا الى المفكرين الذى يهتمون ببعد هذه المسافه التأمليه. من بين مفكرى العصر

الحديث يقدم هيجل هذه الخدمه . بجانب تقديمه لاكثر الانظمه المشوسة للنظام فهو من وجهه نظر ڤوچلين اكثر من حلل شروط احياء النظام تحليلا دقيقا لقد فهم أن لغة العقيدة مفلسه وأن الطريقه الوحيده لاستعادة حقيقتها هى الرجوع الى التساؤل الذى أدى إلى ظهورها " إن الحقيقه فى الحركة وأكثر من ذلك فان الحركة هى الحقيقة "

قام هيجل بتحويل حركة التساؤل الى موضوع للوعى يمكن أن يحل من خلال " علم هيجل عن تجربه الوعى " لكن ذلك لم يقلل من خاصيه انجازه " وهو إعاده اكتشافه للمصدر التجريبى للرموز وتحديده للمشاكل الرئيسيه فى بناء الوعى والتى لا نستطيع عكسها " وللوصول الى بناء اكثر إيمانا يعود ڤوجلين إلى الأغريق خاصة هسيود وافلاطون .

بالنسبة لهسيود الخاصية العلويه للأرض لم تفرق بعد وكنتيجة لذلك كان يجب عليه أن يصارع رموز الحركة من المصدر الغير محدد الى خلق النظام من خلال الحقيقة ذلك يجعل تأملاته تمثل جيدا التوتر تجاه الحقيقة الغيرحيه التى يجب أن يتعامل معها . يتعامل هسيود معها من خلال رمز الذاكرة " ليس هناك أى مشاركه فى موضوع " حقيقتها " الا إذا استطعنا تذكرها " وكيف نستطيع ذلك الا إذا كان العنصر المشارك فى الموضوع مجرب فعلا للحقيقة الواقعية " حتى الآلهه لا يستطيعون أن يتجنبوا هذا الشد بين الذات المقدسه والباروسيا المؤقته . إن الشاعر يغنى ليذكرهم باصلهم وصراعهم لتجسيد النظام للحقيقة المقدسة التى تكون خارج نطاق أى صراع من أجل التجسيد . أنها قصة تفرتض تجربه " الفوقيات " دون أى رموز فى مرحله متقدمه يوضح افلاطون كيف إن تجربه " الفوقيات " يمكن أن يرمز اليها دون تحويلها الى " نهايات متعمده " إن المسافة التأمليه موضحة فى الاهتمام الذى يبذله ليحافظ على التناقض فى الوعى بالنسبة للغة الحقيقة إن " الفوق" والنظام الذى ينبثق منه يمكن أن يرمز اليه فى لغه " الاشياء " ولكن هذا الاتجاه لا يجب أن نسمح به للحصول عل الخاصيه التى لا تنتمى للاشياء أو للحقيقة . وافلاطون يصر مثل هسيود بالعوده الى التجربة نفسها " إنها الخطوات التى نفهم من خلالها عندما نتحرك إلى مستوى التأمل والتى ستجعل حقيقه الوجود نورانيه حيث إن هذه الرموز

تضيء بعضها البعض . عندما نحقق ذلك فان اقطاب التوتر بين الخالق والمخلوقات بين المقدس والبشر بين النظام والفوضى يشاركون بذاتهم فى الطبيعه المتوتره للوجود على سبيل المثال القوة الخالقه مثلها افلاطون كحقيقة مرحليه وسطى لا تستطيع أن تبتعد عن دورها فى الصراع لتحافظ على النظام فى هذه الفوضى لا يرمز افلاطون فى أى مكان إلى ما هو اقوى من أى توترات . كنتيجة لذلك يصل الى فلسفه الوعى الذى يصبح شفافا " للتوترات المتناقضه فى الحقيقة التكوينيه بين الحقيقة المقدسه التى نجرب وجودها عند قطب النظام لهذه التوترات والحقيقة المقدسة التى نعبر عنها " بالفوق" بين الاله الذى يوضح نفسه فى وجوده فى الزمن والاله الذى يبقى مجربا ولكنه حقيقه غير معروفة خارج نطاق الزمن " هناك تركيزا مماثلا على الحركة الوجودية فى اتجاه المعرفة التى تميز فلسفه الوعى التى يطبقها كاموس وسولز هنز ودوستوفسكى كلهم يشتركون بان الحقيقة الوحيدة التى نستطيع أن نعتمد عليها هى تلك التى تقدمها لنا الحياة نفسها عندما تكون جميع المبادىء والتعاليم مظلمة فانها تصبح ضرورة للرجوع الى مصادر التجربه التى تعتمد عليها كل الحقيقة لقد فهم دوستوفسكى أن النظرة الدنيوية الضئيله للطبيعه البشرية فى العالم الحديث والايدولوجيا " لا يمكن أن نرفضها بالمنطق " ولكن يمكن أن نتغلب عليها " بالايمان باستنتاج أهمية الايمان لخلود النفس البشرية ، بتأكد أن هذا الايمان هو المصدر الوحيد لعيش الحياه " على الأرض يجب أن نؤكد إن ذلك لا يرتبط سوى قليلا " بفكرة " الخلود لأن ما يشير اليه دوستوفسكى مرتبط أكثر بالحياة على هذه الدنيا وليس بالحياة الأخرى . أنها الحقيقة التجريبيه الكامله التى يحددها اللفظ " الخلود" أنه يلاحظ التناقض فالايمان بالخلود " يربط الإنسان بشكل أقوى بالأرض " هذه الحقيقة عن الطبيعة البشرية يمكن اثباتها بالإختبار الوحيد المتاح إذا إنفتحنا الى البعد الخلودى للوجود فان ذلك يقودنا الى حياه اكثر كمالا فى الحاضر. فتحت هذا التأثير نصل الى حب اعمق واقوى لكل الانسانيه حيث إن كل انسان لديه عمق خاص به داخل نفسه ويعتبر دوستوفسكى هذا اثباتاً كافيا بالنسبة له .

لهذا السبب فان المفكرين الذين عملوا اثناء ازمه العصر الحديث يفضلون أن يوصلوا هذه الرؤيه عن طريق الروايات فهى على عكس الجدال الصلب نجد فى الأدب القصصى تقديم فورى لهذه التجارب هذا هو الإتجاه الذى قادهم الى هذا الاسلوب فالكتاب الثلاثة الذين درسناهم دوستوفسكى وسلولز هنز وكاموس يعتبرون القصة كوسيله لاكتشاف التوترات الاتجاهيه للحقيقة اكثر من كونها وسيله لعرض وجهه المؤلف الخاصة. بعد توضيحنا بان القصة لا تحاول أن تفرض حكمها على الآخرين فان كاموس يصفها بأنها "نوع بدون شكل " فى الحقيقة أنها تتطلب اصعب الاشكال شكل يخضع بصفه مطلقه للموضوع وبنفس الاسلوب يوضح سولزهنز فى خطاب : إن الشكل الأدبى الذى لفت نظرى هو الروايه التى ليس لها بطل محدد " فاهم شخصية فى كل باب هو من يتعامل معه القصصى فى هذا الباب " وذلك يوضح بجلاء زمن ومكان الحدث . وبالطبع فان من إبتدع هذا النوع من القصص هو دوستوفسكى . لقد راينا المدى الذى يرتب به الاحداث ويجسد الحقيقة دون أن يذكرها المؤلف وهو معجب جدا باستخدام هرزن لهذا التكنيك حيث يوضح بجلاء ضعف موقفه بدلا من المخاطرة بنتيجة قد لا تكون مقبوله. ويعلق دوستوفسكى بان هذه هى الخدعه فى الموضوع كله وقد اشار باكتين بان ذلك موجود فى الكتاب المقدس فان المسيح يعلن ببساطة " من له آذان دعه يسمع" إن الحقيقه الحيه لا يمكن توضيحها باى صوره أخرى إذا وضعناها فى شكل تعريف فانها تصبح حقيقه ميته.

إن السر وراء احياء هؤلاء الكتاب للرموز المسيحية وفلسفة النظام هى القدره على استخلاص هذه الحقائق من اعماق الفوضى المعاصرة. الحاجة الى فلسفة للنظام على اساس مسيحى واضحا من خلال المنطق الوجودى للعصر الحديث لا نتعامل هنا مع حلول مفروضة أو تأكيدات اعتباطيه هناك كشف للالهام البشرى الحديث لنظام. متمدين جديد مبنى على الكمال الأخلاقى للإنسان هذا يصبح الأساس لناقد الأخلاقيات الاستقلاليه التى يصبح

فيها التعقل أو الاختيار البشرى هو أساس الاكتفاء الذاتى للنظام إن تحليل معنى ونتائج هذا الموضوع قد أدى كما أوضحنا فى الباب الثانى إلى ادراك جهنم العدميه والآن تستنتج إن التوضيح المؤمن للاخلاقيات الأولية ستؤدى إلى تأكيد أن كل ماهو صحيح مبنى على نظام الحقيقه خارج نطاق الوجود البشرى . ليس ذلك متروكا للاختيار أو الاستمرارية أو حتى المبادىء الأوليه هناك حقيقة عن الخير والشر نشارك فيها ونحن مجبرون على إتباع الجذب للأولى ومقاومه الانجذاب للأخيره كل من يهمه أمر التقدم الأخلاقى للحياه البشريه سواء كان لهم أو للآخرين فان الطريق واضح . يجب أن نفتح انفسنا الى حقيقه الخير فى النظام حتى يتم تحويلنا من خلال قوتها الاكيده فى هذه المرحله نكون مستعدون لادراك الإلهام الكامل للخير المجسد المجد فى التاريخ وهو المسيح بعد الاعتراف بضرورة الأساس العلوى للاخلاقيات لانستطيع أن نمنع انفسنا من إقرار الادراك الواضح المحسوس والكامل لهذا النظام . على عكس التغيير التاريخى الشامل فاننا مضطرون للاعتراف بان الايمان بالمسيح هو الطريق الوحيد الى التحويل الروحى. ليس هذه قفزة ايمان موضوعيه ولكنها ادراك لنفس الحقيقه الأخلاقيه فى المسيح كما نجربها داخل أنفسنا . إن الحركة تجاه الخير هى الحقيقه الموجوده بالكامل داخل المسيح وهى واضحه من خلال أفعاله وتتجلى فى كمال الحب المقدس إن اثبات ذلك موجود دخل كل قلب بشرى يكون مستعدا للاعتراف بها . القدره على استحضار هذا الصدق الموثق الذى يقررة حتى هؤلاء المعارضين له ، افضل اشاره للوضع الغير موضوعى لهذا الاساس المسيحى المكتشف حديثا.

· بأسلوب آخر هناك فلسفه للوعى نستطيع أن نربط صدق هذه الرؤيه الوجوديه وهى توضح أن تأكيد النظام الأخلاقى العلوى هو توضيح لهيكل الوعى المعروف لجميع البشر ليست هذه وجهه نظر خصوصيه لأن الجميع يعرفونها ويمكن اثباتها فى كل مكان كما إنها لاتتطلب مجهودا خاصا لتحديدها حيث إنها واضحة فى التعبيرات الشامله للعالم حتى

هؤلاء الذين ينكرون حقيقه الخير والشر أو يرفضون حقيقة النظام المقدس يوضحون مدى معرفتهم بان الحقيقه لا تتحرك فقط الى مستقبل الأشياء ولكنها تتحرك لأعلى حتى مع اصرارهم لطبيعه الخلق الذاتيه لهذه المفاهيم فانهم يمثلون الدرجة التى تعيشها الانسانية بالمقارنه بالخير فاننا نستمر فى المشاركة فى عالم منظم باسلوب قدسى وعلى رغم إنكارنا لذلك نستمر فى تأكيد ارتباطنا بالنهايات العلويه. يتكون النقد بمواجهه بين هذه الأنظمة والبناء البديل الذى كون لاستبدالها وإحياء النظام يحتوى على توضيح أمين للطريق المعروف .

## قبول غموض الكل

أول خطوه لتوضيح النظام هو شرح العلاقة بين الحركة العلوية للنفس خارج الوجود ودورها فى تكوين النظام داخلها . تلك كانت المصدر الرئيسى للضلال فى المسيحية بعد تحديد نهاية التحويل الصوفى هناك يكمن الخطر فى الأثر السىء فى البحث لنظام دنيوى للوجود وبطبيعه الحال فان تحقيق التوازن بين هذه التوترات من حيث البقاء فى الدنيا أو عدم البقاء بها يجب أن يكون محور الاهتمام .

بالنسبة للمفهوم المعاصر يدرس فوجلين هذه الموضوعات ويعتبرها قلب التقليد المسيحى مهما كان احساسنا عن قصور تعاطفه مع المسيحية لا نستطيع أن ننكر أنه قدم اليها خدمات رئيسيه حيث تعامل مع جميع مشاكلها التى تدخل فى علاقاتها مع العصر الحديث فى السنوات الأخيرة فرضت عليه مشاكل الاتزان نفسها حيث كان يتتبع الرفض والنفور فى العصر الحديث فى تطبيق مذهب الحلوليه على المسيحية الصوفية وبهذا استطاع أن يحدد محور الأزمه المعاصره. تستطيع المسيحية أن تصبح اكبر وأقوى نظام فى العالم لو أن التركيز على الحركه التجريبيه فى إتجاه " العلو " لا تخفى ضرورة التوائم مع ظروف الوجود المستمر داخل هذا العالم . يجب تحديد كل من " العلو و" الذاتية حيث انهما قطبى الوجود الإنسانى. لكن لكى نحصل على هذا النظام يجب أن نكتشف الاتزان

بين هذين العنصرين اذا أهملنا مشاكل الوجود الواقعى فى بحثنا عن الاتحاد مع الرب المبعوث سوف نفشل فى مسؤولياتنا تجاه بعضنا وتجاه العالم .

والرغبة لمنع ذلك قد تؤدى الى شرور كثيره لكننا لا نستطيع أن نوهب كل ما لدنيا على تحقيق النظام فى حدود الوجود المؤقت واذا فعلنا ذلك عرضنا انفسنا لفصلها عن المصدر الوحيد للنظام إن الاتزان مطلوب فى جميع الرموز العلويه ( فاليهوديه والإسلام يواجهون توترات مماثله ) لكن هذه المشكلة شديده الحدة بالنسبة للمسيحية بسبب المفاضله الشديده فيها .

وإتجاه فوجلين هو التحديد الواضح للأساليب المختلفه للتجربه الروحية. الموضوع الإلهامى مع الحقيقة المقدسة الكاملة فى المسيح أو تجلى الله فى المسيح بصفه عامه هى مجرد خطوه صغيره جدا فى طريق الحقيقه . ولكن هذه قد يكون لها أثرا كبيرا على باقى الموضوع إن الانفتاح تجاه الوحى الذاتى لله يعتبر تفهما اعمق لمشاركتنا فى الوجود المقدس " الحق الجديد يرتبط بوعى الانسان لانسانيته من حيث الضغوط التى تشده الى القدسيه ولا توجد أى حقيقه أخرى خارج هذه المنطقة المحدده " يستمر فوجلين فى تحديد هذه المعلومات الفوريه للحقيقة المقدسة فى الحركة التجريبيه فى الاتجاه " العلوى " ويستمد هذه المعلومات من التأمل فى النظام القدسى الموجود فى الكون منذ بدايته الادراك الجديد للمشاركة التبادله للقدسيه فى الانسان والانسان فى الحقيقه القدسية لاتعطينا أى معلومات أخرى مباشره خارج نطاق التجربة نفسها كل من النظام الكلى الذى تحدث من خلاله وخاصيه التجربه النورانيه داخلها تبقيان لغز يصعب حله . يجب أن نستمر فى وضع رموز هذا النظام من حيث أتينا واينما نذهب وكيف نستطيع الوصول الى هناك عن طريق اسطوره أو قصه مماثله كما سماها افلاطون . الاسطورية الكونية هى التى تستطيع أن توضح هذه المعلومات الخاصة بالعناية الالهية منذ بدء الخليقه. النظام الجديد يوضح هذا الوجود القدسى وكذلك درجة الصدق الذى يجب أن تحتوى عليه هذه الاسطورة لكنها لا تستطيع أن تفعل اكثر من ذلك .

تلك هى طبيعه الاسطورة الصوفية حيث تنظم المسيحية حركتها فى اتجاه تحقيق التغيير الكامل الى القدسية . فهى ليست معلومه ولكن مجرد رؤية أو بناء خيالى لكيفيه انهاء العمليه باسلوب متجانس للحركة القدسية هذا هو طريقه الرموز الى الأحداث التى تقع خارج نطاق التجربة ولكنها لا تقع خارج نطاق الوعى . إن الاسطوره الصوفيه استنتاجا من التجربة التحويليه داخل النفس وهى تعبر عن ادراكنا بأن الحقيقة " بناء توجيهى " لكنها ليست سوى استنتاجا. حركة الهجرة الجماعية مازالت تحدث داخل الكون فهى ليست متوقفه على تغيير الكون ويؤكد فوجلين ضرورة توضيح لغز تجلى الله فى المسيح كجزء من اللغز تجلى الله فى المسيح كجزء من اللغز الكامل يمكن أن نصل الى ذلك اذا نظرنا الى " الحقيقة ككل " حيث تكون مرتبطة بالحركة فى اتجاه الحقيقة. الواقعه . كما أن الحركة التجريبيه للنفس هى عمليه مشاركة فى الحقيقة أن الهجرة النفسيه لاتستطيع تحت اى ظروف أن توضح العملية الكليه داخل نظام تحكم المشارك نفسه حيث إن هذا التفسير ليس فى متناول يده .

ويعتبر افلاطون اعظم مثال للاتزان بالنسبة لڤوچلين كان افلاطون حريصا للبحث فى الصفات التاريخية للعالم وللاندماع الروحى الفلسفى لأن ذلك يمده باسلوب يستطيع أن يقلده التاريخ بالنسبة لأفلاطون يقع فى اطار التجانس الكونى بين الإخفاق والإحياء حيث إن الذاكره تستطيع أن تعود الى بدايه الطوفان الأخير وهو يعترف بأن الفلسفه قد تم ادراكها فى صوره المدنيه المثاليه الا أنها يمكن أن تتدهور لتصل الى ظلام وفشل الأنظمة السياسيه . ولا يوجد أى خوف من هذه العمليه حيث أن الفلاسفه كانوا أقرب الى المنبع ولذلك فهم يثقون فى النظام القدسى القوى للكون يمكن كذلك أن نوضح كما أشار ڤوچلين بان افلاطون كان حريصا بتأكيد أن تجربته الخاصة عن التجلى لم تفعل شيئا ضد هذا الايمان الكبير . على الرغم من ادراكة إن خلف هذه القداسة التى تنظم الكون عقليا هناك الحقيقة المقدسة خارج مجال الصراع للاحتياجات الكونيه وفضل الا يعرف هذه الحقيقة

بوضوح كامل . وبذلك فليس واضحا على الاطلاق هل " خالق السماء " متماثل أو مختلفا مع خالق الكون المادى وهل هناك شيئا آخر خارج نطاق " العقل" وخالق الكون المادى من وجهه نظر فوجلين افلاطون كان مدركا للاتجاهات الغير متزنه لتجربة التجلى " لأنها تواجه الحركة مع " العلوى " وتهدد باثبات خطأ احداث التجلى كلها .

بالاضافة إلى العملية الكلية التى تحدث من خلالها إن اغراء هيمنه الاتجاه الشهوانى الغنوسطى على الحقيقة قد يصبح خطيرا إذا لم نكن حريصين بالقدر الكافى ويعرف فوچلين هذه النزعه بأنها " مسلمة الإتزان " وهى التى تحدد مهمه الفيلسوف فى الاحتفاظ بيقظته " بالنسبة للتناقضات التى قد تؤدى الى حياد العملية البنائية عن مسارها .

حيث إن نفس الشىء قد يحدث فى الوجود نفسه .

بعد أن استطعنا أن نعرف الاتجاه الصوفى فى المسيحية فيفضل ڤوجلين عدم الرجوع الى الإتجاه الأفلاطونى المضغوط للكون ولكنه يفضل إمتداد هذه النظرية الفلسفيه حتى تؤدى الى الاتزان المطلوب ذلك يتطلب الاعتراف بالتاريخ حيث أنه اشمل افق لهذه الالغاز . بعد اكتشاف التغييرات التى أدت الى الهجرة كبناء للحقيقة نستطيع أن ندرك العملية التاريخية. إن الاتزان بين الحركة التاريخية ونتائجها التى اسفرت عنها يمكن الوصول إليها إذا إعترضنا بان المعنى التاريخى لا يمكن إختراقه لا يوجد أى معنى للتاريخ اذا فصل عن العملية الشامله حيث أنها تنيز لنفسها الطريق " الاحداث التاريخية هى عملية تحديد الوعى الذى يكون فيه هذا التاريخ أو الوقت الذى إنقضى ليس كافيا للرد على سؤال عن معنى التاريخ السبب أن اى حقبه زمنيه هى مجرد قياس لطول بقاء حقائق الوجود حتى لو أعتبرنا طول مده بقاء الأرض كلها لا نستطيع أن نحددها مع بقاء " الكل " لأنها ببساطة القياس الزمنى لشىء واحد داخل " الكل " الذى يشمل كذلك الحقيقة المقدسه التى تعبر عن بقائه برموز مثل " الابديه " إن غموض التاريخ لا يمكن أن نفرقه عن غموض " الكل " االذى يحدث بداخله ، وهو الآن معروف بانه الاسلوب الذى تصبح من خلاله العملية نوارنيه

لنفسها لذلك فان التاريخ هو أفق اللغز المقدس عندما نكتشف أن عمليه التفاضل اصبحت عملية للتغيير الشامل .

إذا انفتحنا الى التقديس العلوى الذى يشدنا اليه مع ادراكنا بان غموض هذه العملية منذ البدايه يمكن فقط أن نلمحها من خلال اسطورة ، فان النظام سيخلق داخل نفس الانسان . الانفتاح الإيجابى للحقيقة الموجودة فى حدث التجلى يتطلب قبول العملية الكونية والتاريخية الكبرى حيث أنها تحدث من خلالها . لن يكون هناك أى استناره روحية دون هذه العملية الكبرى والله الذى نشعر به من خلال البشر هو نفسه الله مصدر الحقيقة كلها . لقد اكدنا المدى التى تصبح به المسيحية مصدر لتشوية النظام أو مصدرا لاصلاحه وإحيائة فى المسيح نستطيع أن نجد العلو الصوفى باسمى صوره ولكن المشاركة الكليه لله فى الظروف الغامضة للوجود واضحة ومحددة كذلك . إن لغز عملية الحقيقة تصبح محتملة بالتأكد من وجود الله فى التاريخ البشرى. اذا إنفتحنا فى إتجاه هذه الغموض تستطيع البشرية أن تتبع تعليمات النعمه الالهيه المقدسة حيث أنها منبع النظام الاخلاقى للوجود .

## خلق النظام الأخلاقى

الخير والشر ، الفضيلة والرذيلة ، المصالح الخاصه والالتزامات العامه كل تلك الصفات ليست احتمالات ناشئه من فراغ يكون لها معنى فقط من خلال مجرى الحياه نفسها لقد اكدنا أن معايير التصرفات السليمة تبنى على اساس الاتجاه التجريبى فى اتجاه الحقيقة المقدسة الأكيده من خلال عملية الخلود تصبح سلامة هذه القيم واضحة لنا مع حقيقه مجربه تعيد تأكيد صحتها إن الصفات العقلية للايمان والأمل والعطف والأحسان التى اعتبرها القديس توماس كأساس للأخلاقيات ليست مسيحية المنشأ لقد حددها هرقل ولا يتعدوا كونهم صفات للضغوط الكائنه وقد أعطاها افلاطون لقب " الوسط" إن حب القداسه من خلال هذه الحاله «الوسط» تعطى القوة الدافعه وراء الاعمال السيمة وتنير الطريق للوصول الى المبادىء فى كل لحظة تقاس الاعمال السليمة بالتقدم أو التأخر عن التناغم مع المعيار العلوى الذى لا نراه .

هذا هو المفهوم الكلاسيكى لعلم الآخلاق والذى كما أوضح فوچلين يقدم اساس نظام الوجود. هذا المفهوم يتناقض مع المفهوم الحديث الذى ينقصه الأساس السليم لقد فشلوا فى الإجماع على رأى يخص المعيار الذى يقاس به الخير والشر الأعتراض على المفهوم الحديث لأى اقتراح لخلق علم للنظام هو " كيف نستطيع أن تثبت إن ذلك صحيحا ؟ كيف نستطيع أن نعرف الصحيح وسط هذه الظروف العديده المتغيره فى الحياة . كيف يمكن أن نؤكد أن اسلوب عمل معين صحيح إن الاتجاهات الحديثه بالمعادلات الزائفه هى اكبر عائق فى فهم الوضع الفلسفى. إن علم الاخلاقيات الكلاسيكية ليس له تعريف محدد للفضيله أو الدور الشامل للاخلاقيات لقد عرف سقراط أهل بلاده استحاله تحديد تعريف معين للعدل .

الاتجاه الكلى لعلم الاخلاق القديم هو تكوين نوع خاص من الانسان. إذا كانت الروح متجهه فى الطريق السليم الى الحقيقة المقدسة العلوية فانها تستطيع أن تحسن الإختيار على ضوء هذا الحق العلوى الخارق . ارسطو وافلاطون ادركوا إن الظروف المتغيره فى الحياه تستحيل معها إقامة قانون مطلق ولكنهم أصروا على بناء معيار مستقل للصواب والخطأ . هذه النظرية هى روح الفيلسوف أو الإنسان الناضج. الصواب فى أى مفهوم هو الفعل الذى سيقوم به الانسان الناضج عند وضعه فى هذه الظروف من وجهه فوچلين هذه الرؤيه " هى أهم مساهمه لعلم الاخلاق والسياسه " وأقر ارسطو إن كل إنسان يختار الشىء الذى يبدو صوابا من وجهه نظره الخاصة الا أن هذا الاختيار لا يتماثل الا بالنسة للاشخاص الذين لديهم مقاييس اخلاقية عاليه إذا كانت نفسه تقاد الى الصواب فهو سيفعل الصواب فى كل موقف يقابله إن الفضئيله منيره من خلال افعاله ولذلك استنتج اورسطو أن الاشياء الصحيحه واللطيفة تختلف بالنسبة للشخصيات والظروف وربما يمكن تميز الانسان الذى يمتلك مقاييس آخلاقية عاليه من خلال قدرته على رؤية الحقائق فى كل سؤال اخلاقى منفصل حيث أن هو ذاته مقياس ومعيار لهذه الاسئله لا توجد أى نظريه اخرى افضل من تلك من حيث إن الشخص الذى يقوم بالافعال الصحيحة دائما نضعه فى نفس الموقف

ويكون تصرفه معيارا لنا. مثل كثير من إتجاهات الفلسفة الكلاسيكية نجد هذا المفهوم الاخلاقى قريبا جدا للمنطق العقلى . وهى النتيجة الحتمية التى سيصل اليها كل من يبحث باخلاص عن النظام السليم وقد أوضح سولز هنز أنه لو لم يكن مشغولا بسلبيات الفلسفه الحديثه لكان استنتج هو الأخر أن الحقيقه الآخلاقية فى الحيها موضوعيه بدرجة كبيره. وللإجابه على استفسار ما يجب أن نفعله فى البيئه المعاصره العدمية ، يجيب باننا يجب أن نصر على عدم الكذب لأن الكذب يخفى ورا ءه كل اعمال العنف والافعال الخاطئه وهو المنطق الذى يستطيع الشيطان أن يهاجم من خلاله الافراد والمجتمع ولكنه يعرف إن الاشخاص سيعترضون على ذلك ما هو الكذب ؟ " الاجابه على هذا السؤال بسيطة جداً - قدر ذلك بنفسك بما يملى عليك ضميرك بعد أن تشارك فى الحقيقة والصدق سيتضح لها الحقيقة اكثر فأكثر كلما فتحت قلبك لك " كل من يحصن قلبه ويفتح عينيه لألاعب الكذب سيتطيع فى كل موقف وكل يوم وساعه أن يدرك ما يجب أن يفعله المشكلة الكبرى التى تخص مادية القيم أو الاحكام الاخلاقية تصبح مشاكل فرعيه بعد أن نقرر السير فى طريق الصدق الواضح والمعروف لدينا .

إن طبيعه علم الآخلاق فى العصر بعد الحديث هو أنها تغلبت على الاصرار الحديث لمناقشه الموضوع من الناحية المادية أو الموضوعية . فقد رجعت الى المفهوم الخاص بارسطو للحكمة العملية كأساسا لها .

يلاحظ فوجلين أن هذه المعلومات تتحول الى افعال ملموسة والعقل هو الحقيقة الوحيدة للمعلومة ولكن الذى يفصل بينهما ليس المسافة بين الموضوع والمادة ولكن التوتر العقلى فى حركة الكائن لكن ڤوچلين لم يوضح علاقة هذا التآكيد الكلاسيكى للادراك المؤكد للفضيله على الاستنتاج المسيحى . بالنسبة للمسيح " المرونه فى حركة الكائن والاحساس بالمشاركة فى النزعه الآمره للمصدر المقدس تصبح واضحة جدا فهو الالهام الحقيقى لصدق الفعل الآن ليس هناك أى صورة أخرى للإنسان الناضج سوى المسيح. هو

الواحد المتماثل تماما مع الحقيقة المقدسه حتى اصبح الإناره الكاملة للوجود البشرى . وذلك ما يقصده دوستوفسكى حينما قال : لا يوجد شىء أكثر جمالا، اكثر تأكيدا، أكثر عطفاً، اكثر عقلاً ، أكثر شجاعه ، واكثر كمالا من المسيح " الافعال الآخلاقية تصبح مجرد إتباع لهذا المثال الحى الذى يجسد القدسيه العلويه وفى سوف بالافعال الصحيحة بصورة أوضح واكمل كلما نجحنا فى هذا الانفتاح مع المسيح وقد اشار القديس بول الى ذلك بقوله : أن تفكر بعقل المسيح "

## مبادىء النظام السياسى: تحويل التحررية

يمكن تحديد علم الآخلاق باسلوب أعمق من خلال الآعمال الملموسة وتطبيق المبادىء ولكن اهم ما فى هذا الموضوع الروح التى تنبع منها . بعد تحديد الاتجاهات الرئيسية تصبح عمليه تحقيق الافعال الصحيحة مجرد العمل على زيادة الحساسيه الاخلاقيه والفهم التجريبى ولا يبقى أمامنا أى عائق يمكن تطبيق ذلك فى النظام السياسى ايضا بمفهوم مابعد العصر الحديث الا أن التغيرات اللانهائية فى ظروف الحياه الفرديه وفى حياه الجماعة لا تسمح بتطبيق معادلة سياسية واحدة . إن التنظيم التشريعى فى المجتمع من الاعتبارات الثانوية إذا قررن بالروح والقيادة التى تحركه لقد جربنا كثير من المحاولات الايدولوجية التى حاولت تغيير الطبيعة البشرية من خلال التغييرات السياسية والتنظيمية الا أن مفكرين هذا العصر يصرون على مقاومة أى إتجاه يعطى الأولوية للمستوى السياسى لأن النظام الاجتماعى والسياسى يجب أن ينبع من النظام داخل نفس كل المواطنين. لهذا السبب مفكرى هذا العصر لديهم مرونه كبيرة بالنسبة للبناء السياسى خيث أن نظرتهم نابعة من جميع الاتجاهات الايدولوجية .

ذلك جعل من الصعب أن نصنفهم من الناحية السياسية واصبح ذلك مصدرا للزعر المستمر للقراء التقليديين أقرب هذه الأمثله الصدمة التى تلقاها المفكرون الغربيون والرأى العام عندما اكتشفوا أن سولز هنز لا يشاركهم ايمانهم المطلق للديمقراطيه التحررية

الحديثه. لقد إفترضوا تلقائيا أن الانسان الذى يهاجم الاستبداديه والشمولية يجب أن يكون ديمقراطى تحررى. وكثير من المنشقين السوفيت يميلون إلى نظام الحكومة الغربيه الديمقراطى ولكن سولز هنز ورفاقه ليسوا من ضمن هؤلاء . لكنه ليس ضد اسلوب الحكم التحررى الديمقراطى فهو لا ينظر فقط إلى هذا النظام على أنه الدواء الشافى لجميع الأمراض لهؤلاء الذين لا يستطيعون رؤية أى بديل آخر أنه يقبل الديمقراطية التحررية كحكومه فى الغرب ويتوقع انها ستستمر فى تحقيق النجاح بدرجة كبيرة لذلك فهو قد يكون مجبر على إستيرادها الى الاتحاد السوفيتى لكنه يختلف اختلافا تاريخيا شاسعا عن الغرب لذلك فهو يفضل حكومة فاشستيه لدولته . التركيب الغير ايدولوجى للحكومة المطلقه سيكون اكثر فاعليه لقدرتها الأكبر على الاحتفاظ بالنظام داخل المجتمع السوفييتى الغير معتاد على مقاييس الحريه الديمقراطية .. العنصر الخطير من وجهه نظر فوجلين نقص الايدولوجيا فقد ادرك خطورة الحكم المطلق ولكنه وصل الى أن الحكم الفاشستى فى حد ذاته ليس مخيفا لكنه إذا كان لا يستطيع أن يحقق تسائل أى أحد أو لا يستطيع أن يحقق أى شىء فهو يكون مرفوضا .

فى نفس الوقت ادرك سولز هنز الضعف الداخلى لنظام الحكم الديمقراطى التحررى.

فهو يذكرنا أنه اثناء الفترة القليلة للحكم الديمقراطى فى روسيا من فبراير الى اكتوبر ١٩١٧ وقعت روسيا تحت تأثير الثورة الشيوعيه التى ادت الى اكثر نظام حكم استبدادى فى العالم أجمع ويمكن أن يقال نفس الشىء للثورات الديكتاتورية الأخرى لأنهم لم ينبثقوا من الحكومات الاستبدادية ولكن من انهيار الحكومات الديمقراطية الضعيفة حيث يمكن أن تواجهْ الفشل وتنهار هى الأخرى لقد أعلن سولز هنز ذلك فى حفل تخريج بجامعة هارفارد عام ١٩٨٧ .

وسط امريكا التى تطبق اكثر الانظمة الديمقراطية نجاحا فى الغرب هذا الشعور بانهيار الديمقراطية كان ملازما له جاء به الى هذا المنفى الذى اختاره بكامل إرادته فالتجربة

الروسية مع الديمقراطية أثرت عليه بحيث اعتبرها تجربة شاملة مضغوطه لتجربه الغرب فى الحاضر وما ستكون عليه فى المستقبل .

الشئ الذى يعترض عليه سولز هنز فى التحررية هو العنصر المشترك بينها وبين النظام الشيوعى وكل الأنظمة الايدولوجية: ذلك هو نقص الاساس الاخلاقى والروحانى فبينما الشيوعية ترفض حقيقة أى نظام أخلاقى ايجابى فان التحررية تتلاشاه وتنقصه حتى يصل الى مستوى الرأى الموضوعى الفردى ففى النهاية تتفق مع الشيوعية فى نفس هذا الخط لهذا السبب فان الشيوعيه والتحررية " إخوة متخفيين "

لماذا فشلت المجتمعات التحررية فى إيجاد معارضة موضوعية للشيوعية فالنصر الكبير للديمقراطية التحررية فى الاعوام الأخيرة كان يرجع الى الانهيار الداخلى للشيوعية وليس للانتصارات السياسية أو الفكرة للغرب .

الديمقراطية التحررية كانت مبنيه اساس على المصلحة الشخصية " البحث عن السعاده " ذلك هو أساسها الذى تعتمد عليه بدلا من الاشباع الروحى للطبيعة البشرية .لمدة طويله كان هناك إجماعا غير ظاهر عن الالتزامات التى يجب أن تحكم العلاقات الانسانية وكان هذا الاتجاه يسير مع الاتجاه السابق فى خط متوازى ولكن الان هذا الاتجاه انتهى من وجهه نظر سولز هنز وآخرين ، هناك مطالب متكرره وملحة لزيادة الحرية وأن يكون الاختيار الحر الغير محدود هو دليل السياسة العامة وفكرة النظام الآخلاقى المستقبل اختفت كليتا. وبدون الاتفاق على هذه الاخلاقيات الرئيسية فان عملية الانضباط الهامة فى أى نظام حكومى قد اختفت هى الأخرى وظهرت مشاكل أخرى ناتجة عن تلك " الحرية الغير مسؤولة" وتكاثرت هذه المشاكل بشكل يهدد انهيار النظام وحيث انهم مقتنعون بان النظام السياسى يجب أن يعاد تنظيمه على هذا المستوى الرئيسى أولاً فان مفكرى هذا العصر ركزوا جهودهم على احياء الروح الاخلاقية والنفسية فى المجتمع وهدف هذا الكتاب توضيح نفس الاتجاه فنستطيع أن نشير الى مجهودات دوستوفسكى منذ عام ١٨٦٠ الى ١٨٨٠

حينما سعى الى احياء هذه الروح فى روسيا من خلال كتاباته الأدبيه والصحفية وقد قام كاموس بدور مشابه خاصة اثناء الفراغ السياسى بعد التحرير الفرنسى حيث حاول إحياء الاسس الاخلاقية والروحية للنظام والان سولز هنز يقوم بنفس المهمه فهو يهدف الى تحقيق الرجوع الى الله والبعث لتكوين اساساً متينا للنظام حيث ضاع وزن واهمية الايدولوجية فى روسيا. واكثر من عمل فى هذا المجال فوجلين حيث وجه اعماله التاريخية الى احياء التجارب والرموز التى خلقت الأنظمة فى الوجود البشرى بأكمله .

لم يذكر الكثير عن الترتيبات التنظيمية التى تحقق هذا الاساس المجدد الواضح أنهم لن يتبعوا المبادىء الاشتراكية أو المبادىء الرأسمالية ، لقد حاول سولز هنز فى بعض الاحيان أن يجادل من أجل " الاشتراكية الاخلاقية " وشولوبين يجادل من أجل نظام اشتراكى وسياسى يحظى بكل الاهتمام للمتطلبات الاخلاقية . اتجه دوستوفسكى الى ما أسماه " اشتراكية روسيا" وعرفها بانها كنيسه ايقونيه على الأرض " كان مقتنعا بان روسيا تحمل بزور هذه الصحوة العالمية لمجتمع عالمى تحت اسم المسيح وبنفس الاسلوب. استمر كاموس فى الانحياز الى الاشتراكية طالما كانت مؤمنه باخلاقياتها فى التخفيف عن المعذبين ونشر العداله ولكن بشرط الا تعطيهم هذه الافكار فرصة لارتكاب جرائم أفظع باسم العداله . ونجد إن اتجاه فوجلين هو اكثر الإتجاهات الاربعة تحفظا فهو يؤكد ضرورة تدخل الحكومة فى حماية اكثر أعضاء المجتمع ضعفا .

إلا أن هؤلاء المفكرين الأربعة لم يستطيعوا أن يلاحظوا أن التحرر المبنى على الاتجاه الروحى هو التعبير الاوقع لكل ما يدور فى ذهنهم على الرغم من عدم احتضانهم للديمقراطية التحررية الا أن كل ما يهدفون اليه هى التحررية المجددة والسبب فى ذلك أن اتجاهم الواحد هو أن التعاليم والمبادىء الاخلاقية لقيم الانسان هى المفتاح لحل مشاكل المجتمع بالنسبة لاعتراضهم بان فضيله الانسان غير كافية لضمان افضل مجتمع أو افضل دولة " إن تحسين الانسان ليس فقط بدايه كل شىء ولكنه تكمله هذا الشىء ونتائجة فعن

طريق تحسين الفرد نحتضن ونخلق ونحافظ على النظام الوطنى فالافكار الاخلاقية والروحية تأتى فى المقام الأول ثم نطلق عليها أى اسم تنظيمى لكنتا إذا حاولنا أن نوجد نظام اجتماعى وسياسى اكثر مثاليه دون أن نغير فى المقام الأول قلوب الافراد فسيؤدى ذلك إلى النفاق والرياء أو صفات أسوأ كما رأينا . الاصلاح البنائى والتحسينات أقل أهمية من النمو الاخلاقى للافراد ونضيف الى ذلك أن نقطة النهاية فى أى تغيير تنظيمى هو الرقى بالنمو للاشخاص داخل المجتمع فالانظمة الاجتماعية والسياسية ليس لها أى دور سوى الخير للانسان .

اذا اتبعنا هذا الخط الفكرى سنصل فى النهاية الى التحررية الكلاسيكية فالحكومة موجودة لخدمة الاشخاص وليس عكس ذلك . الاختلاف الوحيد إن هذه الخدمة الموجهه للافراد لها مفهوم عميق ليس مجرد القيود على سعادة الأفراد وعلى مصالحهم الشخصية انها خدمه مقدمه على اساس فهم مصلحة الانسان التى تتضمن خدمة الاخرين والمصلحة العامة للجميع هذا هو المفهوم الوحيد الصادق للحرية . هذا المفهوم هومصدر الاعتقاد بان الأولوية تكون للفرد والحرية الفرديه وذلك هو الشرط الضرورى لجميع الأنظمة الاجتماعية والسياسيه هذا الدفاع عن الحريه الفرديه والكرامه هو الفكرة الرئيسيه لدوستوفسكى وكل من اتبع خطه فى الكفاح ضد الروح الاستبداديه حتى إذا كان المجتمع ملىء بالخير للجميع يقول كاموس " اذا لم تهيمن الحرية على هذا المجتمع سيظل قائم على الوحشية " ويصف كاموس موقفه من هذه القضية باسلوب تحررى تقليدى " إن الطريق الى النظام الامثل اليوم والذى يتناسب معنا جميعا «الا نتخلى عن اى شىء بحجة العدل حتى توفر ذلك للحرية " .

كما يبين سولز هنز كذلك درجة غريبة من الرؤيه الداخليه على شروط الديمقراطية التحررية . ذلك يكون واضحا فى المناقشات السياسية الكثيرة فى اعماله فى الباب التاريخى عن ستولبين يقول سولز هنز أن ستولبين هو اكثر من يفهم بعمق الاحتياجات

الروسية بمقارنته بالمصلحيين والثوريين الاخرين من موقفه كرئيس للوزراء لم يحاول أن يقف فى وجه حركة التصحيح الديكتاتوريه ولكنه حاول أن يوجهها الى ملكية دستوريه كان هدفه الوحيد منع هذا الاتجاه الذى يطالب بالحكومه الذاتيه حيث أنه يعنى فى هذه الظروف ثورات لانهائيه إن صفه رجل الدولة الدستورية الوقوف مع الاصلاح مع الفهم العميق لضرورة الحزم الملازم لذلك . وقد أدرك أن الحكومة الشعبيه ستؤدى الى الخراب ، الا إذا استطاع الشعب وزعمائه أولا تحقيق التنمية الفكرية والاقتصادية والسياسيه .

لهذا السبب عمل ستولين على تحرير الفلاح الروسى من الكبت وعدم تحمل المسئوليه الذى غرسها فيه نظام المزارع الجماعية " فكره ستولبين الرئيسية استحاله الحكم عن طريق القانون الا إذا كان المواطنين أحرار وفى روسيا هؤلاء المواطنين هم الفلاحين المواطنون أولا ثم الحقوق الأهليه فى نفس الوقت أدرك ضرورة بناء مؤسسات وسيطه بين الحكومة والشعب والضرورة القصوى لتكوين حكومة شعبية تبدأ من القاع وتنتهى لأعلى . كانت هذه فكرته بانشاء المجالس المحلية والاقليمية ستولبين عمل كذلك على أن تقوم الحكومة برعاية هؤلاء الغير قادرين على الكسب لم يتخلى عن الملكية التى كانت لها أهميه تاريخية كبيره لروسيا وسعى كذلك الى حكومة دستورية . كان برنامجه يدور حول تكوين المواطن الحر المستقل المتحلى بالصفات الحميده حتى يستطيع أن يتحمل المسئولية . ولانجاز هذه المهمه فهم ستولبين مثل قله من الزعماء الآخرين دور التقاليد الروحية القديمة مثل الكنيسة الروسية الارثوذكسية " لكى نصلح طريقنا فى الحياة دون أن تدمر الاساس الحيوى لدولتنا ليس أمامنا سوى ارواح الشعب " النتيجة التى لا نستطيع مقاومتها بعد كل هذا العرض العاطفى أنه يجسد نموذج سولز هنز لرجل الدولة المثالى الحديث على الرغم من وضعه ضمن اعداء التحررية الا أن ستولبين كان من وجهه نظر سولز هنز الصديق الصادق الوحيد للاصلاح التحررى الدستورى فى روسيا قبل قيام الثورة .

يمكن أن نقول نفس الشيء عن مفكرى عصرنا هذا الا أن معظمهم يرفض لفظ"

التحررية" هؤلاء المفكرين يشاركون فى إحياء وتجديد هذا الاتجاه السياسى القديم أنهم كما وصفهم فوجلين يغيرون الاتجاه التحررى تحت ضغط الاحداث التاريخية ويضيف فوجلين إن هذا الاتجاه له وجهين وهما القوة الدافعه للمفكرين .الذين عملوا وسط أزمات العالم الحديث أول هذه الأوجه هى "تداخل الاحتياجات الاجتماعيه والأخلاقيه داخل التحرريه الكلاسيكيه" ويوضح ڤوجلين إن الاحساس بالمسؤليه تجاه مصلحه الدوله مثال على ذلك لكن هذا يمكن تطبيقه كذلك على ادراك الأسس الأخلاقيه الأشمل للنظام السياس والوجه الثانى " أن تملأ التحرريه بالعناصر المسيحيه" وذلك يؤمن الفرد والنظام السياسى فى الاتجاه الى الحقيقه العلويه وتلك هى أقوى وأوضح الملامح للفكر السياسى الجديد.

فهؤلاء المفكرين طوروا عملية التجديد الاخلاقيه والروحيه ولانبالغ إذا أوضحنا إن ما حققوه "للتحرريه" اكثر بمراحل عما حققه هؤلاء المدافعين هذا الاتجاه تحت هذه عن التأثيرات تستطيع التحرريه إن تعيد اكتشاف اسسها الفلسفيه والمسيحيه من الناحيه التاريخيه والعامل الذى يحدد نجاح أو فشل الأنظمه الديمقراطيه التحرريه ليس له سوى علاقه بسيطه بالرموز نفسها إن علاقتها بالاصرار والاستمرار على العادات الاخلاقيه والدينيه داخل المجتمع والذى يكون مهملا من قبل النظام السياس للدوله. لتحقيق التجديد المطلوب يجب أن يوجد ادراك أعمق لهذا العلاقه. الحركه الحاليه يجب أن تدرك أن التحرريه ليست مشتقه أو اسلوب لتحويل النظام الفلسفى المسيحى الى نظام دنيوى. يجب أن ننظر الى التحرريه كاكثر انعكاس مؤمن لتجربه النظام ينشأ من النمو الروحى الشخصى للإنسان إن الحريه هى الشرط الضرورى لهذه العمليه "لتحسين الفرد" النظام السياس المبنى على الاقتناع والموافقه هو الاسلوب الوحيد لتحقيق هذا الهدف إن التحرريه ليست فقط ضرورة عمليه فى المجتمع "التعدديه" ولكنها متجانسه تماما مع الفهم الفلسفى المسيحى للطبيعه البشريه وغايتها.

وفى نفس الوقت فان النظام التحررى السياسى هو التكوين الذى يجب اصلاحه

بالانشغال الحديث بالتضحيه الجوهريه. بينما المفكرين الكلاسيكيين لديهم عبارات رنانه عن المدينه الفاضله والمثاليات فان رموزهم لاتتلائم مع هذه الأفكار. فهم اقرب الى الأساس الكلاسيكى والمسيحى فى الروح البشريه واتجاهها الى التغير الصوفى والخلود. لو كان كل إنسان يمثل النهايه بالنسبه لنفسه دون أى تداخل مع باقى الأشخاص فى هذه الحاله لايمكن إيجاد أى اهداف جماعيه للمجتمع ككل أهم من هذه الحياه البشريه الفرديه لهذا السبب لايمكن أن نفكر فى المستقبل من حيث الوجود الفردى لكل شخص على حدة. اذا نظرنا الى الفرد كمصدر هذا النظام فى المجتمع والتاريخ فان جميع الاتجاهات المثاليه والشموليه ستنتهى. لكن لكى نؤكد إن هذه الرؤيه لن يؤثر عليها فكره ايدولوچية جديده يجب أن نسعى الى تقويتها من خلال الفلسفه التاريخيه المتضمنه بها.

## نظام التاريخ المنبثق من تاريخ النظام

فو چلين يعتبر الوحيد بالنسبه للتركيز والمجهود الذى أعطاه لتطوير فلسفه التاريخ وهى أهم مشاركه له فى إحياء النظام فى وقتنا هذا لأنها تنبثق من اهتمامه بتتبع طبيعه هذا التشويش من جذورة المفكرين الآخرين فى هذا العصر كانوا مدركين للابعاد التاريخية للمشاكل لكنهم لم يركزوا على على مصدر الفرض فى العصر الحديث التى ترجع الى المفهوم التاريخى الغير متزن الذى يرجع الى ماقبل المسيحيه. فهم ڤوچلين ضروره ترابط الاحداث التاريخيه حتى لاتتقهقر تجربه التجلى الروحى كاساس للنظام الى التوقعات الرؤيويه الخطيرة. وقد حدد الاطار العام لاول فلسفه عالميه فى التاريخ للعصر الذى يلى العصر الحديث .

«إن نظام التاريخ ينبثق من تاريخ النظام » هى الجمله الافتتاحيه فى كتابه « النظام والتاريخ» وهى تعطى النظريه الرئيسيه لهذه الدراسه بأنه لايوجد أى نظام أومعنى للتاريخ منفصلاً .عن الاتجاه المضاد من خلال النضال البشرى من أجل الوصول على نظام الوجود . نحن نشارك فيه ولكننا لانستطيع أن نفهم ما يقع خارج هذا النطاق الجزئى . لانستطيع أن

نفهم معنى الحقيقة بصفه مطلقه لأننا لسنا خارجها ، نحن لانمتلك القدرة لرؤية العملية الكاملة كوحدة متماسكة منذ البدايه حتى النهايه لهذا السبب فان وجودنا محاطا دائماً بالغموض حتى عند وصولنا الى المعرفه الكامله للاتجاه الصوفى للوجود وتوضيح التاريخ كبعداً يتم فيه الاقتراب أو الابتعاد عن هذا النظام فان ذلك يبقى الافق المحدود للطبيعه البشريه المحدودة . لانستطيع ان نذهب الى بعد آخر سوف تحدث فيه التغييرات النهائيه ولانستطيع ان نحدد أحداثا معينه كإشاره للنهايه أو الرد على الشكوك العديده فى حياتنا . لانستطيع ان نحدد اليوم او الساعه التى سنموت فيها . إن دورنا ينحصر فى اتباع قوة جذب الحقيقه المقدسة الى تبين نفسها فى الحاله « الوسطى » للوجود لايوجد أى معنى للتاريخ غير اسلوب التحديد الذى يكون التاريخ نفسه . لاتوجد مميزات خاصه لهؤلاء الذين سيأتون من بعدنا لأن الجميع متساويون فهم مشاركون فى نظام الكون وستكون لديهم مسؤوليه كشف معنى هذه الحقيقه . إن الطبيعه البشريه وظروف البقاء تبقى ثابته . الشئ الوحيد الذى يتغير درجة التمييز التى تخص صدق المشاركة فى النظام القدسى . كما أن هذا التمييز لايغير الرموز المسبقه المطلقه . فالأساليب الأخيره تركز بشكل اكبر على المشاركة المتبادله للقدسيه فى الانسان والأنسان فى الحقيقة المقدسة بدلاً من محاوله احتضان جميع الظروف التى تؤثر على حدث التجلى لقد اتضح أن الرموز الأول كانت مقبوله اكثر من الناحية المنطقيه فاننا لم نختلف أبداً مع التجربه الأولى التى شملت الكون بأكمله بما فيها البشر الذين يشتركون فى نفس التكوين البشرى ببساطه يجب تعديل ذلك الآن طبقاً للحقيقه الواضحه من التجربه الواقعيه .

• أنها تجارب متماثلة مرتبطه ببعضها البعض على نفس المستوى من التماسك أو التفريق وليس لأى منهم أفضليه على الآخرين ولا أحدهم أقل أهميه إن التجارب المختلفه تقدم خطوة موثقه تتناغم مع النظام المقدس . كما أنها تتضمن توترات شديده تزيد من احتمال انفصالها عن ذلك التناغم فى نفس الوقت فإن التجارب المختلفه لايمكن فهمها فى علاقتها

مع الافق المحدود الذى تمت فيه . كل خطوه يتم انجازها يجب عمل الرموز المناظره لها إن الخاصية الضرورية لفلسفه التاريخ من وجهه نظر ڤوجلين هى الادراك بأن الرموز الروحية المختلفة تمثل المفاهيم البشرية المختلفة عن الحقيقة الواقعية للوجود «كل منهذه الرموز المحددة صادقة حيث أنها تمثل الصدق ولكن لايوجد أى رمز صادق بصفه مطلقه حيث أن حقيقه الوجود خارج نطاق البشرية .

حتى اكثر التجارب المسيحيه تمييزاً لا تمثل الا مفهوم واحد عن الحقيقه إن الانفتاح الى الوجود يتطلب تضمين تجارب كثيرة ورموز كونت النظام فى التاريخ البشرى .

بعد أن ندرك عدم وجود أى صدق بعيداً عن الحقيقه المنيره فى خلال التاريخ فإننا سنبدأ ندرك أهميه اختبار المدى الواسع حولنا فى العالم كله للعلاقات البشريه مع القداسة . إن البحث عن النظام اليوم يتطلب الرغبه فى تضمين الطرق المختلفه التى أوضح الله نفسه من خلالها للبشرية خارج النطاق المحدد للالهام اليهودى والمسيحى كل هذه الطرق فريده ومفاهيم تدل على «العمق والثراء والحكمه والمعرقه لله» لهذا السببإمتدت عملية إحياء النظام التى قام بها ڤوچلين الى العالم التجريبى المفتوح . لم يقلل الاشكال الرمزيه المختلفة ولم يتجاهل الفروق بينها لكنه اتبع الحقيقه القدسيه الوحيدة الواضحة منذ العصر الحجرى الى عصرنا هذا والاسس النظريه لتضمينه كل الرموز والمفاهيم هو انها تجارب متكافئة للحقيقة يمكن ترابطهما عن طريق توضيح التماثل والاختلاف بينهما يمكن أن نفهم القديم من المفهوم الأحدث منه وهكذا «فى الحقيقه ذلك يعنى أننا يجب أن ندرك وجود المسيح فى الأنشوده البابليه أو فى أحاديث افلاطون أو أى حقبه أخرى مثلما هو موجود فى الكتاب المقدس من هذا المنطلق استطاع ڤوچلين أن يوسع مبدأ أفلاطون عن علم الإنسان بأن «التاريخ هو كلمه المسيح مكتوبه بالأحرف المكبرة» .

# الفصل السادس

# الفصل السادس

# ماوراء أزمة الحداثة

إن المشكلة التى نحن بصدد دراستها تتعلق بالسؤال عما إذا كان هذا الاكتشاف الجديد للنظام ذى الأساسى الفائق ، يمكن له أن يمتد ليتجاوز ـ ماوراء خبرة عدد قليل من الأفراد المرموقين المبرزين . وهل يحتوى على مضامين عن النظام الأوسع الأكبر الخاص بالحضارة العربية ، وهل بمقدورة ان يشكل الأساس لتحديد التقاليد الروحية فى إطار عالمنا المعاصر العلمانى؟ هل ثمة احتمال للاكتشاف الأعظم لجذور النظام أو النسق الأخلاقى والسياسى داخل الأرض القاحلة العدمية لعالمنا المعاصر ؟ هل تسنى لنا وأمكن أن نتجاوز ونتغلب على أزمة الحداثة أم أننا فحسب نشهد انبعاث تجربة خاصة للإيمان ؟

إن مسألة الأهمية المثلة لهذه التجربة ليست فحسب المسألة الوحيدة التى تعول عليها نتائج الكتاب . وهى أيضاً نفس القضية التى يعتمد دعليها مصير العالم الحديث ولقد أعملت دراستنا منذ البداية تركيزها على المقدمة القائلة بأن تجربة الأفراد الذين خاضوا خبرة التنفيس والتطهير العاطفى للعالم الحديث تتطلب هذه الأهمية العظمى . والآن يتعين علينا أن نتدبر التشابه والتماثل الخاص بتحو ل. هذا الاقتراح ليصبح أكثر فعالية ومادية .

إن أساس هذا التوقع بوثاقة الصلة بالموضوع مرده أن مفكرى عصر ما بعد الحداثة اكتشفوا حقيقة الفلسفة والديانة المسيحية فى إطار العالم الحديث . ولم يكونوا أثريين أو عشاقاً مخلصين للماضى السحيق المنسى. بل على نقيض ذلك، لقد كانوا بشراً أسوياء من المحدثين الموغلين فى الحداثة . قاموا بالمشاركة الوافية الوافرة فى احداث وتحركات زمنهم وعهدهم الذى عاشوا فيه .

ان الأزمات والآلام التى عانى منها زمانهم وعصرهم هىّ عين ونفس الأزمات والآلام التى عايشتها وخاضتها حياتهم الشخصية . كما أن اكتشافهم للحكمة الروحية التقليدية لم

يتحصلوا عليها من خلال الجدال المحض والصرف أو المعنوى أو المعرفة العلمية الواسعة المكتسبة من الكتب ، على الرغم من ان مثل هذه الادوات قابلة لأن تطوع فيما بعد للانتفاع الحسن فى عملية اتقان الحكمة . إنما هى فى الاساس كانت عبارة عن حكمة اكتشفت فى داخل أتون الخبرة والتجربة . والأمر الذى يجعل اكتشافهم للفلسفة والمسيحية عملاً من أعمال الأصالة هو أنهم اكتشفوا هذه الرموز العتيقة ونظمها ، ليس فحسب كتقليد تاريخى ، ولكنه ايضاً كإجابة حيه على مشكلات النسق ( النظام) فى العالم الحديث .

والأمر الذى يفرق ويميز بين مفكرى عهد ما بعد الحداثة كجماعة هو مقدرتهم على استيعاب وفهم معنى المسيحية الفلسفية باعتبارها حقيقة العالم الحديث . لقد توصلوا الى هذا الاكتشاف فى أعمق أعماق الهاوية . غير أن مسألة ما إذا كانت بصيرتهم النافذة سوف يقرها ويعترف بها العالم كحقيقة خاصة أم لا ، لاتزال قضيه مفتوحة للنقاش .

إن الحكم النهائى الفاصل للإجابة على هذا التساؤل لايمكن فى عالم المناقشة ولكن فى حيز العمل . وأما مسألة ما إذا كنا قد انتقلنا الى عصر مابعد الحداثة ام لا ، فيمكن فى النهاية ان يقرره الاستجابة التى نبذيها نحن كأرباب حضارة لما قد وقع من أحداث. وهذا هو الذى سوف يقرر ما إذا كان المفكرون الذين درسناهم يمثلون بداية نظام (نسق) حضارى جديد أم أنهم مجر دصورة لظاهرة ثانوية مصاحبة فى اطار العملية الطويلة المرسومة للإنهاك الروحى .

وكل أولئك الذى بالمقدور استكشاف عند هذا الحد . هى بمثابة شروط للاستعادة الروحية والسياسية للنظام (النسق) بالمحاذاة والتوازى مع الخطوط التى وضعتها خبرات وتجارب عهد ما بعد الحداثة . وهذا هو عين موضوع فصلنا هذا ، الذى انقسم الى قسمين ، من وحى المرحلتين المتضمنتين فى مثل هذا التوجه الجديد .

المرحلة الأولى تتعلق بخط الانعكاس التأملى الذى يجب اتباعه من أجل إدخال هذا النوع من أعادة التوجه العميق للنظرة الى صميم الحضارة الحديثة . اما المرحلة الثانية فهى الخاصة بالتغيير الجذرى للأشكال العامة او السياسية التى تنبع من تنفيذ النظرة العالمية لعصر ما بعد الحداثة ( النظرة العالمية : هى الفلسفة الفردية أو العرفية فى تفسير التاريخ أو تفسير الغاية من العالم ككل . )

فما هو معنى العيش فى نسق اجتماعى وسياسى تفكر ملياً فى الاعماق وحررنفسه من الافتنان الرهيب ، ومع ذلك لم يولى وجهه حتى الآن شطر الملامح الجوهرية والانجازات الحقيقية للعالم الحديث ؟ ويقدم لنا القسم الختامى بنتائجة بعض الانعكاسات النهائية او التفكرات النهائية حول مناحى هذا التحول .

**التوبة :**

**التحرر التطهيرى من الأيديولوجين :**

أن منطق التجربة المكتسبة من عهد / عصر ما بعد الحداثة يوحى بضرورة الخضوع لشكل ما من أشكال التحرر التنفيسى أو التطهير العاطفى. ذلك أن الحداثة بمثابة روح أو إطار عقلى مطمور بعمق فى أنفسنا ولمن يتسنى لنا كسر ذلك الطوق الصلب المحيط بنا والتحرر منه ومن نفوذه إلا بمكايده عظيم المشاق. وهى حادث أو عمليه ذات تأثير محطم قاسم يبدو مطلوباً واقعى إذا كنا نريد الحصول على لمحة أو بصيص من الحقيقة فيما وراء الأفق المعاصر المقيد لعالمنا هذا .

فلو كان كابوس القرن العشرين هو نتيجة لهذه الحالة الشبيهة بالأحلام، إذن فالمطلوب هو صدمة عاطفية هائلة القوة لايقاظنا من سباتنا لنصبح فى حالة اليقظة . والحالة التى نحن بصددها شبيهة بالسائرين نُوَّمًا عند العالم "كويستلر"، فنحن بحاجة إلى خبرة أو تجربة خارقة للتغلغل إلى علة السير أثناء النوم .

وتبدو ضرورة هذا الإيقاظ العميق ذات الأهمية عظمى حينما يعرف المرء المدى الذى صار فيه التاريخ مترءاً بمحاولات التغلب على أزمة الحداثة. ولقد نجحت الأغلبية الكبرى من هذه المحاولات لا فى شىء إلا تعميق تلك الأزمة نفسها، على نحو ترا جيدى. ولقد كانت فصول القصة واحدة بدءاً بديكارت، ومروراً بكانط وهيغل وماركس وإنتهاء بنيتشه. ذلك أن الحساسية الحقيقية لإستحالة الحفاظ على نسق / نظام قائم على نقد عقلى منطقى أدت إلى أندلاع الجهود الطيبة لتقديم الأشياء المفقودة .

غيرأن محاولات استعادة الجوهر الروحى للحضارة ـ وهو الجوهر الذى افتقدته فتعرضت أكثر من مرة إلى أن تطمها الرغبة الفاسقة فى السيطرة على الحقيقة ككل، بدلاً من إعادة إكتشاف الحقيقة الروحيه على أساس جديد، هناك الوسيلة الفارغة عقيمه الجدوى لفهم الحقيقة فى إطار نظام معين. إننا لم ننجح فى كسر القيود والتحرير من الخداع والغش الذى يقول يإمكاينة إقامة النسق / النظام على أساس من عقلنا المستقل الذاتى.

إن عدوى الحداثة، وهى حلم العيش فى إطار محيطات من الذات المغلقة أو النفس المقفلة على ذاتها، قد فاقت فى سطوتها وقوتها الحنين والتوق للعيش بالاتصال مع الحقيقة الكامنة وراءها .

ومن هنا فالاحتياج إلى تجربة التنفيس أو التطهير العاطفى قائم، وليس فحسب من أجل تحريرنا من الجهل المطبق الذى يلم بنا، ولكن أيضاً لضمان أننا سوف نتخلص فى النهاية ونتحرر من النظرة العالمية السائدة، من أجل هذا الغرض، من الأساس والضرورى أن نواجه كافة مضامين الدوافع الحديثة. ذلك أن كافة الاحتمالات المحتواه داخل التجربة الإنسانية لنسق عقلانى مستقل يجب أن تنفتح وتعرف على وجهها الحقيقى المستور .

فليس ثمة شىء يمكننا تركه دون شرح أو فحص إذا أردنا الوصول إلى تفهم أو فهم واضح للمشكلات. ولن يتسنى لنا الحصول على أى احتمال يتجاوز التجربة الحديثة إلا عن

طريق استيعاب وهضم كافة الأمور المتضمنة داخل تلك التجربة الحديثة . وبدون الخوض كثيراً فى الجدال الدياليكتيكى الهيغلى، ثمة معنى محدد معين بلاريب يتعلق بإصرارة (أى الفيلسوف هيغل) على أن عهداً من عهود التاريخ لن يكتب له التمام والكمال ما لم يتم جلب كافة المضامن الواردة فى إطار فكرته .

وعن طريق هذا السبيل فحسب، يكون بوسعنا اليقين أننا لسنا نحتضن شكلاً من اشكال الحلم العقلانى المنهك داخل جهودنا الاستيعابته إن المعيار الذى يجب أن يرشدنا فى بحثنا فهو الوعى العميق بالهوة التى فتحتها أزمة الحداثة، ذلك أننا عن طريق التدبر الحازم الكامل للمشكلة يصبح بمقدورنا الأمل فى الحصول على الحقيقة الروحية .

والآن سيثار السؤال حتماً وهو يتعلق بعما إذا كان كل إمرئ مطالب بالخوض فى تجارب وخبرات سولز بنتسين أو ألبير كامى. فهل ليس هناك من سبيل آخر سوى الخوض فى معاناة مشاق السجن الشمولى؟ والاجابة بطبيعة الحال هى نعم. فهناك أساليب أخرى كثيرة صوب نفس الاكتشاف. والأمر المهم بشأن كل منها هو أنها تشارك معنى خوض والخضوع للتنفيس، والتطهير العاطفى، وحل وفك قيود السجن الداخلى الحقيقى الذى يؤثر على كل شخص منا وفى داخل أى مجتمع مهما يكن، ويحدث أن نكون فيه.

وهذا الأمر يتطلب اقرارنا واعترافنا بالمدى الكامل للكارثة الحديثة: لقد حلمنا حلماً وخلقنا كابوساً. والآن فالصلة بينهما يجب أن تحظى بإقرارنا واعترافنا. حيث

إن مجرد المعاناة التى لا معنى لها ليست بكافية من أجل إحداث هذا التغيير؛ إذ أن الكثيرين ممن تعرضوا للسجن داخل المعسكرات لم يستجيبوا لدعوة الصعود والإرتقاء ذلك أن المطلوب هو المعاناة المفضية إلى التوبة والتى تؤدى إلى اشاعة النور فى النفس والاعتراف بمسئوليتنا الخاصة عن(الحيونه) فى العالم أى تجريد البشر من صفاتهم وشخصياتهم الانسانية.

كما أن الشر الذى عهدناه وشهدناه فى قرننا هذا ليس نتيجة لبعض الاخفاقات وأوجه الفشل الفردية أو الطارئة العرضية على طول الطريق. فما هى سوى العواقب التكاملية لذلك النوع من الحضارة الحديثة التى كانت لنا جميعاً يد المشاركة فى اقترافه. واقتراناً بالانحطاط الذى صاحب أسوأ التجاوزات الأيديولوچية لهذا القرن، فان مكمن الخطر العظيم هو اننا سوف نتغاضى سريعاً جداً عن المدى الذى أردنا إليه المرض والعلة. ولقد سبق لنا مشاهده وسماع التهانى الذاتيه تجلجل فى الهواء وهذا عبارة عن المغزى العظيم لمفكرى عصر ما بعد الحداثة. ذلك أنهم هم الأشخاص الذين قاوموا أشد المقاومة الأغراء باعتبار أنفسهم متفوقين على روح العصر واصدار سلوزينتسين دعوته للتوبة والنوم وهى بمثابة الموضوع المركزى الأساسى لكفاحه من أجل خلق نظام جديد. وبدون الاعتراف الكامل والصريح لما قد حدث، والتعبير الأمين عن الأسف والأسى عن مسئوليتنا فى هذا المضمار، فلم نفلح فى تجاوز الحالة المدمرة الحاضرة. ويوضح أن الندم الوحيد الذى صدر من جيل زعماء عهد ما بعد ستالين فى الأتحاد السوفيتى هو أن التطهيرات العظمى اشتملت أيضاً على سجن الشيوعيين. فضلاً عن عدم اتخاذ أية محاولة لإعدام أولئك الذين هم مسئولون مسئولية مباشرة عن الرعب والمفاسد التى ارتكبوها.

كذلك لم يكن هناك أية ندم أو توبة صدرت عن التعاون مع النظام النازى الشائن "فمتى هربت النذالة والخسة والجريمة البادية للعيان ورؤوس الأشهاد من المحاكمة والعقاب، وسوء الجزاء؟". حتى فى الغرب أثناء محاكمات نورمبرج الشهيرة، كانت التوبة ناقصة غير مكتملة. ولم تمتد العدالة لتقتص من مسئولية الغرب الخاصة عن ظهور العدد الشمولى، أو الأعتراف بذنبه عن سوق مليونى مواطن سوفيتى وإسلامهم إلى الموت المحقق فى نهاية الحرب.

ويتساءل سولزينيتسن قائلاً: "لماذا نتوقع قدوم أى شىء طيب من ذلك؟ ويضيف: "وما هو الشىء الذى يمكن أن ينمو من هذا الفساد النتن؟

إنما هذا هو السؤال الذى يفرض نفسه علينا اليوم. ولو كنا جادين فى التغلب على المأزق الذى وصلنا إليه، إذاً لوجب علينا أن نعد أنفسنا لاتخاذ أقصى الإجراءات والتدابير لمجابهة الكارثة التى حصدناها. إن الشمولية والليبرالية ليستا عالمين مختلفين تمام الاختلاف. إذ هما عبارة عن بعدين توأمين لحضارة حديثة واحدة. والتنفيس أو التطهير العاطفى الذى خاضه وخبرة كل من "البير كامى" و "سولز ينتسين" فى حياتهما الخاصة ليست مسألة شخصية بحته. فهو عبارة عن عالم صغير من التطور التنفيسى التطهيرى للتاريخ الغربى الحديث منذ عصر النهضة.

ومن أجل الوصول إلى نفس الحقيقة كما سبق أن توصلا، فمن الضرورى التفكر والتدبر ملياً فى مسار ومسلك ذلك التاريخ. وهذا لا يتطلب أية درجة غير عادية من الخيال التاريخى، طالما أننا نعيش فى زمن وصل فيه مسار العالم الحديث إلى نتيجة هذا الوضع المعقد. وكل ما هو مطلوب منا عبارة عن اعتراف صريح معلن بالمفازع والأهوال التى وقعت وعلاقاتها التكاملية بالتاريخ الذى أنتجها. ويتكون هذا التنفيس أو التطهير من إدراك الصلة بين الأفكار وعواقبها النازعة للصفة الإنسانية عن البشر. ومن الأمور الشائقة ملاحظة أن مفكرى ما بعد الحداثة قاموا بتصعيد أزماتهم الشخصية الخاصة فقط عن طريق إتقان ومعرفة المغزى الحضارى الأوسع.

والعملية التى تحدث فى الواقع يجب أن تصل إلى نهايتها، عن طريق فضح الإفلاس الاخلاقى لكافة الأشكال الأيديولوچية للفكر. ومهما يكن من الاعذار فلن تتخفى مسئوليتهم عن ضخامة الشرور التى اقترافوها فى زماننا. ونحن ندين بذلك على الأقل لملايين الضحايا الذين راحوا ضحية للشيوعية، والنازية والفاشية، ويجب أن يتحمل القتله السفاكون أوزار دمائهم. إذ لم يموتوا نتيجة لضرورة تاريخية أو بسبب متطلبات صورة أو رواية أو أخرى من الاتقان الإنسانى.

كما يجب ألا يسمح لهم بالغرق فى النسيان المطبق. بل يجب النظر إليهم على أنهم

ضحايا المحرقة. ويجب أن يصبح موتهم رمزاً أو ميثاقاً لاستحالة انجاز السعادة الانسانية عبر ممارسات السلطة المطلقة. ولو كانت هذه الكوارث ضرورية من أجل شفائنا نهائياً من أحلام السلطة المطلقة غير المحدودة فى خدمة الانسانية، كما يبدون فى هذه الحالة، إذن لا يجب أن ندع الدرس يغيب عن أذهاننا. يجب ألا ننكمش من جمع وحشد ماضينا المريع الرهيب.

وحتى الآن ليس بمقدورنا تحمل فتور الهمة والشعور بالذنب أو الشفقة على الذات أوحتى فى تبادل الإتهامات، وهذا فى حد ذاته يمكن أن يصبح هروباً أو تحولاً عن مسئولياتنا الحقيقية، ولو أردنا فى الواقع التوبه والإصلاح، إذن يقين علينا الأستمرار فى التفكير فى كيفية حدوث هذه القسوة او البؤس غير المحدود.

يجب علينا أن تسعى إلى التماس العذر للإنسانية ( الحيوانية) المخيفة على أساس من الخصائص الفردية أو الوطنية القومية، فالمسئولية يجب أن تخصص بحزم للأفكار التى أعطت النهضة لمثل هذه التحركات، ذلك أنه من الواجب الأعتراف بأن إلغاء كافة القيود الأخلاقية حدث أولاً فى ملكوت الفكر، وأن الإبادة الجماعية للأشخاص المرتدين تاريخياً لم يكن سوى تطبيق للمبادئ الفكرية المقبولة، ولم نعثر على إنهيار أولاً فيهم للإستلهامات الأصلية أو المنابع الفكرية، ولقد نالت البشرية مركزاً من السيادة صار بمقتضاه الخير والشر أموراً تقررها هى بنفسها فقط وتسنى لها ذلك عن طريق استيعاب الدور العالمى التحولى والكبرياء السياسى المذهل الذى رأيناه سبقة جنون العظمة الروحى المدهش على نفس القدر من المساواه.ولا يسع المرء سوء التفكير فى دمج هيغل للاله فى اطار نظامه الخاص فى العلوم، وكراهية بروميثيوس للآلهه (فى فلسفة ماركس)، التى تفكر خلق الذات البشرية، والكشف والرؤيا النبوية للبشرية فى إطار ديانة كونت« البشرية" وكبير العمال التيتانى الجبار هائل القوة عند نيتشه الذى يحل محل الإله .

وثمار "ثورة الذات المادية " هذه معروفة معرفة وثيقة وبخاصة حينما يتحقق المرء من

مدى ونطاق الدمار الذى أصاب القرن العشرين، وكيف أنه ما كان ليحدث بدون هذه العقلنة ( جعل الأشياء مطابقة للأشياء مطابقة) المتسمة بالمبالغة والتكليف، بصرف النظر عن كم ومقدار الكائنات البشرية التى تركز وتؤكد على أننا البداية والنهاية لوجودنا الخاص، وأننا قادرون على صياغة القوانيين التى تحكمنا، ونحن على يقين المعرفة من أن الأرض التى فيها وجودنا تبقى فيما وراء أنفسنا، ولا يمكن الوقوع فى براثن الخداع إلا بمساعده نظام متقن من التخفى .

فلا يمكننا حينذاك ارتكاب الشرور على نحو فاضح، وهذا أمر لا بد من صياغته فى إطار لغة المثالية، وكلما كان الشر فظيعاً مهولاً كلما كان الإهتمام بوضع التشريعات الرادعة له كثيفاً، ولا ينبغى أن ننساق مخدوعين لمقولات عجيبة تقضى بأن الرذيلة إنما تفيد الفضيلة، فذلك من قبيل النفاق ذى المدى الواسع. أذ معرفتنا للخير والشر تناقض تلك المقولات، والخير بين والشر بين كذلك .

وليس بمقدورنا أن نتخيل توضيحاً أكثر عمقاً من تأثير الأفكار على عالمنا المعاصر فيما مضى .. غير أنه يكمن أيضاً حينذاك واحد من أكثر أنواع اسلحة المقاومة قوة حسبما أكتشف سولزينيتسين، فى كفاحه ضد تشوية الوجود، إن الإطار النظامى المحكم الذى هو على ما يبدو بمثابة العظمى للنظام اللأيديولچى هو فى نفس الوقت موضع أكثر أوجة الشعف بروزاً وضخامة .

ويكشف التموية والتعمية الفكرية لنظام معين عن الوعى الكامن بعدم الامان العميق واكتشف سولزنيتيش ان العنف سرعان ما «يفقد الثقة فى نفسه» ولكى يحفظ وجهه المحترم ظاهريا، يستدعى الزيف والبهتان ليصبح حليفه. نحن عاجزون عن ارتكاب الشر بدون ايجاد بعض العذر من أجل تبرير انفسنا بسلامته وبصحتة ومن أجل اراحة ضمائرنا. وهذا يفسر كيف أن اكثر الوسائل فعالية فى معارضة العنف هى مقاومه وتقويض الأكاذيب التى هى بمثابة أركانه وأعمدته وأساسه. ويتمثل جوهر دعوة سولزينيتسين لنا «عيشوا

بمعزل عن الاكاذيب» فى أنه الأداة التى تمكننا لو رغبنا فى كسر الحلقه المفرغة التى يتم فيها إخفاء العنف لنفسه وتخفيه تحت ستار الأكاذيب، كما أن الأكاذيب بدورها لا يمكن صيانتها الإعن طريق العنف. »

كما أن هؤلاء الذين يفتقدون الى القوة والمنعة فلا يزالون يتمتعون بالمقدرة على رفض المشاركة فى الأكاذيب إذ لبعض المسالك القلية آثارها المدمره الهائلة على مرتكبى الشر .ونحن جميعا بوسعنا رفض التعاون والمشاركة فى العنف عند هذا الحد وذلك المدى على الأقل. وتلك هى النقطة التى يبدا عندها صعودناصوب أعالى الايديولوچية. وبدؤنا بالأكاذيب التى نحن عارفون ومدركون لها ، نكون قد فرقنا بين الحق والباطل أو الحق من الزور والبهتان أو وبذلك يتوسع ملكون الحقيقة والواقع توسعا تدريجيا على حساب ملكوت البهتان والزيف.

ولقد بين المفكرون الذين فحصناهم كيف يتم تصعيد المقاومة الناضجه ضد التطرف الأيديولوچى للحداثة. فهم قد حققوا النجاح عبر استعدادهم تتبع المشكلات حتى الوصول إلى نهاياتها. وكلها شاركت قناعة سولز ينيتسين بأنه ليس "هناك منافذ متوافرة لأى امرئ يريد ان يكون أمينا" ومن خلال رفضهم الالتقاء عند منتصف الطريق، نجد انهم نجحوا فى الوصول الى حقيقة المشاركة البشرية للبشر على نمو حقيقى فى الكينونه المقدسة .

ولقد كان الرجال والنساء من المؤمنين والمؤمنات دائما بمثابة اللعنة أمام مؤسسى ومنظرى الأيديولوچية، فهم يثيرون فى القضية المقدمة القائلة بالقدرة الكلية البشرية التى تم إقامة المشروع على أساسى منها. ولكن ماهو الراى فى الأفراد الذين اسسوا ايضا واقاموا الصلة بين الدين والنظام السياسى؟ لقد أوضحوا أنه المحبة فى المسيح هى التى تزود الناس فى النهاية بالمورد الذى يمكنهم من قهر الشر، وان المهن الأيديولوچيه المتعلقه بالفلسفه الانسانيه ماهى سوى بديل زائف لهذا الحقيقه.

فليست الماركيت« أفيون المفكرين » فحسب بل الاسوا أنها كذلك ديانتهم ! ولقد ادان مفكرو عصر مابعد الحداثة خلال مرورهم وعبورهم من الأيديولوچية إلى الفلسفه والمسيحية إدانو الشموليين، وعبروا عن تلك الإدانة بالسنتهم الخاصة.

ولقد بينوا أنه بالنسبة لاى امرىء يقلقه رفاهية البشر،والشخص الذى لايريد المزيد من الحلول الوسط مع الخذيعة والعنف، فإن المسار أو الطريق يؤدى بهم فى النهاية ناجحين إلى صوب العناية بجوهر الشخص المبادئ تمام الظهور فى المسيح .

## الإعتراف بمسئولية الليبرالية :

وهذه الإستجابة تتناقص مع ما ظهر من أمور بصفة عامة داخل إطار المعسكر الليبرالى، مع الإلتزام الظاهرى بالدفاع عن حقوق الإنسان .. وكان لزاماً على الغراب أن ينتظر بفضول صدور كتاب سولز بينيتزين بعنوان "مولاج الأرخبيل" مثل أن يشرع فى معاملة نظام ستالين بنفس الازدراء الملحوظ ضد محرقة النازى. حتى فى أعقاب نهوض الغرب بفترة وجيزة إلى أستنكار القسوة الشيوعية، نجد أنه سرءان ما نكص على عقبيه وعاد الى سالف حالته المعهوده من النعاس المريح.

وفسدت الحالة المزاجية حينما اقترح سولز ينيسين أن نفس المشكلات الروحية ربما تصيب بالبلاء، الغرب كذلك فى الزمن الحاضر، وفى هذا النمط من التشنج والتقطع واللامبالاه، والعذاء بمقدورنا أن نميز ونتبين الوعى غير المريح لمسئولية الغرب المشتركة عن الأزمات التى لحقت بعالمنا، لقد أصبحنا متأقلمين على لغة عالمية، من خلال مطالب الأستسلام غير المشروط، لفظائع الحرب الباردة، حتى أننا فشلنا فى التعرف على أن الليبرالية والشعولية هى أوجه لنفس العالم، إذا أن العالم الحديث الواحد ظاهر داخل كل منهما. فلا يمكن لأحدهما أن يعيش بمعزل عن الآخر، فهما بحاجة إلى التعارض المتبادل ليس فحسب من أجل الهوية الذاتية، ولكن أيضاً، وهو الأمر الأكثر أهمية، من أجل تعزيز وتوكيد الذات

والتركيز عليها، ذلك أنه من خلال تعارضهما، عزز أن المعايير التى يتم بمقتضاها قياس إنجازاتهما، وبالتالى المصدر النهائى التى عن طريقه أشتقا مشروعيتهما، وفى كلا الحالين، تبين أن هذا ما هو سوى القدر الأدنى القليل الذى لا يرقى إلى اشباع وأرضاء المطالب والرغبات المادية.

وفى الغرب، ليس هناك فحسب الشعور بالذنب النابع من الأخفاق فى مقاومة النجاحات والتقدم العسكرى للشمولية، سواء كانت فاشية، أو أشتراكية قومية أو شيوعية، ولكن أيضاً المسئولية التاريخية العميقة لليبرالية التى أفرخت الحركات الثوريةوحينذاك لو قدر للحلول الوسط أن تظهر فإنها أنما تنهض آو تبرز ليس عن طريق العرض الطارئ بل هى بمثابة فكر منسق للشك الروحى فى جذور الليبرالية الحديثة، لقد أكتشفنا أنه من الصعوبة بمكان تصعيد النقد المبدئى أو المعارضة للتحركات ( أو الحركات ) العلمانية، ذلك لأن الليبرالية ذاتها قائمة على أساس من الطموح والأمانى صوب الوفرة المثالية للمدنية الفاضلة.

ولا تحقق الليبرالية هذه الغاية فحسب عن طريق الثورة، ولكن عن طريق الوسائل الأكثر نجاحاً مثل الرأسمالية والابتكارات التكنولوجية. وبدلاً من ذلك، نحن لم نعد على يقين عما إذا كان لدينا أية مبادىء أخلاقية يتم عن طريقها التوبيخ والتأنيب على مفاسد ومساوىء النظم الشمولية. إن الدفعة الليبرالية صوب الخصخصة لكافة المبادىء الأخلاقية، أدت فعلياً إلى عزلها عن مسرح المناظرات والمناقشات العامة الرشيدة.

لقد سلف أن لاحظنا مقدرة الليبرالية على الاستشفاء والتعافى وكذلك تعميق جذورها الروحية الأصيلة، إلا أنه يجب علينا ههنا أن نعول على النزعة المناقضة الدائمة صوب الفراغ الروحى. لقد سببت الانظمة الشمولية فى الحكم هذه وصدمة لليبراليه، وهذه الصدمة يمكن اكتشافها وكشفها فى الاستجابات التى بدات فى الظهور فى الثلاثينات من هذا القرن.

وثارت تلك القضية حنيما تحققت الديموقراطيات الليبرالية فى الأمر أول من أنها عزلاء من الدفاعات والتحصنيات الأخلاقية أو الروحية ضد هذه العدو هذا الهائل القوة شيطانى النمو. ولقد كان كتاب المفكر تى. إس. إليوت بعنوان «فكرة المجتمع المسيحى» بمثابة التعبير التمثيلى العادل من الحاجة الى استعادة الأسس الروحية لليبراليه.

فهو يتحدث عن «الأشخاص الكثيرين الذين، هم مثلى، هزتهم بعنف وعمق أحداث شهر سبتمبر عام ١٩٣٨، بطريقة لايستطيع المرء أن يشفى ويتعافى فى منها، وبخاصة لآولئك الذين ابتلاهم ذلك المصاب الجلل فى الشهر اللعين».ويستطرد «اليوت، حديثه ليكشف الشعور بالمذلة والمهانة، والحاجة إلى الندم والأسف العميق، والفشل الذريع الذى لا يرقى إليه خطايا الحكومات، لقد ألقت راسدلت ستاراً كثيفاً من الريبة والشكوك فى مشروعية الحضارة.

وبدأ المفكرون الليبراليون لأول مرة تقريباً يصبحون واعين ومدركين للضعف الكامن فى نظامهم الرمزى. ولقد أضحى اليوم الشعور بضرورة تقديم دفاع عن الديمقراطية الليبرالية أمراً مألوفًا واعتيادياً. نحن نميل إلى تناسى حقيقة أن الحاجة إلى تدعيم أركانها وأسسها هى حاجة ذات صفة عتيقة الزى أو كلاسيكيه.

وكان "جون ستيوارت ميل" فى كتابه "المقالة الليبرالية" يزعجه ويقلقه أساساً المخاطر ضد الحرية الفردية، وبخاصة حرية التعبير، النابعة عن الضغوط الاجتماعية الملتزمة لأعراف الكنيسة الانجليزية فى إطار الديمقراطية الجماهيرية.

أتهم بعض النقاد المفكر "چون ستيوارت ميل" وصياغته الفكرية لمسألة الحرية بأنها منسجمة مع الشكل التعسفى الاستبدادى من أشكال الحكومات. وليس هناك على وجه اليقين مفهوم شائع عن الصالح الانسانى الأعلى مثل القاعدة التوحيدية التى أرسى دعائمها للمجتمع چون ستيوارت ميل؛ حيث تكون القيم العليا بمثابة الالتزام لهدف التقدم والرقى، وإن كان ذلك الهدف غير محدد، أو أعتبر حرية مطلقة خالية من القيود.

إن جوهر مفهوم الكرامة الانسانية وحقوق الانسان لم يتم ارساؤه فى الطبيعة الروحية للكائنات البشرية، وإنما فى شكل دعوة للنزوات الشمولية الفردية. ويتم تبرير حرية التعبير كضرورة إجرائية من أجل إنجاز التقدم وكجزء تكاملى للتحقيق الذاتى الانسانى. وليس ذلك بسبب أن الكائنات البشرية هى بمثابة غايات ومآرب فى حد ذاتها.

ولدينا الحساسيات إزاء عواقب تجريد الأفكار من خصائصها وصفاتها الانسانيةوصعد من هذه الحساسيات أحداث هذا القرن، غير أنها لم تقلل من بلادة المفكر السياسى الليبرالى. ومن خلال دراستنا لفكر چون ستيوارت ميل، لاحظنا كيف أن أكثر أسس الليبرالية احتراماً فى شكلها المعاصر بإمكانها تقديم الذخيرة اللازمة لمحو ومحق مفهوم الكرامة المطلقة والقيمة الانهائية للشخص. ومنذ صدور أفكار چون ستيوارت ميل لم يكن هناك أى اجماع على السبب الذى يجعل الليبراليين حماة مدافعين عن حقوق الانسان.

والأمر الذى صار واضحاً هو الاستمرارية بين الليبرالية والحركات الأيديولوچية الثورية. ولقد قام المفكر "ڤوچيلين..."، ضمن مفكرين آخرين، بتتبع خطوط النفوذ التى نبعت من التنوير ووجدت غايتها فى عهد أو عصر الثورات.

وأما الليبراليون الراديكاليون لحركة التنوير، من تلاميذ ومريدى المفكر "لوك" مثل هيلڤيشاس، وداليمبرت، وكوندورسيت، وتورجوت، فقد عرضوا عروضاً مرموقة عن عدم الحساسية إزاء فقدان القيمة الروحية الداخلية للشخص. وقلل هيلڤيشاس من الطبيعة البشرية لميكاينزم اللذة - الألم الذى يمكن التلاعب به عن طريق رجل التشريع الحاذق الماهر. وبمقتضى تلك الوسائل، يتنبأ بظهور المدينة الفاضلة (اليوتوبيا ) النفعية المنسجمة.

ويصيغ تورجوت مفهوم عضويتنا على أنه عامل محدّد ومقرّر للاهمية الفردية، فى حين يعتقد "داليمبيرت" و "كوتدورسيت" أن غرض الوجود الانسانى هو أمر مسلم به وفقاً للمفهوم الكلى والأهداف الوظيفية. أما "چان چاك روسو" فيقدم قمة وأوج هذا الجيل من

الرجال المجوفين عن طريق إفراغ كافة القيود الأخلاقية من العمل الانساني. ويبين "ڤوچلين" أن محتويات النظام الأيديولوچى للقرن التاسع عشر ظهرت كلها فى عصر التنوير، وكل ما كان مطلوب للاضافة هو إيرادة العمل لانجاز التحول الثورى عن طريق التحويل الصارم على الحقيقة والواقع.

وأكثر التوجهات اعتدالاً داخل العالم الناطق باللغة الانجليزية، الذى ظل مفتوحاً لنظام الوساطة الكلاسيكى والمسيحى اقتفى على نحو تقدمى نفس الانحدار التخفيضى. وتم معاملة البشر والانسان أقل فأقل كعملاء أخلاقيين أحرار، قادرين على ارشاد وتوجيه أعمالهم الخاصة فى ضوء الحقيقة الخالدة فى نفس المضمار فضلاً عن اشتقاق كرامتهم من هذه المسئولية النهائية من أجل تقرير المصير.

على خلاف ذلك، كل إمرىء اعتبر كمزيج أو خليط من الدوافع غير المرتبة وبدون مبدأ حاكم. فهو أو هى عاجز أو عاجزة عن التعامل مع الآخرين لا عن طريق تأكيد المزاعم الذاتية ضدهم. وتخدم الحكومة حينذاك عن طريق تقديم الصيانة والحفظ للنسق أو النظام الخارجى بين هؤلاء الأفراد الفوضويين أو المتنافرين.

ومن بين الأساليب الكثيرة التى يمكن بها توثيق هذا التدهور هو السلسلة الغريبة للآراءفى إطار كتابات أكثر القضاة الأمريكيين نفوذاً فى القرن ألا وهو القاضى أوليڤر ويندل هولمز.

وعلى الرغم من الحكمة التى استعرضها فى تدعيم تشريع "الصفقة الجديدة" التى استهدفت المفاسد والمساوىء المتفاقمة للثورة التصنيعية، إلا أنه لم يستطع تقديم شرح كاف عن أسباب ضرورة ووجوب الدفاع عن البشر والانسانية أو إعطائها مثل هذه الحقوق.

وبالنسبة إلى أفكار وأقوال هولمز نجد أنه "ليس هناك معنى فى حقوق الرجال إلا ما سوف يقاتل من أجله الجماهير" بنفس الطريقة والأسلوب الذى "يقاتل فيها الكلب من أجل

الأستحواذ على العظام". وفى ظل هذا المفهوم، تخفض الحكومة من مراسم أعمالها حتى تصل إلى درجة الممارسة الخام للسلطة التى بمقتضاها تنحنى لإرادة القسم أو الشريحة الأكثر قوة، كوسيلة وحيدة لضمان ظهور النسق أو النظام.

فما هو اختيار الامتياز الذى يمكن العثور عليه بخلاف الاستجابة للتوازن الفعلى للقوى فى المجتمع - أى الملائمة مع رغبات السلطة السيادية؟ بطبيعة الحال ربما أدت هذه الملائمة إلى الدمار، ومن المرغوب أن تكون القوة السائدة حكيمة. ولكن سواء كانت حكيمة أم غير حكيمة، فإن الاختيار التقريبى للحكومة الجيدة هو الذى تكون فيه القوة السائدة قد حصلت على طريقها الذى شقته لنفسها. وليست هناك ضرورة أو احتمال لدعوة ومناشدة العدالة السامية الكائنة فى إطار الروح الإنسانية باعتبارها مبدأ للنسق أو النظام.

وبالتالى ليس من المدهش أن يكون التاريخ اللاحق للتفسير الدستورى فى الولايات المتحدة - وفى الديموقراطيات الليبرالية الأخرى - قد جرد على نحو تقدمى كافة الصلات مع النسق الروحى الداخلى. وفى حقيقة الأمر الواقع، ليس ثمة تلميح يقضى بأن الحكومة لها واجب إيجابى من أجل ترقية وترويج تطور الفضيلة التى هى بمثابة الأساس الخاص به.

إنطلاقاً من هذا النقص فى الوعى، يستطيع القضاة (المحلفون) الأمريكيون أن يتوصلوا إلى النتيجة القائلة بأن المادة المناهضة للمؤسسات الواردة فى التعديل الأول على الدستور الأمريكى تطلب الحياد إزاء كافة أوجه التعبير العامة عن الدين. ولقد ضخم البعض من التصور الخيالى لجيفرسون القائل بوجود "حائط فاصل" بين الكنيسة والدولة حتي جعلوه حاجزاً مطلقاً ضد المساعدة الحكومية للدين فى أى شكل بصرف النظر عن عدم التفرقة فى القاعدة.

وكذلك عن طريق الاعتماد بكثافة على الاتجاه الخصوصى الذى يمثله ماديسون، صوب الدين، نجد أن المحكمة العليا تبنت موقفاً انفصالياً مناقض مناقضة مباشرة لكل ما سعى

كافة المؤلفين الآخرين لإنتاجه. والآن، ليس مستحيلاً فحسب تقديم العون للمدارس التى تشرف عليها الهيئات الدينية، ولكن لا يمكن أيضاً تقديم الامتيازات إلى قضية الدين حتى عن طريق صرف النظر عن الفترة الزمنية اللازمة للتلقين الدينى أو الصلاة أو حتى ممارسة شعائر الدين.

لقد ولد هذا الموقف حتى أكثر المحاولات إضحاكاً من فرط السخرية حينما قام ناشروا الكتب المدرسية بجعل المراجع أكثر حيوية وصحة من خلال نسبها إلى العقيدة الدينية فى إطار الخبرة الأمريكية. إن قوة الدفع نحو "الدولة العلمانية" هو فى الواقع أمر لا يمكن مقاومته حتى أن الاعتراضات الأصولية ضد إقامة "الحركات الانسانية العلمانية" وهى إحياء الآداب الكلاسيكية والروح الفردية والنقدية والتأكيد على الهموم الدنيوية (كما تجلى ذلك فى عصر النهضة الأوربية، بجانب الفلسفة الانسانية التى تؤكد على قيمة الانسان وقدرته على تحقيق الذات عن طريق العقل، وكثيراً ما ترفض الايمان بأية قوة، خارقة للطبيعة".

ولا يزال هذا الموقف مثيراً للفضول. وفى نفس الوقت الذى كانت تعمل المحكمة فيه لإعاقة كافة أوجه التشجيع الرسمية للديانة، كانت تمجد وتعلى من حققوق الضمير الخاص تحت بند الممارسة الحرة حتى أقصى الحدود. وكانت المحكمة قد تم اعدادها حتى لأجل القيام بتجميد وإيقاف العمل المعتاد للقوانين، بصرف النظر عن إيجاد نفسها وقد اتهمت باخماد وكبت هذه التعبيرات الليبرالية (مثلما هو الحال فى الاستثناءات الملحقة على قوانين الحضور الاجبارى للدراسة فى المدارس.

ويقول المفكر "وولتر بيرنس": "إن الإيمان والاعتقاد متروك للضمير الخاص، وإحدى تأثيرات ذلك هو تمجيد وإعلاء شأن الايمان الذى هو من خصوصيات الطبع والمزاج، وذلك بالإعتماد فقط على الإرادة الفردية، التى بدورها تعتمد على العواطف، وليس كما هى الحال فى الديانة المسيحية الأرثوذكسية أو اليهودية، أى على إرادة الله ذو العناية الإلهية.

ونحن نرى من موضع لآخر نفس الضغوط فى العمل أن حق الحرية الفردية أصبح بمثابة الهرواة التى يتم بها ضرب ليس فقط كافة القيود الممكنة على الحرية، ولكن أيضًا كل مبدأ ربما تقوم عليه هذه التقييدات.

ولقد أضحى الأفراد محض مطالبين بحقوق معينة فى علاقتهم بالسلطة العامة وكافة الرموز، التى يمثلها الآخرون تجاههم، وينبغى النظر إليهم عن طريق الدور الذى يؤكد على حقوقهم المكتسبة. ومثل هذه الحقوق ليس لها أى أساس آخر سوى الارادة الفردية وهى ليست ذات علاقة أساسية بالنظام الكامن فى الطبيعة البشرية. وبالتالى يتطلبها مظاهر الانسانية الحقة. كما أنها ليست ذات صلة بمسئوليات المواطن، وبالتالى فليست جوهرية لعملية الحكم الذاتى. وتمتد جذور حقوق هذا المشروع فى الدوافع الذاتية وكذا فى التدابير غير الدائمة للسياسة العامة. وثمة تقليد من التقاليد الليبرالية السابقة هو الذى شهر الرجال والنساء كما لو كانوا حاملين للإلتزامات والواجبات وكذلك الحقوق، وتفهموا الطبيعة الملازمة المصاحبة للاثنين.

وهذا الانتقال واضح للغاية فى الأسلوب الذى تم بمقتضاه تحويل حرية الكلام إلى "حرية التعبير". إن حرية الكلام قد اشتقت تقليداً من الاعتراف بما هو ضرورى من أجل الفرد والحكم الذاتى السياسى. وعلى هذا المنوال، تم التزويد بالحماية لما يتصور أنه الكلام أو الخطابة فحسب، والجدال، والاقناع فى هذا الإطار من المعنى. وهذا لم يشمل كل شكل من النطق التى ربما تصدر عن الكائن البشرى الحى.

إلا أن هذا الحق الآن قد تعرض للتوسع فصار شاسعًا بلا حدود لدرجة أن القانون أصبح عاجزا عن صنع أى فصل أو تفرقة بين أشكال الحديث والكلام والخطابة وكل هاتيك قد أخذت الحماية والمنعة المكافئة المعادلة، وتم النظر إليها على أنها ذات قيمة بنفس المقدار، وكذلك ذات حقيقة وصدق متكافىء .

لقد وضعت الحكومات الليبرالية نفسها فى الموقف المستحيل لعدم القدرة على إعلان الزيف الكامن فى تلك المذاهب التى تتعارض مع المبادىء الأكثرإعزازاً للحرية والكرامة الفردية.

ولقد أدى رفض التمييز والتفرقة بين أشكال الكلام ومستويات الحماية التى تستحقها، إلى أن وضعت المحاكم الليبرالية نفسها - كما يذهب المفكر "بيرنس" - فى الموقف المستحيل الذى صارت فيه عاجزة وغير قادرة على الدفاع عن نظامها الدستورى الخاص بها ضد خصومها.

ولو كانت الأفكار غير خاطئة فى حد ذاتها، إذن فما هو الشىء غير المشروع فيها حينما تكتسب المساندة أو العون التنظيمى، إن هذا ينسق مع المشاق والصعوبات النابعة فى المنطقة الخاصة بالأخلاقيات العامة. ولقد ازالت المحاكم على نحو تقدمى تبرير التدخل باسم حماية الأخلاقيات العامة، عن طريق التركيز المكثف على حقوق التعبير الخاص عن الذات، باعتبارها حقوقاً جوهرية. فجعلوا بذلك "من المحال التفرقة بين الفضيلة والرذيلة". وبدون مثل هذه التفرقة لم يعد هناك أساس يتم بمقتضاه معرفة الأخلاقيات. أو الشخصية أو العمومية.

والأمر الأكثر أهمية من كل أولئك هو الاتجاه الذى تطورت بمقتضاه الليبرالية فى تعاملها مع الحياه الإنسانية نفسها، ذلك أن مفهوم الطبيعة البشرية هو المفهوم السائد على نحو متزايد وصار لذلك واضحاً بذاته . ويقع ضمن هذا الإطار التحرير الظاهر ما يسمى بـ " القتل الرحيم أى قتل من يشكو مرضاً عضالاً بطريقة خالية من الألم "، حيث التوسع الدائم لامكانية أستعمال كافة أنواع التقنيات الخلاقة وأساليب السيطرة على الحياه والممات ، والرصد الإنسانى فى الحياه والإنجاز البشرى، الذى يوفره ميدان التكنولوجيا الخاصة بالكيمياء الحيوية .

وربما يلاحظ أن القوى الجديدة المتواجدة بين ظهورنا ، حينما يصبح البشر مادة للتلاعب الموجه صوب استغلال الإنسان فى التجارب التى تستهدف توفير الراحة والملائمة لأبناء الجنس الواحد، وهى أمور لم تكن لتقع حتى فى أردأ الأزمنة والعصور، ولقد أغدقت علينا الحكمة أو الروحية اللازمة للارشاد نحو الأستخدام السليم لتلك الأمور. وهذا واضح من المثال الهام والشائع لسوء أستخدام هذه التكنولوجيا وبخاصة فيما يتعلق بالتوافر والتواجد الطبى لعمليات الأجهاض .

وتعتبر حالة "روى وادى" أكثر الحالات حسماً فى هذا المضمار، فهى تقدم لناليس فحسب الكارت الأبيض القانونى لممارسة الإجهاض، ولكنها أيضاً تشكل واحدة من بيانين واضحين للمبادئ التى تشرح الفهم اليبرالى المعاصرة للحياه الإنسانية. وتعد القاعدة لهذا القرار ثورية على نحو كاف لدرجة أنها تستدعى للنظر التقليد السابق الكلى فى أحترام الحقوق الثابته للبشر، والمثال : هو أن مستوى تدمير الحياه البشرية فى الولايات المتحدة الأمركية بلغ ما يرنو على المليون نفس سنوياً منذ عام ١٩٧٣، وهو نفس معدل الأبادة والهلاك فى الدول الشمولية.

والأمر الأكثر أزعاجاً هو الهجوم على أساس الحقوق الإنسانية التى تمثلهاحالة الرأى الذى ذهبت اليه المحكمة فى حالة الأجهاض الخاصة بـ" روى وادى " السابق الإشارة إليها، لقد قررت المحكمة أن فئه كامله من الأفراد يمكن استبعادها من الأنسانية وبالتالى حرمانها الحق الأدنى للحياه. وقيل أن الجنين ليس كفؤاً أو مؤهلاً كشخص وبالتالى يحرم من كافة الحمايات القانونية .

إن المشكلة العظمى لهذا المدخل هى كما ذهب المفكر "جورج جرانت"، الشك والآرتياب الذى يلفيه على عاتق الفكره القائله بأن الكائنات البشرية تمتلك فى كل مكان الحقوق المتأصلة بمقتضى طبيعتهم الإنسانية، وبسبب هذه التفرقة بين أعضاء نفس النوع، فإن القرار يفتح الباب على مصراعيه كأمرحتمى أمام قضية ما هو جوهر نوعناً نحن كبشر .

وليس من الضروريى الوقوف بجانب هذا الطرف أو ذاك فى تلك المناظرة أو المناقشة لكى نتعرف على هذا المستوى الأكثر عمقاً من المشكلات التى تقع فى النهاية فيما وراءها، ذلك أنه من الواضح أن المرأة ليس لها الحق الأفتراض بالخصوصية، وتقرير المصير والأختيار فيما يتعلق بتصرفها فى جسدها .

ومن الحق القول على نفس المنوال أن هذه الاختيارات ربما كانت فى الغالب خيارات شاقة عسيرة وأن العواقب صعبة الاحتمال، ولكن فى حالة " روى وادى" وما بعدها، فإن البعد التراجيدى لهذه الإختيارات يتم التخاضى عنه تماماً، فالاجهاض أكبر من أن يكون ممارسة للاختيار الحر، فهو لا يتطلب تدمير الحياه التى أعترف على نحو متزايد من خلال الحمل أنها أنسانية، وجميع المشتركين فى المسألة يشعرون أن الإجهاض هو أكبر من أن يكون أجراء طبياً بسيطاً لإزالة النمو غير المطلوب ، ذلك أن الشىء المراد اجتثاثة هو إنسان على نحو ذى هوية ومنفصل الطبيعة عن الأم كنوع آخر، وبالتالى حامل الحق الأفتراضى للحياه والاختيار أيضاً .

فلو كان القرار يحبذ مجاملة الأم أساساً، إذن فهو يقترح أن الإختيار هو أمر تحكيمى ، وربما تقرر بأساليب أخر ومن يعرف؟ ما إذا كانت القوى السياسية سوف تتغير بالاتبعاد على نحو كاف، بإباحة الإجهاض وعدم تقييده، وتحريمه .

إن البشرية قدمت كضحية على مذبح أضاحى رغم أنه من أجل راحة وملاءمة وتوافق الإنسانية، ولقد صار الفرد تابعاً أو فى مرتبة أدنى وأقل أهمية وشأناً من هذه الصفات والإنجازات التى تعتبر الان لازمة من أجل العمل الوظيفى الإنسان المقبول. فضلاً عن أن الانتقال فى أطار الليبرالية أصبح مدهشاً، بدءاً منالأمور البديهية البينه الحازمة والحقوق الثابتة والمتكافئة للإنسان وحتى الاعتراف بأن بعض الكائنات البشرية ليسوا رجالاً على الإطلاق وبالتالى يمكن حرمانهم من كافة الحقوق .

ولا بد للحقوق الآن أن تستق أساسها من القوانين والقرارات القانونية ولعل هذا هو الذى حداً ببعض المعلقين لأن يدلوا بإقوالهم الت ذهبت إلى أنه بينما نحن ربما لا نكون حتى الآن قد وصلنا إلى الممارسات الشمولية المستوفاة والتامة، "إلا أننا فى إطار أساليب تفكيرنا اكثر أقتراباً من النتيجة الشمولية بعد ما نرغب فى التفكير فيه " .

ولما أخضعنا فكرة حقوق أعضاء نفس النوع فى المرحلة النهائية للاختيار،حينما ذهبنا نقارن بين الحقوق والواجبات، أكتشفنا أننا ليس لدينا أساس نهائياً للتقرير ما بينهما، إذ طالما لا يوجد أساس للمبادئ فربما تجاهلنا حقوق الضعفاء لصالح الأقوياء .

إن هذا الانهيارلم ينتج ببساطة عن تأثير الضغوط التكنولوجية الجديدة كما أن تفكك وانحلال الليبرالية جاء فى جزئه الأعظم نتيجة وعاقبه للقوى الداخلية الخاصة بها وتصارعها معا، مما أدى إلى أن فوضت نفسها بنفسها، ولكن ما هو الشيء الكامن فى إطار الليبرالية التى أعطى هذه النهضة لهذه العملية الخاصة بإنحلال الذات ؟.

بحثاً عن جواب لهذا التساؤل، بوسعنا أن نوضح ونشير الى الصعوبة التى تعانى منها الحكومات الليبرالية أثناء تشكيل النظام الروحى للمواطنين، ومن العسير ممارسة تأثير أو نفوذ أخلاقى بينما تصر على أن كافة هذه التعاليم يجب أن تقتصر على عالم وملكوت الخصوصية. أم نتحسر على غموض الرمزية الليبرالية .

لقد كان الغرض هو خلق اتفاق عام على أساس المصلحة الذاتية أثناء الأعتماد على الوجود المستمر للفضائل القديمة لضبط النفس والجود بالذات والتضحية بالنفس، فهل لنا أن نلقى باللائمة على الميل أو النزعة التى تركز تركيزاً خاصاً على حقوق المواطنين، بدون التحول إلى الواجبات المرتبطة، والتى هى بمثابة التبرير النهائى من أجل أحترام هذه الحقوق إن أكثر هذه الأسباب المترابطة جذرية هو اليوتوبيا الهروبية التى أتصفت بها الأجيال المتتابعة من المفكرين الليبرالين، لقد تخيلوا أن نظام المجتمع يمكن صياغته على نحو غير محدد بدون إعطاء أية انتباه للنسق الكامن فى إطار أرواح أعضائه .

ولعل الصياغة المعاصرة لهذه الرغبة أو النزعة هو أن "الحق سابق على الخير " فلا ضرورة للتأكيد على المبادئ الأخلاقية التى تقوم عليها الليبرالية، وكلما برزت التساؤلات الصعبة التى تقتضى التركيز على المفاهيم عميقة التصارع من الطبيعة البشرية والخير البشرى " والليبرالية بصفة عامة، نجد أن التحرر والأفكار التحررية تسلك دائماً السبل السهلة .

وسواء كان الخلاف حول الدين أو الإجهاض أو أساليب الحياه أوالقتل الرحيم أو الفحش والقذارة، إلا أن النمط ظل واحداً، وثم حل القضايا العامة الإنقسامية عن طريق توسيع مدى الحقوق الخاصة للأفراد. وحينما يقع الأذى الملموس المباشر للآخرين، حينذاك فقط يمكن تبرير التدخل السياسى .

والمشكلة كما رأينا، هى أن الإنسحاب إلى اللامبالاه أو اليحاد لم يمنع من وقع اتطالات ذات تعاليم رسمية عامة صادرة عن السلطات الحاكمة، فالحكومة تعلن أن الحياه للشخص المريض المحتضر ليست ذات جدوى فى حدذاتها، وبالمثل تذهب إلى أن الحياه السابقة على الميلاد للجنين ليست لها قيمة أصيلة اللهم إلا التقدير والقيمة الذاتية التى تعقدها الأم لجنينها .

وتعلن الدولة أن الزواج لمدى الحياه ليس أمراً طيباً، بينما نقدم نفس الحمايات التعاقدية من أجل "أساليب الحياه التبادلية" أى متعدده الزوجات، والخطأ القاتل هو الخداع اليوتوبى ( المدينة الفاضلة) حيث تتهرب الأنظمة الحاكمة الديمقراطية الليبرالية من المسئولية عن العواقب من خلال حجاب أو ستار الحياد.

ولعل هذا يفسر لماذا هذه النظم يذهلها أكثر العواقب عمقاً الناتجة عن أفعالها : وهو اختفاء المفهوم المسيحى الكلاسيكى لكرامة ونفعية وجدوى الفرد، والأسواء من الضرر المتسبب لأى ناحية خاصة من نواحى الحياه الإنسانية هو الدمار الذى لحق بفكره الإنسانية ذاتها.

كما أن السلسلة المتراكمة من التنازلات المحددة أنجزت تأثيراً عميقاً : إلا وهو لا شيء أخر سوى "إلغاء الإنسان "، وليس هناك ثمة شيء ممجد أو نبيل فى إنسانية مؤتلفة من كتلة من الأفراد المتفتتين، كل منهم يزعم أختصاصة بالتعبير عن الذات بغير قيود، والتعظيم اللانهائى واللاحدود له للرغبة .

إن الدولة بذلك ليست مضطرة لإنتقاء المبادئ النهائية فى تقرير وتحديد التحوم والحدود بين الأفراد، ولكن مضطره إلى تحديد مسائل النفعية والملائمة، فلا عزر أن يطلق على التعددية السياسية الليبرالية أنها "نوع من لعبة الثقة حيث نكون فى الواقع مطالبين بالموافقة على نوع جديد من المجتمع يقوم على مجموعة جديدة من المعتقدات والقيم " .

ولقد خضعت الليبرالية ـ بسبب ضغوطها الصارمة لإحالة المزيد والمزيد من التساؤلات والقضايا لممارسة تقرير المصير والليبرالية ـ لتجربة المشقة الكبرى فى مقاومة النزعة نحو التطرف، وتم هذا حتى حينما كانت هذه التطرفات تقوض من أساس حقوق الأفراد .

## الانبعاث الروحى والتجديد

### حقيقة النسق الوجودى

إن الأزمة الروحية للعالم الحديث تؤثر تأثيراً كبيراً على كافة جوانبه بل أنها حتى تصل إلى النظام الرمزى الذى سعا إلى الحصول على حل وسط غامض من أجل تفادى مواجهة الطبيعية التامة للمشكلة، كما أن الليبرالية فى زماننا الحاضر قد كشفت فى النهاية عن أفتقادها إلى الطبيعه الروحى الداخل، كعاقبة،وفى ضوء الأفلاس الذى أصاب الجوهر الخاص بالليبرالية، صار من الصعب الزعم بأنها تقف من أجل أعلى فكرة عن الكرامة والقيمة التى يجسدها الإنسان الفرد .

ونحن نعترف بأن الحل الوسط الصعب فى البداية، الذى كان بحق مصدراً للإستقرار على مدار ثلاثة قرون، صار الآن على حافة السقوط والهاوية، إذا أن الفردانية الأمتلاكية (وهو

مذهب يقول بأن مصالح الفرد هى : أو يجب أن تكون أخلاقياً فوق كل اعتبار، أو السلوك الذى يسترشد بهذا المذهب ) .، بما تمثله من حقوق الحرية الذاتيه المصالح والمكتسبه المنافع، والزج بأنفسنا والأخلاص لإلتزامات النسق الإخلاقى الطبيعى سوف تستمر معاً لفترة طويلة نسبياً فقط، ولقد آل إقتران تلك الأشياء الى الانهيار منذ البداية .

فالسابق كان قد تم الأحتفاظ به وتم أدخاره فى العقد الاجتماعى، بينما الأخير فقد توقع البعض أن يستمر ضمنياً كما لو كان تأثيراً للمؤسسات الإجتماعية الأخرى، وبدون الدفاع العام عن المؤسسات،فمن العسير تلاقى ومنع هدمها وتحطيمها .

وحتى الآن، لم تكن النتيجة حسبما حاولت أن أقترح ، سلبية من حيث الزى والهيئة، ذلك أن انهيار الاجماع والأعتراف الليبرالى الأخلاقى بعواقب التجريد والازالة للصفات الإنسانية ( الحيونة) أدى بطبيعة الأزمة الحديثة إلى ووضوح لا يجارى منذ عصر النهضة، إن مشكلتنا هى الأفتقاد إلى العقد فى إطار التقاليد الروحية للحضارة الغربية، والضرورة الناشئة من إعادة تأسيس الصلة أو أكتشاف المصادر الروحية الجديدة للنسق .

لقد وقعت الديانة المسيحية والفلسفة تحت الهجوم المتزايد منذ القرن السادس عشر بسبب أنهما لم يعودا يمثلان ـ فى رأى الأغلبية ـ واقع الحقيقة الوثقى. وسواء كان الخطأ يقع فى تحجر وتصلب الرموز التقليدية أو فى قساوه وتجمد العقول العاجزة عن الغوص إلى ما تحت المظاهر السطحية، فالأمر لا يعنينا لعدم وثوق صلته بصلب الموضع، وثمة لوم يقع على كل الجانبين، والقضية هى أن العالم الحديث يبدأ فى هذه الأزمة الخاصة بالإنحلال الروحى للأشكال المؤسسية .

ولقد سعت الليبرالية الى خلق النظام النسق بدون الاعتراف التام بهذه المشكلة وكان المفكرون الأيديولوجيون أكثر عمقا فى اعترافهم بالحاجة إلى واقع جديد، حيث كانوا أكثر مراوغة فى إطار اعتناقهم للمبادئ الإنسانية من أجل تقديم الحقيقة المطلقة .

والاختلاف الوحيد الآن هو أن التجربة قد أستننفذت أغراضها وسبيلها وليس من المتوقع لنا أن يؤثر علينا سواء المداخل الليبرالية أو الأيديولوجية من أجل تأسيس النظام على أن من الحلول الوسط الزائفة زو الحقائق المطلقة الوهمية، حيث أن كلا منها يقضى إلى القسوة والإكراه والدمار، بسبب أنه ليس ثمة حقيقة أنسانيه أصيلة متواجدة فى إطارها .

وهذا هو معنى التنفيس أو التطهير العاطفى الذى تعرضننا له وهو بمثابة السبب المنطقى الذى يفسر لنا لماذا نستطيع إلى حد ما أن نكون أكثر تعطشاً للدماء بشأن المستقبل .

ولأول مرة منذ عصر النهضة، نستطيع علانية مواجهة مشكلة خلق النسق / النظام الفردى والسياسى فى الإطار الإجتماعى حيث لا تكون الرموز التقليدية ذات فعالية فكيف يتسنى لنا الحفاظ على النظام فى مجتمع حديث حينما لا نستطيع الأعتماد على تأثير الفلسفة الكلاسيكية والديانة المسيحية التقليدية ؟ وكيف أيضاً نستطيع أن نصبح مقنعين للغير، إذا لم يكن ذلك عن طريق ما هو صائب للغائية الطبيعية، كون الشىء وبخاصة الطبيعه أو عملياتها موجهة نحو غاية، والإعتقاد بأن كل شىء فى الطبيعة مقصود به تحقيق غاية معينة) .

وحينما تصبح الرموز مبهمة، إذن من عدم الجدوى إقامتها كحقائق مطلقة دوغماتيه مؤكدة من غير بينه أو دليل أو أيديولوجيات ثانوية. والمدخل الصيانى البحت ( المنادى بضرورة صيانة الموارد الطبيعية)، ويسعى للحفاظ على السلطة الأساسية للأشكال التقليدية، آل إلى حالة من عدم وثاقة الصلة وعدم الكفاءة. وثمة إمرىء واحد يخاطب ـ ولو كان غير كاف ـ حقيقة الاحتياطات الضرورية للعصر .

ولكن أكثر الاستجابات ملاءمة لغياب المعنى للأشكالب الرمزية السابقة هو إعطاء غطاء جديد للخبرات الحياتية والحقيقة التى تولدها وتنشأ بداياتها، وهذا أمر يسير القول والكلام بشأنه ولكن عند الفعل أو العمل تصبح الأمور صعبة فهو يتطلب نزواً أو ميلاً للإيمان

أوالثقة بأن النظم الرمزية السابقة تجسد الحقيقة والواقع، وذلك قبل أن نستطيع الأستغناء من الخبرات الكامنة وراءها .

إن هذا النزوع المسبق للإيمان هو الذى يمثل موضع المشكلة الحقيقة بالنسبة إلى معظم الرجال والنساء الذين ينتمون الى العصر الحديث. ولم نعد نستطيع الثقة بأننا نعيش فى الكون المتناغم، وليس فى الفوضى المطبقة، إذ أن هناك نظام مقدس سوف يكشف عن نفسه لنا لو أننا قد هيئنا أنفساً له .

عند ذلك الموضع تلعب خبرات التنفيس أو التطهير العاطفى دورها اللازم، إن حل المحاولات السابقة عن طريق الفردية الليبرالية والحقائق المطلقة البديلة للأيديولوجية، للتزويد بالأساس المطلوب للنظام هى بمثابة الخطوة الأولى صوب البديل الحقيقى، وهى تجعلنا منفتحين للبحث فى الأرضيى الكامنة فيما وراء الوجود المحدود .

إن الفشل الذى أصاب النفع الذاتى أو المصلحة الذاتية أو الحقائق المطلقة الوهمية لخلق نسق / نظام فى إطار الروح والمجتمع يوجهنا نحو الإتجاه الذى تكمن فيه الحقيقة ـ والثقة بأن النظام قد تم خلقه لدرجة أن الكائن البشرى يستجيب لإرادة ونزعة الخير المتأصلة فيه .

وهو النسق الذى يدفعنا أنفسنا إلى الحد الذى نشارك فيه فى الحقيقة التى هى الخير نفسه. وإلى الحد الذى ينجح فيه المرء فى الاستجابة إلى قوى جذب تلك الحقيقة الواقعة وراء نطاق الخبرة والمعرفة، شراعنا فى تبين وإدراك والتمييز بين الأشكال المألوفة من منظور الحقيقة التى ظهرت الى حيز البزوغ .

إن تأمل أزمة حضارتنا بمثابة الوسائل صوب هذا التحقيق فهو يزودنا بالمناسبة التى نتخلص فيها من الاكتئاب البائس فى الطريق المسدود الذى وصلنا إليه، وإنما يوصلنا إلى المجاز والفتحة التى نلج منها صوب الحقيقة التى عرفناها ومع ذلك سعينا بكل جد وجهد من أجل تحاشيها وتجنبها طويلاً.

وبدأنا فى التعرف من خلال أفكار المفكرين "نيتشه"، و"ديستويفسكى" على أن البشر عاجزين عن جلب الأخلاقية التلقائية إلى أرض الواقع على أساس لتوكيد الخاص للإدارة، وبدون أساس فائق وكائن فوق الوجود المادى ، فإن النظام الجديد سريع التحول إلى مقوله إن "كل شىء مباح" .

من هذا المنطلق، يبين "كامى" كنا، كيف أننا أصبحنا مسئولين عن التطبيق العملى للمبدأ، بما فى ذلك التبرير اللانهائى الذى يقدمه لأهوال "داشو" و «كاراجاندا» ومن خلال تحديدنا لمثل هذه التعبيرات كالحرية التى تمثل الجريمن، فإننا قد جربنا نفس معنى التغيير والتحويل الذى يوجهنا إلى الخلف نحو القيود التى أقامها الإنسان، ولا يمكن عبورها بالأفلات من العقوبات .

إن الأزمة التى عبرناها جعلت من المستحيل علينا الهروب وتفادى الأعتراف بحالة موقفنا الذى نحن عليه الآن. ولقد جعل الإنفجار الروحى والسياسى للفوضى والأضطراب المقدمات المنطقية الزائفة تندلع شرارة تفجرها، وفى نفس الوقت بينت حقيقة المفهوم المضاد، بان الكائنات البشرية يشارك فى نظام ليسواهم خالقية أو صانعية .

ونحن قادرون على الاعتراف والتعرف على أن ( الحيونه) أى إزالة وتجريد البشر من صفاتهم الإنسانية، بالأسلوب الإجرامى، قد تم بسبب أننا لم نفقد نهائياً هذا الوعى على أيه حال، ربما أردنا إنكار أيه حدود خاصة بالحرية الإنسانية، ولازلنا نعيش فى كون شامل سبق تنظيمه وإعداده .

والآن لقد شرعنا وبدأنا فى التعرف على ما هو مخبأ فى المستقبل أمامنا وعواقب القبول أو الرفض فى المشاركة فى ذلك النظام ليست عديمة الجدوى من البشرية نفسها ، وعن طريق إغلاق الأبواب على أنفسنا والأبتعاد عن المصدر، فنحن لا نجعل من أنفسنا أسياداًللكون، ولكن نقع فى هوة الشر السحيقة، التى هى مطابقة بالخبرة والحقيقة لجهنم.

وليست ثمة طرق مختصرة للكمال والإتفاق الروحى الذى نتوق إليه . وهذا امر يمكن فحسب كسبه بدفع الثمن وهو الأستسلام، أو الموت الذاتى، أو التضحية فى النهاية والجود بكل شىء شرط أو غيره للإله، ( الله) الذى هو الخير والحقيقة عينها ، وليس هناك طريق آخر للبشر ليصبحوا آلهة ويشاركوا فى الوجود المقدس فيما عدا التشبه بالآله .

جاء فى ( إنجيل متى : الجزء ٥ : ٤٨ ) . وأنت يا إنسان فلتكن كاملاً مثل أبيك الذى فى السماء الذى هو الكمال" . وحتى لو كان هدفنا هو الشىء الأكثر تواضعاً فى العيش بحريه، إلا أننا مضطرون للإعتراف بأن الحرية الحقيقة تتكون من العيش أحراراً وفقاً لما هو فى النهاية خير، وأى شىء أخر أقل من ذلك فهو بمثابة الفقدان للحرية والانحطاط والتدهور إلى مستوى العبودية للعواطف بصرف النظر عن المقدار الذى أقنعنا أنفسنا بأنه أختيارنا الخاص الحر .

ولا شىء من ذلك يبقى مسألة للتكهن بالنسبة لنا، إن السقوط إلى الحيوانية من أوج وذروة تعظيم الذات لهو بمثابة ظاهرة أمبيريفية ( تجريبية) فى إطار التجربة التاريخية المطولة المعروفة بأسم "الحداثة"، والفرد الجاهل جهلاً مطبقاً بتاريخ حضارتنا هو فقط الذى يمكن أن يستمر فى الأعتقاد فإن البشر يخلقون النسفق / النظام الخاص بوجودهم الذاتى.

لقد تعرضنا للوعى الجديد الهائل عن الحقيقه والواقع الذى تشارك فيه، عن طريق مواجهتنا لإمكانيه الدمار الكلى وأفتقاد أى شىء بعينه للإنسان كقيمة، والمعرفة بهذا النظام مشتقة أساساً وجذرياً من مشاركتنا فى إطارة. ولقد أصبحنا مدركية وواعين به كما لو كان تياراً تحت السطح يمثل المقاومة التى تدفعنا لمعارضة "إلغاء الإنسان" .

إن أبعاد هذه المعرفة تكشف عن نفسها كشف تاماً حينما نفتح أنفسنا للإصلاح الوجودى لحياتنا وفقاً لهذه التعليمات والتلميحات، وبؤرة تركيز هذا الكتاب بمثابة المثال أو النموذج لأولئك الذين اقتفوا أثر هذا الكشف التأملى الملموس عن الحقيقة إلى درجة وجد

الأتقان والكمال التام، ولكن المعرفة هى التى تستمر فى الوجود حتى عندما تدفعنا إلى حدود الوعى فى إطار أولئك الذين يسعون إلى الإنكار .

وربما استخلصنا النتيجة القائلة بأن هناك لدينا الأساس الوطيد من المعرفة أو الجوهر المادى الروحى الذى يمكن تشكيل تعدديه الأفراد والتقاليد أعتماداً عليه ليصبح مجتمعاً سياسياً. إن التنفيس أو التطهير العاطفى لزماتنا كان يعنى أن فرصة الأفتقاد المحدد للبشرية والإنسانية قد اتضحت فى الإستجابة للوعى العالى بالحقيقة .

وهذا يشبه الحالة التى صار لنا الآن فيها إعادة الصياغة للمؤسسات التى كان ينبغى أن تقوم منذ بداية العالم الحديث بالإضطلاع بدورها ، وحينما صارت رموز الفلسفة والمسيحية غامضة ، فإن السبيل نحو استعادة النظام يجب أن تكون الهبوط إلى الحقيقة التجريبية، بدلاً من ذلك، فإن هذا البحث إنحرف وزاغ بسبب الرغبة المتعاصرة لتأسيس النظام الجديد للحقيقة الواقعية على أساس من النفس المغلقة .

وفى الليبرالية، نجد أن سلطة الذات المستقلة المنعرلة، بدون إشارة إلى الإرشاد الإنسانى أو المقدس، لاقت إعلاء وتمجيداً لها ، لقد سعت الذات النفسية إلى فرض نفسها، ونظامها على مجمل الواقع الحقيقى، وليس فقط للعيش فى ضوئها. أما الآن وقد صارت هذه المشاريع مشوهة على نحو كلى، فقد استدعت حركة المقاومة أكثر الأستشفاءات عمقاً للحقيقة التجريبية منذ بداية الفترة الحديثة . وبذلك أصبح لدينا فرصة البدء بالعالم الحديث مرة ثانية .

. ومهمتنا الآن هى استكشاف الأمكانيات التى كانت حاضرة فى البداية المبكرة لعصر الحداثة، إلا أنها تعرضت للأهمال فى وقت لاحق من أجل صالح البدائل الليبرالية والأيديولوجية، والمثال الخاص لـ "جان بودان" لخير دليل فى هذا المضمار .

وفى خضم الحروب والمعمة الدينية فى القرن السادس عشر، أستكشفت فرنسا أمكانية

إقامة الأساس التجريبى للأهوت الدينى المدنى الخاص بالدولة . ولقد مرض "جان بودان" مثله فى ذلك مثل الكثيرين من المفكرين الآخرين، وبخاصة رجال الفكر السياسى، الصراعات المدمرة القبيحة والقاسية التى أعطى لها فرصة النهوض النزاعات الدوجماتية .

ولكن بدلاً من محاولة، فرض التسامح والنظام على الحل الوسط الليبرالى، نجد أنه سعا إلى كشف الوحدة التجريبية الأكثر عمقاً فى إطار الديانات العالمية. وأستكشف "بودان" الحقيقة الصوفية فى إطار التقاليد الروحية بنقائه. وكانت هذه هى حقيقة الدين التى لم يتطلب واقعها الأصلى المحتفظ نبقائه أى أثبات شرعى اللهم إلا الخبرة التنويرية ذاتها. حيث كانت تحمل بين حياتها دليل صحتها .

ولقد اتفق وبدان، عرض هذه الرؤية على نحو يدعو إلى العجب فى كتابه "هيتبابلوميرس"، وحواره مع الممثلين السبعة لديانات العالم، حيث أن محادثاتهم بينما لم تنجحج فى الوصول إلى الحقيقة الفلسفية الخالدة أو حقيقة كنة الدين، إلا أنها نجحت فى تبين كيف كان مقدار الصراحة والتسامح الذى أدى بالغموض إلى الوصول إلى إرساء قواعد نظام إجتماعى ذى تقاليد روحية متنوعة . لسوء الحظ لم يكن ذلك بمثابة الرؤية التى أضحت فعالة من الناحية التاريخية .

وحينما ظهر للمرة الثانية الاهتمام بالحقيقة الدينية للمجتمع فى الحركات الأيديولوجية، كانت العواقب مأسوية بالنسبة إلى قضية التسامح .

والمثال الأكثر معاصرة من المدخل التجريبى للنظام هو الذى نجده فى أعمال "هينرى بيرجسون" الفكرية. ففى كتابة "مصدران للأخلاقية والدين" فيميز بين الأخلاقية ذاتيه المصالح المتغلقة التى كان أعلى محصولها هو تأمين الصالح الجماعى، وفتح الأخلاقية الكونية التى تتجاوز كلا من الذات والنفس والمجتع حباً لجميع وكافة الكائنات الحية .

وتمتد جذور المجتمع فى البدايات الافتتاحية للزهد من أجل الله، وبخاصة فى إطار

الديانة المسيحية، كما أن دليل تفوقها متضمن داخلها ، يقول "بيرجسون" أن الدين يكسب الأرواح ويسيطر عليها عن طريق الحقيقة السامية لأخلاقياته، حيث يخاطب إلى المعنى المسبق للالتزام الكامن داخل كافة الكائنات البشرية، وهو بمثابة الأساس الحقيقى لكل الأخلاقيات .

إن العقل أو المنطق لا يمكن أبداً أن يقدم الأساس الكافى«طالما أن المرء يستطيع مجابهة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان والمنطق بالمنطق والعقل بالعقل» . وبنفس الطريقة فإن هذا المعنى الأولى للنظام الحق هو الذى يقضى بأن الحقيقة بالخبرة أو التجربة الزاهدة أمر معروف و معترف به .

ويمقدورنا دائماً التحقيق من الحركة فى خبراتنا الخاصة وإن الزاهدين بين لديهم الكمال الذى بلغوه من خلال أيمانهم بأن الله محبة، وهو الحب الوافر المغدق الذى يفيض بالمحبة لكافة المخلوقات التى صنعها الله لكى تنتصر على المادية وتعود أياباً إلى حب الله والمحبة فى الله.

لقد خلق الله البشر للمشاركة فى الحب المقدس .

والشئ الذى يسترعى الإعجاب فى أفكار "بيرجسون" هوالطريقة التى تم بها تقديم تلك الأفكار، حيث لم يقدم مجادلات أو دفاعاً مطولاً عن المقدمات الأولى ويبدأ كتابه من نقطة البدء المشتركة عن حقيقة النسق / النظام، الأخلاقى والروحى الذى يعترف به إلى حد كبيراً أوضئيل كافة المخلوقات البشرية .

وأوجه الإقناع بمفاهيمه المفتوحة والمغلقة عن النظام مشتقة الحقيقة الحدسية عن المعرفة التى تسعى إليها من أجل الأنفتاح والكشف .. كما أنه ليس هناك أية محاولات حديثة للوقوف خارج قضية أو مسألة النظام، والنظر الملكوت الأخلاقى والسياسى كما لو كان كياناً يستوعب نفسه بنفسه .

بدلاً من ذلك، ثمة الاعتراف بأن منظورنا عن النظام هو بمثابة مشاركتنا فى إطارة، وحينما توقفت الصياغات الرمزية للنظام عن شفافيتها، لم يكن حينذاك للنظام أن يتم أختراعه من جديد، ولا بدلنا من العوده إلى النظام التجريبى الذى كان قابعاً هناك طويلاً .

وليس ثمة أى معنى للإلتزام الأخلاقى يمكن إستخراجة وأستخلاصه من المبادئ العقلية ما لم ننشد معنى الألتزام الذى كان متواجداً قبل بدء التفكير الأستنتاجى من الوقائع والمقدمات. ولقد كانت هذه الروح المعرفية للنظام / النسق هى التى شكلت دائماً أساس النظام بين البشر . ويعد أستكشاف "بيرجسون" الزهدى بمثابة الطريقة البسيطة فى صنع الوجود لهذه المعرفة النظامية وجعلها واضحة .

والان أنجز التنفيس أو التطيهر العاطفى للزمن المعاصر نفس النتيجة. فما هو الذى يعرفه الزاهد المتصوف عن طريق سبر أغوار وأعماق الروح ؟ أن ذلك هو نفس الشىء الذى كشفه بسط العالم نفسه الذى نعيش فيه . وعند نفس النقطة التى وصلنا فيها إلى الجوهر الإنسانى البسيط، أكتشفنا الأشتراك فى أحدى نظم الواقعية الحقيقية فيما وراء النفس ذاتها .

ونعلم إنها إنما كان بمثابة المحاولة لنولى وجهنا بعيداً عن هذا من أجل أشتقاق كل شىء من نفسنا وذاتنا الخاصة التى جاءت بنا إلى حافة الهاوية. وتسبب ذلك فى أفتقادنا ذاتنا الجوهرية التى سعينا كثيراً وطالما أجتهدنا من أجل الحفاظ بها، وأبتعادنا عن الجنون والأوهام والخداع القائل بسيطرة المخلوقات على الخليقة أصبحنا الآن نعرف ما إذا كانت لدينا الفرصة متوافرة لحفاظ ذاتنا الحقيقة فى واقعيتها .

ويتعين علينا الخضوع إلى النظام الذى لم نقم نحن بخلقه،والسماح لأنفسنا بأن نتشكل عن طريق تعليماته وتوجيهاته ، وذلك لو قدر لكل فرد منا أن يصبح فى النهاية، وفقاً لكلمات، سولز ينتبسن"كائنات بشرية" . إن النيران المحرقة الملتهمن التى مررنا فى أتونها

صار لها الفائدة النفسية المعتذر تقديرها فى التطهير، ذلك أن كافة المقدمات الزائفة تم فضحها كما أنها سقطت فى الهاوية .

إن خبرة التجرد من جميع أوهامنا لهى أفضل تطعيم ضد العدوى التى قد أصابتنا منها، بحيث لا تصيبنا مرة ثانية فى المستقبل. ولعل هذا هو الذى تقدم لنا معنى التغلب التام على التأثيرات التشويهيه للذاتية المنحرفة المتخرقة، كما أن بصائر ومكتشفات المفكرين " دريستويفسكى" و "كامى" وغيرهما تمثل حقيقة تنتمى لعصر ما بعد الحداثة ذلك لأنها ظهرت من النقد النفاذ الثاقب للقوى التى سيطرت على العالم .

وحقيقة تلك الأصوات هى بمثابة الأمر المعترف به فضلاً عن أنها قد انتصرت على التحركات التى تعارضها . وفى إطار ومضمار هذا المعنى نجد أن أكتشاف الحقيقة فى إطار الموضع الذى ظهرت فيه كل أولئك الاتفاقيات لهى أمر مستحيل .

إن شكوى "ماكينتاير"حول التطويل اللأمتناهى للمناقشات الأخلاقية المعاصرة لم تعد تصلح لنوع الحقيقة المعاشة المتجسدة فى أفكار المفكرين " ألبير كامى " و "سولز ينيتون"، بصرف النظر عن موقف المفكر "فويجلين" منها. وتعد المناشدة أو الدعوة للمعرفة الحية للنظام فى إطار القلب الإنسانى التى هى بمثابة الأمر المسبق لتبنى كافة المواقف والمواقف المضاده، تعد المركز والأساس لطبيعة المشروع الذى ينتمى لعهد ما بعد الحداثة .

ولسبب أن حقيقة هؤلاء المفكرين ظهرت من الكفاح الوجودى المصاحب لروح العصر، والذى كان ثمنه غالياً بمثابة التضحية العظمى، نجد أنها تتحدث وتخاطب القوة المؤثرة على كل روح إنسانى .

ولما انهارت التعليمات والمبادئ والأيديولوجيات، أبدى هؤلاء المفكرون كيف أن المصدر المعايش للنظام ظل المنبع الذى تشتق منه كافة هذه التشييدات فى المرحلة النهائية مشروعيتها، إن هذه هى الأرضية الشائعة التى نستمر فى مشاركتها، ذلك أنها قائمة على

أساس من المعرفة عن النظام الأخلاقى الفائق، وأن التنازعات الأيديولوجية تشكل مجادلاتها، ووجه الصعوبة هنا، كما يذهب المفكر "سى. إس. لويس" هو أن الفلاسفة والمنظرين يرغبون فحسب فى صيانة جزء من الطاو: وهو المبدأ الأول الذى ينبثق منه كل وجود وتغير فى هذا الكون، وهو كذلك سبيل الفضيلة فى الفلسفة الكوفغوشيوسية، مع طرح الباقى جانباً .

ومع ذلك، فلا يعنى هذا أن الوعى بالبقية غائب، إنه متواجد هناك من أجل إعادة بعثة وإحيائه، ويقوم بذلك الأفراد الذين يسعون إلى معايشه مداه الكلى الكامل .

## الأساس الروحى للديمقراطية الليبرالية :

إن القضية الحاسمة هى كيف يمكن ترجمة هذه الخبرة الحية إلى مبادئ وهياكل من النظام السياسى، كيف يتسنى تجسيد حادثة ما ذات خلفيات تجريبية أولية فى الأفكار والمؤسسات؟ وفضلاً عن ذلك، هناك الأعتراضات التى سوف يتم إثارتها حتماً ولا مفر من ذلك، والذى سوف يثيروا روح الحداثة نفسها .

ولقد بدأ هذا العالم فى خلال الجهود المبذولة لهز وزعزعة السلطة اللاهوتية والمشيخية المسيحية، فهل المجتمع العاصر لن يستوعب أو يدرك فحسب هذا بأعتباره أحدى المحاولات الأكثر رجعية للتركيز على السيطرات الدينية، إن اقتراح خلط الدين بالسياسية يستدعى كافة المخاوف القديمة والكراهيات .

ولعل تحريم المراجع الإشارة إلى كل ما هو مقدس يمثل الحد الأدنى لدينا الذى استطعنا إنجازه منذ القرن السادس عشر، فهل يمكن لهذا أن يكون أسلوباً جدياً يذهب إليه ويقتضى قدرته الرجال والنساء ؟

تلك كانت الأعتراضات، ويجب إلا نأخذها مأخذ البساطة والخفة، ومع ذلك، لو تدبرنا الأمر فإننى أعتقد أنهم يفتقدون إلى المنظور الأساسى لعصر ما بعد الحداثة، الذى سبق

أوضحناه وجددننا أبعاده، إن الاكتشاف التنفيس التطهيرى للحقيقة يقدم لنا الأساس الذى يعتمد كحقيقة ثابته فيما وراء التغليف الدوجماتى .

إن حقيقة الحياه المعاشه، كما أشار ، ديستويفسكى" كانت قد تم كسبها عمداً من الفوضى الأيديولوجية حتى أنه ليس ثمة تماثل أو تشابة فى الأرتباك والخلط فيها باعتبارها وحدة من الأفكار المذهبية المطلقة، وكان إيريك "فويجلين" قد جعل من الخبرات والرموز الموضوع الرئيسى لعمله، فليس ثمة إحتمال فى معاملته كرجل دوجماتى مالم يفعل ذلك إمرؤ معين عن قصد وله دوافع ايديولوجيه لذلك .

إن "البيركامى"و "سولز نيتيسن" يدعوان إلى ما هو وراء كافة الاستخلاصات عن الحقيقة الحسدية البشرية للخبرة والتجربة، التى كانت بمثابة المهمة الفنية الخاصة للتوسط بين المفكرين والفلاسفة المعاصرين، وبعيداً عن هذه الإنجازات، فإن ضرورة أكتشاف المصادر والمنابع الأولى للنظام صارت معترفاً بها على نحو متسع ومتزايد لدرجة أنها ربما ينظر إليها على أنها المقدمة الشائعة لكافة التفكيرات التنظيرية الحادة فى عالم اليوم .

هذا أيضاً بمثابة الاستجابة الجوهرية للمخاوف الليبرالية التقليدية عن الفلسفة الاستبدادية : النظرية السياسية التى تقول بأن السلطة المطلقة يجب أن تناط بحاكم واحد أو أكثر، أو هى الحكومة الاستبدادية التى تنادى بضرورة الحكم الأستبدادى وحينما يعترف بحقيقة الطبيعة البشرية والنظام الوجودى كما لوكان أولياً و وأساسيا فى حقيقته وواقعة ، الذى يكتشف فقط عن طريق المشاركة الحية فيه، إذن هناك ثمة تماثل أو تشابه ضئيل يقضى بأن الألتزام بأعراف الكنيسة الإنجليزية أو تمثل العرف والعادات الخاصة بالإكراه والقسر الأخلاقى أو الأيديولوجى سوف يتم فرضه على المجتمع .

ومن الصعب تصوراى من المفكرين الذين درسناهم يعير تأييده ومساندته مثل هذا

الموضوع، لقد فهموا المشكلة الخاصة بالحضارة الحديثة على أنها تجديداً أو أنبعاث روحى وأخلاقى، وفهموا بذلك القدر الخارق من الوضوح لدرجة أنهم لم يعودوا عرضه للخلط أو التشويش فيها، أو مزجها بأى برنامج خارجى يفرض الإذعان .

إن تأثير النظام السياسى لعصر ما بعد الحداثة من المحتمل أن يستشعر فى الرفض للالتزام بالمبادئ الدوجماتية المقيدة للبشر والليبرالية نفسها ، وربما لا يكون هناك مطلب عام للمشاركة فى الفهم الكلاسيكى والمسيحى للحقيقة، إلا أن هناك إلتزام إيجابى لضمان أن المنظور العميق لم يتم إزالته أو إبعاده .

تم توضيح الأختلاف توضيحا طيباً من خلال الطبيعة المتغيرة للمناقشات التى تناولت العلاقة بين الدولة والكنيسة فى الولايات المتحدة الأمريكية، لقبد أنتقلنا من عصر الأنفصال إلى عهد آخر، إلا أن العلاقات الطيبة الودية والتعاونية بين الدولة والكنائس لم تستمر، ووصلنا إلى اتجاه اللامبالاه أوحتى العداوة من جانب السلطة السياسية نحو الدين، والمطلوب هو استعاده العلاقة السالفة التى تميزت بالمجاملات والمحاباة، ويحب أن يتواجد هذا ليس فحسب بين الكنيسة والدولة ولكن أيضاً بين النظام الليبرالى السياسى والعالم الروحى بأجمعه .

إن الاعتراف بعدم صلاحية الديمقراطية الليبرالية لتقديم وتعزيز أسسها الأخلاقية الخاصة لهو أمر مطلوب وبإلحاج، إن هذا حينذاك سوف يمنع التطبيق المبالغ فيه من المبادئ الليبرالية، إلى الحد الذى يعارضون فيه التقاليد الروحية البحتة التى كانت تشكل جذورها الخاصة .

للمرة الثانية، لا أستطيع التركيز كثيراً والتأكيد على أن هذا ليس بمثابة التوق المهنى المبتذل من أجل الحكومة الدينية الثيوقراطية التى تخضع فيها الدولة رجال الدين، والأمر الذى أشير إليه هو عبارة عن فتح أولى للآفاق لتشتمل على الأطار الأكثر شمولية للنظام

السياسى، وينتهى بها المطاف إلى الأعتراف بأن النظام الدستورى يقوم ويعتمد على الحقيقة الأخلاقية والدينية .

كما أن حل النزاعات لا ينبغى أن يصعد حتى يصل إلى الحد الذى يعرض للمخاطر أعمق الأركان والأسس التى ينبع منها فى النهاية احتمالية النظام. والحقيقة المطلقة عن البشرية لا يمكن أن تكون محددة فى الحقوق الرسمية للدولة الليبرالية. وذلك على الرغم من أن التعددية الخاصة بالتقاليد الروحية ووجهات النظر المتضمنة فى إطار هذا الهيكل العام، تجعل من اللازم لتواجد هذا البعد فى العمق الوجودى أمراً معترفاً به .

والاتفاق على المبادئ والعمليات صار محتملاً وممكناً عن طريق التأكد على الصراحة الروحية بأن سائر الكائنات البشرية تشارك فى نفس الخطوات، ولن يكون هناك فهم شائع عن العدالة والنزاهة والمساواه والحق، والنظام الصحيح بدون المعنى المسبق عن الحقيقة الأخلاقية الفائقة، التى قامت على أساس منها فى المطاف الأخير أركان المجتمع السياسى .

نحن نعيش فى خضم جهود مغيرة تكرس الجوهر النظرى لليبرالية، كإستجابة مباشرة للإدراك السائد عن الأزمة التى تتعلق بالأسس الخاصة بالديمقراطية الليبرالية منذ الحرب العالمية الثانية، وهذا الجهد تطلب بعض العقول الأكثر تفتحاً وذكاء وإنفتاحاً فلسفيا، مما يعطى لواحدة من أكثر المناقشات ثراء وحيوية فى الفكر السياسى الليبرالى منذ القرن السابع عشر.

لحسن الحظ، ليس ضرورياً رسم الخطوط الكبرى لتنوع واختلاف وتعقد شتى المؤلفين أو حل خيوط وألغاز مناقشاتهم ومناظراتهم المستمرة مع بعضهم البعض، ذلك أن غرضنا يكتفى بفحص الناحية الواحدة التى عن طريقها يتم كشف سائر النواحى: الأ وهى المصدر المحرك النهائى . إن القناعة بهذه الجهود المبذولة التى هى غالبا ضمنية وفى أحيان أخرى منكورة تكشف المزيد عن الطبيعة الحقيقة الليبرالية على خلاف سائر المناقشات الموسعة عن التفسيرات والتطبيقات .

ويكشف المفكرون الليبراليون المعاصرون أنه حتى حينما يخفقون ويفشلون فى الاعتراف بذلك، فإنهم يلقون الإرشاد والتوجة الأساسى عن طريق أحساسهم بالنظام الفائق للحقيقة .

وأولى الدلائل على هذا التأكيد هو الإلغاء الكونى العالمى لأية محاولة للتبرير النفعى من أجل المفهوم الليبرالى للحقوق، والأجماع الذى يسود الآن هو أن الفكرة المنطقية الأصلية ذات الجذور فى المبادئ يجب ألا يتم كشفها، كما أن الأعتراف الواسع باحتمالات النفعية والأنانية ( الذاتية) اللاأخلاقية ـ الشمولية والتضليلية قد أدت إلى تشويه هذه الأسس والأركان، والشىء الذى يسعى البعض للحصول عليه الآن هو بعض أشكال الليبرالية ذات الحقوق الإنسانية التى ظهرت من خلط فكرتين ـ الرفض الليبرالى للمقدمات المنطقية الأخلاقية أو الدينية، بأعتبار أنها غير ملائمة للنظام التعددى، وأن الاعتراف بالحاجة لمبدأ أحترام الكرامة الأنسانية للفرد التى لا ينبغى أن تنتهك .

ولقد صاغ المفكر "جون راول" هذا الأمر فى إحدى أكثر صياغاته وضوحاً وهو الذى صار قولاً فصلاً أو مثلاً سائراً قوامه "إن العدالة مثل النزاهة وإن مفهوم الحق سابق على الخير"، وهو مقتنع بأنه إذا كان تبرير الحقوق الفردية ثم الجدال بشأنه وفقاً للالتزامات الأخلاقية المتبادلة، فسوف تتخبط وتتعثر على نحو لا يمكن التراجع فيه بسبب ( الذاتانية : وهى مذهب فلسفى يقيم المعرفة كلها على أساس من الخبرة الذاتية )، ثم الإنهيار فى النهاية بدون أيه مساندة أو عون .

ولأجل إنقاذ مفهوم الحقوق من الفوضى يحاول المفكر (جون راول) أن يجتذبه ويسحبه نهائياً من ملكوت وعالم المناظرات الأخلاقية، فالحقوق و ينبغى أن تصبح حسباً يذهب هو المبدأ الأولى الذى يمكن المواصلة بدءاً منه لكافة أنواع الخطاب الإجتماعى والفلسفى .

والمشكلة هى أن الأساس الذى يمضى قدماً فى إقامته لهو مناقص تناقضا فادجاً للأمانى

والطموحات الأخلاقية السامية التى بدأ هو العمل إنطلاقاً منها ، وبدلاً من ذلك، شرع "راول" يشن فى التجربة الفكرية التى صارت الآن مشهورة بالموقف الأصلى، حجاب وستر الجهالة ، وأخيراً العقد الإجتماعى لشرح نشوء وأصل وتكون توقفاً للحقوق .

ولا علاقة لذلك بمفهوم النزاهة، الذى نتتبعه بالدراسه بغض البصر عما إذا كان يخدم مصالحنا الذاتية أم لا ، ويقدم المفكر "جون راول" لنا ـ كما لو كان معارضاً لنظرية العدالة ـ بنظرية عن الظلم، ومن الضرورى أن نوضح ونبين المشكلة من أجل جلب شدة الوضوح الصارخة حول التناقض بين أمانية وطموحاته ومدركاته. وحينما يتم إنجاز ذلك، نشرع ونبدأ فى التعرف أكثر فأكثر وبوضوح عن الذى يحاول أن يفعله المفكر «وجون راول». أنه يقدم أسطورة للمنفعة الذاتية المطلوبة لتشكيل إجماع عام لمساندة ودعم النظام الذى يعرف أنه حق وصحيح.

أن تفسيره الخاص وفقا لمصطلحات العقد الأجتماعى الأصلى ذات الجذور المتاصلة فى حساب المنفعة والمصلحة الذاتية - لايحسب له حساب عن الكثافة والعاطفه التى يتصف به قلقه واهتمامه بالحقوق الفردية. فلماذا يجب على «راول» أو أى شخص آخر من أولئك الذين أفادوا إفادة ضخمة من توزيع الثروة، والمواهبة والرعاية والامتيازات، لماذا يجب عليه ان يشغل فكره ويهتم من أجل الفقراء والمعوزين والمحتاجين؟!

ولماذا يتعين عليه أن يستمر فى التقيد بالعقد الاجتماعى؟ على ايه حال، هناك قليل من التشابه الأن، وقد شرع يخفض ويقلل من اهتمامة بحرمان طفل اثيوبى يتضور جوعاً وعرضة للموت جوعاً وسقياء ونفس الملاحظة يمكن رصدها عن أغلبية المفكرين السياسين الليبرالين، إن نواباهم وطموحاتهم كانت أفضل من نظرياتم، وفى السياق المعاصر، هذا التناقض واضح وأكثر دراميــة وما سوية عما كان فى الماضى وعن ذى قبل بسبب كثافة الوعى بضرورة التزويد بالأساس السلطوى للحقوق .

إن الموقف وصل إلى نوع من وضوح الفكر والأسلوب والاستبصار وبعد النظر حيث يتعين على المفكرين الليبراليين أنفسهم أن يجابهوا ويواجهوا المصادرالروحية لقناعاتهم، وليس لذلك أيه علاقة بالحسابات الخاصة بالمنفعة الذاتية أو بالتوكيد الشجاع على الحقوق مع وجود إحساس بالقيمة الفريدة التى لا يمكن تبادلها أو إجلالهاعن كل إنسان وشخص .

وثمة شيء غير قابل للقياس وغير متناسب أو متكافئ عن الكائن البشرى بدءاً من الطفل الرضيع الوهى الهش وحتى الإنسان اليافع البالغ، ومن الضغيف الواهن إلى الذكى متقد القريحة والداهية إلى الشخص ذى القوة الهازلة، هو الذى يجعله أو يجعلها كائناً ذا قيمة غير محدودة فى حد ذاته أو حد ذاتها ، فالغموض والعمق يكمن فى قلب كل شخص، ويمنع سائر جهودنا فى تخفيض وتحديد وتعريف وتقرير حدود وجودنا .

ويأتى وراء شتى الأفكار المتقنه ، هذه القناعة التى تشجع وتحرك رجالاً مثل «راول» ، و« دوركين» و « نوتشيك» و«ڤون هايك» وأخرون وهم الذين يمثلون افضل تمثيل التقاليد الليبرالية . وكل منهم تحركه ـ باساليب متباينة مختلفة ـ الاحساس العاطفى الذى اسماه البيركامى التمرد ، او الثورة ضد كافة القوى التى تتهدد بنفى وفصم القيمة النهائية لكل إنسان .

وكل ماهو مطلوب للتحول المرموق لليبرالية ووقوعها فى الواقع العملى هو بالتالى الاعتراف بمكان كمون الالهام او الوحى الحقيقى . إن المصدر الحقيقى ـ وهو المشاركة فى الحقيقة الواقعية الفائقة ـ هو الذى برز حقا على السطح . وهو أقل القليل المطلوب من أجل جلب هذه المعرفة الى الاعتراف الموضوعى . وهذا هو الذى يحل فى النهاية الطريق المسدود فى محاولة وضع القاعدة للاحترام غير المشروط لحقوق الفرد .

وتنوع واختلاف التقاليد . الدينية والانسانية ، و«اللاأدارية : الفلسفة القائلة بأن وجود الله وطبيعته واصل الكون أمور لاسبيل الى معرفتها » التى تقوى بصحة الأشكال

السياسية الليبرالية المطلوبة فقط لفحص الجذور . ويأتى وراء اختلافاتها الرمزية والإدراكية المشاركة فى الاساس الشائع المشترك، فى الخبرة او التجربة الانسانية.

ويكمن هنالك، وليس فى الذات النفعية ، المصدر الحقيقى الواقعى للشرعية . وربما يتطور المعنى المحورى للنظام / النسق الصحيح على نحو واضح قل أو كثر حيث يكشفها التقاليد والأفراد المختلفون الى حد كبير او قليل .

ان الأساس الشائع للإنسانية ومعناها الجذرى ، وهو الاعمق عن كافة القضايا التى تناولت الفلسفة الانسانية ، يجسد معنى الصراحة الانسانية صوب كلية المواقعيه التى هى متطابقة مع البعد الفائق لوجودنا . وبدلا من الموافقة على المبادئ الدوجماتية او المذاهب ، فإن شتى التقاليد التى تحتفظ بالديمقراطية الليبرالية توافق على القضايا وهى متفقة على المسائل الكبرى ، وبالذات على الطبيعة التساؤلية حول الشخص الانسانى .

وهكذا فان الشكوك او « اللاإرادية » من الممكن ان يتم تزود بالاستيعاب فى إطار هذه الوحدة ، للنوع المتطرف المتسدد للإلحاد وانكار وجود الله وهى التى ترفض من حيث المبدأ مسألة ارضيته الوجود . والسبب هو ان مثل هذا الموقف يمثل تشويهاً روحياً للطبيعة البشرية الذى يمتد بسهولة جدا صوب الدمار الفيزيائى والمادى أيضاً .

إن هذه المراجعة والتنقيح لليبرالية تعد جزئيا تحت التنفيذ كما أنها سارية . فضلاً عن ان المكونات المعاصرة لليبرالية تواجها مجموعة من النقاد الذين ربما يمكن من الافضل تمييزهم وتصنيفهم كمفكرين ينتمون الى عصر ما بعد الليبرالية .

أما المفكرون النقاد امثال « ليوشتراوس» و « حنا أرينت ، و« ميشيل أوكتشيتو» ، و« رينولد ينبور» ، و« جون كورتنى موراى » ، و« چاك مارتيان» ، و« بيف سيمون» و«جون هالوريل» ، و« بيتر بيرجر» و « الاسدير ماكينتاير» و«چورچ بيركن »، و«جرانت» وآخرون فقد صنعوا مدخلاً عبارة عن اجماع فى الآراء بينهم يتعلق بالحاجة الى

ايجاد وتأسيس الفكرة الليبرالية للحقوق عند فهم المجتمع ، والمواطنة ، ومايتمى الى الانسان كمخلوق اخلاقى .

كما سبق ان اشرنا فى الفصل الاول ، يعد الكثير من هؤلاء المفكرين جزءاً من ثورة ما بعد الحداثة فى الفكر ، على الرغم من أنهم لم يستكشفوا بعد الخبرة والتجربة التنفيسية التطهيرية الى الحد الذى وصل اليه « البيركامى » أو « ديستويفسكى » وهناك اتفاق صلد على الاتجاه الاصولى الذى ينبغى اتباعه . فالليبرالية كما يعلم الجميع ، لاتستطيع الاستمرار طويلاً على الاسس والمبادئ التنظيرية الرديئة والواهية .

إذ يتعين ان تتخذ وتتشرب جوهر المشكلة السياسية فى غرس مبادئ النظام / النسق الصحيح فى ارواح المواطنين . وتمكن الاشكال الليبرالية حدوث هذا الفرس . الا أن هذا لايلغى ولايزيل مسئولية السلطة العامة فى مراقبة ورؤية حدوث عملية التعليم الاخلاقى فى الواقع العملى . انه فى صالح الديموقراطيات الليبرالية أن تضمن على الاقل ان مواطنيها لديهم الحرص والوعى الاخلاقى للاستمرار فى عملية الحكم الذاتى .

كما ان التدبر الفلسفى كان قد بدأ فى الاثمار والاتيان ثماره الى حد ما فى شتى التحركات السياسية الواقعة فى عصر ما بعد الليبرالية فى السنوات الأخيرة . وكانت أكثر تعابيره وضوحاً ورؤية هى نهضة ونشأة الاحزاب السياسية المحافظة والمرشحين المحافظين ، على الرغم من أن هذا ليس من المكونات البحتة للعملية . فالمحافظون الآن عبارة عن عنصر فى ظاهرة أكثر شمولا تتضمن ايضاً نطاقاً من الليبراليين المنشقين .

ولقد مضى الى غير رجعة الايمان الأعمى والمطلق فى كفاءة المشروع الخاص والمبادرة الفردية لحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية ، وصار غائبا عنا التفاؤل بقوة وسطوة البرامج الحكومية لتخليص وتحرير الافراد من الشروط التعسفية للوجود . واضطرت المجتمعات الليبرالية الى مواجهة بقود العمل السياسى الليبرالى ، والأكثر أهمية التعرف على تأثير الأنماط الليبرالية للفكر والعمل على ذواتها وأنفسها.

وثمة وعى جديد يلوح فى فجر الافق وهو أن أكثر المشكلات الاجتماعية عمقاً لايمكن ان تنحل عن طريق الوسائل السياسية فحسب . فالكتب المؤثرة هى تلك التى توجه انظارنا وانتباهنا الى هذا المأزق والورطة النابعة من الديموقراطية الليبرالية : وعجزها عن تشكيل وتكوين النظام الداخلى لأروح المواطنين .

وتظهر الواقعية لتؤكد النقد الموجه الى الافلاس الروحى لليبرالية ، والرغبة الى تصعيد التحدى للمكافحة والنضال ضد التدهور والانحطاط ، وان كل ذلك صار بمثابة المزاج العام واسع النطاق والانتشار . فالاستجابة فى حد ذاتها بمثابة الدليل القوى على الحالة اليقظة للديموقراطية الليبرالية .

وسواء كانت أية مراجعة لليبرالية تنبع من التفحص الذاتى ، وهو شئ من شأنه ان يعيق ويمنع تكرار واستمرارية نفس الهبوط المتقطع والمفكك غير ذى المنهج او الهدف ، فهى قضية حديرة بالمناقشة . ويعتمد الجواب فى الجانب الاعظم والاشمل على مقدرتنا فى الغرب، وفى العالم الحديث بصفة عامة ، لتفهم الطبيعة الاساسية للمشكلات .

واعادة التوجه للمسار التاريخى الطويل ليس بالامر السهل او الهين . حيث يمثل كافة الدناميكات الكامنة صوب عكس النمط المألوف . ولقد ابتذل السياق الذى صارت بمقتضاة حركات الإصلاح والمراجعة واقعة تحت تأثير اختيار نفس القوى التى تسعى للتغيير ، وصارت نمطية التكرار الى درجة الملل والسأم .

وثمة نتيجة أكثر احتمالاً فى الوقوع وهى ان الافكار غير المألوفة التى لم يتم بعد تمثلها فى المقادير الاكبر المستقرة ، سوف يتم تجاهلها ببساطة . وهذه هى الحالة حينما يكون الشيئ الذى يدعو اليه المرء غير محدد تماماً كما هى الحالة فى الصراحة والعلانية الوجودية . وهى ليست كذلك عبارة عن مجموعة من المبادئ ، ولكن بمثابة الاعتراف والاقرار بالحركة الروحية المعاشة الحية ، حيث تكون كافة الافكارحول الطبيعة البشرية ، ونظام الوجود وطبيعة الحقيقة الواقعية كما لو كانت النبع او الينبوع .

إن الأجوبة المتباينة التى تم التوصل اليها كلها ذات صلة وعلاقة ببعضها البعض على مدار أستمرارية المجادلات المتقنة التفاضلية لنفس التساؤلات . وليس لبعضها الزعم بالمعرفة المتميزة ، حيث لكل منها المنظورات الشرعية السليمة وذات القيمة التى سوف تساهم بها .

**التعبير المؤسس :**

إن تأسيس واقامة مجتمع مفتوح حقيقى يتطلب التجسيد المؤسس للحقيقة الواقعية الكامنة وراءه . وعلى النقيض من النمط الليبرالى التاريخى للدولة التى تعمل بالاحتكارات لوسائل الانتاج ، فإن الديموقراطية الليبرالية لما بعد الحداثة من الممكن ان تؤسس وتقام عل الاعتراف او الاقرار بعدم كفايتها الروحية .

فهى بصدد التعرف على العجز العميق للروح الفردية الليبرالية الذى لايمكنها من خلق وتكوين الفضائل الاساسية للمواطنة الطيبة . ونتيجة او عاقبة لذلك ، فهى تعترف بالحاجة الى نظام أو نسق عام من أجل المؤسسات والرابطات الأخرى حيث يقع التطور الاخلاقى للأعضاء .

وفى أثناء فعل ذلك، يهب النظام الليبرالى تلك الأشكال الاجتماعية المساعدة حالتها العامة، فلا يمكن بعد ذلك النظر إليا على أنها مؤسسات أو رابطات خاصة صرفة موقوفة من أجل الأشباءات الخاصة لأعضائها . والآن يمكن النظر اليها على أنها مخلوق تكاملى للدولة والنظام الذى له حق الاحترام الكامل من أجل حريتهم المؤسسية وكذلك لممارسة التأثير والنفوذ السلطوى على تشكيل السياسة .

إن النظام الليبرالى سوف يستمر فى ممارسة وأستخدام السلطة السياسية، والأختلاف الوحيد هو أنه ربما أعطى أعترافاً صريحاً لما يقره ضمنياً طوال الطريق: أى أنه يعتمد على الضمير المشكل أخلاقياً من المواطنين وأن غرضه النهائى هو خدمة مآرب وغايات الفرد يفوق ويتجاوز المجتمع نفسه .

فالنظام الواقع فى عهد ما بعد الحداثة على سبيل المثال يعترف بالعائلة وبقاعدتها القائمة على الزواج مدى الحياة ، على اعتبا ر انها الاساس المفضل لاقامة المجتمع ، وذلك حسبما اتفق القوم فيما بينهم وبعضهم البعض . ففى الاطار العائلى والاسرى ، يكتسب الافراد نوع الحب والرعاية التى تمكنهم من ان يصبحوا مواطنين راشدين .

وفى نفس الوقت يستقبل كل فرد فى حد ذاته الفريدة والغالية القيمة الصفة التجسيدية الملموسة . إن الحياة الاسرية الزوجية ليست فحسب « أسلوب حياة » ولكنها أسلوب حياة مفضل لايجحف او يظلم بالضرورة حرية الآخرين . ، وتلعب الكنائس والديانة أيضا بصفة عامة دوراً أساسياً فى صياغة وتكوين الفرد ، وبالتالى تتطلب اعترافاً عاماً لحالتهم . والدول الليبرالية تعترف بالصلة الغامضة التى تتواجد بين النظام المقدس والنظام الأخلاقى العملى .

وفى الديانة ايضاً ، نتلقى البيان الواضح بالمبادئ الخاصة بالقيمة والمصير الراديكالى الواقع لما وراء السياسة . وتختفى مخاطر الأنقسامية والشقاق الدينى حقا حينما تتقبل الدول كل ذلك على نفس القدرو المسأواة ، الا أن الاسهامات الثابتـه التى تشكل الروافد للنظام السياسى فلاتزال باقية .

واستقلالية المنظمات التعليمية يجب ضمانها وأن تحترم سلطتها لو اريد للدولة ان تستفيد منها ، إلا أن الأمر الأكثر أهمية وشأناً عن كل أولئك، هو أن حريتها المؤسسية لايمكن الاستغناء عنها لصالح التضخم التفكيرى للعقل البشرى . اخيراً ، يتعين على الدولة ان تعترف بالدور الحاسم الذى تلعبه كافه اشكال المؤسسات التطوعية .

ومن خلال هذه الاشكال التعاونية المتبادلة يتم اكتساب الفضائل السياسية والأخلاقية ، وتدفع الدولة لتشجيع تعاونها بدون وضع قيود لاضرورة لها ولاوجوب لها فى الطريق. وكلما كان مستطاعاً ، يتعين أداء الوظائف عن طريق المنظمة الخاصة او المنظمة ذات المستوى الأدنى ، وليس من طريق المؤسسات البيروقراطية المركزية للدولة .

وليس أى من هذه الأفكار بحديد ، لقد كانت مكونات للنظم الحاكمة الليبرالية الاكثر نجاحا منذ القرن الثامن عشر ، ولقد كانت كلها اساسية ومركزية فى الفكر المسيحى الاجتماعى والسياسى منذ آباء الكنيسة ، والاختلاف الوحيد هو الوضوح والشمولية التى بمقتضاها عادت تلك الافكار الى انتباهنا بمقتضاها .

ولقد صار واضحاً حتى فى إطار الشكل الانجليزى ـ الأمريكى الأكثر استقراراً للفلسفة الليبرالية ، كان الانحراف صوب التعبيرات الأكثر تطرفاً لليبرالية والحرية . وفى اطار عدم الاعتراف العام السلطوى بهذه المؤسسات الوسيطة كما سبق أن أشرت ، فإن كلا من الدور الاساسى الخاص والمبادئ التى تعكسها ، آلت إلى الإخفاق والفشل فى مواجهتها للمطالب التوسعية المنتشرة للحرية الليبرالية للأفراد.

فالكنيسة والزواج وقيودهما تعرضت للتخفيض حتى وصلت الى مراسم وأشكال المؤسسات والرابطات الخاصة. وكلاهما اقل قيمة عن أى مدى اونطاق للمنظمات الأخرى وأساليب الحياة وعلى الصعيد السياسى ، يدل هذا على قلة قيمة القيم المجسدة فى هذه المؤسسات ، وبصفة عامة تفضى وتؤدى الى ما وصفه «ونيتشه» وهو تقليل قيمة سائر القيم .

أخيراً فالقيمة الوحيدة التى يمكن الحفاظ عليها هى الاختيار الحر ـ الذى هو مماثل وموازى لازالة مجمل الحقيقة الاخلاقية .

والبصيرة التى يجب ان تتدخل هى ان النظام / النسق السياسى الليبرالى لا يمكن الحفاظ علية على أساس من الروح الفردية الخاصة ذات قوة الطرد المركزية . ان مبادئ النزاهة والعدالة والمساواة والليبرالية والحل الوسط والتضحية والجود بالذات كلها بمثابة المكونات التى لا مفر منها ولاغنى عنها لأنها لازمة .

ولايمكن الحصول عليها عن طريق الانشغال بالاشباع الذاتى الفردى .وحتى الاحترام

للحرية الشخصية للافراد وللأخرين تتطلب القاعدة من حيث المبدا ، بعض النظر عن الملائمة الشخصية او التعالى والكبرياء . ولهذا السبب . لابد من التوصل الى التهيئة بين الرغبة لتضخيم مدى الحريه الشخصية والتأييد العام لهذه المبادئ والموسسات التى تعزز تقدم النمو الاخلاقى والروحى .

وفوق كل شئ ، فإن الدولة او الحكم يجب ان يحتفظ بالمقدرة على التمييز بين الشخصية الاخلاقية للأعمال البشرية الانسانية . ولابد أن تبقى هناك المقدرة على التفرقة العلنية بين الخير والشر . وبدون الحفاظ على التفاضل او المفاصلة من أجل المبادئ والموسسات التى هى بمثابة المصدر لنظامها الخام .فإن النسق السياسى الليبرالى لايمكن ان يعيش طويلاً . ولو قدر للمجتمعات الليبرالية ان تفشل فى الحفاظ على مؤسساتها الخاصة، إذن فكل حديث عن حماية الليبراليات الضرورية يصبح كلاماً مهجوراً مهملاً لانه حينئذ عتيق الزى ومن الطراز القديم .

إن تعبير التفضيل العام من أجل مؤسسات معينة او أساليب حياة بعينها ، لتشجيع الفضيلة واستهجان الرذيلة لايمكن النظر اليها على نها قاتلة للحرية الفردية . فالاخيرة تبقى وتظل امراً لايمكن انتهاكه او خرقه كما كان الحال فى السالف . بسبب التركيز والتوكيد المطلق الموضوع على ضرورة الاستجابة الحرة . ان النظام / النسق الليبرالى لعصر ما بعد الحداثة قد أسس على القناعة بانه من المفضل السماح للكائنات البشرية بإرتكاب الشر، وليس اكراههم وأجبارهم على الزيف الذى يفسد ويتلف الدافع الأخلاقى فى حميم جوهرة .

ولربما تعامت الدولة ـ أى أغمضت عينها عمداً ـ للشر طالما أنه ليس هناك ضرر أو أذى وشيك الوقوع ومحتمل، قبل أن تروج لكذبه النفاق، وتبجيل القيمة غير المشروطة لكل شخص يجعل من أى تدخل قهرى وقسرى آخر مع النمو الذاتى التلقائى للمسئولية آمراً يدعو الى عدم التفكير فيه .

ومع ذلك ، للدولة التزام توكيدى إثباتى فى ترويج تلك المؤسسات والتفاعلات التى تجعل من هذا الاحترام امراً ممكناً. ولو كانت جادة بشأن الحفاظ على الحرية ، لما امكن لها إهمال مهمة اقناع المواطنين فيما يتعلق بقيمة الحرية . وعن طريق تحديد وقصر هذا الدور على دور الاقناع ، حيث حرية الاستجابة هى جزء لايتجزأ وعمل اصيل من المشروع ، فإن الدولة تتحاشى وتتجنب خطر المخاطرة بالليبرالية الخاصة .

وليس المستهدف من هذا القول إنكار ان الافراد سوف يختبرون ويتعرضون لتجربة كل من الضغط السياسى والاجتماعى . وحينما تسعى الدولة لتشجيع الاشتراك والمشاركة الدينية ، او تزود بالحمايات الخاصة للمؤسسة العائلية ، او تروج للمراكز المستدلة التعليمية او تعترف القيمة السياسية والرابطات التطوعية ،فإنها تقصد بوضوح التأثير او النفوذ الممارس على أعمال المواطنين وافعالهم .

وفى هذا المعنى ، تسعى هذه التفضيلات الى تحييد وتقييد الحريةالمطلقة التى يتمتع بها الافراد . والشئ الذى يبرر تعزيز التفضيلات هو التحقق من ان ليس هناك امكانية او إحتمال بالحياد وعدم التحيز . إن فشل التأييد والاقرار العام لهذه الاهداف مماثل ومكافئ للتوكيد على عدم اهميتها وانه لاشأن ولاخطر لها .

**الغرض المستقبلية :**

ان القضية الحقيقية هى التى تتعلق بالسؤال عما اذا كانت الدول الديمقراطية الليبرالية ( الديموقراطيات الليبرالية ) قادره او كفء لهذه التوجهات السياسية العميقه . ام هل.هى سوف يكون مثالها الانجراف الى الحلزون الدائم الهبوط لأسفل صوب الفوضى والطغيان ؟

ولعل هذا يتطلب التوقفات والإصلاحات على مدار الطريق، إلاأنه من الواقعى توقع أنها يمكن أن تقلب وتعكس أتجاه إحدى العمليات التى كانت متجلية للعيان وظاهرية منذ

استهلال وبدء الحداثة، فهل الديموقراطيات الليبرالية قادرة على التحول لتصبح مقسمه بخصائص عهد ما بعد الحداثة؟ إن الإجابة على هذا التساؤل تعتمد على مقدرتها على مواجهة وحل جوهر أزمة الحداثة .

فإذا لم تخترق التأملات الفكرية السطح إلى الأعماق، إذن فهى لن تكون تتحور ولن تتخلص من قيود الأنماط والمضامين التى طورت الأزمة الى حالتها الحاضرة . ثمة نزعة أو ميل للنظر إلى المشكلة وفقاً للنظام الذى صنعه الإنسان وهو الذى ينزع إلى تعظيم الملاءمة، والتوافق الفردى والجماعى، ولن يتم فهم وإدراك القضية فى ضوئها الساطع الفاضح، على أنها مشكلة فعل الخير وتحاشى أرتكاب الشرو الأثم، والوضوح الضرورى واللازم للمنظور .

ولسوف تخضع ونزعن راغبين لإغراء التفكر والتدبر فى المشكلات التى تحل عبر التقنيات الجديدة والأصلاحات المؤسسية، إن جذور المشكلات، على النقيض تكمن فى داخليات أنفسنا نحن، فى ضعفنا الروحى الفكرى الذى هومصدر مشكلات جوهر الديمقراطية الليبرالية، وهكذا، أى توجه حقيقى جائب لا بد وأن يبدا انطلاقاً من أعماق أنفسنا نحن كبشر .

وهذا يفسر كيف أن التنفيس أو التطهير العاطفى الذى وضع أمثلته كا من ديستويفسكى، وسولز تيتيسن، والبيركامى، وفو يجيلن، وغيرهم له قيمة بالغة الثراء والتى لا تقدر، لقد واجهوا كبر وعظم الظلام الذى أطلقه الحلم الإنسانى بجعل الحقيقة والواقعية فى خدمة الإنسانية والبشرية .

وعلى النقيض من فرصة القوة المطلقة التى لا حدود لها والعالم الجديدالشجاع الذى وعدت به،نجد أنها تعرفت على الهوه السحيقة من الطغيان والجبروت والدمار التى تنفتح حينما تزهو البشرية بسيادتها ورئاستها على كافة الأشياء، وليبراليتنا لم تتوسع وتعظم عبر الخداع فى أننا أحرار فى إختيار الحياه التى أمامنا .

ولكن مفكرى عهد ما بعد الحداثة بينوا أيضاً لنا كيف «بصبح هذا التطرف فى الحرمان هو نقطة البدء للصعود صوب حياة جديدة من الأفراد والمجتمع، وكل أوجة اليأس والقنوط والحزاب والإفقار الحادثة فى الكائنات البشرية الحديثة الغت العالم الوهمى بقوتها وسطوتها وسيطرتهم على تلك السلطة، ومع ذلك لم تثبت أنها المنتصرة فى النهاية، وهؤلاء المفكرون لم يهبطوا صوب المستوى البشرى للإنسان ولقد أكتشفوا عند نقطة فقدان العالم الحديث لكل شىء، الواقعة فى إطار الشىء الذى ويجذبهم ناحية الحقيقة والدوام .

ونحن ببساطة لنا رجالاً ونساء مجوفين، وقشوراً خالين من الإنسانية نتجول ونهيم على وجوهنا بلا وعى على غير هدى، ولا نفعل شيئاً سوى الحاق وإنزال البؤس اللامحدود والشقاء الذى لا نهاية له على بعضنا البعض،حيث بداخلنا حركة مقاومة ، ممتدة الجذور فى واقعية البعد الفائق لأنفسنا، وهى قادرة على ملء حياتنا بالحقيقة والتوجة وذلو لو آتبعنا على نحو إيجابى مستجيب إرهاجاتها ودواعيها. إن الإنسانية ليست بمفردها وحيدة. فنحن جزء من مجتمع من الروح التى وصلت على نحو غامض إلى ذروتها فى الكائن المقدس نفسه .

ولهذا السبب، فإن معاناه البشر، والفقدان النهائى لكل ما ساند ودعم وحفظ وجودها، ليس ببساطة هو ألم البشرية وحدها، إنه واحد من الأسلوب الأضحوى (أضحية) للوجود حيث يشارك المعاناه البشرية فى المعاناه المقدسة من الشر سواء بسواء، ويكتشف الرجال والنساء فى العصر الحديث وحدتهم مع الإله الذى يفرغ نفسه للقدسيه كلية، إلى حد التخلى والهجر، والسبب أننا ربما تصبح مشاركين فى الحياه المقدسة .

إن صلب البشرية وعذابها الأليم ومحنتها فى عصرنا الحاضر يبين معناه فى الأستمرارية مع صلب المسيح، وحينما يحدث هذا، تضيع الروابط التعسفية للسلطة، وواقعية الحب الأضحوى التى تتكشف كما القوة الحقيقة التى تنتصر على الشر والموت . والحقيقة النهائية عن الحرمان الحديث لكل المعانى ليست الناس، ولكن أمجاد البعث .

إن قابلية الحياه والنمو والتطبيق للديموقراطية الليبرالية تعتمد أعتماداً كبيراً على مقدرتها على استيعاب وامتصاص تلك البصائر، فلابد لها من الإنفصال القسرى من إغراء اشتقاق جميع الأشياء من منطق الذات المستقلة المغلقة، ولا تستطيع الديمقراطية الليبرالية الحياه إذا كانت تغذى نظرة الوجود الإنسانى الذى يسير بالتناقص والتضاد لمبادئها الخاصة ومؤسساتها .

لقد رأينا أن مسار الحياه مستحيل، فهو يتركنا بدون دفاعات ضدنفوذ وتأثيرات تلك الآثار التحادثيه التأكلية التى نسعى لتفاديها وتجنبها، إلا أن التساؤل بشأن ما إذا كانت التقاليد الروحية الساكنة داخل الإدراك الليبرالى للسياسية سوف تحتفظ بالقوة الأقناعية الكافية من أجل الفوز بالعون الاجتماعى الواسع أم لا .

وهذا هو عين القلق والأهتمام الذى حض على تصنيف هذا الكتاب. ولقد أخذنا فى قناتنا أن الأفراد الذين صنعوا الاكتشاف التجريبى للتقاليد اليهودية ـ المسيحية والفلسفية، قبالة الفقدان النهائى للاتجاه أو التوجه الروحى فى عالمنا، يعقدون عظيم الأمل على إصدار المناشدة أو الدعوة الأقناعية العالمية ( الكونية) .

فهم يتحدثون إلينا بدون إدراكات فلسفية أيديولوجية سابقة كما أنهم لا يمتلكون سلطة أخرى بخلاف الحقيقة التمثيلية لحياتهم الخاصة، وفى إطارهم بوسع العالم الحديث أن يمسك للمرة الثانية بقوة التحول فى المشاركة من أجل الموافقة الفائقة بأسلوب مباشر وفورى وهوة الدمار والفوضى والاضطراب التى تشير إلينا وتدعونا ـ التى سبق لهم أن بينوها ـ ليست الحقيقة الواقعية الوحيدة، فهى من الممكن أن يتم تجاوزها وبفعل ذلك الإنسان سواء كان رجلاً أو إمرأة يستجيب لقوة الشد والجذب، الحقيقيه وتبقى الإمكانية بالنسبة إلى كل واحد منا ـ أن الشاهد المثالى بوسعه أن يصبح الوسيلة من أجل صعودنا التأملى الخاص أنطلاقاً من غياهب الأعماق السحيقة .